

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1 (جامعة الحاج لخضر)
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

التوجيه الدلالي للبنى التركيبية؛ تحليل لساني لربيع "مريم" على ضوء النظرية التحويلية

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إشراف الأستاذ الدكتور:

رابح بومعزة

إعداد الطالب:

محمد مغناجي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
لخضر بلخير	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيساً
رابح بومعزة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سلطان قابوس	مشرفاً ومقرراً
بلقاسم دقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضواً
جودي مرداسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضواً
عمار شلواوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضواً
صالح لحوحي	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضواً

السنة الجامعية:

2016-2015/1437-1436م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ * رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ
وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١]

شكر وعرفان

الشكر والعرفان إلى المفضل، الأستاذ المشرف على البحث، الأستاذ الدكتور:

رابح أبو أحمد بومعزة.

رفع الله قدره عاليا وحفظ له ذكره، وأكرمه بجنّته جنّة الفردوس خالدا فيها أبدا.

إلى الأساتذة الذين درسوني واحد واحد اعترافا بالجميل،

وإذ أنكر هذه التلة الكريمة المتفضلة عليّ بعد الله عزّ وجلّ، لا أنسى العالم اللساني

الذي شرفت بالحديث إليه والتمتع بوفرة معلوماته المختار كريم من جامعة تونس

الشقيقة رغم بعد المسافة إلا أن له خلة في القلب، ومتبوءاً في الروح عاليا، فله منّي كلّ

الموافاة والمصافاة والمواددة.

وإلى الإخوة: عصام بن دبكة، أبو بكر بن كحلة، الهواري صولي، عرفانا بجميلهم

وإلى الصديق الحميم صلاح الدين رحمانى الذي بذل جهدا كبيرا معي أسأل الله أن

يجعله في ميزان حسناته.. آمين

إهداء

أهدي هذا الجهد إلى والدي رحمه الله و، غفر له، وأكرمه بجنته خالدا فيها.

وإلى أمي: مفتاح رضوان الله، وطب القلب ودوائه، وعلاج الهم وشفائه، آملا أن يمدّ عمرها بالعافية والصحة والهناء، وأن يرزقها رحمته، ويعمّها بفضله في الدارين... إنه رحمن رحيم.

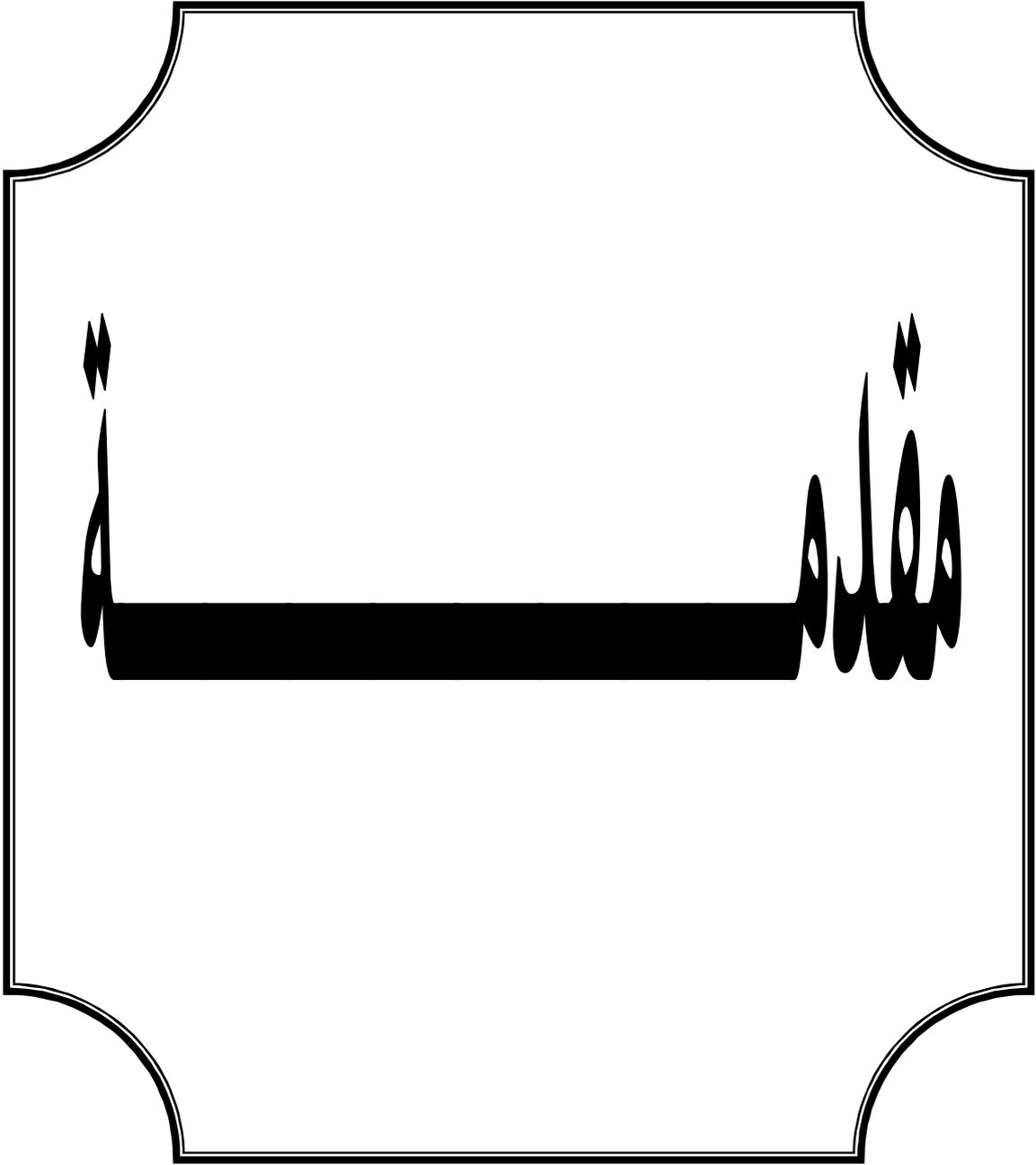
وإلى أخي الفنان المتميّز: أحمد يسن وردة الألوان، وسراج الجمال، ونبعة الوعي والفكر.

وإلى أخواتي آسيا وإفريقيا وسعيدة (شجرة الدر)، وربيعة وفطيمة وعائشة ورحمة الله على أخي يوسف.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعلى آله وصحبه أزكى الصلاة وأفضل التسليم وعلى من تبعه وتابعيه وتابعي تابعيهم بإحسان وخير إلى يوم الدين.

الأربعاء 14 محرم 1437 هـ الموافق 2015-10-28

الطالب محمد عادل بن الطاهر مغناجي



مقدمة:

إن اللغة مظهر من مظاهر حيوية الإنسان، وبروز سرّ من أسرارهِ الذي هو المعنى الذي يكتنفه في حياته، ومن مقادير الكلام "أنّ كون اللغة في شكل سياقات تحويلية تعدّ قوة فاعلة، تعطي الكلام دلالاتٍ خاصة⁽¹⁾؛ فمن هنا كانت الأهمية بدراسة اللغة من حيثُ مكانُ التغيير الذي هو مرتبط بتغيير الإنسان في حياته، وليس من طريقة مثلى لفهم أسرار هذه اللغة إلاّ أن يُنعم الإنسان النظر فيها بوصفها مظهراً عقلياً، يتحقق في كفاءات الأبنية التركيبية اللغوية، بشقيها الاسمي والفعلي، وشكول تطبيق قواعد اللغة الأصلية، ليلبغ كل مظاهر الكلام، وتغييراته..

هذا المفهوم في النظرية التحويلية التوليدية معناه المستوى التوليدي؛ المتمثل في البناء المولّد من النحو والتركيب وقواعدهما التي يمالئ بعضها بعضاً، ويعضد بعضها بعضاً، وأمّا البناء المتغير من قواعدها فهو التحويلي.

ونحن- في بحثنا هذا- تطرقنا لدراسة الجانب التحويلي الذي يرتبط بالبنى المحولة في الربع الثالث من القرآن الكريم (ربع مريم)، في سورة التي بلغ عددها سبع عشرة سورة، من مريم إلى فاطر، متسائلين: هل استطاعت القواعد التحويلية الأربع التي أرساها تشومسكي حين سكّه نظريته "التوليدية التحويلية" أن تشغل حيزاً في لغة القرآن الكريم، وما هي الآليات التي تكشف الغطاء عن الدلالة المتوارية خلفها؟

لقد تميّز النحو التوليدي والتحويلي بفكرة إبداعية؛ اللغة من "طريق نظام قواعد كامن"؛ من خلاله يولد مستعمل اللغة عددا لا متناهياً من جمل لغته بالعدد المتناهي مما تمتلكه من أصوات اعتماداً على كفايته اللغوية، وقد سمّى تشومسكي هذا الأمر: "صندوق اللغة الفطري".

(1) ينظر: مازن موفق صديق الخيرو، الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني (الالتفات نموذجاً)، مكتبة دار البيان، دمشق- سوريا، ط1، 2010، ص271.

ونحن- إذ نعتمد قوانين التحويل الأربعة التي تتأدى بها أصحاب النظرية النحوية العربية وصاحب النظرية اللسانية، وهي الزيادة والحذف والترتيب والاستبدال- فإننا نحاول أن نجد إحدائيتها في مصنفات الدراسات اللغوية العربية النحوية والبلاغية، متسائلين: أهي مظنونة في أمات تلك الكتب؟ وهل يمكن تصنيفها في سياق لساني جديد؟

ولقد وقع اختيار دراستنا على الربع الثالث من القرآن الكريم، مرمة الوقوف على إمكانية إجراء القواعد التحويلية عليه؟ وتساءلنا أيضا: هل يمكن الإفادة من آياتها في تحليل الجمل التي اعترها التحويل بأنواعه الأربعة في هذه المدونة؟ فوجدنا- بعد معاينتنا لبنى الربع المدروس- أن تحقيق ذلك ممكن؛ والإشكال الأكبر هو سرّ الدلالات المتوارية خلف هذا التحويل، فكان عنوان الدراسة هو "التوجيه الدلالي للبنية التركيبية؛ تحليل لساني لربع مريم على ضوء النظرية التحويلية".

تنهض الدراسة على الإشكالية السابقة، وإنه لمجردة أن نضبط مفهومه وحياضه؛ "إذ وجب وضع حدود طبولوجية وتاريخية للموضوع"⁽¹⁾، وما دما نبحت في لغة القرآن الكريم، فينبغي أن نحيط علما بالحدود اللغوية أيضا.

والموضوع في اللغة؛ هو دراسة للقواعد النحوية التركيبية التي تؤلف الجمل الاسمية والفعلية والوحدات الإسنادية؛ أي أنصاف الجمل أو أشباه الجمل، ثم نعاين الشكل التحويلي لها بالإحصاء وشرح الصور المتواردة في مساق الآيات القرآنية الجلية التي تشكل مضمار دراستنا، ونشر المصطلحات التحويلية عليها؛ فهل هي قابلة لها؟ ثم نعقبها بتوجيهاتنا الدلالية لهذه الأشكال التركيبية المختلفة المحولة: بالحذف والتقديم والتأخير وفق صيغتي الاختيار والإجبار.

⁽¹⁾ ينظر: رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي؛ دراسة وصفية وتاريخية منحنى تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان- المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2009، ص16.

والنحو العربي يمنح لهما اصطلاحين راجا في الدراسة العربية، وهما الجواز والوجوب، لكننا عرضناها للاستئناس، وللانطلاق منها ثم تابعنا الدراسة على ما نقوله نظرية الاصطلاح اللسانية لتشومسكي ومن جايه، من الوصف اللساني إلى التفسير إلى ماوراء التفسير.⁽¹⁾

هذا الموضوع نراه قمينا بالدراسة وضمينا بالتفحص للأسباب الآتية:

أ- إنّ البحث في القرآن الكريم- وإن تطرق إليه ودرس في مختلف جوانبه وضروبه- "يسجل على هذه الدراسات اقتضاب للمادة التي تزرخ بها كتب اللغة والنحو واللسانيات"⁽²⁾، إنّه مفتوح على آفاق الاستنتاج اللغوي والنحوي والعلمي؛ لأنّ البحث فيه عميق حقيقة لا تزيّدا، إضافة إلى غزارة دلالاته، واستخدامه النحوي ينوع على قاعدتي اللغة والكلام؛ فهو لا يقرأ على قراءة واحدة بل على قراءات متعددة، أشهرها سبع قراءات، ويرى على أوجه إعرابية متنوعة، وهو لا تقتضي استكشافاته العلمية والواقعية والحياتية في عالم الإنسان، وفي التشريع، ولا يتوقف الدرس في بناء تراكيبه النحوية، ومأمولات الإعجاز فيه.

ب- البحث في البنى المحولة كالتحويل بزيادة الأفعال التي تغيّر التركيب من نوع إلى نوع كالفعل "أعلم" أو "أرى المتعدي"؛ فنقول: أريتك العلم فاضلا، وأعلمتك الجرح كبيرا، في خلاف الجملة الاسمية التي تحوّلت بزيادة ناسخة مثل إن وأخواتها أو كان وأخواتها فلا تتغير البنية الاسمية إلى فعلية، وإنما تبقى على اسميتها محولة لغرض تحدده العناصر المزيدة على الجملة وكان أصل الاسمين مبتدأ وخبراً، كأن نقول: إنّ الله رؤوفٌ بعباده. فأصل البنية التوليدية: الله رؤوفٌ بعباده، وكذلك الشأن بالنسبة للجملة المزيدة بعنصرين وظيفتهما التوكيد بدرجته للسامع أو المتلقّي، كأن أقول: إنّ

⁽¹⁾ ينظر: نعوم تشومسكي Noam Chomsky ، اللسانيات التوليدية؛ من التفسير إلى ماوراء التفسير، ترجمة وتقديم: محمد الرّحالي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2013.

⁽²⁾ ينظر: رايح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم؛ صورها وتوجهها البياني، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-جرمانا- سوريا، د ط، 2008، ص5.

الله لرؤوف بعباده أو إنَّ الله لهو الرؤوف. ففي الأولى التحويل بزيادة عنصرين مؤكدين وهما "إنَّ" و"اللام" المزحقة التي دخلت على خبر الجملة الاسمية المنسوخة وفي الثانية الجملة محولة بزيادة ثلاثة عناصر بغيتها التوكيد، وهي: "إنَّ" و"اللام" والضمير "هو" الذي له عُمديته، وزيادته في دلالة التوكيد و"الألف" واللام للتعريف في وصف الخبر المؤكد أصلاً باللام، فحينذاك نقول: إنَّ البنية الأولى بمؤكدين أقل دلالة على مراد المتكلم من تأكيد الخبر للسامع، فالمتلقي-هنا- أقل إنكاراً من الجملة التي تحتوي على ثلاثة عناصر للتوكيد.

ج- البحث في المنطق الذي منحنا استعمال القواعد بتوليد السياقات المختلفة مع الوقوف على بنيتها العميقة والسطحية، ثم اجتناء المعاني الأخرى المنبثقة من نظامي الجملة الفعلية والاسمية.

د- تبحث الدراسة في بناء رؤية واسعة للتوجيه الدلالي واللساني للبنى التركيبية المحولة في القرآن الكريم، ومن ثمَّ في الحقول الأدبية الأخرى زاوية توجه دلالات التركيب النحوي، والجهاز العقلي الذي يدفع إلى ذلك، وانطلاقاً من العلاقة الثابتة بين اللغة والمنطق التي كان الفكر الأرسطي محلّى بها "بشكل جلي"⁽¹⁾، بل ولمحت في التراث العربي، وتاريخ المنطق لدى المسلمين: "إنهم أولوا -لعلاقة اللغة بالمنطق- عناية خاصة في الأسئلة عن كشف أسرار اللغة وقوانينها، والمحاورة التي أوردها أبو حيان التوحيدي (310-414هـ) لأبي بشر متى المنطقي وبين أبي سعيد السيرافي النحوي (368هـ)؛ إذ لم نعدم من وفق بين هذين الاتجاهين المتطرفين، وجعل من النحو منطقاً لغوياً، ومن المنطق نحواً عقلياً بمعنى أن أحدهما يكمل الآخر، ولا يستغني عنه"⁽²⁾ وكشف الأواصر الماثلة بين النحو والدلالة.

(1) محمد عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود، منهج البحث الأدبي واللغوي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، ط1، 2010، ص21.

(2) المرجع نفسه.

ومنهم من يمنح توجيهها في سلك آخر من أسلاك العلوم اللغوية كالتوجيه البياني وهو التماح البلاغة الخاصة بهذا الأسلوب دون الآخر، كما هو في كتابي رابح بومعزة: "الجملة الوظيفية في القرآن الكريم صورها- بنيتها العميقة- توجيهها الدلالي"⁽¹⁾، و"الجملة في القرآن الكريم؛ صورها وتوجيهها البياني"⁽²⁾.

ه- الدراسة في الجوانب النحوية في اللغة- وإن أحيطت بقدر من البحوث والأطاريح، إلا أنها في النحو بعلها تنبض بالإشارات والقرائن؛ ذلك لأن نظرية الإسناد في اللغة العربية كما تقول سناء حميد البياتي في كتابها الموسوم: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم⁽³⁾ وسريعة، ولا يمكن أن يحاط بها.

و- من أسباب البحث الإفادة من القُصود التي تتضمنها البنية التركيبية.

وقد انطلقنا من طرح الأسئلة الآتية:

- 1- ماهي دلالات البنى التركيبية المحولة في الربع الثالث من القرآن الكريم؟
 - 2- ما مدى حضور نظرية التحويل في البنى التركيبية بنوعها الفعلية والاسمية؟
 - 3- ما الدور الذي تؤديه معرفة البنى التركيبية التوليدية في توجيه دلالات البنى التركيبية التحويلية؟
 - 4- إلى أي درجة تؤثر تقنية التحويل في استكناه معاني التراكيب القرآنية الكريمة التي مسها التحويل؟ وما هي قواعد التحويل، وماهي صورته المستعملة في المدونة؟
- وابتغاء الإجابة عن هذه الأسئلة وضعنا لهذه الدراسة الخطة المرسومة، التي انتظمت في مقدمة، مهدّنا [بعدها] بمهاد نظريّ تناولنا فيه العناصر الآتية:
- 1- مفهوم التراكيب اللغوية، الإسناد، البناء.

(1) رابح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم؛ صورها-بنيتها العميقة- توجيهها الدلالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن-جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمّان -الأردن، ط1، 2009.

(2) ينظر: سناء حميد البياتي، قواعد النحو في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2003، عمّان -الأردن.

(3) رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم؛ صورها وتوجيهها البياني، مرجع السابق.

2- ثنائية تقسيم التراكيب النحوية حسب نظرية التحويل في اللغة العربية والنحو العربي.

3- مفهوم التوجيه الدلالي للتراكيب النحوية.

4- مفهوم التحويل.

وبابين؛ استغل الباب الأول لمعاينة صور التركيب التي يكون المسند فيها فعلا، وتوجيهها الدلالي في ربع مريم، وشمل هذا الباب تحت جناحه أربعة فصول، عنون الفصل الأول: صور التحويل بالزيادة ودلالة الغرض أو وتوجيهها الدلالي"، وقد شرحنا فيه مفهوم الزيادة التي لا نريد منها زيادة حرف على بنية الصيغ الصرفية فقط، وإنما زيادة بنية مستقلة على جملة كاملة أو تركيب كزيادة أدوات التوكيد والنواسخ والحروف المختلفة للاستفهام والقصر والنفي وغير ذلك.

1- الزيادة التي لغرض النفي وعناصرها في التراكيب الفعلية (التحويل المحلي - التحويل الجذري).

2- وضمّ: أ- الزيادة التي لغرض التوكيد (توكيد الإنكار - الطلب).

ب- الزيادة التي لغرض الحصر والقصر.

3- الزيادة التي لغرض الاستفهام.

أما الفصل الثاني فخصّصناه لصور التحويل بالترتيب (التقديم والتأخير) ودلالاتها الموجّهة إليها. وناقشنا فيه مفهوم الترتيب (وقرينة الرتبة)، وإشارة التحويل المحلي (التقديم على نيّة التأخير كما يقول الجرجاني في دلائل الإعجاز)، وفيه:

1- التوجيه الدلالي لصور التحويل بتقديم الفاعل عن الفعل أو عدم قبول مصطلح التقديم لتحويل فعلية الجملة إلى اسمية.

2- التوجيه الدلالي لصور التحويل بتقديم المفعول به عن الفاعل (المسند إليه).

3- التوجيه الدلالي لصور التحويل بتقديم المفعول به عن الفعل (المسند) والفاعل (المسند إليه).

وعالج الفصل الثالث صور التحويل بالحذف ودلالة الغرض، فناطقنا فيه مفهوم

الحذف النحوي وتوجيهه الدلالي:

1- التوجيه الدلالي لصور التحويل بإضمار الفاعل (المسند إليه)، ونائب الفاعل.

2- التوجيه الدلالي لصور التحويل بحذف المفعول به.

3- التوجيه الدلالي لصور التحويل بحذف الجملة الفعلية.

كما خصّص الفصل الرابع لدراسة التحويل بالاستبدال وتوجيهه الدلالي، فنتبعنا

فيه صور التحويل بنائب الفاعل، وصور التحويل بالمصدر المؤول بالصريح.

وأوردنا في مختتم هذا الباب خلاصة شاملة.

أما الباب الثاني فوسمناه: صور التراكيب التي يكون المسند فيها اسماً أو جملة

محوّلة: واحتوى هذا الباب أربعة فصول - أيضاً - مسايرةً لعدد الفصول في الباب

الأول، وتوازننا منهجياً، وهي:

الفصل الأول درسنا فيه التوجيه الدلالي لصور التحويل بالزيادة وأغراضها

المتلاونة.

1- الزيادة التي لغرض النفي: وفيه صور التحويل في الجملة الاسمية المحضة؛ أي

الزيادات دون النواسخ. وصور التحويل في الجملة الاسمية غير المحضة؛ أي الزيادات

بالنواسخ.

2- الزيادة التي لغرض الحصر والقصر، وفيه صور التحويل في الجملة الاسمية

المحضة. وصور التحويل في الجملة الاسمية غير المحضة.

3- الزيادة التي لغرض التوكيد.

وفيه: أولاً: صور التحويل في الجملة الاسمية المحضة.

ثانياً: صور التحويل في الجملة الاسمية غير المحضة.

وورد في الفصل الثاني صور التحويل في التراكيب بالترتيب (التقديم والتأخير)

وتوجيهها الدلالي:

- 1- صور التحويل بتقديم المسند على المسند إليه إجبارا واختيارا .
- 2- صور التحويل بتأخير المبتدأ (المسند إليه) على الخبر إجبارا واختيارا أو إلزاما أو وجوبا.

وناقش الفصل الثالث من الباب الثاني: صور التحويل بالحذف وأغراض الدلالات أو توجيهها الدلالي، وفيه:

- 1- التحويل بحذف المسند (الخبر) إجبارا واختيارا.
 - 2- التحويل بحذف المسند إليه (المبتدأ) إجبارا واختيارا.
- كما عالج الفصل الرابع التوجيه الدلالي للتحويل بالاستبدال، وفيه:
- 1- صور التوجيه الدلالي للتحويل بالاستبدال بالخبر "المسند"، بتحويله جملة اسمية أو فعلية.

2- التحويل بالاستبدال بالجملة الموصولة.

وأهينا الباب الثاني بخاصة لأهم الدلالات التي خرجت إليها صور البنى التركيبية التحويلية القرآنية الكريمة.

والبحت ليس متأسلا عمّن سبقه، ولا منفصم العرى عن تداخلات لبحوث سبقته، بل لعل التصور يكون جديدا والإشكالية قديمة؛ إذ كانت قبله دراسات فتحت الطريق ووسعت السبيل لاقتطاف أكبر عدد ممكن من النتائج في هذا المنوال من الدراسات.

فنعتقد أنّ المشرف على هذا البحث قد شقّ زاوية في مفهوم التحويل عند العرب، وموازنته مع المفهوم اللساني الحديث، وقد تطرقت بعض الدراسات إلى دلالات التراكيب إذ عرضت للبنى التركيبية، ولكن ما ندّعي أننا أضفناه ولو بنزر قليل بعد أن غابت اللحمة بين العلوم النحوية والبلاغية والدلالية وحتى التداولية وما بعد التلقي، أننا حاولنا لفت الانتباه إلى العلاقة المنطقية العقلية في اللغات بعموم، وفي العربية بالخصوص، بين النحو والدلالة، ومع أننا قد تغيب عنا صور هذه البنى كلها

بالتحليل اللساني الكامل، إلا أننا حاولنا- قدر المستطاع- أن نبين البنيات العميقة لتلك البنى التركيبية المحوّلة، ولم استعملت على هذا النحو أو بتلك الشاكلة، ونذكر من بين هذه الدراسات التي تناولت هذا المضمار، وكانت لها حوزة في تشقيق الحديث عنه، كتاب: دلالات التراكيب عند الأصوليين لموسى بن مصطفى العبيدان؛ إذ عرفنا على أبواب علم الدلالة، وأضاء ما ينطوي عليه هذا العلم، وكان "قراءة عصرية للتراث الأصولي في هذا المجال"⁽¹⁾، ودلالة التركيب لمحمد محمد بن موسى⁽²⁾، ولذلك جاء هذا البحث ليكون لبنة مستزادة تكمل تلك الدراسات، وتبحث في وضع زاوية لتوجيه دلالة التحويل الجذري والمحلي بصورهما في الربع الثالث من القرآن العظيم، ومن ثم استثمارها في المدونات اللغوية والأدبية الأخرى: كالشعر، والنثر، وكل الأجناس الإبداعية الملتحقة باللغة شفاهة وكتابة.

وليست الدراسة قائمة على غير مسلك ولا منطلقة من فراغ رؤيوي أو منهجي؛ إذ نهضت على منهج معتمد لتحقيقها، لا يكتفي بوصف البنى التركيبية، وإنما يعمد إلى استكناه بنيتها العميقة التي لا تظهر في سطح الآيات القرآنية الفاضلة، ولما كان البحث يرنو إلى دراسة التراكيب الإسنادية الأصلية دراسة مفعمة باللسانيات والمصطلحات المستقرعة عنها، والتي تبرز ما في القرآن الكريم من خصائص وسيمياء، فإنه -حجة الوصول إلى ذلك- حق الآلية التحويلية لكونها تتناول تغيير البنى الشكلية المنفكة من أصل واحد، مع الاستعانة بمنهج التحليل الوظيفي والتفسيري الذي ينزع - حين التحليل والوصف- إلى تفسير الظواهر التحويلية، وتعليل مجيء هذه الصور؛ إذ يكون ضابطا للمعنى المحمول في صور التراكيب الإسنادية المحوّلة.

(1) موسى بن مصطفى العبيدان، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات المطبعية، دمشق- سورية، ط1، 2002، ص9.

(2) محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، دار التضامن، القاهرة- مصر، ط2، 1987.

وعرض الموضوع على المنهج الإحصائي لاستخراج صور التحويلات المختلفة وإحصائها في الربع المبحوث؛ ثم استنباط دلالات ورود هذه البنى التركيبية لغرض المعنى، ويعرض صور الجملة في الآي الكريمت، كما استخدمنا أدوات التحويل في إيضاح البنى القاعدية للتركيب اللغوية والبنى الثانوية.

ولقد اعتمدنا على جميع المصادر والمراجع للتحجيج والاستتارة والتعريف، فكانت خزانة البحث متعددة الكتب والدراسات، ومن أهم المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم، كتاب سيبويه، والكامل للمبرد، وتفسير الكشاف للزمخشري، والتحرير والتتوير للطاهر بن عاشور، ودلائل الإعجاز للجرجاني، والبحر المحيط لأبي حيان، ومعاني القرآن للفراء، وشرح المفصل لابن يعيش، والنحو الوافي لعباس حسن، وكتب إعراب القرآن الكريم منها: إعراب القرآن الكريم للقاسمي دعّاس، وكتاب الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت صالح عبد الواحد، وكتب متعلقة بالتحويل في النحو العربي فاستندنا- أيما استناد- على كتب رابح بومعزة بوصفه متخصصا في هذا المجال، ككتاب نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، وبحوثه المختلفة في كثير من المجالات كبخته في مجلة "قراءات" الصادرة عن مخبر وحدة التكوين والبحث في نظرية القراءة ومناهجها، في عددها الضامّ لعددتين "السادس والسابع"، والموصوف: قراءة في التحويل الجذري والمحليّ الذي يعتري البنى العربية التركيبية، وبخته في مجلة "كلية الآداب واللغات" بجامعة محمد خيضر ببسكرة، في عددها السادس عشر والمعنون: البنى العميقة لصور التحويل بالترتيب والزيادة- الربع الثاني من القرآن الكريم أنموذجا، أمّا فيما يتعلّق بالدراسات اللسانية فاسترشدنا بأكثر من كتابين لتشمسكي منها كتاب البنى التركيبية(النحوية)، ومظاهر النظرية التركيبية وغيرهما.

وقد عرضنا طريقة سير الدراسة بشرح صورة من التحويلات المختلفة، وعددناها في كلّ قسم من أقسام البحث، ليهتدي القارئ إلى مواضعها في الآيات المعلمة في البحث والسور التي وردت فيها بشكل يسير، ولا نحسب أننا خالفنا رابح

بومعزة في إثاره مصطلح "صورة"، مع أننا سعينا لتحويله بمصطلح "نمط" وليس في ذلك ضير، إلا أن سبب اتخاذه لمصطلح "صورة" أقنعنا كثيرا، فاعتمدناه في دراستنا وكان "مردّه - كما يقول رابح بومعزة في أطروحته- إلى أن الذي يعرض لصور الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية لا محالة عارض لأنماطها، أما العارض للأنماط فليس حتما يعرض للصور كما هو متبذّ في كثير من الدراسات"⁽¹⁾

وقد اعترضتنا صعوبات جمة منها عدم سهولة الحديث عن القرآن الكريم حتى نعود إلى الكتب التي فسرتة وشرحته وأعربته للاهتداء، وندرة بعض تفاسير القرآن الكريم ومجلدات إعرابه، ومازلنا عازمين على استئناف البحث حتى نكمل ما انتقص من البحث، وما هو ثغرة بالنسبة إلينا، وتدبيجه وإخراجه في أحلى حلة، وأبهى صورة من النواحي المختلفة.

فتناول القرآن الكريم من الناحية العلمية ليس أمرا هيّئا؛ إذ ليس الكلام فيه شيئا من الميل والعاطفة، بل الحقيقة تتبدى لكل من نظر فيه، وما البحث فيه يذهب جراحا شعاعا، وإنما يمثل في الوعي أنه لغة أرزن مما يتصور، وأدق توازنا بين الفواصل والجمال وأكثر اتساقا مما يعتقد كما يفهم السياق والتواشج الفكري واللغوي علماء اللسانيات في ذلك، وهذا من منطقيته، وهذا أكد في تحضيض الله عزّ وجلّ عباده وخلقه على التدبر والتفكر في معانيه، إن هو إلا تفاعل مع كيمياء العقل، وجعله آلة للفهم، وليس مجرد جامد، وهذا ماثوث في كل سور القرآن الكريم ونحبّ أن نورد قوله تعالى تمثيلا لذلك بالآيتين الكريمتين في قوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/2)، وقوله أيضا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/109)، وما أغزر

⁽¹⁾ ينظر: رابح بومعزة، تصنيف لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها في المرحلة الثانوية من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري، رسالة مخطوطة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف الزبير سعدي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004-2005، ص7.

الآيات التي تحفّز على الفهم والعلم وتدعو العقل للتدبر والتفكر والتأمل في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة.

وقد حاولنا - قدر الإمكان - أن تكون لنا مكنة في الاتباع المنهجي السليم والصائب في المتن وفي الهوامش والمصادر والمراجع، من إحقاق أدوات النقط وغيرها بالشكل الأوفق؛ فذاك علم ينظّم الكتابة الأكاديمية أيّما تنظيم، وهو في كتب منهجية البحث العلمي يدعى "علم العلامات".

وإن كانت الدراسات والمصادر عينات مادية انتهلنا منها المادة المعرفية والرصيد العلمي واللغوي فإن المشرف على هذا البحث له فضل بعد الله عزّ وجلّ لا يعدمه إلاّ كليل الروح، ومنة، والله المنّة والفضل، لا يجدها جاحد؛ فهو المصباح المنير والنور الغزير الذي أشرق على سدفة هذا البحث فبانّت، الهداية وتمّت الدلالة، ووصل إلى المنشود، فلأستاذ رابح بومعزة كل التوقير والتبجيل على إشرافه على هذا البحث، ورعايته له، وما قد كالأنا به من توجيه ونصح وإرشاد، فإذ نشكر له صنيعه الطيب، ونيته في إخراج عمل صالح ينفع العباد والبلاد وعلم صيّب خير ينتفع به، ويدراً بالحسنة السيئة، ويزيد الجمال في الكون والحياة، نسأل الله أن يمنحه العافية والصحة والخير، وأن يرزقه ثوابا ليس له حصر وأجرا ليس له عدّ وأن ينزل عليه سحائب كرمه، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه، ونجار إلى الله العزيز الجبار بالدعاء في أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يبعد عنا مقدار أنملة أو ذرّة من ذرّات الرياء وأن ينفع به الناس من بعدنا، وأن يكون جنيته عذبا سائغا للجائنين، وأكله دانيا للقاطفين، وأن يبارك لنا فيه، وأن يرزقنا الإخلاص في العلم والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الهادي الأمين وعلى آله وصحبه الأطهار الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم لقاء ربّ العالمين آمين.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة/127)

مهـ اء

الءراسة

نرى أنّ مع عدم خلوّ النحو العربي من مفاهيم متقاربة مع المنهج اللساني المعاصر، إلّا أننا استأثرنا إيفادَ بعض مفردات (النظرية التحويلية) في أطروحتنا، لنصحبها ونستأنسَ بها بل، ونستثمرها في دراسة تراكيب القرآن الكريم، في "الربع الثالث" بغرض أن نستشعَ دلالاته؛ ولأنّ النظرية تبحث في القواعد الكلية للغة الإنسانية، ونظرية البناء اللغوي. رغم أن "أفرام نعوم تشومسكي" (1928 Avram) Noam Chomsky صاحب النظرية أوقع أغلبَ دراسته اللسانية على اللغات الأجنبية منها الإسبانية والإنجليزية والصينية وبعض اللغات الأخرى، وهذا يتفق مع مبادئنا في الدراسة، فنعتقد أن أبعاد هذه النظرية تستجمع كلّ ألوان الطاقات اللغوية البشرية؛ إذ إنّ موضوع هذه اللسانيات هو الملكة اللغوية⁽¹⁾، فقد أقرّ تشومسكي بالقواعد المنطقية الثابتة في العقل واللسان البشريين، كوجود الجملة باختلاف صورها؛ اسمية وفعلية وشرطية وظرفية، بسيطة ومركبة، ووجود (الوحدة الإسنادية) التي يميز رايح بومعزة بينها وبين الجملة، ووجود عنصري الفعل والمفعول به في كل اللغات، ووشائج الارتباط بين مكونات البنى النحوية (اسم + اسم، فعل + اسم والعكس)، وعُرى الإسناد الاسمي والفعلي على السواء، ووجود المكمل أو الفضلة الشكلية غير الإسنادية، كما هو بالنسبة إلى الحال أو الصفة؛ فهو ليس من عنصري الإسناد الفعلي أو الاسمي؛ أي الفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر.

إن نظرية اللسانيات الكلية أو النحو الكليّ التي تستنبط منها مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها تنهل من مراجع علمية ثرّة متشاركة في المنطق اللغوي كعلم الإناسة (Anthropologie)، وعلم الأفكار والمنطق الرياضي، واللسانيات الحديثة، وعلم اللغة العام، وعلم النفس اللغوي، إذ بسطت مفاهيم الإنجاز اللغوي أو الأداء الكلامي، القدرة والكفاية أو الكفاءة اللغوية (La Compétance -La Performonce) الذين يساعدنا في

(1) نعوم تشومسكي، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، تقديم وترجمة محمد الرحالي، ص11.

كشفت قواعد التحويل الاختياري والإجباري (أو الحتمي)، وعلم اللغة الاجتماعي، فنزعم أنها تفيدنا في تفكيك المفاهيم اللغوية بين النظرة النحوية العربية والتصورات اللسانية المجالية لنا بخصوص، وإنما نرعى إلى وضع تصور لغوي عام منطلقين من اللغة العربية ومدونتها الكتاب القرآني الكريم.

فصاحب النظرية يقرر أن يكون هناك نظام عقلي مفطور عليه الإنسان، ويكون مستوى تفكيره بطريقة واحدة وبدرجات متقاربة متوائمة، مع احتساب الفارق في كفاءات التعبير عنها وتحققها في اللسان، وعلى أساسه تفرق اللغات، شرقية أم غربية، لاتينية أم هندو-أوروبية، لغات فرنكوفونية أم أنجلو سكسونية، أم لغات اسكندنافية بأنواعها وعلى اختلاف رقعة الجغرافيا والتاريخ والزمن، وهناك لغات بائدة ولغات قارة متفرعة مستولدة منها لهجات أخرى، ولغات حية وميتة. وينظر كتاب دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح للاستفادة من معرفة اللغات السامية وغيره من الكتب التي تهتم باللسانيات التاريخية، ومختلف اللغات التي نظر إليها لهجات أو لغيات- كما يقول علماء اللسانيات المعاصرة- وينطلق أصحاب النظرية مما دعوه "بجهاز اكتساب اللغة"؛ فيولد الطفل مزوداً بهذه الآلية في عقله (Language Acquisition Dévice) أو (L-A-D).

مما سبق يتبين أن الكلمات المنطوقة رموزاً للتجربة العقلية، أو الكلمات بوصفها مستويات رموز- أيضاً- للكلمات المنطوقة⁽¹⁾؛ فهذا يدل على عقلية انتظام اللغة في ذهن الإنسان فطرة واكتساباً، فالجهاز العقلي مسبارٌ لقياس فهم اللغة وتحويلها والتعامل معها لما يخدم الحاجة العقلية والغرضية والتداولية، وهذا يخلصنا إلى أن التجربة العقلية هي أساس المنطق، والتجربة اللغوية هي دليل تحريك العقل.

(1) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1979، د ط، ص 79.

إن النظرية التحويلية تبحث في الدلالات الوظيفية داخل التراكيب اللغوية؛ أي في سبيل ورود المعنى، وتتطلق من آليات المكونات التحويلية؛ أي الأدوات التي تحرك جمود اللغة، وتقضي بتحويل حالتها التركيبية، مثلا من الجملة الفعلية البسيطة إلى المركبة، ومن الاسمية غير متوفرة على مقدر إلى اسمية مزيده بعنصر أو عنصرين. يجمُلُ بنا أن نستخدم الرؤية التحويلية لفحص مدى ثراء لغة القرآن الكريم واستدرار المشتركات الثرار والتقاطعات الغزار بين اللغات الإنسانية، ولعلها ترفع إلى كعب اللغات الكونية في ظل التطور اللساني المستقبلي؛ فاللغة العربية من اللغات التي تحوي طاقة تحويلية من جانب، ومن جانب آخر تنهض على مكونات أخرى تستتبع إلى المكون الرئيس في نظرنا وهو "المكون التركيبي"؛ لأن المكون الفونولوجي ضلع من أضلاع الطاقة التحويلية في اللغة البشرية، والتي قصدها تشومسكي في كتابه "البنى التركيبية" و"مظاهر النظرية التركيبية" وكتبه ومؤلفاته الأخرى؛ إذ عنصرُ الصوت أو الفونيم -وما استجر من مفاهيم صوتية- موجود في كل اللغات وعلاقاته الوظيفية مع المستويات الأخرى كائنة في اللغات أكتعها.

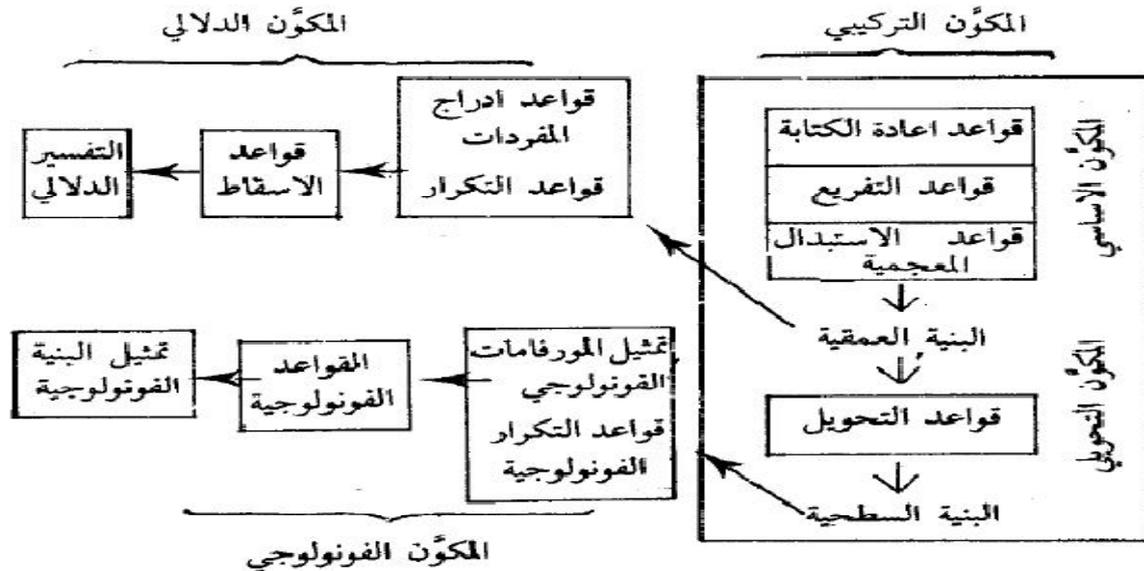
واللغة العربية يغزر فيها مظهر التحويل، لأنها لغة اشتقاقية من جهة وإعرابية من جهة أخرى، وسنأتي لبحثه والتفصيل والتمثيل له والتعرض إلى جهاز التحويل النحوي "Grammar Core"، وهذا ما يسمى عند تشومسكي بالنحو التحويلي "Grammar Transformational"؛ فهو "طريقة تعتمد تحليل البنية العميقة للجملة أساسا لها ومن ثم تحليل البنية السطحية أو الظاهرة وصولا إلى عامل الحدس"⁽¹⁾، والتفكر الذي يقع في بنية الذهن؛ فاللغة في الذهن تتغير - أحيانا - مكونة من جمل لغة داخلية/خاصة، لكن للجملة صواتة وتركيبا ضيقا وليس للفكر ذلك"⁽²⁾؛ فهو يتسم بالانفتاح والإطلاقية عند متكلمي اللغة ومتلقيها معا.

(1) رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي؛ دراسة وصفية وتاريخية؛ منحنى تطبيقي في تراكيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، ص 125.

(2) ينظر: ابن تيمية، رسالة في الحقيقة والمجاز، فصل في اختلاف الأصوليين في اشتغال اللغة على الأسماء، مكتبة المشكاة الإسلامية، د ط، د ت، ص 20.

يتسع أفق توظيف الرموز التي طرقتها قواعد التحويل، فيشمل عناصر الأفراد والتثنية والجمع والأزمنة والأفعال المساعدة، مثلا في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية وأفعال المبني للمعلوم ولما لم يسم فاعله أو المجهول.

أما المكون الدلالي فهو جهاز الحكم على المعنى في الجملة، وأداة ضبط دلالتها من خلال الدلالة الجزئية أي دلالة الكلمة ضمن التركيب، والدلالة الكلية أو المطابقة لما يشير إليه نظام من التركيب دون آخر، وتوجيه ذلك دلاليا لنيل المعنى من الجملة سواء أكانت آية من آيات القرآن الكريم، أو كانت جملة نص من نصوص البشر في اللغة العربية، وعمله هو تناوله للمُدخَلات التي هي مشيرات ركنية تولدها قواعد التكوين العائدة إلى المكون التركيبي في البنية العميقة، بخلاف المكون الفونولوجي أو الصوتولوجي؛ فهو يتناول المشيرات الركنية السطحية، أما المكون التركيبي؛ فهو الأساس في القواعد التوليدية التحويلية يولد هذا المكون مجموعة بني تركيبية غير متناهية⁽¹⁾، ويطيب لنا أن نمح مخططا يلخص شكل القواعد التوليدية والتحويلية أورده ميشال زكرياء في كتابه (الأسنية) وهو:⁽²⁾



(1) ينظر: ميشال زكرياء، الأسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية-النظرية الأسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1982، ص159.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص161.

ولنلنمغ إلى أننا إذا حذقنا المسافة بين القواعد الأنوية، ومظاهر تركيبها ومجيء دلالاتها والقواعد الفرعية المرتبطة بخصوصية اللغات، استطعنا أن نضيء درجة التركيب والدلالة في لغة المدونة المدروسة أي "لغة القرآن العظيم"، لما لها من قداسة وخصوصية فائقتي الإشعاع، فأمكننا ذلك تلمس رقائق اللغات الأخرى في تركيبها ودلالاتها المتغايرة، من دلالة تلقائية إلى تنسيقية، إلى دلالة الطواعية، إلى غير ذلك من حزم الدلالات المختلفة، وفي ذلك عود إلى اقتران المعنى الواقعي للجملة التي تحمل مضمونا ومحمولا دلاليين بالمعنى المجازي، فالجملة ليست إخبارا أو إثباتا لأمر فقط وإنما تنقل معنى كنائيا أو مجازيا، وبهذه الوظائف المجازية تتشكل الصورة البلاغية في اللغة.

ولتوضيح ذلك نمثل بالآية الكريمة التي تحمل استعارات مختلفة وهي قوله سبحانه وتعالى في سورة مريم الجليلة: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم/03)؛ أي "الشعر) غير مشتعل كاشتعال النار، وهذا مسلم به، لكن يقال: لفظ الاشتعال لم يستعمل في هذا المعنى إنما استعمل في البياض الذي يرى من السواد سريان الشعلة من النار، وهذا تشبيه واستعارة لكن قوله: (واشتعل الرأس شيبا)، استعمل فيه لفظ الاشتعال مفيدا بالرأس لم يحتمل اللفظ في "اشتعال الحطب" وهذا اللفظ ما استعمل - قط - في غير موضعه، بل لم يستعمل إلا في هذا المعنى، وإن كان هذا الوضع يُغيّر وضع (اشتعلت النار) فلا يضر، وإن قصد به تشبيه ذلك المعنى بهذا المعنى فلا يضر، بل هذا شأن الأسماء العامة لابد أن يكون بين المعنيين قدر مشترك تشتبك فيه تلك الأفراد، وأما تسميته استعارة فمعلوم أنهم لم يستعيروا ذلك اللفظ بعينه بل ركبوا لفظ اشتعل مع الرأس تركيبا لم يتكلموا به ولا أرادوا به غير هذا المعنى قط، ولا يجوز أن يقال في مثل هذا: لم يشتعل الرأس شيبا، بل يقال: ليس اشتعال الرأس مثل اشتعال الحطب، وإن أشبهه من بعض الوجوه"⁽¹⁾، فهنا انعقدت دلالة الجملة المجازية مع بناء الجملة اللغوي.

(1) د. جاكيندوف، ن. تشومسكي، ف. فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، ترجمة: محمد غاليم ومحمد الرحالي وعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، دط، دت، ص21.

وقد اقترح تشومسكي مكونات نحوية ودلالية وفونولوجية-؛ أي صوتية كما تحدثنا آنفا- إلا أننا نركز الدراسة في محور المكون النحوي في شقه التركيبي، ونعطي التوجيه الدلالي للصيغة التركيبية والمكونات عند تشومسكي تؤول كلها إلى نقطتين اثنتين تدخلان ضمن القواعد التوليدية التحويلية (Generative Transformational Grammar) الولايات المتحدة الأمريكية 1957 هما:

1- الأساس التوليدي: Règle générative.

2- الأساس التحويلي: Règles Transformationnelles أو (Transformational Rules)

نرى أن "للعناصر التحويلية تأثيرا في تغيير المبنى والمعنى"⁽¹⁾، وقد ألمح "الجرجاني إلى ذلك؛ إذ ذكر قواعد"⁽²⁾ "التقديم والتأخير والتعريف والتكثير والحذف والإضمار والإعادة والتكرار وتوخي الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو فيتحرز الفضيلة ويبلغ الصواب"⁽³⁾ وتُتال المغازي، ونضرب مثلا لقاعدة التقديم بتقديم الحال على عاملها أي على صاحب الحال فاعلا كان أم مفعولا به؛ "إذ قال السيوطي فيها مذاهب أحدها المنع مطلقا، وعليه الجري تشبيها بالتمييز، والثاني الجواز مطلقا، وهو الأصح وعليه الجمهور قياسا على المفعول به، وقد ورد به السماع"⁽⁴⁾، كما في قول الله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهَهُمْ ذُلًّا وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم/34)، أو في قوله: ﴿خُشِعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (القمر/7). فتقدمت الحال في جملة الآية الأولى بعد تحويل موقعها، والتقدير قبل تقديمه (ترهقهم ذلة خاشعة أبصارهم)، وفي الآية الكريمة الثانية تقدير نسق الجملة

(1) ينظر: صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2004، ص117.

(2) ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي) (ت471هـ أو 474هـ)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة، مصر، دار المدني بجدة، المملكة العربية السعودية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1992، ص .

(4) ينظر: عبد العال سالم مكرم، كتاب القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص 118.

قبل التقديم (يخرجون من الأجدات خشعاً أبصارهم)، والحال جاءت جملة اسمية برابط الحال الذي هو الضمير المتصل "هم" في "أبصارهم"، ومثل هذا الاستقصاء في بنية التركيب من تقديم وتأخير بسماته المختلفة، يعدّه الفاسي الفهريّ في إطار البنية المركّبة التي يذهب إلى أنّ اللسانيات التحويلية تبحث في "تقييد الرتب داخل اللغات"⁽¹⁾ البشرية المختلفة.

إشارة: هناك نوعان من القواعد التي يتأسس عليها التحويل:

1- القواعد التحويلية الإلزامية: قائمة -أساسا- على الصحة النحوية، وتطابق صيغ التركيب في العربية أو في لغة أخرى.

2- القواعد التحويلية الاختيارية: ومنها الوجوبية أو الجوازية⁽²⁾، وسوف نمثل لها في موضعها من البحث، لكنّها تقوم على المحور الاستبدالي، وهو المتغيّر دائما.

3- العلاقات الدلالية التركيبية داخل الجملة: قبل الحديث عن العلاقات التركيبية نستكشف عمل النحو في اللغة البشرية فنقول إنه هو الأساس لفهم اللغة وقوانينها، فالسكاكي يرى أن علم النحو هو أن ينحو الإنسان معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى وفقا للمقاييس والقوانين المستتبطة من استقراء كلام العرب؛ وذلك على الوجه الذي يتشكل بموجبه المعنى الذهني، وأمّا في اللسان العربي فيستدلّ على اللغة بـ"أحوال وكيفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير، أو حركة إعراب، وقد يدلّ عليها بالحروف المستقلة"⁽³⁾.

تبحث بدقة- "العلاقات بين العناصر المعجمية للجملة، ومدى خضوعها لقواعد تركيبها، ويجلي تشومسكي ذلك بالجملة الشهيرة التي مثل لها في بحثه اللسانيّ وهي:

⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، باريس- فرنسا، ط1، 1986، ص103.

⁽²⁾ ينظر: رفعت كاظم السوداني، المرجع السابق، ص126.

⁽³⁾ عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، د ط، د ت، ص65.

"الأفكارُ الخضراءُ عديمةُ اللونِ أو التي لا لون لها، تنام بلطف"، وترجمتها: (Colorless green ideas sleep furiously)، أو جملة: "غاضبة تنام الأفكار الخضراء التي لا لون لها"، وترجمتها: (Furiously sleep idea green colorless) ⁽¹⁾.

إذ يشترط "تشومسكي - مع سلامة الجملة من حيث تركيبها النحوي - أن تكون متماشية مع قياس اللغة؛ فتكون - بذلك - الجملة سليمة من حيث تركيبها النحوي (Grammaticalite) ومناسبةً لمدلولات اللغة المعينة (Acceptabilite)" ⁽²⁾؛ فالجملة الأولى أقرب إلى الصورة الشعرية منها إلى الكلام اليومي مع سلامتها اللغوية، أما الثانية فأبعد عن المنطقية والتداولية مع صحتها اللغوية هي الأخرى.

فلو أردنا مرقاةً إلى أفق المعنى وجدنا أن علاقة هذا التركيب الدلالية تتوضع انطلاقاً من رصف الكلمات لتثير دلالة عامة شعرية أو إيمائية، إنها تفكك حقيقي في عمق الكلمات، أدّى إلى تباعد استقراب دلالة دانية، فـ "تنام" لا تخدم شبه الجملة؛ جار ومجرور "في غضب" من حيث شبه الفاعل "الأفكار" الموصوفة بالخضراء بلاغياً، وشبه الوصف شبه جملة جار ومجرور "في غضب"، ورغم القاعدة النظامية صحيحة كما يومئ إلى ذلك فرديناند دوسوسير في التعبير عن "ثنائية المحور الاستبدالي والنظمي" ⁽³⁾؛ فشبه الجملة الجار والمجرور "في غضب" جاءت متعلقة بحال محذوفة تقديرها يمنحه السياق، ممثّل في كائنة أو مستقرة، كذلك بالنسبة للمثل المعروف من فرائد الأدب العربية ومياسم اللغة العربية "خرق الثوب المسمار وخرق الثوب المسمار، والمثل الآخر" تهيبت وتهيبني الليل" وتقدير الكلام تهيبت الليل وتهيبني الليل، وهذا ما

⁽¹⁾ ينظر: محمد العبد، المفارقة القرآنية؛ دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 2006، ص116.

⁽²⁾ ينظر: حنيفة بن ناصر ومختار لزعر، اللسانيات؛ منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2010، ص71.

⁽³⁾ ينظر: فرديناند دوسوسير، محاضرات في الأسنوية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، د ط، ص150.

يعرف في النحو العربي بأسلوب التنازع؛ إذ علل بأن الفعل المتعدي إمّا افتراضيّ إذا كان كلا موضوعيه قابلا لأن يكون فاعلا أو مفعولا؛ بحيث يتبادلان الموقعين في الجملة من غير أن يترتبَ عنه قول مقلوب كما في قولك: "نصر خالدٌ بكرًا" و "نصر بكرٌ خالدًا" وإمّا افتراضيّ إذا اختار الفعل بدلالته المعجمية أحد موضوعيه فاعلا واختار الموضوع الآخر مفعولا، حتّى إذا تبادلا الموقعين في الجملة كان القول مقلوبا كما في المثالين السابقين⁽¹⁾ اللذين ذكرناهما.

وتقترن الدلالة بالمعنى في التركيب النحوي حتّى قالوا بمطابقة دلالة الجملة أو معناها، وتشومسكي أولى عناية خاصة لمفهوم الدلالة، إلا أن مفهومات الدلالة المتكاثفة حسب أحوال التراكيب، وأنظمة التحول دفع به إلى التناقض في ضبط مصطلح قارّ وثابت لها؛ فهو من جهة "يستدل بقوة على مقارنة داخلية سمينها (تصورية للمعنى)، كما في أبحاثه المجموعة في تشومسكي (2000)، لكنّه - من جهة أخرى - لم يسبق له أن حاول تطوير مقارنة داخلية نسقية"⁽²⁾ تخص دلالة التراكيب اللغوية، فيمكن لي القول: إنّها مشروع ذهني، وعلى أساس مفهوم الوحدة الإسنادية (مسند + مسند إليه + متعلّق به يحتاجان إليه)^(*) عند رابح بومعزة، صرفنا التوجيه الدلالي للبنى التركيبية التحويلية أو المحولة إلى اقتراح "الوحدة الدلالية"، التي توجه حسب أنواع الجمل المحولة من الجمل المولدة من الذهن، والتي معادها إلى تركيب أولي في اللغة العربية وفي لغات السوّى "Proposition". مع الفارق الذي سوف نوسعه درسا وتوضيحا بين مفهوم الوحدة الإسنادية التي يخالف فيها رابح بومعزة أحمد خالد في أنّها ليست هي الجملة؛ إذ يقول: "ونحن نخالفه هذا الفهم، ونراعي التركيب الإسنادي الذي يرتبط

(1) محمد الأوزاعي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط- المغرب، ط1، 2010 ص124.

(2) ينظر: د. جاكيندوف، ن. تشومسكي، ر. فندلر، المرجع السابق، ص 19.

(*) أشار إلى ذلك سيويوه أمّا الغربيون فيسمونه: Sujet prédicat.

بتركيب سابق أو لاحق، هو وحدَه الذي يطلق عليه مصطلح الوحدة الإسنادية؛ لأن الوحدة الإسنادية لا تستقل بالمعنى بذاتها، وإنما تعتمد على غيرها ووظيفتها - إنْ - تتمثل في المساعدة على أداء المعنى وإتمامه، ونكون بذلك ارتضينا تعريف الدكتور أحمد محمد نحلة للجملة الفرعية، وتعريف محمد الشاوش لشبه الجملة تعريفاً للوحدة الإسنادية؛ ذلك أن مفهوم "Proposition" في الفرنسية و"Clause" في الإنجليزية يتناسب مع هذا المنزع؛ حيث إن الوحدة الإسنادية جنس تركيبى لا تتفرد به اللغة العربية؛ فهو موجود في اللغات كلها⁽¹⁾، مع اختلاف خصوصيات بناء الوحدة الإسنادية وصورها وورودها موازاةً مع سياقات الكلام المختلفة، ومقامات الخطاب من العربية إلى الفرنسية والإنجليزية إلى ما عداهما.

4- مفهوم التحويل:

قبل أن أدلف إلى مفهوم التحويل، وأعرض مسأله، أود أن أقف وقفة مع نحاة العربية والجهد الذي قدموه لدراسة معاني القرآن وتفحص لغته وتراكيبه وأساليبه، وأن أقرن جهدهم بالقياس العقلي الذي استندوا إليه والصورة التجريدية التي رأوا بها النحو، سواء في التأسيس وشق المسائل النحوية أو في وصل المعايير النحوية واللغوية وأصولها بالغاية المرجوة التي هي فهم القرآن الكريم، وليس وصف القرآن فقط بل النفوذ إلى تفسيره انطلاقاً من المكانة التي يعتليها علم النحو في أنه ضابط لصورة المعاني ويعي البلاغة ويحوظ الدلالة، ومن ثم جاءت محاولة قراءة المفهوم التحويلي في ضوء النظرية النحوية العقلية العربية؛ "إذ كان الباحثون في النحو من النحاة القدماء هم المعنيين بالقرآن، وكان هؤلاء يدسونه على أنه أداة لتصحيح لغة القرآن التي أخطأ الجاهل بالقرآن نطقها، حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي فانفصلت الدراسة النحوية

(1) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، مفهومه - أنواعه - صورته؛ البنية العميقة للصيغ والتركيب المحولة، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، عمان، ط1، 2008، ص32.

عن الدراسة القرآنية، وأخذ يعنى بالنحو لذاته، وكان - في الوقت نفسه - يحقق ما كان يصبو إليه المعنيون بدراسة القرآن...⁽¹⁾، هذا من صوب، ومن صوب آخر نريد أن نشقّق ثمرَةً أو فائدةً من النظرية العقلية للنحو العربية لنبرّر أن مفهوم اللسانيات الحديثة، ومفهوم تشومسكيّ والنظرية التحويلية يعتمدان هذه النظرة في فهم أسرار اللغة الإنسانية، والمنطق المشترك للغات وللأنحاء الإنسانية؛ لأنها معزّوة - في نظرنا - إلى عقل واحد هو عقل الإنسان في قراءة البنية التركيبية النحوية، وتفسيرها وإنشائها والتعبير للغة بها؛ أي وضع المعيار النحوي والبلاغي وغيرهما.

تابع الخليل - في منهجه هذا - كثير من النحاة أمثال سيبويه والمبرد والزجاج، فقد كانوا ذوي نظرة عقلية تجريدية حين نظروا إلى النحو العربي على أنه صناعة لها أصولها وقواعدها، فراحوا يصنفون كتب النحو، يبحثون في كتبه ومسائله من خلال القواعد النحوية، يستخرجون منها الأصول معتمدين في ذلك على الاستقراء والتجربة والقياس⁽²⁾، والترجيح والتأصيل والمقارنة والاستخلاص، ولا غرو في أنها مسائل تتبع من مشكاة واحدة هي مشكاة العقل.

يذهب رابح بومعزة إلى استخلاص مفهوم عام للتحويل منطلقاً من توصل إليه عند النحاة العرب فيقول في بحث له حول تأثيل أصول التحويل في بنى التركيب اللغوية العربية وهو عنوانه: (نحو مفهوم واضح للتحويل في النحو العربي)؛ " إذا كان التحويل في النحو التحويلي عند تشومسكي قائماً على أساس أن لكل تركيب إسنادي (جملة أو وحدة إسنادية وظيفية) بنيتين: إحداهما عميقة والأخرى سطحية، وكان لا بد من التحويل بقواعده المختلفة لكي يقوم بدور نقل البنية العميقة من عالم الفكرة المجردة

⁽¹⁾ ينظر: أيمن الشّوّاء، الجامع لإعراب جمل القرآن، اختاره من أوثق كتب الأعراب أيمن الشّوّاء، قدم له، كريم راجح ومصطفى سعيد الخن وعبد الرزاق الحلبي وأسامة عبد الكريم الرفاعي، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، دار الفيحاء، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص21.

⁽²⁾ أيمن الشّوّاء، المرجع السابق، ص22.

إلى عالم التحقق الصوتي، فإن هذه الفكرة نفسها التي أدت إلى ضرورة التحويل قد وجدت بشكل آخر في النحوي العربي، ويواصل: (والتحويل وسيلة للوصف والتحليل والتفسير).⁽¹⁾

والتحويليون يرون أن العملية التحويلية تتدرج في ثلاثة أنواع وهي: الحذف والزيادة وإعادة الترتيب، وما يتصل بهما من قضايا التقدير والأصلية والفرعية والعامل، " وإذا نظرنا إلى نحاة العربية نجدهم قد تحدّثوا عن ظاهرة الزيادة في الجملة ووضحوا أن ما يزداد في الكلام لا يضيف معنى، وأنه زيادة تركيبية قد تضيف معنى. ونجد هذه القضايا في حديثهم عن حروف الجر الزائدة، وعن ضمير الفصل وزيادة كان... وغيرها، وكأنهم يُلحّون على أن الزائد لا يدل على معنى، وهم في هذا يلفتون إلى البنية العميقة في الكلام"⁽²⁾، وحين نُعرِّجُ على هذا الالتفات لا نستبعد أن قولهم لا يزيد معنى أي ليس له غرض، بل يتضمن معنى وفائدة في بنية التركيب العميقة.

والحديث عن الحذف والزيادة وإعادة الترتيب يقتضي التسليم بمبدأ الأصلية والفرعية في اللغة؛ أي لا بد من وجود تركيب أصلي، أو صيغة أصلية اعترافاً بالحذف، أو الزيادة، أو تغير ترتيب عناصرها، وهذا الأصل هو ما يسمونه بنية عميقة، ويحاولون الوقوف عليه من خلال عناصر البنية السطحية، وتتضح عناصر النظرية بهذا الأصل المقترح في التراكيب في جعلها أن جميع التراكيب الخاصة بأية لغة من اللغات ترجع - على اختلافها وتعقدها - إلى نوع واحد من الجمل هو ما أسماه تشومسكي (الجملة البذرة الأساس) (The Kernel Sentence)⁽³⁾.

مما سبق من إيضاح أصول الجمل من فروعها تولد التراكيب بعضها من بعض، نرى أن اللغة ذات منزع عقلي؛ إذ العقل يتحكم في ضبط حدود الجمل بصورة

(1) ينظر: رابح بومعزة، مقال نحو مفهوم واضح للتحويل في النحو العربي، 6.30 مساءً.

(2) ينظر: رشيدة عبد الحميد اللقاني، حروف الجر الزائدة، دار المعرفة الرسائل الجامعية، الإسكندرية - مصر، د ط، 1990، ص 21.

(3) المرجع نفسه، ص 30.

ذهنية مجردة متمرسة ويصبح مبرمجا على التأصيل، فضلا أنه يستعمل كل أنواع الجمل استعمالاتٍ وظيفيةً وتداوليةً في التواصل، ويطبق قواعد النحو وقضاياه بشكل رياضي و"هكذا يتفق التحويليون مع التقليديين في اعتبار عام وهو الأساس العقلي عند دراسة الصيغ والتراكيب النحوية"⁽¹⁾.

"إن التحويل - لا يبتعد حسب رأينا في مناطاته المختلفة - عن تحويل شكل جملي إلى شكل جملي آخر، أو هو عملية تغيير في التركيب المنبني أساسا على قاعدة لغوية؛ فنتج لنا تركيبا حادثا أو لاحقا؛ فهو (تركيب محوّل)"⁽²⁾، وهذا صميم آليات التجدد في اللغة كما يراها تشومسكي، ولا نستطيع وضع تعريف محدد ونهائي لفكرة التحويل، لكن قصارى المعنى فيه هو فكرة أن التغيير في البنى، وعملية التحويل الذي يريده متكلم اللغة، باستثمار طاقته العقلية في التغاير بين الجمل الاسمية والفعلية، والتقديرات المختلفة في بنيتي الكلام الظاهرة والباطنة.

ولا نحسب القارئ يفهم التحويل إلا إذا فككنا بعض الرموز المضيفة لمفهوم التحويل بالصيغة اللسانية التي يرتضيها تشومسكي أو المذهب المنطقي له، ومن بين هذه الرموز الجملة الأصلية التي نطلق عليها وسم (الجملة الأثل)، والجملة الفرعية؛ وهذا بالنظر إلى وضع اللغة العربية بالخصوص، ووضع فكرة التواطؤ اللساني اللغوي لأرسطو أو المواضعة بالاتفاق عند دو سوسير، أو ما ترومه فقرة ابن جني في تحديد اللغة: (أما حدّها فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)؛ فالعربية لها نظام تبتدئ به هو الدرجة الأولى، ثم يسعى المتكلم إلى إجراء تحويلات في بنية كلامه لأغراض تداولية ومرامٍ تواصلية مختلفة.

ولا ضيرَ في أن نعرض لمناقشة أساس البنية الجمالية في اللغة العربية التي يبني عليها المعنى والكلام، وقد حدد العلماء أن الجملة قسمان وهذا الأشيع، " فالنحاة العرب

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: تمام حسان، الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1981.

في تصنيفهم للجملة اعتمدوا محورين: الفعلية والجملة الاسمية، وأساس اعتمادهم هذين المحورين إنما يركز على أن العنصرين - المسند والمسند إليه - يشكلان الدعامة الرئيسة للجملة؛ حيث لا تتألف الجملة بدونهما لفظاً أو تقديراً. وقد يكتفى بهما وحدهما⁽¹⁾، لكن أضاف بعض العلماء تقريعات للجملة كالجملة الشرطية وغيرها، وانطلاقاً من هذا تتغير بنيتها التركيبية بوساطة آليات التحويل وعناصره.

وقد تحدث سيويوه عن المسند والمسند إليه في (الكتاب) وذكر الوشيجة القارة بينهما لنوعي الجملة في العربية الاسمية والفعلية، ونورد قوله في هذه العروض: "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك وهذا أخوك ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدءاً من الآخر في الابتداء، ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقاً وليت زيدا منطلقاً؛ لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده، واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ، ألا ترى أن ما كان مبتدأً قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء مادام مع ما ذكرت لك إلا أن تدعه، وذلك أنك إذا قلت: عبد الله منطلق، إن شئت أدخلت رأيت عليه فقلت: رأيت عبد الله منطلقاً أو قلت: كان عبد الله منطلقاً أو مررت بعبد الله منطلقاً، فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أو العدد والنكرة قبل المعرفة"⁽²⁾. وهذا حديث من سيويوه عن التغييرات التي تغير البنية الفعلية والاسمية وتحرك المسند والمسند

(1) ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، عالم الكتب الحديث، Modern Book's World، إربد-الأردن، 2011، ص15.

(2) سيويوه (أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ))، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار النشر - دار الجيل، بيروت-لبنان، 23/1.

إليه، بأدوات النسخ وأفعال التعدية فتصرف المعنى وتتحول الدلالة في التركيب الجملي.

إن المشتغلين بدراسات علم اللغة التحويلي " اهتموا بظاهرة الأصلية والفرعية على مستوى البنى اللغوية خاصة في بحثهم للألفاظ ذات العلامة "Marked" وتلك التي بلا علامة "Unmarked"، وقرروا أن الألفاظ غير المعلمة في الأصل وهي أكثر دورانا وورودا في الاستعمال، وأكثر تجردا، ومن ثم تقترب أكثر من البنية العميقة " Deep structure؛ فالفعل في الزمن الحاضر في الإنجليزية غير معلم، نحو: "Jump- love" بينما الماضي تلحقه علامة "Ed-" فيقال: "Loved-Jumped"، والمفرد غير معلم نحو: "Book-Boy"، وللجمع علامة "s" فيقال: "Books-Boys"، وعليه فالحاضر أصل والماضي فرع والمفرد أصل والجمع فرع⁽¹⁾.

والتحويل الذي يمسّ البنية التركيبية تتبعه بالضرورة تحويل في المعنى⁽²⁾؛ فهذا يكافئ رياضيا القاعدة التي بنى عليها علماء اللغة والنحو العرب دراساتهم، وهي: " أن كل زيادة مبنوية هي زيادة معنوية، وبالقياس المعاكس كل نقص في البنية هو خفاء لجزء من المعنى بشكل ما، ولا نقصد بالنقص الجانب القيميّ التفاضلي، بل نعني إخفاء عنصر من عناصر الجملة أو الوحدة الإسنادية، يؤدي إلى اختفاء قسط من الدلالة التابعة لهذه البنية، قد كان يظهر جاليا في سطح البنية أو في ظاهر الكلام، وليس غريبا أن يقوم بإجلاء صور التحويل بالزيادة والإضافة والاستبدال والحذف والتقديم والتأخير والتقدير، لنبين ما يتبع ذلك من تغيرات للوحدة الدلالية "Unites significatives" الموجهة في أي نص، ونخص الإشارة نصّ القرآن الكريم" المبحوث بوصفه كلاما

(1) ينظر: محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2009، ص177.

(2) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي؛ مفهومه- أنواعه- صورته، البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، ص48.

إلهياً، ونربأ على أن نسمه مدونة لكي ننزهه عن ما يدونه البشر خوفاً من ضياعه أو تلفه أو نسيانه؛ فهو - في نظرنا - أرقى من مدونة لغوية، وأتقن مع سامي الكيناني^(*) في ذلك.

نفحص تراكيب السور القرآنية العظيمة لتبيان صور الحذف، وإيراد توجيهاتها الدلالية، وهذا ما يشمل نوعي التحويل **الجزري والمحلي** سواء في البنى التركيبية؛ أي النحوية أو الصرفية المورفولوجية في صيغتها النهائية، كما أشار إلى ذلك تشومسكي في كتابه: "Aspects de la theorie syntaxique" في الصفحة 88، وبعد ذلك نلمح إلى نظرية التحويل في القرآن الكريم "Corpus" تطبيقياً؛ إذ يختلف - في رأينا - نظام التحويلات في القرآن الكريم عن الشعر أو باقي الأجناس الأخرى، ولكي تتحدد الصورة قبل الافتراضات المسبقة "Pré-supposés".

لا تقف إفادة التحويل عند معرفة الجمل العميقة والجمل السطحية المحولة، إنما نفيد منه في التمارين البنوية لبلوغ الكفاءة وتطوير التأدية اللغوية بمفهوم تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية؛ فتمارين التحويل "Exercice de transformation" هي من أهم التمارين البنوية؛ لأنها تكسب المتعلم قدرة في التعرف على البنى، ويقوم بهذه التمارين على التقابل؛ كالتقابل التحويلي بين الجملتين الإخباريتين الآتيتين: "ما عرف متى جاء"، "ما أعرف متى يجيء"، إضافة إلى تمارين التركيب "Exercice de combinaison" والتكملة "Exercice de complétion" والزيادة والحوار الموجه "Exercice d'expansion"، وتمارين الاستبدال بالربط وبالتكرار وبالزيادة، والاستبدال المتعدد المواضيع والاستبدال بالحذف وغيرها⁽¹⁾.

ويختلف التحويل من العربية إلى الإنجليزية إلى أية لغة؛ فمثلاً "الفعل في اللغة الإنجليزية يتطابق عدداً مع فاعله إلا أنه يمكن أن يوجد على مسافة بعيدة من الفعل،

^(*) سامي الكيناني: هو عراقي الجنسية، أستاذ التعليم العالي بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة-الجزائر، يدرس النحو والقراءات والبلاغة العربية.

⁽¹⁾ ينظر: صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2003، ص38.

ويسمح وجود التحويل بصياغة قاعدة التطابق هذه ببساطة، والتعارض الآتي يبين أن التطابق وارد في كل الأحوال:

A/ Which problem did your professor say she thought was unsolvable.

B/ Which problem did your professor say she thought were unsolvable.

وهذا مفاده إلى نظرية بريرنن 1978؛ إذ قسمت التحويلات اللغوية قسمتها نظرا لنوعية التبعية:

1- وظيفيا "Function dependent"،

2- بنيويا "Structure dependent".⁽¹⁾

وهذه التبعات لا يمكن معالجتها في المعجم توقفا عند المبادئ التي تنظمه، وبخاصة فكرة المحلية، فنحن في العربية لنا إعرابات مختلفة منها المحلي كالفعل يبتسمون في جملة: (أقبل الأطفال يبتسمون)، فيبتسمون في محل نصب حال، والتقدير: (أقبل الأطفال مبتسمين).

إن ما هو تحويل متعمد قاصد عند تشومسكي في البنية النحوية هو مصطلح آخر عرض إليه فرديناند دو سوسير، وهو "التبديل"؛ فعلى مستوى البنية المحولة تتبدل العلامات اللغوية بشكل سريع إلى حد ما⁽²⁾، وهكذا تتبدل الوحدات الإسنادية أو الجمل في بنية تركيب اللغة.

وإن فرديناند يدلّ على التغيير في الصيغ الصرفية زمنيا وتزامنيا، ويؤثّل لذلك بأن: "القواعد الفرنسية الحديثة تعلم أن اسم الفاعل يتغير في بعض الحالات، مع الصفة: ماء جارٍ (Une eau courant)، كما أنه لا يتغير في حالات أخرى: رجل يركض في الشارع (Une personne courant dans la rue)"⁽³⁾. ففكرة التغير أو التبديل أو التحويل في اللسان البشري وفي بنية اللغة الإنسانية متغايرة بين العلماء والمناظر

⁽¹⁾ ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية؛ نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1986، ص76.

⁽²⁾ ينظر: فرديناند دو سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي ومجدد النصر، ص96.

⁽³⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص118.

اللسانية المختلفة، تاريخيا استنادا إلى طاقات اللغات، وأغراضٍ وخلفياتٍ في أصل كل لغة من اللغات الكونية المنوط بها البشر على اختلافهم.

هناك شواهدُ في قضية التحويل في اللغة في الصيغ الصرفية (Morphological (Formes)، إن اسم الفاعل (دافق) في قول الله عز وجل: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (الطارق/6)، يراد به اسم المفعول "مدفوق"؛ لذلك قال المفسرون: إنه فاعل في اللفظ مفعول في المعنى، والمصدر "كذب" في قول الله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف/18) بمعنى اسم المفعول (مكذوب)⁽¹⁾، والمعنى المحوّل من الآية الكريمة، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (الحاقة/21)؛ فأصلها مرضيّة، والآية ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (هود/43)، ونقول: ليل قائم، ونهار صائم وأصلهما "ليل مقوم فيه"، و"نهار مصوم فيه" .

يحسن بنا أن نلمح إلى أن التحويل في اللغة له أجهزة تحويلية يسميها تشومسكي أدوات التحويل وله قواعد تحويلية تظهر البون بين البنية الظاهرة والباطنة، وهناك أفعال التحويل، فمن ذلك نفهم أن البنية العميقة في منطوق النحو أن الأصل في الفعل الذي لم يسمّ فاعله هو الفعل المبني للمعلوم، والآية الكريمة: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات/10) هي جملة فعلية؛ إذ الخراصون مسند إليه "تائب فاعل" وبنيته العميقة "مفعول به"، لأنّ هناك أحدا قتلهم وعليهم قد فعل القتل، والصورة الأساس للجملة الفعلية البسيطة التي مسندها فعل أن يتقدم فيها الفعل على المسند إليه؛ إذ غير جائز تقدم المسند إليه عليه لأن الفاعل ينتزل منزلة الجزء من الفعل، فهو لا يستغنى عنه ولا يجوز إخلاء الفعل من الفاعل⁽²⁾، هذه دلالة واضحة أن البنية لها أثر في نظام الجملة؛ فقد تم تحويل البنية التركيبية الفعلية من الجملة والتي هي البنية السطحية إلى بنية عميقة تمركزت في ذهن ثم تبدت في مدرج الكلام.

(1) محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، ص06.

(2) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص13.

ويذهب رابح بومعزة إلى أن "البنية العميقة في جملة (عليكم أنفسكم) هي فعل الأمر الموجه لجماعة المخاطبين؛ إذ عمل عمل فعله فنصب المفعول به أنفسكم فعليكم اسم فعل أمر" (1) بمعنى (الزموا).

ويذهب علماء النحو إلى أن أفعال الصيغة التحويلية أو أفعال التحويل "مفعولها ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، وهما معا يكونان جملة اسمية محولة" (2)؛ فجملة الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/32)، فالأصل أن فعل التحويل "جعل" بمعنى صير السماء سقفا محفوظا؛ فمفعولها يشكلان جملة اسمية كما قلنا؛ فأصلها في البنية العميقة التي كانت بموجبها جملة الآية جملة محولة "السماء سقف" موصوفة بمحفوظة، ويمكن أن نضم هذا النوع من التحويل في إطار التحويل الجذري الذي سنوفي الأمثلة المجلية له في الفصول الجائئة إن شاء الله.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الآية الكريمة: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء/58).

والفرع الثاني من الأفعال التحويلية ضمن التحويل الجذري في اللغة العربية ما تحوره الأفعال التي بمعنى صير، جعل، ترك، اتخذ... ومثاله في قوله عزّ من قائل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ (طه/53). أمّا فعل التحويل "اتخذ" فجاء بصيغة المضارع المجزوم بـ (لم) في قوله علا شأنه: ﴿لِيَتَّي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان/28).

أصل التركيب في البنية العميقة "فلان خليل" على سبيل النمط الاسمي الخبري، أما وقد دخل فعل "اتخذ" فصير المفعول به "فلانا" مفعولاً به ثانياً "خليلاً"، وكذلك

(1) ينظر: المرجع السابق، ص12.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص53.

بالنسبة إلى جملة الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان/30)؛ فالقرآن بدل من هذا، والأصل بنزع الفعل "اتخذوا": هذا القرآن مهجور.

فجملة الآية العظيمة جعل لكم الأرض مهادا محولة بصيغة التحويل الجذري، فبنيتها العميقة "الأرضُ مهادٌ" والمهاد هو الأرض الممهدة المستوية المسطحة ليسهل العيش، أو هو ما يمهد به لشيء، وهي جملة اسمية تحويلية لغرض بلاغي يندرج في تبليغ الآية والآلاء التي من الله بها عزّ وجلّ على عباده ومخلوقاته كلها، وهو سياق الحديث عن الحوار الذي يجري بين موسى وفرعون، وكيف كانت القرينة الدلالية توائم الكلام عن تمهيد الأرض لمحااجة فرعون المتجبر المتأله بغير حق.

أما ما يتواشج مع الجملة الاسمية؛ فحدّثها أنّها" الجملة التي ركبت من مبتدأ وخبر، أو ما كان الأصل فيها كذلك، أي ما كان أصله المبتدأ والخبر، والجملة الفعلية هي جملة تتركب من فعل تامّ وفاعل أو فعل لم يسمّ فاعله ونائب فاعل" (1)، ومثال الأولى: "وصل العداً"، ومثال الثانية: "طوي الملف"، أو ما كان أصله كذلك.

فكلّ جملة من الجمل التي يتصدرها شبه فعل "مصدر أو وصف" يعملان عمل فعلهما واسم الفعل هي جملة فعلية محولة، ويرى بعضهم وجوب أن يكون هذا الفعل تاماً غير ناقص فهي جملة اسمية محولة (2)؛ أي جرت فيها عملية تحويل على صعيد بنيتها اللغوية.

قد يكون التحويل هو الربط بين البنية العميقة والسطحية؛ فهذا نظيره في النظرية العربية"التحويل التقديري؛ فكلّ كلام يحتمل أكثر من معنى في أصل الوضع، فإن النحاة يقدرون لكلّ لفظ معنى، ويسوقون لكلّ معنى لفظاً، وهذا بخاصّة عندما يحاولون تفسير الكثير من الأبنية وتوجيهاتها دلالياً، والتي وقع منها حذف أو التي

(1) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص12.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

جاءت ملتبسة؛ إذ هي التي لم تأتي على البناء المتوقع، أي بناء نظائرها⁽¹⁾، وهذا أسمىه التمثيل "Simulation"، أو التحويل "Transformation" أو ما يسمى بالتحويل التفرعي وهو أكسيوماتيكي "Axiomatique"⁽²⁾ لصياغة العمليات التحويلية المذكورة.

فالتحويل - عند النحويين - شبيه بالتحويل الذي أشار إليه تشومسكي في كتابه "البنى التركيبية (Syntactic Structures)"، وهو عبارة عن تفرع بعض العبارات عن عبارات أخرى هي أبسط منها؛ فهي أصل لها، كالجمل المثبتة للفاعل فهي أصل للمبنية للمفعول، وهي نواة ومنطلق التفرع، وهو - في منطق التحويل اللغوي - إما اختياري "Facultative" أو إجباري "Obligatoire" كالعمليات التحويلية الاختيارية والإجبارية في النحو العربي، من حيث التقديم والتأخير، والحذف، والتقدير، والاستبدال، والزيادة وغيرها من الصور التي تتغير فيها الجملة من حالة إلى حالة مماثلة ولكنها مخالفة لها بشكل من الأشكال أيضا.

وهناك صورة للتحويل من الجملة المولدة أو ما نسميها الأصلية إلى الجملة التي خضعت للسياق كما في قول الله عز وجل: ﴿كَهَيْعِصْ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾ (مريم/01-02)؛ فالمصدر يؤدي معنى فعله ووظيفته الإعرابية؛ فالمصدر مثل الفعل يحتاج إلى فاعل ومفعول، كقولنا أتعبني إرهابك السيد خادمه، فأشعاع الآية (رحمة ربك عبده زكرياء) هو: رحم ربك عبده زكرياء، والدلالة التي يحويها المصدر أنه ملائم للثبات والبقاء للرحمة، فضلا عن أن الله - في مطلع السورة - يعضد معناها مع معنى الإخبار برحمة الله، وفي السياق تبيان لقدرة الله في التصرف في خلقه كما يشاء ويريد، وصورة الحذف الأخرى في هذه الآية الكريمة؛ إذ إن فيها حذفاً للمبتدأ "المسند إليه"

(1) ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2، طبعة منقحة، 2000-2006، ص141.

(2) كلمة أكسيوماتيك: بديهي

فالسورة تبدأ بالأحرف المقطعة "كهيعص" "ذكر رحمة ربك عبده زكرياء" أي هذا يا محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذكر خبر زكرياء وقصته ورحمة الله به.

إن اسم الإشارة المضمرة المقدّر في بنية التقدير: "هذا" مبتدأ و"ذكر" خبر، وهذا الحذف ينخرط في مضمار التسهيل، وإفادته الخبر في ذهن المتلقي أولاً وتأكيداً ودلالاته العميقة الترسّخ وتوجيهها الدلالي ثبوت الرحمة للعبد "زكرياء"، وقرار استمرارية هذا الذكر.

ومثال التحويل الموجود على صعيد البنية التركيبية ما يجوز تقديمه من المضمرة على الظاهر وما لا يجوز؛ فتقدم المضمرة من كلام العرب على الظاهر على وجهين:
الأول: "المضمرة على شريطة التفسير، ويكون بعده ما يفسره، وذلك المضمرة في "كان" في قولهم: "كان زيد قائم" فأضمرنا فيه الاسم لما فسّرته الجملة التي تأتي بعده وتقدير الكلام: "كان الأمرُ زيد قائم"، وكذلك "إن"، في قولك مثلاً: "إنه زيد قائم" (1)، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (طه/74).

والثاني: مضمرة تقدم لفظاً وهو مؤخر في المعنى؛ أي في الجملة الأصلية للمعنى، وقد علم أنّ موضعه متأخر، فجاز - لذلك - تقديمه وكذلك كل مضمرة اتصل باسم منصوب أو مخفوض (*)؛ فإنه يجوز تقديمه وتأخيره على المضمرة؛ لأن النية فيه - كما يشير الجرجاني - أن يكون مؤخراً فإن اتصل باسم مرفوع لم يجز تقديمه على الظاهر؛ لأنه لا ينوي به التأخير وذلك كما في قولك: "ضرب زيد غلامه"، وإن شئت قدّمته فقلت: "ضرب غلامه زيد" و"غلامه ضرب زيد"؛ لأنه قد اتصل بمنصوب فلذلك

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة، إدارة الكتب والمكتبات، مصر، المجلد 15، من 99 سورة الكهف إلى 09 سورة الأنبياء، 1991، د ط، ص 9019.

(*) مصطلح يساوي مجرور بين البصريين والكوفيين، مثل الضمّ والرّفْع، وهذا في رأينا اتّساع في الاصطلاح وكلّ له منطلقه العلمي والوظيفي.

جاز تقديمه⁽¹⁾، وجاء في شرح الجمل الكبرى لابن هشام تعليل لذلك: "لأنّ الرتبة في كلام العرب أن يكون الفاعل قبل المفعول به على كلّ حال، ثمّ اتّسع كلامهم، فقدم المفعول على الفاعل إذا عرف معناه وهو في نية التأخير"⁽²⁾، كما يوميء إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني.

يجمل بنا الإشارة -أيضا- إلى التحويل المجازي المرتبط أساسا بصرف المعنى إلى قيمة الوصف أو الحدث، من ذلك مثلا:

تحويل فعل الفاعل إلى المفعول: قال أبو عبيدة: "ومن مجاز ما يحول فعل الفاعل إلى المفعول أو إلى غير المفعول؛ قال الله تعالى: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (القصص/76)، والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح"⁽³⁾، أو في قول الله عز وجل في سورة الفاتحة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آمِينَ﴾ (الفاتحة/08)، قال أبو عبيدة: مجازها غير المغضوب عليهم والضالين، و"لا" من حروف الزوائد لتقسيم الكلام، والمعنى إلغاؤها"⁽⁴⁾، ولها قيمة صوتية ولغوية في الآية الكريمة.

يمكن أن أدرج نظرية التحويل ضمن مفاهيم علم المعاني المختلفة، في كشفها عن توجيهات دلالية للبنى، وفي ضبطها لتعدد الأغراض من البنى المحولة سواء أكانت جملا اسمية أو فعلية؛ فهي تغني سياق المعنى، وتحدد المداليل العقلية من قاعدة تحويل أنظمة التركيب المتنوعة؛ لأنّ دلالات الفعل في مواضعه المتعددة في بنى التراكيب المحولة بأزمانها النحوية تعيّن القرائن السياقية على اختلاف التراكيب، ومصداق ما نقول هو أن التصور التحويلي لتشومسكي في نظرية النحو العالمي إذا

(1) أبو محمد القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، كتاب الجمل، حققه وقدم له علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، دار الأمل، إربد- الأردن، ط2، 1405هـ-1985م، ص117.

(2) المرجع نفسه، ص118.

(3) عبد العالي سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة- مصر، 2006،

د ط، ص248.

(4) المرجع نفسه، ص249.

فحصنا به أسرار تحول الفِقرِ النحوية، والجمل من فعلية إلى اسمية ومن اسمية إلى فعلية، تبين لنا أن المعنى الكامل المعروض في سكّ هذه الجمل والتحويلات، وهذا الأمر أشار إليه علي جابر المنصوري في كتابه "الدلالة الزمنية في الجملة العربية"، في الصفحة 44⁽¹⁾.

4-1- استرداد تاريخي لتطور مفهوم التحويل:

4-1-1- عند زغيلغ هاريس: يذهب زغيلغ هاريس في حدّ التحويل النحوي "أنه إذا وجدنا جملتين تحتويان على فئات تركيبية متشابهة أو متكافئة فنعلم أن جملة منها قد ولّدت من الأخرى بتحويل خاص، فجملتا: شَرَحَ اللهُ القلب، وشَرَحَ القلب، الأولى مبنية للفاعل والأخرى مبنية للمفعول؛ فهما متحولتان من بعضهما؛ لأن بينهما تماثلاً بين المفردات في الجملتين"⁽²⁾؛ أي أن المعنى ينتهي إلى صورة واحدة أن القلب شرح لكن بفعل فاعل طبعاً، وفي الجملتين كلمتان متكررتان هما:

1- شَرَحَ وهي فعل زمنه الماضي، بصيغتين: صيغة المعلوم والمجهول.

2- القلب: الاسم وهو نائب فاعل أو مفعول، وكتاهما تتضويان على عملية إسناد فعلي. ويشمل الأمر الجمل الأخرى كلّ أنواع الجمل في اللغة العربية واللغات الإنسانية في دائرة النحو الكلي العالمي، كالوشيجة بين الجملة "الاستفهامية والخبرية"، وبين الجملة "المنفية والمثبتة"، ونستشف أن هاريس من خلال مذهبه هذا يفهم التحويل من منطلق القاعدة المحسوسة للجمل، ويجفو - قليلاً - البنيات المجردة للغة والجمل؛ فهو تحويل ظاهر، ومع ذلك فهو يتم باشتقاق جملة من جملة منفصمة عنها، فيمكن القول: أن هاريس في تحويله ينهض من مفاهيم دلالية وتحقيقات تركيبية هي وجود الكلمات المتماثلة "المترادفة" أو متساوية في الدلالة والمعنى.

(1) للاستئناس ينظر: محمد أبو موسى، كتابه دلالات التركيب - دراسة بلاغية، القاهرة - مصر، د ط، 1979.

(2) ينظر: منتديات أقلام نت، مقالة التحويل عند هاريس وتشومسكي، الأحد ديسمبر 05-2010 في الساعة 6 و 27 دقيقة: [Http://morjan.30loum.com/t1229-topic](http://morjan.30loum.com/t1229-topic). شوهد الموقع يوم الإثنين 14 رمضان 1432هـ الموافق لـ 14-08-2011، في الساعة الثانية عشرة وثمان وخمسين دقيقة، واثنين وثلاثين ثانية ليلاً.

4-1-2- عند تشومسكي: أمّا تشومسكي فَبَيَّنَ - في مفهومه للتحويل النحوي- مفهوم أستاذه هاريس؛ فهو من أقرّ بوجود الجملة "النواة"، "النواة" سماها الحاج عبد الرحمن الحاج صالح⁽¹⁾، والجملة الموازية للنواة عند الحاج صالح هي "المشتقة" منها، فينقد رابح بومعزة مفهوم الجملة النواة عند الحاج صالح وسنبين ذلك إن شاء الله في البحث في موضعه.

أجدني مدفوعا لأن أقدم مصطلحين يقتربان أكثر من مفهومي الجملة النواة والمشتقة وهما الجملة "اللّب" وهي الأصل، والجملة "الغُصن" وهي الفرع، وقد أقرّ تشومسكي بمثول الجملة الفرعية أو المستفرعة؛ فنتفرع هذه الأنواع في الجمل جملا مركبة من طريق التحويلات المختلفة، فقد قال بأنها جمل لا تخضع لتحويل أو تحويل مماثل، ونضرب مثلا في ذلك بالجملتين الاستفهامية والخبرية الآتيتين:

الجملة استفهامية 2-Will John come? . الجملة خبرية 1-John Will come?

وأضاف فكرة أخرى: أن نمط التحويل في بنى اللغة والنحو هو الأقدر على إيضاح المفاهيم الوصفية للغة بالمصطلحات اللسانية الحديثة، وليس هذا فحسب، بل ويمالئنا في تفسير الظاهرة اللغوية، إن لم نقل في إعطاء منطلق خاص بتحليل اللغة عند الإنسان، وتعليل وجودها وقدرته على استثمارها وظيفيا وتداوليا وإبداعيا، فابتداءً من النظرية التشومسكية: (نظرية النحو التفريعي التحويلي) توافر ثلاثة أشياء: - "مجموعة السلاسل البنائية لشجرة التراكيب - مجموعة العمليات التي تطبق على هذه السلاسل - البنى التركيبية عن السلاسل الناتجة المتفرعة "شجرة التركيب". فيتم التحويل على نواة التفريع وأشجار اللغة والكلام في بنيته الظاهرة والعميقة.

وأنواع التحويل "البنى التركيبية" أو "التراكيب النحوية" 1954، في مؤلفه الأول بسط طائفة من التحويلات منها: التحويلات الإلزامية، والاختيارية، نقابلهما- في

⁽¹⁾ ينظر: الحاج عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د ط، 2007.

مضمار النظرية النحوية العربية- مع الوجوبي والاختياري؛ إذ نجد لهما أواصرَ في نظرية الثنائيات اللغوية لفرديناند دو سوسير⁽¹⁾، بالخصوص في ثنائية محوري التأليف والانتقاء.

يعتمد التحويل عند تشومسكي في هذه الأنواع على مقاربة مشابهة "الجملة اللب" على "الجملة الغصن"؛ إذ تتسم الجملة المعقود عليها التحويل بأربع صفات: - مبنية للفاعل "للمعلوم" - مثبتة - خبرية - بسيطة. مثل ذلك بالعربية جملة: "أصلح الرجل الخلل"، أو الجملة المحتواة على فعل لازم "خرجت الفتاة"، أو جملة المبتدأ والخبر (المسند والمسند إليه) "القرآن كلام الله".

فهذا النوع من التحويلات يرتبط أكثر ما يرتبط بالأزمان الموجودة في الأفعال؛ إذ تتعدّد التحويلات في الجذور اللغوية للأفعال إلى صيغ زمنية توافق الأحداث في الجملة، وفي ذلك تحويلات تطرأ على البنية الصرفية للأفعال.

فالإلزام في التحويل للجملة: "سأنجح غداً" أنّ زمن الفعل "سأنجح" مضارع إلزاماً؛ لأنه موصول بقرينة الظرف "غداً". يقول عنه سيوييه في تقييمه للكلام كقسمي المحال وغير المحال، فلا تجوز جملة: نجحت غداً، وهذا ما يدعوننا إلى الإشارة إلى فكرتي (التعليق والتعلق) عند الجرجاني، بين الأفعال والظروف حتى ينعقد المعنى الصحيح والمنطقي، وهذا لا يوافق الفعل في جملة "لم يرحل" لأن الجملة منفية؛ فمعنى الجملة "ما رحل"، أو "ما نجح" في الوقت الماضي.

إن القرائن اللفظية تستلزم معنى يوجه إليه التركيب النحوي.

⁽¹⁾ ينظر : فرديناند دوسوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر.

وتنتقل الجملة النواة بالتحويل الاختياري إلى الجملة المشتقة؛ فالجملة المشتقة تركز على خصائص ضدية للجملة النواة؛ فهي جملة مستفرفة من النواة، وتعتمد على الصفات الآتية:

1- منفية.

2- مبنية للمفعول (فعلها مبني للمجهول، وكلمة للمجهول غير جامعة وغير مانعة في الحدّ لأن صياغة غير المعلوم لأغراض عديدة منها العرف به والخوف والمناسبة بين الفواصل أو للتحرّج وغيرها أو لما لم يسم "فاعله).

3- مركبة، فهناك مرحلتان تحويليتان: الأولى مرحلة إلزامية تنشأ فيه الجملة التوليدية أو المولدة من قاعدة اللغة ووضعها الثابت وهي الجملة النواة، والأخرى اختيارية بها متسع للتراكيب، تتشكل فيها الجمل المتفرعة أو المشتقة.

ويذهب تشومسكي إلى إيضاح نوعين من التحويلات ينخرطان في هذه التحويلات وهي:

1- الفردية: يبتدأ فيها من سلسلة لغوية واحدة كالتحويل من المعلوم إلى المجهول أو إلى جمل استفهامية أو منفية.

2- المعممة أو الشاملة: فتخرج في جملة واحدة سلاسل عديدة من مكونات الأساس. وتتنمي التحويلات المعممة إلى فئتين كبيرتين:

* **تحويل العطف:** يتكئ على أدوات الوصل أو الربط، وتحويل الجمل انطلاقاً من التضمين التركيبي الذي يضمن جملة داخل جملة أخرى، وتركيبا داخل تركيب، فالتحويلات الفردية تتحقق على شجرة تراكيب واحدة أمّا المعممة فتجري على شجرتين تركيبيتين أو أكثر.

- أقسام التحويل عند تشومسكي:

أ- التحويل بال حذف: فنحذف عنصرا أو مكونا أو أكثر من عناصر الجملة، ونمثل له بالمعادلة المجلاة: (أ+ب+ج)/ الجملة المحولة (أ+ب)، مثل كتب محمد الدرس/ كتب الدرس، أو الفعل الذي بني لما لم يسم فاعله: قرئت الرسالة، وأصلها "العالم قرأ الرسالة"؛ أو شخص محدّد قرأ الرّسالة؛ فحذف الفاعل من ظاهر الجملة؛ إذ إن الجملة النواة أو اللب هي الجملة المثبتة للمعلوم منقولة ومحوّلة إلى الجملة المشتقة، فالجملة مبنية للمجهول.

ونلمح حذفاً آخر إذا حذف عنصر مماثل من الجملة الأولى إلى الجملة الثانية، وهناك قرينة رابطة أو واصلة مثلا تدل عليه، فجملة "رجع عبد الله وسعيد" جملة محولة من جملة "رجع عبد الله ورجع سعيد"، فالفعل في الجملة الثانية محذوف؛ لأنّ الواو تدل على تكرر الفعل نفسه مع الفاعل الثاني في الجملة الأولى وهو سعيد، ففعل الرجوع قام به عبد الله، وقام به سعيد أيضا، وظهوره أوكد في درجة دلالة الجملة. وقد تحذف أغلب عناصر الجملة إلا عنصرا واحدا، وهذا مرتبط بالاحتياج التداولي في إنشاء الكلام والتخاطب الآني والحوارات والمحادثات؛ فالجملة الاستفهامية "من نصر الفلسطينيين؟"، لمن سأل أحدا مثلا وهو يحاوره فالإجابة الأوقع والأولى وقوفا عند رغبة الجواب دون التأكيد أو بناء الجملة على أسلوبها الإخباري، فهي جملة "صلاح الدين الأيوبي" ردا على جواب الجملة الاستفهامية الأنفة الذكر، وبنيتها العميقة "نصر الفلسطينيين صلاح الدين الأيوبي" أو "صلاح الدين الأيوبي نصر الفلسطينيين"، وهنا نعتمد على السياق اللغوي فنستشف الجملة المحولة من طريق الحذف بجملة استفهامية.

ب- التحويل بالزيادة: وهو إضافة مكون في الجملة المحولة من الجملة الأولى التي كان ينقصها حتما العنصر المزيد أو أداة أو حرف يغير الجملة ويوجه دلالتها فنمثل لهذا الشكل من التحويلات بالمعادلة الآتية (أ+ب)/ الجملة المحولة (أ+ب+ج) = العنصر (المزيد)، نستطيع أن نحقق التحويل بالزيادة بتحويل الجملة المثبتة إلى الجملة المنفية

بإضافة حرف نفي مثلا: سافر المعلم، لم يسافر المعلم "أو" ما سافر المعلم، أو بإضافة حرف استفهام إلى الجملة الخبرية، مثل نجح المتعلم، هل نجح المتعلم؟ أو أنجح المتعلم؟

ج- التحويل بالاستبدال: وهو تحويل يحذف منه عنصر أو أكثر من الجملة ويقوم مقامه عنصر آخر أو أكثر، ويرمز له تشومسكي بالعلاقة الآتية (أ+ب)/الجملة المحولة (أ+ج) مثل "جاء سعيد"، راح أو سرح سعيد.

ومن أمثلة استبدال اسم بضمير، فجملة "الأب ترك المكان"، يمكن تحويلها إلى "هو ترك المكان" أو "الأب غادر الموضوع"، أو "هو ترك الموقع"... إلخ. إن هذا النوع من التحويل واضح جلي يقتضي تحويل موقع عنصر من عناصر الجملة على موقع آخر، يرمز له تشومسكي بالصيغة الآتية (أ+ب)/الجملة المحولة (ب+أ)، مثال على ذلك: يفتح المصنع غدا/ الجملة المحولة غدا يفتح المصنع، أو الاستبدال بالمفهوم النحوي العربي أن جملة يعجبني أنك نجحت هي محولة بالاستبدال من جملة يعجبني نجاحك.

قمين بالذكر أن نتعرض قليلا لشرح بعض قواعد التحويل في النحو التحويلي في اللغة الإنجليزية، فمما نشرحه الحذف، إذ الحديث عن القواعد التحويلية هو الحديث عن البنية المنطقية والإدراكية للغة وللعقل البشرية، أو كيف يفهم الإنسان مصطلحي "منطق اللغة" العربية أو الإنجليزية أو لغة أخرى، و"منطق عبقرية اللغة" التي على أساسه يتم التفاعل التحويلي، فـ "نطلق في تحليلنا لظاهرة الحذف- وذلك مرمة تبيين المنطق في اللغة- بوصف الظاهرة قاعدة تحويلية لتشومسكي وفي منطق العربية من المثالين الذي أوردهما التحويليون للتجيج على منطقية النظرية، وأن العقل هو الذي يصنف الجمل التوليدية التحويلية، فالإكم المثالين: الأول: " Richard is as stubborn as our father is"، فلنشقق هذه الجملة إلى جمل من المنطقية بما كان أن تحتويها قبل عدّها جملة تحويلية؛ نفحص صورة هذه الجملة من الناحية المضمونية، أو العميقة كما يحلو لتشومسكي مناداتها، فما هي الأفكار التي تتحملها منطقيا، فنخصص لكل فكرة من أفكار الجملة جملة أو تركيبا خاصا به: "Richard is

1.stubborn . 2-Our father is stubborn.

نضيف هنا - حسب اعتقادنا- جملة أخرى مشققة من الجملة النواة الكبرى جملة هي: "عناد ريتشارد يشبه عناد أبينا أو الأب"، أو "عناد ريتشارد مماثل لعناد الأب"، لأن العناد حاصل بالنسبة للأب بدرجة كبيرة وحاصل أيضا لريتشارد، فيجمل بنا بناء هذه الجملة، فالحذف الموجود في الجملة التحويلية هو عبارة عن إسقاطات مخفية تحققت في الذهن، وقبلها المنطق، حتى إذا تحقق معنى تحقق معنى ثان تال له مباشرة، فإذا قلنا "ريتشارد عنيد كأبينا" فهناك محذوفات أخرى لم نشر إليها من ذلك أن "ريتشارد موجود" و"أبينا موجود" و"نحن موجودون"، "ريتشارد يشبه أبينا في عناده"... وهكذا، فالحذف النحوي والمعنوي في الجملة له مظهر إدراكي منطقي يميز العقل أن هذا متحقق في جملة أخرى، أو ليس متحققا فالتحويل موشوج بعصب الإدراك والعقل في إحداث اللغة.

الثاني: "I am certain that dick is loyal" (أنا متأكد من أن ديك وفيّ)، الجملة نستولد

- منها ثلاث جمل كاملة هي:
- 1- I am certain of dick loyalty.
 - 2- I am certain of dick being loyal.
 - 3- I am certain of it.⁽¹⁾

4-1-3- مفهوم التوجيه الدلالي (التعليل الدلالي كما يقول سيبويه):

يعتمد توجيهنا الدلالي لبنى التركيب القرآنية التحويلية على العلل بخاصة العلل المتعلقة بأصل الجملة في شكلها التوليدي، "فمن أوضح العلل دلالة على معنى التحويل علة الأصل؛ لأن القول في هذه العلة بفكرة الأصل واضح بالنص والتصريح. فالأصل -عند سيبويه- علة لغوية نجدها ماثلة في كثير من مسائل اللغة التي كان يعلل لها، فإذا اجتمع المبتدأ والخبر مثلا في تركيب ما، وكان إحداها نكرة فالأحسن في نظم الكلام أن يُبتدأ بالأعرف؛ لأن هذا هو أصل الكلام يقول سيبويه هذا الأمر في باب يختار فيه

(1) ينظر: عبد الوهاب زكرياء، أحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي؛ دراسة تحليلية في القرآن الكريم، مجلة التجديد، إصدار الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مج11، العدد الثاني والعشرون، 2007، ص151.

أن تكون المصادر مبتدأة مبنيًا عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتدئ بالأعرف وهو أصل الكلام⁽¹⁾.

وهذا- في نظرنا- مبدأ يتواءم مع المبادئ التحويلية لاسيما في العلاقة بين الجملة المشتقة والجملة النواة، فالأولى حادثة عن الثانية وهي أصل لها فيتم فهم العناصر التحويلية في الجملة الثانية بالعودة إلى الشكل الأصلي للجملة في الكلام. و" لو قلت: رجل ذاهب لم يحسن حتى تعرفه بشيء فنقول: "راكب من بني فلان سائر" و"تبيع الدار"، فنقول: حدّ منها كذا وحدّ منها كذا، فأصل الابتداء للمعرفة فلما أدخلت فيه الألف واللام وكان خبرا حسن الابتداء، وضعف الابتداء بالنكرة، إلا أن يكون فيه معنى المنصوب"⁽²⁾.

وهذا التعليل وقوف عند أصل نظام الكلام في اللغة العربية وكذلك في اللغات الأخرى. إن لهذه العملية تأسيسا علميا ومنطقيا حتى نفيده من تفسير السورة لغويا، ونعين هذه الدلالات التي تخرج إليها التراكيب اللغوية القرآنية المحولة، فعملنا " كعمل الناقل المنطقي الذي يحل العبارات اللغوية ليصل إلى دلالتها إذا خلت من الالتباس، ويميز بينها إذا تعددت وتنوعت، أمّا إذا اتّفتق فإنه يجمع بينها، ويعتمد في ذلك درايته باللغة وفهمه لمضامين عباراتها وبنائها كما هو الشأن بالنسبة للناقل الأديب"⁽³⁾، فإن " خصائص التراكيب اللغوية التي نجتهد في استخلاصها وتوجيهها دلاليا بعد معاينة التحويلات فيها وإرجاعها إلى بناها العميقة بالطرق النظرية المجردة المعروفة نفترض أنها تعبر عن مبادئ العمل العقلي، وهي التي قال عنها تشومسكي أنها تنطلق من الملكة اللغوية الكامنة فينا مع العودة إلى التفسير القرآني والقاعدة النحوية، وذلك لتأويل

(1) ينظر: شعبان عوض محمد العبيدي، التعليل اللغوي في كتاب سيوييه، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي- ليبيا، ط1، 1999، ص265.

(2) ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: عبد الرحمن طه، المنطق والنحو الصوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1983، ص9.

التراكيب الجديدة أي التحويلية في الربع المدروس وهو استلهاً لعمل عقلي بحث أقرّ به تشومسكي في قراءة عمق اللغة وسطحها والعلاقة الدائرة بينهما⁽¹⁾.

إذن، تكون مرّمّتنا من التوجيه الدلالي للبنى التركيبية استظهار قاعدة تحويل الجمل، من بسيطة إلى مركبة ومن مركبة إلى بسيطة، ومن جمل تحتوي حذفاً لضمير أو كلمة إلى جملة تحتوي زيادة لجملة فضلة أن هذه القاعدة تخضع إلى احتياج المتكلم؛ أي المبلغ للرسالة والمبلغ عليه، وهذا ليتم اتساق ذهني وترابط نحوي وينعقد الانسجام الوظيفي، وأصل النظرية التحويلية أن تحول الصيغ بهذا المفهوم حسب طاقة اللغة ونظامها التركيبي، ولهذا يقول تمام حسان في بيان قلة الألفاظ مع تعدد المعاني الوظيفية لها: إن "لغة سلوكاً اقتصادياً يوظف القليل من الوسائل للوصول إلى الكثير من الغايات"⁽²⁾؛ ومثال ذلك "الـ" فيتعدد المعنى الوظيفي لها بين الألف واللام الجنسية والعهدية والربطية والموصولية، وهذا التعدد يتوقف على تمايز السياقات في قاعدة التعبير والتغير بقواعد التحويل، التي سيأتي شرحها مفصلاً ووافياً مع التمثيل. نقصد بالبنية دلالة "صورة الكلمة على المعنى النحوي"⁽³⁾.

فنحن دائماً في إطار توجيه دلالات التراكيب في القرآن الكريم إلى المآلات التي تصبو إليها بعد تحويل الجملة والتراكيب والبنى، إذ "تطبيقات البحث الدلالي كشفت اختيار القرآن الكريم للفظ المناسب في الموقع المناسب من العبارة القرآنية"⁽⁴⁾. هذا ما نصرّفه إلى معنى موضعية الألفاظ في بنية التركيب الظاهرة مع ما تتّصل به في بنية الكلام القرآني الذهنية والخفية أي المقدرة، وهذا له توجيه الرتبة

(1) ينظر: رشيد بوزيان، الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، (دراسة في مكونات التباين والترادف والتكامل)، ج1، د ط، د ت، ص54.

(2) تمام حسان، البيان في روائع القرآن؛ دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ج1، ط2، 1420هـ-2000م، ص29.

(3) المرجع نفسه، ص29.

(4) محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت-لبنان، موسوعة الدراسات القرآنية، د ت، د ط، ص6.

وقواعد تنظّم البنية التركيبية في القرآن الكريم؛ إذ هو مناط التحويل في البنية، وصرف التراكيب من حال إلى حال، وتوليدها من بعضها البعض.

وفي سياق العلاقة بين الدلالة والتركيب طلع علم حديث يسمّى " (علم الدلالة التركيبية)؛ وهو علم يهتم بسياق معنى الجملة أو العبارة، وهو يدرس دلالة الجملة، وقد بدأ عند الغربيين من خلال نظرية النحو الدلالية التركيبية في علم (النحو التحويلي)⁽¹⁾ والتوليدي؛ ففي هذا الكشف دلالة واضحة على ارتباط البنى التركيبية بالوجهة الدلالية التي توجهها وفق ما يقتضيه المقام والغرض؛ لأن أسباب العناية ودواعي الاهتمام متعدّد ومتنوّع⁽²⁾ بتنوع الجمل وكثرة أغراض الكلام واستغزار حاجات التبليغ.

إننا لا نفهم معنى البنية صرفيا بحتا، ونغضي النظر عن وضعها النحوي فقد تتوافق والبناء إذا تم الإسناد بين العناصر الفعلية أو الاسمية أو الفعلية والاسمية، وإنما البنية تدل على "معان صرفية ونحوية لا تتحقق إلا من خلال السّياق المتصل؛ (أي التركيب)⁽³⁾؛ إذ البنية- أيضا- هي إطار ذهني مجرد للكلمة المفردة، وليست "هي الكلمة ذات المعنى المفرد"⁽⁴⁾، مصداق ذلك أن الجملتين: (الله ربّنا)، و(الله يهدي إلى دار السّلام) هما تركيبان يتكوّنان من بنى وأسائيد، فالله؛ لفظ الجلالة بنية مبتدأ، وكلمة ربّنا بنية خبر، مضاف إليه ضمير محيل إلى المبتدأ "الله"، وهو "نا"، و"جملة الله يهدي إلى دار السّلام" كلها تركيب متكون من بنى؛ أي كلمات بوصفها الإفرادي أو المركّب فالله كلمة لفظ جلاله، ويهدي فعل مضارع خال من عوامل النّصب والجزم، إلى حرف جرّ أفاد الغاية، والكلام عند النّحويين لفظ مفيد يتشكّل من اسم وفعل وحرف، "دار" كلمة أيضا مجرورة، وهي اسم مجرور بـ:إلى، السّلام مضاف إليه إلى دار، والسياق لا

(1) ينظر: توفيق الزبيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص73.

(2) ينظر: عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للتركيب اللساني، منشورات دار الأديب، وهران- الجزائر، د ط، 2006، ص126.

(3) تمام حسان، البيان في روائع القرآن؛ دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، ص29.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تفهم دلالاته إلا بتوليف البنى التركيبية كلها، حتى يفهم معنى الجملة النحوي، وبعدها البلاغي المتمثل في المغزى المستنبط من الآية الكريمة؛ فعلى "وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل؛ يكون إظهار المعنى"⁽¹⁾.

ونضيف أنه معنيان، معنى الجملة أو التركيب اللغوي، ومعنى السياقي أو التداولي، إنما الإيجاز مع جلاء الدلالة يتأتى مع العلاقات الحميمة بين النحو - بمعناه الواسع - والخطاب، ويبدو ذلك من الاختيارات المميزة التي تعدّ قضية مسلمة بين الموقف "Situation"، وحركة تنظيم الكلام، أو ما يسمّى بالتكتيك "Tactics"، إذا كان الموقف اللغوي ينبغي له - في خطاب هذه المفارقة - أن يكون الموقف اللغوي النص الذي يلائم مثلا حاجة المفارقة للكلام فإن التكتيك يتعلّق بأنماط تركيبية للخطاب "Syntagmatic Patterns"؛ أي طريقة تركيب وحدات العبارة بما فيها من تقديم وتأخير ومؤكّدات؛ فهي طريقة ربط العبارة على نحو ما، نجد فيها عبارات أخرى سابقة، وكأننا بهذه العبارة نؤسس إنجازها على الإفادة من المعطيات الدلالية⁽²⁾، لما سبقتها من عبارات مثل الآية الكريمة "إنك لأنت" فالفهم ملحوم بالآيات التي سبقته عبارة هذه الآية الكريمة، وهي في سورة يوسف عليه السلام في قول إخوة يوسف، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَيْنَك لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ (يوسف/90).

ولا ننترك بيان هذا الجوهر حتى نجد اللغويين قد أحكموا في توضيح القواعد التي تنظم ترتيب العناصر اللغوية وتحددها، إذ تكلموا بدقة عن التقديم والتأخير وأثره

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، دار الفكر للجمع، بيروت - لبنان، ج1، 1968، ص55.

(2) ينظر: محمد العبد، المفارقة القرآنية؛ دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 1426 - 2006، ص108.

في تركيب الحدث اللساني من حيث التعبير الشكلي، ومن حيث التوجيه الدلالي⁽¹⁾ للبنى التركيبية التحويلية.

ويصحّ تشومسكي المسار الذي سارت فيه العلاقة بين الدلالة والنحو؛ إذ لا ينبغي معرفة دلالات القواعد النحوية في اللغة بل أن نعرف علما كاملا هو الدلال؛ فيقول طارحا السؤال بصيغة أخرى: "كيف تستخدم الوسائل النحوية المتوفرة في لغة معينة في الاستعمال الحقيقي للغة؟"⁽²⁾، ويقرّ بالنظرة الخاطئة للعلاقة بين النحو والدلالة فيعقب: "بيد دراسة الصلة بين النحو والدلالة لم تركز على هذا السؤال المهم جدًا؛ أي المطروح سابقا بل طغت عليها مسألة جانبية وسؤال صيغ صياغة غير صحيحة"⁽³⁾، وينتهي إلى توصيف المسألة اللبّ التي شغلت اللغويين والسؤال الجوهرية من قضية العلاقة بين النحو والدلالة في دراسة اللغة البشرية وهي: "هل أنّ المعرفة الدلالية ضرورية أم لا لاكتشاف نظام القواعد أو اختياره؟، ويمتثل موقف الذين أجابوا بالإثبات بالتحدي الآتي: "كيف يستطيع المرء أن يضع نظام قواعد دون اللجوء إلى المعنى؟"⁽⁴⁾. ونشرح الوضع هنا بطريقتين: الأولى تأسيس قواعد لغة معينة، والثانية تشكيل هذه القواعد بطريقة تواصلية في الحياة.

5- مفهوم البناء:

لقد قصدنا بالبناء - في هذا المضمار - مفهوما يخالف مفهوم البناء في اللغة العربية، أي الذي هو صنو الإعراب الحاضن للكلمة (الكلمة المعربة التي تقبل حركات الإعراب، والكلمة المبنية بناءً لازماً فلا تتغير مع تغير محلها من الإعراب) كأسماء

(1) نعوم شومسكي، البنى النحوية، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، البنى النحوية (Syntactic Structures)، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار عيون بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1987، ص123.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص123.

(3) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص108. وينظر: عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني، ص131.

الإشارة: ها، تلك، هذه، هؤلاء، وأسماء الاستفهام: أين متى، كيف، وسوى ذلك؛ يعرف الحاج عبد الرحمن الحاج صالح البناء بأنه جعل عنصر لغوي تابعا لعنصر لغوي آخر؛ بحيث إنهما يكونان عنصرا أوسع من المستوى الأعلى؛ ولا يعاقب أي واحد من العنصرين العلامة العدمية أي لا يمكن أن يحذف؛ وإن حذف ولم يرجع العنصر الأول إلى أصله زال عن الوجود⁽¹⁾، وفي هذا الإماعة إلى وجود الإسناد النحوي على مستوى البنية.

5-1- البنى التركيبية التوليدية والتحويلية: إن النحاة العرب في تصنيفهم للجملة اعتمدوا محورين؛ الجملة الفعلية والجملة الاسمية، وأساس اعتمادهم هذين المحورين إنما يركز على أن العنصرين (المسند والمسند إليه) يشكلان الدعامة الرئيسة للجملة⁽²⁾؛ وإن أنعمنا النظر في عمق هذا التقسيم والتصنيف وجدنا مواعمةً وتساويا بين مفهومي البنية العميقة والسطحية في النحو العالمي أو الكلي الحديث فالجملتان الفعلية والاسمية موجودتان في كل اللغات البشرية، وتسمية النحاة لركني الجملة الاسمية الأصلية المعبر عنها بالبنية العميقة عند تشومسكي بالمبتدأ والخبر تسمية وظيفية شكلية، وليس شكلية كما تبدى لكليلي النظر⁽³⁾.

قبل الحديث عن البنى التركيبية التوليدية والتحويلية يحسن المقام أن نعرض مصطلح المركب الإسنادي؛ لأن البنى التركيبية مركبات إسنادية لها صورها الظاهرة والخبئية، فالمركب الإسنادي الذي به تتشكل بنى تركيبية هو تآلف من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، جعلهما الجرجاني أصليين لبناء التركيب بقوله:

معنى سوى حكم إعراب ترجيه	"فما لنظم كلام أنت ناظمه
يتم من دونه قصد لمنشيه	اسم يرى وهو أصل في الكلام فما
ما أنت تثبته أو أنت تنفيه	وآخر هو يعطيك الزيادة في

(1) ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 111.

(2) رابع بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص 15.

(3) المرجع نفسه، ص 17.

تفسير ذلك أن الأصل مبتدأ تلقى له خبراً من بعد تثنيه
هذا الإسناد الاسمي، أما الإسناد الفعلي ففي قوله مواصلاً:

وفاعل مسند فعل تقدّمه إليه يكسبه وصفا ويعطيه
هذان أصلان لا تأتيك فائدة من منطلق لم يكونا من مبانيه
وما يزيدك من بعد التمام فما سلّطت فعلا عليه في تعدّيه (...)" (1).

أي سنام الأبيات كلها هو التركيب الإسنادي هو: (مسند+مسند إليه)، والإسناد هو
الحكم بشيء على شيء، فالمحكوم به يسمّى "مسندا"، والمحكوم عليه يسمّى "مسندا
إليه"، والمسند يكون: - فعلا متصرفاً - فعلا جامداً - وصفاً - ما آل إلى وصف -
اسم فعل - فعلا محذوفاً - اسماً جامداً مؤوّلاً بوصف (2)، وإجلاء جميع اللبس نوضح
بالأمثلة الآتية:

المسند إليه	المسند
و يدعو	و يدعو
و نعّم	و نعّم
أبصر به وأسمع به	"أنت" ضمير المخاطب المحذوف وجوبا (الكهف/26)، ونحو:
المسند إليه	المسند
هو	زاهق (الأنبياء/18).
إنّ النفس	لأمارّة بالسوء (يوسف/53).
هو	أهون عليه (الروم/27).
فهل أنتم	مغنونّ عنا نصيباً من العذاب (غافر/47).
والشّعراء	يتبعهم الغاوون (الشّعراء/224).
أنا	أف (الأنبياء/17).

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، المقدّمة.

(2) ينظر: محمد يوسف السّعال، هندسة النحو العربي، مطبعة المعري، حلب الحميدية - سوريا، د ط، 1971،

فإنما البلاغ كان عليك (النحل/82) ملحوظة، الآية الكريمة: "فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين".

كونوا قرده "أذلة صاغرين" (البقرة/65).

- 1- **المسند:** أ: يدعو فعل متصرف، ب: نعم- أبصرُ فعْلان جامدان، ج: زاهق- أمارة، أهون، مغنون وصف، د: يتبعهم يثول إلى (متبعون)، ه: أف اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر، وكان: فعل محذوف، ز: قرده: اسم جامد؛ أي صاغرين.
- 2- **المسند إليه:** لا يكون إلا اسما نحو "الإنسان، عقبى الدار، النفس، هون أنتم، الشعراء، البلاغ، أنا في أف، واو الجماعة من كونوا قرده.

مواقع المسند إليه والمسند بوصفه اسما:

- أ- **المسند إليه:** الاسم ظاهرا أو مضمرا، أو مبهما يقع إعرابا في المواقع الآتية:
 - 1- فاعلا: نحو يدعو الإنسان، نعم عقبى الدار، أبصر به=أنت، وأسمع به=أنت، أف لكم=أنا.
 - 2- نائبا للفاعل: نحو قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة/61).
 - 3- مبتدأ: نحو قول الله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ (الشعراء/224-225).
 - 4- اسما لأن وأخواتها: نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف/53)، أو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج/1) أو بعد (ليت) في البيت الآتي:

ألا ليت الشباب يعود يوما *** فأحكي له بما فعل المشيب⁽¹⁾

(1) أبو العتاهية(إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان المكنى بأبي إسحاق(130-210هـ))، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1986، ص46.

5- اسما للأحرف التي بمعنى ليس: نحو قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (الأنعام/134).

6- اسم لا النافية للجنس: نحو لا أحدا غير الله، لا إله إلا الله، كما في قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد/19).

7- اسم الأفعال الناقصة نحو: قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح/7).

والمسند بوصفه اسما له موقع إعراب أيضا إن كان:

أ- خبرا للمبتدأ نحو: قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات/5).

ب- خبرا للأحرف المشبهة بالفعل: نحو قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة/99).

ج- خبرا للأفعال الناقصة: نحو: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء/185).

د- خبرا للأحرف بمعنى ليس نحو: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (الأنعام/134).

هـ- خبرا لـ"لا" النافية للجنس نحو: لا إله إلا الله، وإما مسند الفعل فليس له موقع كالاسم⁽¹⁾.

إذن فالمسند في جملة اللغة العربية هو ما حكم به على الشيء، وهو في المركبات الإسنادية: "الفعل واسم الفعل وخبر المبتدأ وخبر الفعل الناقص وخبر إن وأخواتها، وخبر الأحرف التي تعمل عمل ليس"⁽²⁾.

(1) محمد بن يوسف السعال، هندسة النحو العربي، ص12.

(2) سليمان فياض، النحو العصري؛ دليل مبسط لقواعد اللغة العربية مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر، ط1، 1995، ص91.

وأما "المسند إليه فهو: الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ واسم الفعل الناقص واسم الأحراف التي تعمل عمل ليس واسم إن وأخواتها واسم لا النافية للجنس"⁽¹⁾، أي جنس الشيء.

إنّ البنى التركيبية التوليدية التحويلية - بهذا المعنى - هي مجمل التراكيب اللغوية المتأسّسة من إسناد الجمل، وإسناد المركبات الفعلية، والاسمية، وأدوات الربط التي مفادها تبليغيّ وتداوليّ وتواصلّيّ، وتتشكّل البنى التركيبية أو أبنية الكلام كما تقول خولة طالب الإبراهيمي: " إذ تبنى الألفاظ على بعضها بمقاييس معينة، فالبناء علاقة صورية تتمثل في ربط لفظة بلفظة أخرى بتغيّر حكم كلّ واحدة منهما تسمى اللفظة الأولى المبنى عليها، والثانية اللفظة المبنية، كمثل تعريف سيبويه، وتحديد لموضع الابتداء(المبتدأ كل اسم ابتدئ ليبني عليه كلام، والمبتدأ والمبنى عليه رافع؛ فالابتداء لا يكون إلا بمبنى عليه)"⁽²⁾. مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم/34)، فـ "ذلك" اسم إشارة مبنيّ على الفتح في محل رفع مبتدأ مبنيّ عليه، "عيسى بن مريم" خبر مرفوع بضمّة مقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التّعذر؛ إذ شخصية النبيّ "عيسى عليه السلام" مبنية على اسم الإشارة، وهنا نهضت البنية التي تقبل تحويلها؛ فهي مولدة من قاعدة اللّغة التي تحوي الإشارة والابتداء والرفع وعلاقات الإسناد.

وقد أورد سيبويه في كتابه حديثاً بادئاً عن الإسناد؛ إذ تحدّث عن الإسناد الأصليّ في البنية الفعلية والاسمية، ثمّ عن إسناد الاحتياج لعناصر تدخل على المسند والمسند إليه فتحول معنى الإسناد الأوّليّ إلى معنى ثانٍ وهو إسناد النّواسخ؛ إذ قال: "وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّاً؛ فمن ذلك الاسم

(1) المرجع السابق، ص 90.

(2) ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 111.

المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله؛ فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخر في الابتداء⁽¹⁾.
ثم واصل حول نظام تحول عملية الإسناد بإضافة أفعال تصيير المبتدأ والخبر أسماءً وأخباراً لأفعال ناقصة، مثل كان، وليت، وظن وغيرها. بقوله: "ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد الله منطلقاً وليت زيدا منطلقاً؛ لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده، واعلم أنّ الاسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ، ألا ترى أن ما كان مبتدأً قد تدخل عليه هذه الأشياء فيكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام ما ذكرت لك إلاّ أن تدعّه، وذلك أنك إذا قلت: عبد الله منطلق إن شئت أدخلت رأيت عليه فقلت: رأيت عبد الله منطلقاً، أو قلت: كان عبد الله منطلقاً أو مررت بعبد الله منطلقاً، فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول عدد والنكرة قبل المعرفة"⁽²⁾، وهذا الكلام ليس إلاّ تعبيراً عن سعة تحويل مناحي الإسناد بدخول أدوات فعلية واسمية على الجمل المكونة من إسناد فعلي أو اسمي.

ويشير بعض علماء اللسانيات العامة أنّ لها قضايا متشابهةً مع العربية ويقدمون مفهوميّن للإسناد في ضوء النحو العربي والغربي فيقولون: "التعريف السائد للمسند والمسند إليه أن المسند هو المحكوم به والمسند إليه هو المحكوم عليه"⁽³⁾، ومن الفاضل جداً أن نعرض تعريفه للإسناد عند الغربيين قديماً؛ إذ يقول: "استعمل النحو الأوروبي الإسناد منذ القدم، فالمسند إليه عندهم في الجملة هو الفاعل أي ما يشير إليه الشيء إلى الشيء الذي نتكلم عنه بينما المسند ما يقال عن هذا الشيء ويشمل المسند عموماً المفعول به؛ بحيث إن جملة: (زيد ضرب عمراً) تتكون من مسند إليه (زيد)، ومسند

(1) سيبويه، الكتاب، ج1/ص23.

(2) نفسه، ج1/ص24.

(3) مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط1، 1998، ص85.

(ضرب عمرا)⁽¹⁾، وهذا مختلف قليلا عن أن المسند إليه في التحليل العربي النحويّ مقتصر على ضرب فقط أي الفعل مع اشتراك النحو الأوروبي في قضية الإسناد في حدّ ذاته، ويورد رابح بومعزة⁽²⁾، عرض "المبرد" للمكوّنين الأساسيين للجملة "المسند والمسند إليه" لقلوه: وهما ما لا يستغني كلّ واحد عن صاحبه فمن ذلك (قام زيد) والابتداء وخبره وما دخل عليه نحو: كان وإن وأفعال الشكّ (...)⁽³⁾، وهذا حديث عن عملية الإسناد بوظائفها المختلفة في الجملة الاسمية والفعلية على حدّ السواء.

هناك أمر مؤداه ومفاده أن النّحة الأصلاء والأوائل بيّنوا أن أساس إطلاق مصطلح التركيب التحويلي، والتركيب التوليدي هو الرتبة بين وحدات الإسناد (الفعل، والفاعل، والمبتدأ، والخبر) وأحقية التّقديم التّصدّر في الجملة، والتأخّر فيها، فجملة: "نَجَحَ المجتهدُ، حاملة خبرًا ابتدائيًا؛ فهي توليدية؛ فالمسند إليه؛ أي الفاعل الذي هو المجتهد في تلك الجملة لا يمكن أن يكون نقطة ابتداء، وكذلك لأنّ الفاعل ما كان المسند إليه من فعل وشبه فعل مقدّمًا عليه أبدأ، من منطلق كون الفعل عاملاً، فيكون حقّه التّقديم؛ فرتبة الفاعل التّأخّر عن فعله من الرّتب المحفوظة"⁽⁴⁾، أمّا الجملة المحولة، فتأتي مثلا إذ تكون الجملة " مبتدأة باسم أسند إليه فعل، من ذلك (المجتهدُ نجح)؛ فهي جملة اسمية مركّبة محوّلة؛ لأنّ بنيتها الذهنية تقوم على جزأين منفصلين عن بعضهما البعض في المستوى النحوي، وهذا لتطلّب السّياق ذلك، وفي المستوى الإخباري المتغير يمكن أن نقبل التّقسيم الوظيفيّ إلى موضوع ومحمول للكلام"⁽⁵⁾، انطلاقا من احتياجات سياق الكلام التّحويليّ.

(1) المرجع السابق، ص 87.

(2) رابح بومعزة، تصنيف لصور الجمل والوحدة الإسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها في المرحلة الثانوية من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة مخطوط، 2004-2005، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ص 17.

(3) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة- مصر، 1968، 8/1 .

(4) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص 22.

(5) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وللدلالات التحويلية توجهات مختلفة وتلاوين متنوعة في الفرق بين صيغتي الجملة المتكونة من عنصري الإسناد، والجملة هي (نجح=الفعل، المجتهد=الفاعل، المجتهد=الاسم المبتدأ، نجح=الفعل، فمن دلالاتها المعالجة الذهنية لقاعدة السياق في الاستعمال، فمفهوم جملة "نجح المجتهد" تقال في سياق مغاير تماما وممايز للسياق الذي تقال فيه جملة "المجتهد نجح"؛ فالأولى في جرية معناها إخبار أولي، بادئ أو مسؤل عنه بحدوث فعل النجاح، وإسناده للمجتهد، أما الثانية، فالاجتهاد بوصفه اسما وثقلا هو المستهل به، وهو - في الوقت عينه - منسوب إلى الشخص الذي يتصف به؛ فيكون الأمر بُلغة أن المجتهد حدث له فعل النجاح أو أحدث فعل النجاح هو⁽¹⁾.

6- الوحدة الدلالية: لا نقصد بها كما يقصد بها اللسانيون مثل دوسوسير أو علماء الدلالة بأنها العلامة اللسانية الواحدة ومجموع الوحدات اللسانية هي متتاليات من العلامات اللسانية التي تشكل عبارات دالة، وإنما هي - هنا - اكتمال معنى لوحدية إسنادية⁽²⁾ من التركيب، فلا تتحقق الوحدة الدلالية إلا بالوحدة الإسنادية، ولنفهم الوحدة الدلالية حملا على الوحدة الإسنادية المغايرة لمفهوم الجملة عند رابح بومعزة نحل المثال الآتي - وهو مجمل الآية الكريمة الآتية - قال الله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ (طه/18)، إذ نقول: إن التركيب الإسنادي "هي عصاي" وحدة إسنادية اسمية بسيطة، تتعد من المسند إليه "هي" الذي يسمّى مبتدأ، ومن المسند "عصاي" عصا والياء للإضافة والنسبة وهو الخبر، وعددنا هذا التركيب كذلك لأنه لا يستقل بنفسه لارتباطه بالتركيب الإسنادي السابق "قال" فإن هذه الوحدة الإسنادية قد أدت وظيفة المفعول به "مقول القول" أو ما نسميه بمنصوب الفعل، فالإعراب هو:

- هي: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ.

(1) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص33.

- عصاي: خبر للمبتدأ "هي"، وهو مضاف، والياء "ي" للنسبة ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر مضاف إليه، وجملة (هي عصاي)، في محل نصب مفعول به للفعل قال، أي جملة مقول القول؛ فهي في محل نصب، فارتباط مكوتي الوحدة الإسنادية غير المستقل عن الفعل "قال"، وتواشج البنية وتناسق التركيب بين جملة "قال"، وجملة هي عصاي مفاده أن الدلالة العامة تستتبع للتعبير عن العلاقة بين وحدتي الجملة كاملة في هذا السياق؛ فهي أي الوحدة الإسنادية+ الفعل "قال" بنية مفتوحة من الطرفين للتعبير عن السرد الذي أورده الله عز وجل مع نبيه الكريم موسى عليه السلام البائن في الحوار بينهما، والمعروض في القصّ القرآني من سورة طه قال تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيْمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه/17-21).

ونلفت النظر إلى أن الوحدة الدلالية النحوية أي المتعلقة بالوحدة الإسنادية "هي عصاي" + الفعل "قال" تختلف عن الوحدة الدلالية السياقية، وهي تتابع الوحدات الإسنادية الأخرى وتصلبها، سواء أكانت منوطة بأسانيد فعلية أخرى أم اسمية بسيطة أم مركبة، أم لم تكن موصولة؛ فجملة وحدات دلالية لوحدة إسنادية تمنحنا "وحدة دلالية سياقية"، يمكن تصنيفها لتوجيه أغراض الجمل، والوحدات الإسنادية على حد سواء، فعلى هذا الأساس "يتأسس المعنى الوظيفي والسياقي لعناصر التركيب"⁽¹⁾ اللغوي المحوّل.

6-1- البنية العميقة للتراكيب النحوية التحويلية:

هناك نوعان من البنية العميقة حسب نظرنا:

6-1-1- البنية العميقة (البنية التحتية) تركيبيا: وظيفيا يسميها تشومسكي (Deep Structure)، أو (Structure profonde) "ويراد بها عناصر القدرة اللسانية لذهن المتكلم

⁽¹⁾ رابع بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص34.

في تشكيل الجمل والتراكيب طبقاً للقواعد التحويلية التوليدية (Générative transformation de Grammaire)، التي تتم في الجملة بواسطة الترتيب والحذف والزيادة والاستبدال والتنغيم⁽¹⁾، والظواهر ما فوق لغوية أو ما فوق صوتية الأخرى كالجهد اللغوي المتمثل في الشدّ على المنطوقات والهمز وغيرها.

6-1-2- تأويل البنية العميقة: إن المدرسة التحويلية في اللسانيات ترى أن فكرة الأصل والفرع هامة في فهم البنية العميقة، وتحولها إلى بنية السطح، وهذا منهج صائب يتفق مع منهج القدماء - في نظرنا -، ويتفق مع المناهج العلمية اللسانية الحديثة والمعاصرة، ويزعم سيوييه في معرض حديثه عن الأصلية والفرعية في النحو العربي أن الأصل النكرة والفرع المعرفة إذ قال: "إن النكرة أحق عليهم من المعرفة فهي أشد تمكناً؛ لأنّ النكرة أول ثم يدخل عليها ما تعرف به فمن ثم أكثر الكلام ينصرف في النكرة"⁽²⁾ دون المعرفة، فنقول: "رجل" أولاً ثم نعرفه إذا استعملناه لوظيفة جملة، مثلاً: "الرجل قطف الورد من البستان"، ونقول: "فتاة"، ثم نقول: "فتاة الشام فتنت الزوار بجمالها الحسین".

فالبنية العميقة تتوضّح في المفارقة بين الجملة المشتقة، والمشتقة منها أي التي قمنا بسلّها منها كما في جملة: (أكل الرجلان التفاحة)، "فبتحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء تصبح الجملة: (الرجلان أكل الرجلان) والرجلان الثانية في الجملة تمثّل الضمير، وبنيتها السطحية هي الرجلان أكل التفاحة"⁽³⁾، وهي التي يؤخذ بها في تركيب اللغة وفي التواصل مثلاً في أساليب متغايرة الاستفهام أو الإخبار أو التعجب أو غير ذلك فنقول - حينذاك - : الرجلان أكل الرجلان التفاحة.

⁽¹⁾ بلقاسم دفة، النحو العربي بين التقليد والمناهج اللسانية الحديثة، مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مبراح، ورقلة- الجزائر، العدد الخامس، مارس 2006، ص72.

⁽²⁾ سيوييه، الكتاب، ص25.

⁽³⁾ ينظر: ميشال زكرياء، الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط2، 1986، ص29.

وهنا نشير إلى أن البنية العميقة تتطابق مع أنواع الفاعلين في العربية فالفاعل حقيقي، ومجازي، ومنطقي، ودلالي وغير ذلك.. فإذا قلت في منطق الكلام أغفى الرجل، فالرجل أخذته غفوة، ونام الولد، وسهت المرأة، وانكسر الزجاج، ومات الطفل، وجنت الفتاة، فليس جل الأفعال تتحقق لفاعليها حقيقيا، وكذلك إذا قلت: قبلت الشمس، خد الوجود، فكلها أفعال مجازية، " فالمكون الدلالي يشاد به بأنه المرجعية التي تسهم في شرح البنية العميقة للحدث اللساني، ولذلك يميّز اللسانياتيون بين الفاعل الدلالي نحو (ضرب زيد خالدا)؛ حيث القائم بالضرب وفاعله هو "زيد"، والفاعل النحوي نحو (يحوي الصندوقُ عشرَ تفاحاتٍ)؛ إذ إن الصندوق ليس فاعلا من الوجهة الدلالية، بل هو المكان الذي يحوي الموضوع (عشر تفاحات)"⁽¹⁾، والفاعل النحوي هو المراد به الجانب الشكلي ضمن بنية التركيب، فإذا قلت: (استنبت القلب من لوعاته شجرا)، فالقلب بمصطلحات النحو فاعل؛ لأنه هو الاسم المرفوع الذي أسند إليه فعل الاستنبتات "استنبت".

والبنية العميقة تُجلى - أيضا- في جملة تشومسكي: (يغني الشاعر الليل)، توصلنا إلى الوشيجة التناقضية في ذهن المتلقي للجملة، بالقرينة المترجمة من دون إعرابها أو تدبيج الكلمات بالحركات؛ فالليل لا نفهمه، أهو ظرف أو مفعول به منصوب من الجملة: (Le Poète Chante la Nuit) على غرض النشيدان والمناجاة والمصافاة، للإشارة فالشاعر صلاح عبد الصبور له قصيدة عنوانها (أغنية الليل)⁽²⁾، وقد يكون المعنى في الجملة الشاعر يغني في الليل، كما أقول: سافرت الصبح الباكر؛ أي سافرت في الصباح الباكر؛ فهذا الالتباس دفع تشومسكي إلى تحليله مفهوما إجرائيا إضافيا هو "العنصر" أو "المبدأ التحويلي"، فضلا أننا يمكن أن يعرض إلينا غموض في هذه الجملة، وهو يشوب العلاقة بين الشاعر والليل؛ فهل الليل فاعل أم مفعول بالنظر

(1) ينظر: عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني، ص122.

(2) ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص109.

إلى الفعل يغني؟ وهذا من المنطلق الصوتي غير المعرب بالحركات أيضا أو المقروء دون وضع شكل لأواخر الكلمات في الجملة، والبنيتان السطحية والعميقة مستشفتان من تحليل بعض العلماء لظاهر العلاقات التركيبية، وباطنها ضمن ما دعوه بـ "ما وراء الشكل"؛ إذ يبيّنون على هذا الأساس الفروقات في التركيب المستدعي للفروقات في الدلالة، انطلاقا من القواعد النحوية واللغوية المسعفة في ذلك، " فالفروق الحاسمة بين بعض المصطلحات الإعرابية قد تتضاءل بحيث قد تبدو إحداها عمقا للأخرى وأساسا لها وتبدو الثانية كأنها غطاء للأولى أو سطح لها" (1).

ونستطيع تحويل الجملة التي ذكرها قداماء النحو العربي "في الدار رجل" في شرحهم لمسوّغات الابتداء بالانكسرة في اللغة العربية بقاعدة من القواعد التحويلية "الحذف"، لتوضيح دور الحذف في الجملة وفي اللغة في تحويل المعنى وتوجيهه الدلالي على بنية السطح والعمق فجملة: "في الدار رجل"، بنيتها العميقة في الدار مستقر رجل أو كائن رجل أو موجود رجل وقد نغير المتغيرات بمصطلحات هي من الحقل الدلالي لكلمة مستقر، وفي المحيط السياقي التداولي للجملة فكلمة كائن تروم مفهوم الحيوية والتحقق، وموجود توجّب معنى اللّاعدمية والكينونة الفعلية والحضور، ومستقرة لها دلالة الرسوخ، ودلالة سياقية تحتمل التبديل العميق للجملة، ونستطيع أن نحول الجملة بالاستفهام فنقول: "أرجل في الدار" أو بالنفي: "ما رجل في الدار"، أو بالزيادة إذ نقول: "رجل كريم في الدار" أو "رجال أصلاء نبلاء في الدار"، والتقدير حاضرون" (2).

(1) محمود عبد السلام شرف الدين، الإعراب والتركيب بين الشكل والبنية، دراسة تفسيرية، دار مرجان للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1984، ص14.

(2) ينظر: شرف الدين علي الرّاجحي، الابتداء بالانكسرة في القرآن الكريم، ص55.

6-2- البنية السطحية للتراكيب النحوية التحويلية، أو ما دُعِيَ بالبنية الفوقية أو الظاهرة (Surface Structure):

يقول علماء النحو واللغة العربية: إن الجمل المنسوخة؛ أي التي دخلت أداة ناسخة عليها إنما أصلها جملة اسمية؛ فهي في صورتها المنطقية متكونة من إسنادٍ اسميٍّ، مثل جملة: "الحديقة معطرة أزهارها"، أو جملة: "الله حكيم كريم"، فإذا دخلت الأداة الناسخة فالتحقت بتينك الجملتين تحولتا إلى بنية تركيبية أخرى يحتاجها العقل التداولي أو البلاغي أو الشعري أو الموقفي، فتصبحان: "إنّ الحديقة معطرة أزهارها"، و"كان الله حكيمًا كريمًا" أو "أضحت الحديقة معطرةً أزهارها"، أو "إن الله حكيم كريم"، فتطلبت الدلالة التركيبية بإضافة جهاز "إن" و"كان" معنى هو أعنى من معنى الجملة الاسمية، التي كانت في عمق التركيب اللغوي المتشكل من اسمين، كما في جملة: "الحديقة معطرة أزهارها"، وجملة: "الله حكيم كريم"، وهذا الشكل السطحي الظاهر الذي له تأويل عميق في أصل اللغة موصول معناها بمنطق إخباري أو تأكيدي، كحال الجملتين دون تحويل من البنية السطحية إلى العميقة؛ فالأشيع أن يكون اكتفاؤنا بجملتنا: "الحديقة معطرة أزهارها"، وجملة: "الله حكيم كريم" بلغة إخبار أو إقرار؛ فدلالة كمونية مع هيكل هذا الإسناد، فلما حولنا البنية التركيبية وجّهنا دلالتها لتروم معنى التأكيد في جملة: "إنّ الحديقة معطرة أزهارها"، أو أن نستعمل "كان" تامةً مطلقة، كما في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء/17)، فيمكن أن نقول: إن أصل الجملة التوليدي باستناد القاعدة أثل عميق وأصل الجملة التي حرّكت بأدوات التحويل، ووسائلها التي سنراها في الباب التطبيقي كالأستبدال والزيادة والحذف والتقديم والتأخير والتقدير.. وغير ذلك، فهو أصل سطحيٍّ، ولا نعني بالسطحية في المفهوم اللغوي معنى هامشياً أو مسترذلاً أو غير ذلك أبداً، إنما السطحية بالنظر إلى اقترابنا من المعطى التداولي لاستعمال الإسناد واللغة للتواصل الداني والبعيد المباشر

والبليغ أو المورّي فيه، كلغة القرآن الكريم أو لغة الشعر في أية لغة من اللغات، فالمثال السابق يتخيل كأننا استبدلنا في مستوى الذّهن حين فحصنا جمليتي: "الحديقة معطرة أزهارها" و"الله عليم حكيم"؛ إذ يمكن أن نقول: "إن البنية السطحية وحدها هي الواردة بالنسبة للتأويل الدلالي"⁽¹⁾، أو ما نسمة - في دراستنا- بالتوجيه الدلالي، ويمكن استعارة نموذج "المعيار" (Standard Model) في التعبير عن التحام القواعد المرتبطة بالبنية السطحية والعميقة، هذه الخطاطة نادى بها تشومسكي عام 1965 في الإشارة إلى بنية النظرية الدلالية لـ: كاتز وفودور "Katz & Fodor 1963"، وكذلك عمل كاتز وبوسطل "Katz & Postal 1964"⁽²⁾.

انطلاقاً من بنية الجملتين اللتين أوردناهما للبلوغ البنية السطحية والإشارة بالمقابل إلى البنية العميقة وهما "الحديقة معطرة أزهارها" و"الله عليم حكيم"، نستنتج ما يلي من المكونات والقواعد: قاعدة: 1- مكون تركيبية، 2- قواعد مقولية، 3- معجم: "قواعد معجمية"، 4- قواعد إسقاط: تمثيلات دلالية.

بنية عميقة/ مكون دلالي: الحديقة معطرة أزهارها، الله حكيم كريم.

- قواعد تحويل أحادية:

بنية سطحية/ إن الحديقة معطرة أزهارها، كان الله حكيماً كريماً.

مكون صوتي/ قواعد صوتية.

إن البنية العميقة - ممّا انطلقنا- تحدد بعرض المقارنة، مثلاً في خصوص الفاعل في الجملة العربية بصورتيه النحوية الوظيفية^(*) في الإعراب وبوصفه فاعلاً منطقياً أو عقلياً، وهذا قارّ في مستوى الذهن في فهمه على هذا النحو فاسم كان "كانت"

(1) ينظر: فاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص74.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص67.

(*) الوظائف النحوية الإحدى عشرة هي: 1- وظيفة المبتدأ، 2- اسم الناسخ، 3- أو خير الناسخ، 4- الخبر، 5- الفاعل، 6- ما لم يسمّ فاعله، 7- المفعول به، 8- النعت، 9- الحال، 10- المضاف إليه، 11- المستثنى.

في جملة الآية الكريمة ﴿ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ (مريم/08)، في الصعيد النحوي والإعرابي "امرأتي" مسندة إلى الفعل الناقص "كانت"، أما في الصعيد العقلي المنطقي في الآية الكريمة فهي فاعل قام بالفعل (فعل الكينونة) لإحداث العقر، وكذلك في الجملة التي أوردها رابح بومعزة: "كان المجتهد يطيل السهر" مع جملة: "كاد المجتهد ينهي عمله"⁽¹⁾؛ فالمجتهد في الأولى يعرب اسم كان على الرغم من أنه فاعل، وفي الثانية يعرب اسم كاد على الرغم من أنه فاعل في المعنى كذلك.

وجرى تحويل نحوي "على حدّ قول الأشموني في حدّ تمييز الجملة؛ لأنه أي "التمييز" رفع إيهام ما تضمنته من نسبة عامل فعلا كان أو ما جرى مجراه، من مصدر أو وصف أو اسم فعل إلى معموله من فاعل أو مفعول نحو: (طاب زيدُ نفساً)، وقوله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (مريم/02)⁽²⁾، وتقدير البنية العميقة التي تحول منها وهي الأصل موازاة مع ما جاء في ظاهر البنية التركيبية متعدّد؛ فـ (اشتعل الرأس شيباً) لها بنية عميقة، نقدّها بـ (اشتعل شيب الرأس)، أو (اشتعل الرأس من الشيب)، وحتى من الناحية الزمنية فأعطاء الزمن في أفعال هذه الآية استمرارية معادها إلى قدرة الله عزّ وجلّ على منح الولد رغم العقم وكبر النبي زكرياء، فوهن العظام واشتعال الرأس شيباً حالات مستمرة في زمن القول، ولا يمكن أن نفهم من استعمال الفعل "كان" في آخر الآية انقطاع العقم، فالفعل المساعد لا يصف حالة منقطعة، وإنما مستمرة في زمن القول ممّا يبيّن أن (كان) في هذا السياق لا تمتلك سمة الماضي الدلالية"⁽³⁾، وهذا الأمر له توجيهه التحويليّ وما تطلّبه استعمالاً للفعل الماضي كان في اللغة العربية، ومثل هذا الاختلاف في تحديد الجملة المحولة عنها لا ترفضه النظرية اللسانية الحديثة ولا

(1) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، مصدر سابق، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص47.

(3) ينظر: امحمد الملاح، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2009، ص377.

المعاصرة بل تراه مقبولا مادام المفسر يشرح كيف ائتلفت الجملة من تركيب البنية العميقة إلى البنية السطحية والظاهرة⁽¹⁾.

ينبغي أن نعتمد على عنصر الوحدة الإسنادية الذي اقترحه رابح بومعزة في مناقشته لعنصر الإسناد استنادا لسيبويه في تفكيك التركيب، وعملية الإحالة إلى البنية العميقة من ظاهر الجملة أو التركيب، ونعرض المثال الذي كافأ به مفهوم الوحدة الإسنادية الفعلية في اللغة الفرنسية والأجنبية بجملة: "Je vois que vous comprenez" من كتاب: Maurice Grevisse, Le bon usage sur la langue française d'aujourd'hui, Ed seuil, PARIS,1980, p163.⁽²⁾، فيقدم لنا رابح بومعزة لعملية التحويل للبنيتين السطحية والعميقة بالاستبدال في الجملة الاستفهامية؛ فيقول: إن هناك نمط الوحدة الإسنادية الماضوية المحولة بالاستبدال استفهامية؛ إذ نجدُ مثلا لها في الآية الكريمة: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ﴾ (طه/128)؛ فبنية الآية الكريمة "كم أهلكنا" هي وحدة إسنادية ماضوية محولة، مؤلفة من اسم استفهام "كم" عن الكمية الداعية إلى إغراض التنبيه، "كم" مفعول به مقدم لأحقيته بالصدارة، والفعل الماضي "أهلك"، وفاعله الذي هو ضمير الرقع المتصل "نا" الدال على الفاعلين "نحن"، كله لتؤول البنية كاملة إلى (أفلم يهد لهم كم أهلكنا) وظيفه الفاعل. وحسب الإسترابادي البنية العميقة لها "إنما أهلكنا"، وأضاف رابح بومعزة استحبابه لإضافة "كثرة الإهلاك"؛ لأن المصدر المضاف إلى إهلاكنا مقتطع من معنى الوحدة الإسنادية في بنيتها السطحية، مع أنه لا يتحمل وظيفة أن يدل بعد "كم" الاستفهامية؛ فذلك انتداب لمقاربة معنى الوحدة الإسنادية في الحديث عن البنية السطحية والعميقة، ومثاله أيضا الآية الجليلية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ (الروم/20)، ففي هذا النمط التحويلي الاستبدالي أيضا تقدر البنية العميقة بالنظر إلى الوحدة الإسنادية الماضوية البسيطة بأنها

(1) ينظر: المرجع السابق، ص47.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص31.

"خلقكم"، وهي مبتدأ مؤخر جائيّة من ضمّ "أنّ خلقكم"؛ أي من "أنّ" المصدرية والجملة الفعلية "خلقكم"⁽¹⁾ في البنية التركيبية الظاهرة أو الركن الإسنادي على حدّ قول ميشال زكرياء؛ "فبعد التحويلات في البنية السّطحية بعد تشكيل الجمل في الذهن يكتسب هذا التركيب أهميته وبذا تتغير دلالة الجملة التي نسعى إلى توجيهها بمقتضى المكون التحويلي لبنية التركيب"⁽²⁾، وتصرف المعاني في عرف المتلقين، ومدركاتهم العقلية والوجدانية لكي يفهم كل حسب مقدرته وسعة إدراكه وسرعتها في الأوقات المختلفة والأحايين المتنوعة.

وها قد جاء منهج التحويليين في العصر الحديث ليؤكد أنّ اللغويين العرب لم يجانبهم الصواب ولم يبتعدوا عن الدرس اللغوي عندما درسوا مسائل الإعلال والإبدال، وقد توضّح هذا الدرس عند أسلافنا في غيبية الأدلة التي قدّمها التحويليون لتأكيد ضرورة الإقرار بوجود مستوى للتحليل اللغوي غير مستوى التراكيب الظاهرة، وهو مستوى التراكيب العميقة"⁽³⁾.

إن من بين المعايير المشتركة بين نظرية النحو الكليّ واللغة العربية في منطقتها التحويلي- إذ هو صورة منطقية لتغاير البنى اللغوية ووحدة النحو والدلالة معا- ما يلي:

1- إن الدراسات اللسانية التحويلية نَحَتْ منحى التغيير دون مجرد الوصف للغة المجسدة "المنطوقة" إلى تعليل الملكة اللغوية وتفسيرها عند الإنسان، والتي تسمّى باللّغة المبنية "داخليا" في عقول البشر "قراءةً أو تلقياً ونطقاً وتركيباً وكلاماً".

(1) ينظر: ميشال زكرياء، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط11، فبراير 1993، ص67.

(2) رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي التحويلي دراسة وصفية وتاريخية منحنى تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهلية، دار دجلة، عمان- الأردن، ط1، 2009، ص49.

(3) ينظر: شعبان عوض محمد العبيدي، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، ص257.

2-أنهما يتداخلان في نقاط تؤسس اللغات الإنسانية كلها منها الموضوع والمحمول من الوجهة الفلسفية للسانيات والمسند والمسند إليه من الوجهة النحوية والتركيبية⁽¹⁾.

3-أهم قضايا النحو الكلي للغات العالمية الإنسانية واللغة العربية هي قضايا نظرية العقل التي تمثل الأبنية والتراكيب في عقول المتكلمين، وهي تحديد للمبادئ النظرية الممثلة بيولوجيا والتي تؤلف مكونا واحدا من مكونات العقل الإنساني وهو ملكة اللغة، ويتجلى هذا الأمر في القرآن الكريم كاملا، وفيما سنجتزئه للدراسة؛ أي في (رُبع مريم) ونحاول التأكيد على ذلك وكشفه؛ إذ ملكة اللغة التي يضيئها العقل البشري والنحو هي التي تحكم أي كلام، وتقضي بفهم القرآن الكريم لغويا وبلاغيا ومن الوجهة النحوية في بنيتها الظاهرة والباطنة أو الشكلية والصوتية والمنطقية تمثلا وتأويلا ليس مطلقا، وإنما انطلاقا من قرائن اللغة والنحو التي توجهنا وتجعلنا نعرف المعنى والدلالة بما يخدم المضمون الصحيح للجمل والآيات القرآنية الكريمة⁽²⁾.

7- "اللسانيات القرآنية" أو ما ندعوه بـ "علم اللسان القرآني":

نحاول في هذا البحث- إن شاء الله- أن نكتشف سياقاً جديداً في مساق الدراسات اللسانية في منطقية أشكالها وصورها، وهو السياق اللساني القرآني أو نصطلح عليه باللسانيات القرآنية، وهو - رغم أنه مستتبط من نظرية اللسانيات- إلا أنه- تنظيراً وتطبيقاً- خاص بالقرآن فقط لا يتجاوزه، أو يستتسخ ما جني واعتصر من ثمراته إلى لغة أخرى أو نظام تركيبى آخر، فالقرآن - من فرضية أنه كلام الله عز وجل بمنطقية البحث- وأنه لغة أثارت صوراً وأثارات عديدة للأعجاز اللغوي والبلاغي والنحوي والتاريخي والعقلي والغيبى وغيرها، فإن الأدوات اللسانية ستفرغ من محتواها المرتبط بما طبق في السابق أو ما يعبر للتطبيق في نواحي اللغة وأضر بها البشرية.

(1) حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية دراسات تطبيقية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ط1، 2004، ص62.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نحاول عرض تلك النواحي كأنما هي تعرض لأول مرة، مستكثمين وظيفتها ونجاعتها في الكشف عن خبايا لغة الإنسان، وما السرّ الأوحى في وجودها وأهدافها الظاهرة والباطنة، وبم تلحم من معان وخلفيات، فإن كانت اللغة عقلية فإنها فيزيائية وفسولوجية وذهنية وغير ذلك.

فهل تستطيع هذه الدراسة أن تستقصي عن هذه المخفيات؟، وقد حان - في نظرنا - "النظر في إعجاز القرآن" نظرا جديدا، لا يتيسر للناس إلا بعد أن يتم تحليل اللغة تحليلا دقيقا، قائما على حصر الوجوه المختلفة لكل حرف من حروف المعاني، وتصاريف اللغة؛ لأن هذه الحروف، وهذه التصاريف، تؤثر في المعاني، وتؤثر في الأساليب، وتحقق الفروق الدقيقة بين عبارة وعبارة، وأثرها في النفس الإنسانية، وأثر النفس الإنسانية فيها وفي دالاتها"⁽¹⁾. ولا أحسب أن هذا العمل إلا جهدا تحويليا في الكشف عن أسرار اللغة العربية في القرآن الكريم من المنظور اللساني المعاصر؛ فكيف نضع معايير ثابتة للدراسة القرآنية اللسانية ونشتق من شجرة المصطلحات اللسانية شجورا أخرى لا تلتحق إلا بالقرآن من أوله لآخره، ولا تتعداه لغيره أو تتضام مع نسق لغوي آخر، يعتقد أنه يقاربه في تركيبه من حيث اللفظ والمعنى والنسبة والحال والمقام والخط كما قال الجاحظ؟

فنحن ندعو إلى مصطلح "اللسانيات القرآنية" ينبغي أن نتعاون جميعا - أقصد الدارسين الحاذقين - لمفهوم اللسانيات في العالم بكل اللغات وجلّ الألسن وأن نجرب مرابضها ومشرحاتها وأن نخترع آلة ووعاء لحفظ هذه الأجهزة حتى تبقى لصيقة بحياض القرآن الكريم ولا تختلط بغيره.

(1) ينظر: محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم - أول دراسة تقوم على استقراء أسلوب القرآن الكريم في جميع رواياته - تجاوزت الآيات والقراءات في هذا البحث أو أشير إليها (68700)، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، القسم الأول، الجزء الأول، 1972، ص: و - هـ.

دعوتنا هذه في المفهوم وفي التطبيق، لماذا أقول هذا الكلام؟ لأن اللغة البشرية - من مختلف أجناس الكتابة والقول والأنساق الأدبية- قد تحتذي شكلا بلاغيا في البنية اللغوية التي تظهر، لكن قد تكون أقل من بلاغة البنية الباطنة أو بلاغة المقدرات أو المحذوفات في جمل أي القرآن الكريم، ولذلك فـجهاز التحويل ومعاييره كما اعتمده زيليج هاريس "Zellig Sabbetai Harris" (*) والتحويل في تصورنا لدراسة القرآن الكريم أعظم وأوسع توالدا وتكثيرا للمعاني، التي في بعض الحالات لا يعقل أنها تنتهي بمفهوم البشر العقلي والمنطقي والاستدلالي، ولذلك فنحن ندعو إلى تأسيسه وتدريبه وجعله في غرفة مستقلة عن الغرف اللسانية الأخرى، إذ هو متعلق بالدرس في القرآن الكريم للإحاطة - ولو بالقسط القليل- بمختلف أسراره اللغوية والبلاغية من صُعد متفاوتة، من الصوت إلى التصريف إلى التركيب إلى النحو إلى الدلالة إلى البلاغة والتبليغ والتداول والتلقي، كل هذا بمصطلحات اللسانيات، ونفحص هذه مجتمعة أو مستويين مستويين إن كنا نظن أنهما مرتبطان بنوع من الاستقلالية المؤقتة عن المستويات الأخرى، أو ثلاثة ثلاثة، أو نقترح الدراسة في هذا العلم بكل التصنيفات بين المستويات اللسانية أو اللغوية وتقسيماتها معتمدين على الخطوط العريضة للنظرية اللسانية ومنطق علم اللسان البشري ومنهجه.

إننا لا نستنكف أن نقترح هذه الرؤية التحويلية في دراسة الظواهر النحوية في لغة القرآن الكريم، بل في تغاير مواضع العناصر النحوية الإسنادية وغير الإسنادية، لأننا- وكما يقول جورج لاكوف في كتابه "منطق اللغة الطبيعي"- نؤسس الدراسة من منطلق منطق القواعد التي تحوط اللغة العربية، ومنطق بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والسياقية، والمنطق المشترك المتداخل بينها؛ لأن المستويات اللغوية، أو كما يقول اللسانيون: المستويات اللسانية، وظيفية فيما بينها ويخدم بعضها بعضا

(*) ولد في 23 أكتوبر 1909، وهو أستاذ تشومسكي.

ويكمل بعضها بعضاً، وهذا في مجمل لغات البشر، بل في منطلق كل اللغات إذا عرض على كيفية عمل اللغات على السنة الإناسي وعلاقتها بعقل الإنسان، فالرؤية التحويلية التي تبنيهاها وظيفية ولنتقصى أدواتها التي تزعم أنها تشمل منطلق لغة البشر جميعاً، وهذا ما هو مقول في مقولات النحو العالمي، أو الكلي تشومسكي ومن تبعه واستن بسنته، ولا نريد المنطق الوصفي اللساني البنوي السوسيري أو لبلوفيلد أو غيره من اللسانيين الوصفيين، وهذا منطق تجاوزه تشومسكي، أو الديداكتيكي البيداغوجي المعرفي لجون بياجى، أو السلوكي اللساني فقط، ليس هذا فحسب إنما حتى اللذين رأوا النحو من واجهة الوصف من العرب أو غيرهم القدماء.

فنحن نذهب إلى المضمون العميق للنظرية التحويلية في تفسير الظواهر اللسانية، أو مبادئ التحويل اللغوي وما وصلاتها بالعقل البشري، لنستكشف مدى توغل اللغة في عقل الإنسان، وكيف يشق بها المعنى من أنوية مفردات والتركيب في اللغة البشرية أو في لغة القرآن الكريم، ثم بهذا المنحنى نتقصى أسرار اللغة وكيفية سيرها على أجهزة الإنسان الفيزيولوجية والعصبية والذهنية وغيرها، وما هو مثار اللغة وحدودها، وكيف تتفحص بوصفها عنصراً معجوناً به الإنسان روحاً وجسداً.

- فائدة البحث في اللسانية التحويلية:

قد تستجلى فائدة من هذا البحث هي استدرار بعض النتائج المعنوية والوظيفية التي استفيدت من وصل النظرية اللسانية النصية بالنظرية التحويلية واللسانيات الحديثة؛ إذ لا تفهم بعض الصور التحويلية في البنية التركيبية التحويلية أو التوليدية إلا بإحالتها على البنية التركيبية السابقة أو اللاحقة، بل وحتى البنيات الأخرى المتصلة بها قبلاً وبعد لتكون صورة النص التركيب النصي التحويلي أو التوليدي، فإن قال تشومسكي وعلماء اللسانيات التحويلية التوليدية ومن وافقهم في الدراسة: "جملة توليدية" و"جملة تحويلية"، فنقول "تركيب نصي توليدي" أو "تركيب نصي تحويلي"، و"البنية

العميقة" للنص و"البنية السطحية" له؛ وذلك لأن المنطق النحوي واللغوي المتداخل مع المنطق السياقي والتداولي يشكلان دعامة الكلام، وما اللسانيات إلاّ جهاز يضيء أسرارهما معا مشتركين لا مفصومين عن بعضهما.

والتأكيد على الجانب الصوتي أو الوظيفة الصوتية للأصوات ضمن هيكلية الأحرف والأدوات، وكل التوصيفات النحوية والبلاغية لها في ظلّ المساحة السياقية والتركيبية التي تشكلها الأصوات بصورها بناءات يتركب منها المعنى وتتبنى على أساسها الدلالة الجمالية والنصية، وأقصد كل الأحرف الأبجدية التي هي في حيز النطق، الحروف المبنوية والحروف المعنوية، والبحث في المنطق الصوتي والنطقي اللساني من وجهة النظر اللسانية البنيوية السوسيرية¹، واللسانيات التحويلية²، واللسانيات النصية³.

إن ربط عمليات التحويل في البنى التركيبية التحويلية في مجمل أي "ربيع مريم" بالمواضيع، نظرة لسانية نصية أيضا، ووشج ذلك كله بمناسبة السورة والحياضات المختلفة والمتنوعة لها في الوصف والتفسير والتعليل، فنحن قلنا كلمة سلفت هي: أننا لا نصف فقط، فتكون الدراسة وصفية للبنى فهي بنوية وكفى، إنما نحفر في العمق لتفسير أسباب هذه الظواهر وربطها بمنطق العقل البشري، لقياس درجة خصوصية اللغة والقرآن الكريم بوساطة هذا الجهاز الذي يسمى النحو، في ظلّ اللسانيات التحويلية وأبعاد اللسانيات النصية، وكما يقول ستيفن بنكر في كتابه "الغريزة اللغوية": "كيف يبني العقل اللغة"⁽¹⁾، نقول: كيف يتلقى العقل اللغة؟ بل كيف يفسرها ويفهمها ويبينها من جديد؟ والسؤال الذي لا مناصَ منه وإن بنا خيضا له دائما هو السؤال الذي طرحه تشومسكي: هل صحيح في الجهاز المقدر على الإنسان بكامل وظائفه الجهاز اللغوي المكون من أجهزة داخلية بموجبها جاء الإنسان على هذه الهيئة وعلى هذه الشاكلة، له

(1) ينظر: ستيفن بنكر "Steven pinker": الغريزة اللغوية "The Language Instinct"؛ كيف يبدي العقل اللغة، تعريب: حمزة بن قبلان المزيني، دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة العربية، 2000.

أذن وله فم وله لسان وشفتان وعقل يفكك اللغة ويستقبلها، وله رئتان يتنفس بهما الهواء ويجري الهواء في المسالك انطلاقاً منهما، لتحقيق الأصوات، وله آلية عصبية لوزن الكلام وعقله في باطنه وسره؟!، كل هذه الأسئلة مرتبطة بالأجهزة اللغوية التي هي عنصر من الإنسان أينما حل وكيفما كان في هذا العالم، ولذلك نظرنا للقرآن الكريم- في هذا البحث- على أنه لغة مشتركة، ليس من باب أننا عرب ودارسون للغة العربية بل بوصفنا متلقين متأثرين بهذه اللغة والتراكيب، بنوياً وبلاغياً ودلالياً، ولنا تجاوب معها، ولذلك نقول: إن القرآن الكريم يشرك قارئه أيّاً كان نوعه في تفهّم معانيه؛ ولذلك فهو-برغم بساطته ولغته الواضحة- له ما يحويه من صور مخفية وراء الكلمات والتركيبات النحوية، ومن ثقل بلاغي مرتبط بالمستويات التي خفت عنا، وهي المستويات التقديرية التي ينبغي إعمال عقلا فيها لبلوغها وتعبير الكلام الظاهر بموجبها.

8- قابلية اللغة العربية للنظرية اللسانية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها:

يروم هذا المبحث النظري الأخير من بحثنا محاولة فحص مدى تقبل اللغة العربية للنظرية اللسانية الحديثة والمعاصرة، في خانتها التوليدية والتحويلية لصاحبها تشومسكي في جانبها المنطقي والوظيفي، وما الاستثمارات التي نحظى بها من جراء استجلاب مصطلحاتها كالقواعد التحويلية، والنظرية التركيبية ومرام التحويل ومحاوره في النحو والبلاغة والدلالة والتداول والسياق، والكشف عن صور التحويل الأربع: (التقديم والتأخير، الرتبة، الزيادة على البنى التوليدية، الحذف أو الإضمار أو الإسقاط، الاستبدال)، وسوى ذلك من المصطلحات الأخرى التي تكون الإطار النظري للنظرية، وتكمن أهمية البحث في تبين حقيقة هذه القابلية واعتناقها لآليات النظريات اللسانية الغربية، أكتعها وأنها صالحة لمطابقتها دون خدش يمسّ خصوصياتها، كما يحاول البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1- فحص دقيق وتاريخي لنظرية تشومسكي.

2- تحقق المصطلحات وإحداثياتها المفاهيم التوليدية والتحويلية في اللغة العربية نظريا وتطبيقيا، واستولاد مكنزاتها في اللغة العربية.

3- الجانب التطبيقي في دراسة آليات العقل في اللغة من الناحية العصبية والطبية والعلمية من الصوت أول البنى اللغوية الظاهرة والمتحققة والمخطوطة إلى النحو والبلاغة والدلالة والتلقي، وهل تقبل المفاهيم الجديدة في دراسة القرآن الكريم والشعر العربي؟

4- وكما يقول رابح بومعزة في بحثه: "مفهوم التحويل في النحو العربي". هل هناك مصطلحات شقيقة في اللغة العربية للتشومسكية اللسانية؟ كيف ذلك؟

• قد نتوقع التوافقات الآتية :

1- تطابق المصطلحات الإنجليزية وأبعادها للنظرية التحويلية التوليدية وفي عمقها النظري مع العربية

2- الكشف عن نجاعة هذه النظرية في حد ذاتها

3- العربية تقبل تطبيق قواعد أية نظرية لسانية عليها.

4- البحث اللساني تطور في العالم علميا ومنهجيا وأكاديميا، واستثمرته العربية؛ إذ لا تستنكف أن تحضنه من النواحي التاريخية والتداولية وحتى الجمالية.

5- لا تحاوص في تطبيق أية أمكانية لسانية عالمية.

6- ليس باللغة خيصر في استمداد هذه المصطلحات، وإنما ينكشف أن للغة عقلا إنسانيا واحدا، وهي منطق بشري أقره الله عز وجل على البشر ولو اختلفت مساقاتها وصورها وألوانها وهذا يتحقق في قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الرّوم/22).

ولعل هذا المبحث يطرح الإشكالات الآتية:

• هل تقبل اللغة العربية النظرية التشومسكية؟

• وما العلاقة العقلية بين النظرية التحويلية التوليدية واللغة العربية؟

نفترض أن نلمع إلى المحتويات الآتية:

أ- المحتوى: الإطار النظرية والتطبيقي للتحويلية التوليدية واللغة العربية.

فلتبيان نماذج هذه المفاهيم نوسع التوسعة حول:

أولاً- الحديث نشأة النظرية التحويلية التوليدية في تاريخ اللسانيات الحديث والمجايل.

ثانياً- الوشائج التي تتسق بوساطتها اللغة العربية مع مصطلحات التشومسكية ومفاهيمها اللغوية والمنطقية والعقلية.

1- فحص دقيق وتاريخي لنظرية تشومسكي.

2- تحقق المصطلحات وإحداثياتها المفاهيم التوليدية والتحويلية في اللغة العربية نظريا وتطبيقيا واستولاد مكتنزاتها في اللغة العربية.

3- الجانب التطبيقي في دراسة آليات العقل في اللغة من الناحية العصبية والطبية والعلمية من الصوت أول البنى اللغوية الظاهرة والمتحققة والمخطوطة إلى النحو والبلاغة والدلالة والتلقي، وهل تقبل المفاهيم الجديدة في دراسة القرآن الكريم والشعر العربي؟

4- يقول رابح بومعزة في بحثه "مفهوم التحويل في النحو العربي" هل هناك مصطلحات شقيقة في اللغة العربية للتشومسكية اللسانية؟ كيف ذلك؟

فكأن هذا البحث النظري الذي نحن بصدده والحقيقة اللسانية والنحوية التي تتعدد

من أجله هي السعي وراء هذه الأسئلة:

- هل تقبل اللغة العربية النظرية التشومسكية؟

- وما العلاقة العقلية بين النظرية التحويلية التوليدية واللغة العربية؟

أ- المحتوى: الإطار النظرية والتطبيقي للتحويلية التوليدية واللغة العربية.

ب- النماذج: لدراسة كل نماذج هذا المفهوم يتحتم علينا بل إيناس لنا أن نعرف محتوياتها وقولها التي قامت عليها:

أولاً- الحديث عن نشأة النظرية التحويلية التوليدية في تاريخ اللسانيات الحديث والمجايل.

9- بسط تاريخي حول النظرية التحويلية التوليدية:

لم تكن النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها "تشومسكي" مصادفة أو انقداحا عبثيا لرؤى التفكير البشري إنما هي- حسب رأينا- تفكير طويل وعريض منطقي في أسرار اللغة البشرية التي تنهض على العصب العقلي والعصب النفسي والعصب الرياضي والمنطقي وكثير من النواقل التي تنقل هذه التصورات اللغوية إلى خانة الاستثمار البشري، تماما كما لم تكن الدراسة النحوية في اللغة العربية والتفعيد النحوي والبلاغي واللغوي بأفانينه من صدفة عابرة وإنما كان الدرس النحوي عند العرب موجها دلاليا، وله أبعاده ومراميه التي ما فتئ يستحضرها. وكانت الدراسة اللسانية الأولى بنوية وصفية وإن تعددت أشكالها وتواترت مراحلها، ولكن بعد اللسانيات الوصفية أو النحو الوصفي الذي دعا إليه كثير من المهتمين باللسانيات من الناحية "الجشالتية"⁽¹⁾- إن صح التعبير-، أو من العروض "الواجهة" البراني الخارجي؛ فاهتم بالنحو الشجري والتوزيعي الذي أوما إليه ليونارد بلوفيلد "L.Bloomfield" صاحب كتاب اللغة "Le Langue" في العشرينيات بوصفه التحليل الناجع الذي يرتبط بالحالة السلوكية للإنسان البشري والنظريات التي تلت، وقد قال تشومسكي في خواتيم كتابه البنى النحوية: أن "أقصى ما يأمله من النظرية اللغوية هو أن تزودنا بأسلوب لتقييم أنظمة القواعد، وانبغاء استشمال اللغة على المحتوى اللغوي والذي يكمن في مستويات اللغة، وأن هذا المحتوى هو معان بنوية ومعجمية وتداولية وبلاغية وغيرها"⁽²⁾، وينكب الحديث عن النظرية اللسانية التوليدية التحويلية لتشومسكي من منطلق النظرية اللغوية التي أرساها في التحليل المنطقي والرياضي والعلمي واللغوي للتركيب اللغوي؛ إذ

(1) الجشالتية: هي تيار أو نظرية في علم النفس، وهي نظرية تقول بأن الإنسان في فطرته الفيزيائية والنفسية حين تقع عيناه على الأشياء تقع على كليتها أولا ولا تقع على جزء منها فقط.

(2) ينظر: نعوم تشومسكي، البنى النحوية، "Syntactic Structures"، ص137 و140.

قال: "إنّ النظرية اللغوية أو اللسانية مجعولة بادئاً مع المتكلم - السامع المثالي النص الأصلي هو -" Linguistic theory is concerned primarily with an ideal speaker-listener, in a completely homogeneous speech-community"⁽¹⁾، وكل الدراسات اللسانية التاريخية لم تجف هذا الجوهر الذي من أجله صيغت اللغة ووجدت قدراً إنسانياً مرافقاً له ومرافقاً لها.

وقد مرّ الدرس اللساني بثلاث مراحل مؤرخة في سيرورة اللغة وهي "مرحلة القواعد التي تعزى إلى الإغريق كانت تهدف إلى التمييز بين الأشكال الصحيحة والأشكال غير الصحيحة؛ فإنّ هي بحث معياري، والثانية تسمى مرحلة فقه اللغة "الفيلولوجيا" وانطلقت مع العامية بدت بأبحاث فريديريك أوكست وولف سنة 1777؛ إذ كانت مدرسة في الإسكندرية تهتم بهذه المدرسة ومازالت الدراسة حتى يومنا هذا"⁽²⁾، فلم تكن اللغة سوى جزء يسير من اهتماماتها، فضلاً عن أن اهتمام فقه اللغة قد انحصر وضاق باللغتين الإغريقية واللاتينية، أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة فقه اللغة المقارن معادها إلى سنة 1816، وبعد أن اكتشف المستشرق الإنجليزي وليم جونز اللغة السنسكريتية سنة 1786.⁽³⁾

جاءت التحويلية التوليدية عاصفة بالمنهج الوصفي الذي لا يروم لب اللغة البشرية من حيث هو مساحة عمق وفضاء يحف العقل البشري والإنسان، وهو مكنز للأسرار والأغيب التي لها ارتباط حتمي بالمنشئ والمدير لهذا الكون والواضع لآليات التقبل الفطري للغة في جهاز العقل والوجدان والنطق، فكما يقول رولان بارت (1915-1980): علينا أن نكتشف عالم اللغة على نحو ما نكتشف الآن عالم الفضاء،

⁽¹⁾ Voir :Noam Chomsky, Aspects Of Theory Of Syntax, The Mit Press Massachusetts Institute Of Technology Cambridge, Massachusetts,1965, p3.

⁽²⁾ ينظر: فردينان دوسوسير، محاضرات في الأسنوية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، ص11.

⁽³⁾ ينظر: رفعت كاظم السوداني، المنهج، المنهج التوليدي والتحويلي؛ دراسة وصفية وتاريخية منحنى تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، ص23.

وربما أصبح هذان الكشفتان أهم سمة يتميز بهما عصرنا⁽¹⁾، فإن الدراسة التحويلية للغة لسانيا هي جهاز منطقي ورياضي وعلمي وفيزيائي نشرح اللغة بمرابض التحليل الدقيق، فالنظرية التحويلية استقلت برؤياها المستقبلية حول أطر اللغة التي لا يمكن أن يخرج عليها قدر الإنسان، فاحتملت رياضيا طرائق توليد المواد الخام من اللغة في نواحيها الصوتية أولا، ثم الصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية والتداولية، ومن الزاوية التي تتلقى بوصفها حافزا يستحث الإنسان على التواصل والتداول والتفاعل في الحياة بشكل فعال وإيجابي، وأهم جانب وخصيصة تمتاز بها النظرية في رأينا هو الاستقلال (Autonomy) " الذي يتمتع به منهج علم اللغة عن بقية المناهج الأخرى، وهو أول مظهر من مظاهر علمية اللغة (Scientifics)"⁽²⁾.

وما لفت أنظارنا بالإيجابية إلى النظرية التحويلية التوليدية هي أنها فجرت طاقات العقل البشري في فهم اللغة وتأويلها وتفسيرها وتفسير الإنسان في حد ذاته؛ إذ اعتقد مؤسسها الأول الفعلي تشومسكي - بعد أستاذه زغليغ هاريس "Z.S.Harris"- أن بوسع اللسانيات أن تساهم مساهمة فعالة في دراسة العقل البشري، وأنه حتى في وقتنا الحاضر نجدها تقدم البرهان لصالح موقف معين من المواقف القائمة في الجدل الطويل بين العقلانيين والتجريبيين بأن المعرفة الكبرى والكلية تتولد عن التجربة والخبرة⁽³⁾، واللغة تنهض في اكتسابها الآلي على هذين الأمرين، بل إن اللغة تتأسس في بنيتها الحقيقية في كل اللغات على الخبرة بوصفها المعجم والطاقة الخام، وهي الكفاءة اللغوية والتجربة ويعبر عنها تشومسكي بالأداء، وما مرام اللسانيات من الوجهة التحويلية إلا الكشف عن أسرار التركيب اللغوي، وبناء العبارات، وعلاقة اللغة بالدماغ والنفس

⁽¹⁾ ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2011، د ط، صفحة المقدمة.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه، ص32.

⁽³⁾ ينظر: جون ليونز، تشومسكي، ترجمة محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1987، ص81.

والكون؛ إذ يعد الاهتمام بالنماذج التركيبية الأساسية والمشتقة على حد سواء، أي بكل صور التركيب اللغوي البشري من الأساسات الهامة التي ركزت فيها النظرية اللسانية⁽¹⁾.

ومن مؤسّسات نظريته أنه اعتمد المنطق الأرسطي في التحليل اللغوي، والفهم الرياضي الديكارتي في حسابات احتمالات اللغة، لكن ما نقده من نظرية وصفية جاء بها بلوفيلد جعله يقلع إلى مناقشة فكرة استقلال اللغة، والملحظ المهم في ذلك أنه نقد النظرة الآلية التي رأى بها ديكارت الإنسان وطورها السلوكيون في بحثهم السلوكي الآلي؛ إذ رفض فكرة إجراءات الاكتشاف (Discovrey procedures) وهي تطبيق فكرة المنبه والاستجابة والفعل اللغوي ورد الفعل اللغوي، ورغم أن النظرية محضن لكثير من المفاهيم العلمية إلا أن تشومسكي يفهم اللغة تحت سقف الكليات اللغوية (Universals)، والمهم عنده هو "الوصول إلى البنية التحتية أو العميقة؛ لأنها هي التي تقفنا على قوانين الطبيعة البشرية"⁽²⁾.

ثانياً- الوشائج التي تنتسق بوساطتها اللغة العربية مع مصطلحات التشومسكية ومفاهيمها اللغوية والمنطقية والعقلية:

العالم بنية من العلاقات والأواصر بين ذراته وعناصره الكونية فهذا الأمر ينسحب على اللغات فيه، ومادامت اللغة لها المظهر الاجتماعي وهذا قدر في أصل اللغة البشرية وسريتها كما أنه أصل وقدر على الإنسان أن يشتغل باللغة اجتماعياً، فالتلاقح بين البشر خصيصة حاضرة بقوة من الناحيتين الإثنوغرافية "Ethnographie"، والإنثروبولوجية /الإنسانية، وحتى لو كان يؤدي هذا التثاقف إلى الاصطدام في أغلب الأحيان، لكن اللغة متلاقحة فيما بينها، وأقصد اللغات ككل لا أتحدث عن السامية فيما بينها واللغات الهندوأوروبية واللغات الغائبة عن الاستعمال التداولي المعاصر بين بني

(1) ينظر: عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني، ص 97.

(2) ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د ط، 1979، ص 112 و 113.

البشر، وإلا كيف نفسر المعرب مثلا في العربية أو الكلمات التي استعملها القرآن الكريم للغات أخرى وأخضعتها النظرية اللسانية لقواعد المنطق اللغوي العربي، ومنها العبرية كجهنم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (العنكبوت/68)، والفارسية: كسندس واستبرق، في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف/31)، والهورانية: كـ "هيت لك"، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف/23)، بل نبداً من كلمة قرآن في حد ذاتها إذ قال أغلب علماء الغرب: "إن لفظ "القرآن" مأخوذ من السريانية "قريانا" (Keryana) التي تعني درسا في قراءة الكتاب المقدس كما هو مستعمل في الطقوس والشعائر النصرانية، يُؤيّد من كتب هذا الزعم بالإحاطة إلى مخطوط سرياني قديم يرجع إلى القرن السادس الميلادي والموجود ضمن مخطوطات البريطاني بلندن إلحاقى رقم: 14، 432، وهو تحت عنوان: Keyana d-yorn daawata lection for the day of supplications، والتي ترجمت فصول مقتبسة من الكتاب المقدس لقراءتها بغرض الدعاء أو الابتهاال أثناء تأدية الطقوس النصرانية"⁽¹⁾.

فضلا عن تأصيل كلمة قرآن عربيا من الناحية الصرفية واللغوية والبلاغية، والكثير من الكلمات والمفردات غير العربية في أصلها اللغوي، وجذرها المعجمي؛ ولذلك دارسو اللسانيات العالمية أو الكونية - وأنا أضم صوتي إلى صوتهم- يقولون في علم اللسان الحديث حينما نقول القرآن نزل بلسان عربي مبين؛ هذا يعني أنه أخضع الغريب من اللغة أو المسترفد والمستوفد والجائي من تمثلات لغوية مشابهة للعربية عرقيا، أو تاريخيا، أو متفرعة عنها، أو مماثلة لها في الأعراب كالعبرية مثلا، أو في نقاط أخرى.

(1) ينظر: محمد محمد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي - دراسة نقدية تحليلية، دار النشر للجامعات، القاهرة- مصر، ط1، 2002، ص25.

فاللسان بمفهوم عالم اللسانيات ليس اللغة خارجة عن تطعيمها مع لغات أخرى، لأن من منطقية اللغات - والعربية والإنجليزية عيتان حيتان- اللّهجية إدخال الوافد والأجنبي، أي الدخيل إلى القاموس المعجمي والتركيب، وكل مسائل اللغة والمجتمع تناولت في اللسانيات الاجتماعية والعرقية، وهذا متمثل في ما ألفه المشتغلون باللسانيات الاجتماعية وعلم اجتماع اللغة كالعالم اللساني الأمريكي رالف فازلد "Ralph Fasold" حين ألف كتابين متكاملين لهما عنوانان دالان: "The sociolinguistics of society And "Sociolinguistics Of Language"، وقد سعى في مقدمة الكتاب الأول إلى شرح هذا التقسيم: "إن أحد القسمين قد اعتمد المجتمع نقطة انطلاق واللغة كمشكل اجتماعي وكمدونة-...- أما القسم الأكبر الآخر فينطلق من اللغة، وتعد القوى الاجتماعية مؤثرة في اللغة وتساهم في الإحاطة بطبيعتها"⁽¹⁾؛ فاللغة التي يدرسها اللساني هي لغة بشرية⁽²⁾؛ من صوتها إلى نصّها، بل هي صميم الدراسة الموضوعية لللسانيات، بوصف اللغة- قبل كلّ شيء- "هي نظام من الرموز الصوتية التي تمتح وتمنح شرحا للفكر والمشاعر والوجدانات والأحاسيس في طبيعة تواصلية /النص الأصلي لإدوارد سابير والمترجم من الإنجليزية إلى الفرنسية هو: Le langage est avant tout un système de symboles phonétiques servant a exprimer des pensées ou des sentiments d'une nature communicable "⁽³⁾.

(1) لويس جان كالفي "Louis-Jean Calvet"، علم الاجتماع اللغوي "La sociolinguistique"، ترجمة محمد يحياتن، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، دط، ص106.

(2) أندري مارنتي "Andre Martinet"، مبادئ في اللسانيات العامة "Elément de linguistique général"، ترجمة سعدي زبير، دار الآفاق، دت، دط، ص12.

(3) ترجمتي للنص الأصلي من كتاب إدوارد سابير "اللسانيات" أو علم اللغة، ينظر:

Edward Sapir, Linguistique, Traduit de l'anglais par Jean-Elie Boltanski et Nicole Soulé-Susbielle, Présentation de Jean-Elie boltanski, Collection Folio/Essais; Les Edition de Minuit, 1968, p29.

فلا يتحرف هذا النظام البشر قاطبة، لأنه يتواصل به ويصنعه ويستثمره ولو باختلاف طفيف بين الخلق أجمعين؛ بل تساءل صاحب الغريزة اللغوية عن كثير من اكتشافات العصر الحديثة، وختم بأنه ساءل قارئ الكتب المتخصصة عن تفسير ما يختفي وراء أم اللغات جميعها واللسان الذي خرجت من الألسن البشرية المنقرعة والمختلفة كاختلاف أعراق البشر وألوانهم، واستبحته "عن اللغة الأم للغات جميعها"⁽¹⁾.

أما علم اللسان فهو الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري؛ أي دراسة الظاهرة العامة والمشاركة بين بني البشر والجديرة بالاهتمام؛ أي في شكل عام ليس مائلا إلى لهجة دون لهجة أو متعاطف مع لغة دون لغة، ولذلك قال الله عز وجل [لسان عربي مبين]، ولم يقل [بلغا عربية مبينة]، وأقصى العلم معرفة مشتركة وليست خاصة أو جزئية وإنما فيها التخصص فذلك مسألة أخرى، فمن هنا فالنظر إلى النظرية اللسانية التشومسكية وعلاقتها باللغة العربية لسانيا نظر موضوعي واستكشافي، لأن هذه المصطلحات تتطابق معها والمفاهيم تتضارع وتتواءم أم لا، فإن كانت متفاهمة ومتناسبة فلعمري إن النظرية اللسانية التشومسكية ناجعة إلى حد أكبر وأجلى في الكشف عن أكثر مساحة من اللغات البشرية، وهذا الأمر المقصد من الدراسة الموضوعية والعلمية للغة العربية.⁽²⁾

وكيف أض البحث اللساني في اللغة العربية مع انفجار الثروة المصطلحانية للتشومسكية الحديثة مشوقا لمطابقة هذه المصطلحات، حتى إنهم وضعوا مفاهيم عيرتها النظرية اللسانية التشومسكية على اللغة العربية فيما يمّس جانب ترتيب مكونات الجمل الفعلية والاسمية وبنية الجملة العربية من منظورين توليدي والآخر تحويلي، وحاولوا عرض مصطلحي البنية العميقة والسطحية على مستويات البنية اللغوية العربية فقال

⁽¹⁾ ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية؛ كيف يبدع العقل اللغة، تعريب: حمزة بن قبلان المزيني، صفحة مقدمة المؤلف.

⁽²⁾ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 9 .

بعض الدارسين: "من المعروف أن الأدبيات التوليدية -على الأقل في النماذج الأولى- كانت تميّز بين البنية العميقة (Structure profonde) والبنية الأساس (Structure de base) والرتبة السطحية (Structure de surface) وهي كلها تختلف عما يسمّى الرتبة الطاغية (Order dominant) ⁽¹⁾؛ إذ عدها تشومسكي ضمن خصائص الملكة اللغوية: محاولاً تفسير النقائض، إلى جانب "تأويل الصوت في الصورة الصوتية، وتأويل المعنى في الصورة المنطقية وقوله بأنهما مستويان وجيهان ⁽²⁾، ففي اللغة العربية صوت لبنية لغوية حسية مسموعة، ومعنى لبنية منطقية إدراكية مع الاعتياض الذي يعرض إلينا في تحديد الفروق الرهيفة بين واقعها في العربية وواقعها في لغات النظرية التشومسكية الإنجليزية والإسبانية والعبرية والصينية وغيرها.. من لغات العالم التي هي عينات لأجهزة التوليدية التحويلية.

لو عدنا إلى تاريخ اللغة لوجدنا أن هذا البحث الإنساني قديم وموغل في أعماق التاريخ وهو - في نظرنا- قسيم الإنسان بل وليد تطلّبات التواصل والتعبير لديه منذ فجر الوجود، والشعوب كلها شاركت في تأسيسه "لكن دراسة اللغة على حسب الكثيرين تعود- في أصولها- إلى الهند واليونان الكلاسيكيين ⁽³⁾؛ لكنها ليست قسراً على الأمتين فقط بل تنبه العرب الأول إلى الاهتمام باللغة وقبلهم الرومان وغيرهم من الحضارات، ثم وصلت إلى الحضارات المعاصرة الغربية والعربية الراهنة وشعوب العالم كلها برعت في الدراسة اللغوية؛ لأنها -حسب نظرنا- مجدية ونافعة فثمارها تجنى في سلة

(1) مصطفى غفان، بمشاركة أحمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث World Modern Book، إربد- الأردن، 2010، الطبعة الأولى، ص 277.

(2) ينظر: نعم تشومسكي، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، تقديم وترجمة محمد الرحال، المرجع السابق، ص 27 و 28.

(3) نعم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسين، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2009، الطبعة الأولى، ص 33 .

الإنسان النفسية والروحية والعصبية والوجدانية والدينية والاجتماعية، وكل المضامين التي تشكل أبعاد الإنسانية والبشر من خلقهم حتى فنائهم، لكننا سنتحدث عن الإشعاعات الأولى في نشوء النظرية التوليدية التحويلية دون العودة إلى سوسير وأنطوان ميه وشارل باليه وزغيلغ هاريس، إنما نبدأ من الفنتيل الأول الذي أشعله العالم الأمريكي تشومسكي " ففي بداية عمله العلمي طور تصوراته حول مهام اللغة ومناهج البحث اللغوي، طارحا ثلاثة أسئلة منها بزغت نظريته: 1- ما الذي يدخل في علم اللغة؟ أو ما المجالات الصالحة له؟ 2- هل يمكن أن تدرس البنية الشكلية للغة ذاتها؟ 3- هل ندرس اللغة دون تمسك بالمعنى. وهنا يحاول تشومسكي اقتراح فرضية غير ملاحية ومُضاددة لليونارد لبلوفيلد⁽¹⁾؛ فهو أقصى المعنى من الدراسة اللسانية للكلام أو الجملة أو اللغة، بل وحتى أستاذه هاريس ذهب المذهب عينه، وهنا نستنتج أن تشومسكي في أوائل دراسته، وبواكير تنظيراته كان أقرب إلى النزعة الشكلية للغة منه إلى المنحى التوليدي التحويلي ما وراء التفسيري.

من أجل المفاهيم وأشعها في نظرية النحو الكلي أو المجل لتشومسكي مصطلح "التحويل"؛ إذ عبئ بشق كامل في نظريته وهو "التحويلية" وهي نسبة إلى مصطلح التحويل الذي هو في نظرنا باد بدوا لا تتكره الأنظار في مساقات اللغة العربية وينهض هذا المصطلح على القواعد التحويلية التي قال بها تشومسكي، وهي القاضية بتغيير البنى بين المشتقة والنواة والمرابحة بينها، ولتبيان الكفاءة اللغوية الكامنة وعلاقتها مع المظاهر المتحولة لنفسية المتكلم والسامع على السواء وهي الأداءات المتنوعة، وبهذا التحويل في رأينا يتم الكشف على التفوق اللغوي الذي ينتاط بواحد منا دون الآخر في البناء القولي، أو الاستكناه الإدراكي البلاغي لهذا البناء، ولما شاع هذا المصطلح مع

(1) ينظر: بريجيتيه بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2004، الطبعة الأولى؛ طبعة منقحة ومزيدة، ص270.

المصطلحات المصاحبة له في العالم وفي الدراسات اللغوية العربية بالخصوص، تلقفه الدارسون العرب بالتحليل والدرس - بتخفيف الدال - وحاولوا أن يعرضوه على طاقة اللغة العربية مدونة كاملة كامنة أو متحركة متجددة.

ومنهم رابح بومعزة الذي كشف عن وشائج كثيرة لمصطلح التحويل مع المنطق التحويلي الذي استوفد من عند النظرية التحويلية فألف كتابا موسوما بـ: (التحويل في النحو العربي؛ مفهومه - أنواعه - صورته، البنية العميقة للصيغ المحولة)⁽¹⁾، بل ونشر معاني كثيرة في أبواب أخرى من كتبه حوله، فقد أفرد له بابا خاصا به في كتابه الآخر: "نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية"⁽²⁾، فعرفه وعمق الصورة حول مفهوم التحويل في النحو العربي دون، أي تعصب أو محاولة الاستشفاق على العربية منه الشعور بضعف العربية أمام هذا المصطلح نظرية وتطبيقا، وكذلك فعل في كتابيه "الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجيهها البياني"⁽³⁾، وكتاب الجملة الوظيفية في القرآن الكريم صورها - بنيتها العميقة - توجيهها الدلالي⁽⁴⁾، ومن نظائره الدارسون العرب؛ إذ ألفوا دراسات مشفوعة بالمصطلحات وراسلوا تشومسكي حول مناقشة الكثير من القضايا العلمية المتعلقة بعمق النظرية البنائي والتركيبية، مثل معصومة عبد الصاحب التي ألفت كتابا هو في بنيته العميقة أطروحة دكتوراه حول "الجملة الفرعية في اللغة العربية"⁽⁵⁾، والحاج عبد الرحمن الحاج صالح في أغلب أعماله ومؤلفاته،

(1) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي؛ مفهومه - أنواعه - صورته؛ البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن. ودار "عالم الكتب الحديث" إربد - الأردن، 2007، الطبعة الأولى.

(2) ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، 2011.

(3) ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم، صورها وتوجيهها البياني، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، 2008، د ط.

(4) ينظر: رابح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، صورها - بنيتها العميقة - توجيهها الدلالي، الطبعة الأولى.

(5) ينظر: معصومة عبد الصاحب، الجملة الفرعية في اللغة العربية، بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، دار غريب للطباعة، القاهرة - مصر، 2008، د ط.

وحتى في النظرية الخليلية التي تقوم على جمع كل ما يتعلق باللغة العربية وتأريخه وتوثيقه وتصنيفه، وعنده الراجحي خاصة في كتابه: "النحو العربي والدرس الحديث"⁽¹⁾، وسنام دراستنا تصب في ما قرنته من مقارنة بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، وغيرهما كثيرون، وفي اعتقادنا السبب الذي حفزه الدارسين العرب - على اختلاف أطرافهم - دراسة المقارنات في النظرية اللسانية التوليدية التحويلية هو أن تشومسكي ذهب مذهباً كلياً في بحثه اللساني المنطقي للغة، واستنطاق قانون " القواعد الكلية التي هي ركن أساس بنيت عليه نظريته، وهي التي يسميها تشومسكي بوسيلة اكتساب اللغة (Linguistic Acquisition Device)"⁽²⁾، ومن ذلك وضع حسام البهنساوي هذه النظرية حيز التطبيق في كتابه: "نظرية النحو الكلي؛ إذ قال باحتياج اللغة العربية مسيس الحاجة إلى تطبيق النظرية التوليدية التحويلية التي عنت بمعرفة اللغة وتفسيرها، وأسفرت على نتائج هامة تؤكد قدرتها على تحليل اللغات والأنحاء الخاصة، وأراد أن يذهب إلى التطابقات اللغوية والعلمية بينها وبين النظرية اللسانية الحديثة آنفة الذكر"⁽³⁾.

كما أن عبد القاهر الفاسي الفهري في كتبه كلها وفي "المجلات اللسانية"⁽⁴⁾ التي كان يشرف عليها وفي كتابه: "المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي"⁽⁵⁾، قد أورد فيها مفاهيمه اللسانية بالموازاة مع اللغة العربية، وقد قرأ الفاسي الفهري أفكار اللسانياتيين التوليديين التحويليين وأبرزهم تشومسكي؛ إذ عرض أي الفهري - من

(1) ينظر: عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، 1979.

(2) ينظر: عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي؛ دراسة تحليلية في القرآن الكريم، ص138.

(3) ينظر: حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي، والتركيب اللغوية العربية "دراسات تطبيقية"، ص65.

(4) ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري: المشرف العام المدير المسؤول، ومحمد غاليم، أحمد عقال، خالد الأشهب، عائشة الناصري، عبد الفتاح حمداني؛ مجلة أبحاث لسانية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط التابع لجامعة الملك محمد الخامس، المجلد1، العدد1، مارس 1996.

(5) ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 1998.

منظور توليدي تحويلي- نظرية نمو اللغة عند الطفل والعربي بالخصوص والكفاءات الذهنية الفطرية، في مقال "عربية النمو والمعجم الذهني، ومصطلحات كثيرة مثل الازدواج اللغوي (Bilingualism) وأوجهه، كما أشار إلى النحو الكلي (Universal Grammar)"⁽¹⁾، أو العالمي وارتباطاته باللغة العربية من الوجهة اللسانية، وبعض الوظيفيين منهم أحمد المتوكل في مؤلفاته اللسانية واللغوية الوظيفية ومنها "اللسانيات الوظيفية"⁽²⁾، وكتاب " الوظيفة والبنية؛ مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية"⁽³⁾، وفي هذا الكتاب نزع منزعا وظيفيا بحثا.

وأما عبد الرحمن الحاج صالح فقد استجمع ما حققته اللسانيات منذ الفجر الأول لها، ومنها كتابه "بحوث ودراسات في علوم اللسان"⁽⁴⁾؛ إذ عرض على مصطلحات لسانية رُئيت في اللغة العربية من منظور تحويلي، وأشار إلى بعض مصطلحات النظرية التحويلية منها ما عده ضمن تمارين تصريف البنى وتحويل المعاني في الاكتساب اللغوية كالزيادة أو الحذف، ويقال: "إنه المقصود منه تثبيت العناصر المكتسبة (لفظا ومعنى) مع تثبيت العناصر الجيدة، وبصفة خاصة البنية الجديدة أي البنية التي أخذت مظهر التحويل ووقع فيها عملياته تبعا للكلام والتواصل والتداول، وكذلك ما أسماه بـ:" التصريف والتحويل البنوي" وهو جوهر التمارين الجارية على البنية؛ لأنه تدريب على تغيير صيغة القبيل الواحد من العناصر في داخل الوحدة

(1) ينظر: مقالنا: "جهود عبد القادر الفاسي الفهري في مقارنة المصطلحات اللسانية التحويلية، وتطوير المفاهيم اللسانية في المغرب والدول العربي"، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي من 3-4-5 ديسمبر 2012، الجزء 2، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات، بجامعة مولود معمري بتيزي وزو- الجزائر، ص 159 وغيرها من الصفحات.

(2) ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية؛ مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2010، ط2.

(3) ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، الرباط-المغرب، 1990.

(4) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007.

اللغوية بدون زيادة "ولا حذف"، على هذه الوحدة (أو بزيادة أو حذف أي بمزج التحويل بالنوع الرابع)، فهو تغيير لصيغة هذا القبيل لا لمادته (لا تستبدل كلمة بأخرى في نفس الموضع، بل تفرع الفروع البنوية من الأصل الواحد)⁽¹⁾. وهذا في حد ذاته تشكل من تشكلا النظرية التحويلية في بنيتي التركيب الفعلية والاسمية وأن الإشارة إلى البنية الأصل، ومنها تفرعات الجملة واللغة والبنية الفرع واردة هنا، وهذا نواة فكرة زغليغ هاريس؛ حيث إن أول فكرة للتحويل في التراكيب اللغوية من المنطوق اللساني معادها إلى الرحم الأولى التي تستولد وتحول منها البنى، وتعود كلها إلى أصل واحد، مثلا في العربية الجملة الفعلية المتكونة من فعل وفاعل ومفعول به هي أصلية للتركيب الفعلي مفعول به وفعل وفاعل، أو مفعول به وفاعل وفعل وهكذا، وهذا ما أشارت إليه معصومة عبد الصاحب في بحثها: "الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية"⁽²⁾.

واللغة العربية لو وضعنا خابورا لاستقرائها لوجدنا أن كل العمليات النحوية التي تتفاعل كيميائياً داخل بنيتها، إنما تقوم على التوجيه العقلي، وهذا يقودنا إلى التنبيه لمقولة "جون ستيوارت" John Stuart "فيما بعد عن الفكرة الأساسية ذاتها عينها، وهي "إن مبادئ النحو وقواعده هي الوسائل التي بوساطتها تنهياً أشكال اللغة، لأن تتطابق مع أشكال الفكر العالمية، بل إن العقل البشري بحاجة إلى تشريح قبل تشريح دور اللغة فيه ودوره في اللغة وعلاقتها بالحقيقة المترسبة في مخ الإنسان العصبي والعقلي والاستكناهي، الذي به يفهم اللغة ويحوطها بالتدبير ويشرفها ويحل شفراتها سواء كان عقلا عربياً، أو فرنسياً، أو إنجليزياً، أو أي عقل خلقه الله كامل التصور ناضج الفكر معتدل التخمين، أما "النحو العام" فقد عرفه "نحوي مفكر بارز من نحاة القرن الثامن

(1) المرجع السابق، ص 240.

(2) ينظر: معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية في اللغة العربية، بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية.

عشر بأنه علم استدلاي يهتم بالمبادئ العامة التي لا تتغير للغة المنطوقة أو المكتوبة ونتائجها، فهو سابق في وجوده اللغات جميعها؛ وذلك لأنّ مبادئه هي المبادئ التي توجه العقل الإنساني في عملياته "بوزيه" (Beauzèe)، وهكذا فعلم اللغة لا يختلف إطلاقاً عن علم الفكر⁽¹⁾، أو أي علم له مضامات بالفكر والتفكير.

يجمل بنا أن نمح بعض الصفات المشابهة للغات من منطلق النظرية التشموسكية وهي بين اللغة العربية والإنجليزية، فصوتيات الفرنسية ليست هي صوتيات الإيطالية رغم أن من منطق البشر الاختلاف الوارد بينها في طريقة النطق، وطريقة الجمع في الفارسية ليست هي طريقة الجمع في العربية، فألف والنون في العربية هي علامة المثني وقد تكون في الفارسية للجمع؛ إذ "يسمى الاسم جمعا إذا دلّ على اثنين فأكثر، مثل "مردان" اسبان، كتابها، درختها، فعلامة الجمع كما أسلفنا في الفارسية "أن" و"ها" وهي تلحق بأخر الاسم الذي يراد جمعه"⁽²⁾.

وقد يتساءل أحد لم أوردت المشابهة بين اللغة العربية والفارسية أولاً، فذلك لأن الفارسية طريقة خطها بالعربية، فالأحرف عربية ولكن مضمون التركيب المفرداتي والجملي يختلف وحتى الصوتي، فما بالك باللغات اللاتينية والإنجليزية، فعلامة الجمع في الإنجليزية هي "إضافة" s" عادة غلى الاسم المفرد ومثاله:

Ex: bus- buses/ box-boxes، أما الأسماء التي تنتهي بـ: o, x, ch, sh, s، فعادة تضاف إليها Ex: bus- buses/ bax- boxes/ arch- arches/ flash- flashes"⁽³⁾.

ما نوّد تحليله هو البناء المنطقي المشترك في الخصوصيات الكبرى التي تكون اللغة البشرية على حد السواء، والتي نتيج توافق استثمار مراتب التشريح اللساني

(1) ينظر: نوم تشومسكي، المعرفة اللغوية؛ طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص51.

(2) عبد النعيم محمد حسين، قواعد اللغة الفارسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1970، ص26.

(3) فوزي زكي، نظمي فاروق الدجوي، يوسف عبد الواحد، Modern English Grammar with Objective Tests لجميع دارسي ودارسات اللغة الإنجليزية، مطابع الدجوي، القاهرة، د ط، د ت، ص18.

اللغوي بشكل متساو؛ فحتى لو تحدثنا عن اللغة الصينية أو اليابانية أو الإسبانية أو العبرية أو الإنجليزية وباقي اللغات، فنستطيع أن نبرمج المفاهيم اللسانية المختلفة عليها حسب المدارس، فالتوزيعية مثلا بوصفها منظورا إجرائيا يحتمل إبعاد المعنى من التحليل التشجيري لبنى التركيب الفعلية والاسمية تتحقق لبنى التركيب العربي كما تتحقق في الإنجليزية، كما يسهل تطبيقها على باقي اللغات بل حتى اللهجات والسلوكية والبنوية، فكما أن اللغة والكلام ثنائية سوسيرية موجودة في اللغة الفرنسية فهي موجودة في العربية والإنجليزية، وكما أن الكفاءة والأداء موجودتان في الإنجليزية فهي في العربية، وهذا المنطق الذي يربض وراء العقل البشري وفطرية الاشتراك الإنساني للغات عصبيا وسلوكيا ونفسيا ولسانيا وتداوليا وتلقيا، فالأمر لا يقعد في خانة المقارنة بين العربية والإنجليزية فقط وعرض النظرية التوليدية التحويلية عليهما، وإنما سيفر لنا أصل اللغات وسياقها وجيناتها التوقيفية والوضعية.

ولعنا نتقصد " تعريب النظرية التحويلية، فلكي يتسنى لنا ذلك وتصبح النظرية —عربية الأصول والمبادئ، ولكي نقول إن بإمكاننا التعبير عنها عربيا بصورة مفهومة تجمع قضاياها ومداخلها ومسائلها المتنوعة، ينبغي أن يصبح نحو العربية بمفهومه الواسع الذي يعني قواعد اللغة مجالا لاختبار مصداقية هذه النظرية وطرق تحليلها والتعليل لصورتها العامة، ودورها في تصور الملكة اللغوية والأنحاء الخاصة المتعلقة بالملكات اللغوية لمتكلمي اللغات القوميين"⁽¹⁾، وليس هذا الكلام إلا أن تكون اللغة بنحوها وأبنيتها ومدوناتها الشعرية والنثرية، بخطاباتها المنفعية أو البلاغية مهياة لاستقبال قاعدة التحويل مثلا، أو درس مصطلح الكفاءة اللغوية، أو هل لها زاوية من الزوايا لانضمام إلى النحو الكلي.

(1) نوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص25.

نعرض لجهازين تحويليين أو قاعدتين تحويليتين ونستكشفهما ونسبر مدى قابلية تطبيقهما على اللغة العربية توضعاً فعلياً للمفاهيم النظرية للتشومسكية في شقها التحويلي، ونبين كيفية تحققهما في اللغة الإنجليزية، ونحاول أن نمح تقيماً لسانياً ونحوياً لهما، ونستجلي شرعية هذا التطبيق في مدونات اللغة العربية في القرآن الكريم وفي الشعر، بوصف القرآن الكريم أعلى شكل تركيبى في اللغة العربية وأبلغ نص بلاغى، ثم يليه الشعر العربى، وكل هذه الملامح من التغييرات هي تأصيلات في نظرية " نحو أو قواعد بنية العبارة أو العبارات "Phrase structure grammar" التي أتى بها تشومسكي ودراسة العلاقة بين الشكل المنطقي للبنية التركيبية، وبين البنيتين السطحية والعميقة اللتين تحويهما البنى التركيبية التحويلية الاسمية والفعلية على حد سواء: هذه التمارين المقارنة في التحويل إن هي إلا بضعة تمارين بالموازاة مع ما يغزر ولا يعدّ ولا يحصى، وتبدو مخايل هذه الكثرة تترى حين نفكر في كم يحتاج الإنسان إلى التحويلات في حياته، وكم يطبق منها فعلاً:

9-1- التحويل في اللغة الإنجليزية:

- الحذف "Reduction Rules" أو ما يسمى الإسقاط من البنى التركيبية التحويلية: حينما رأى تشومسكي أن النموذج الوصفي للسانيات عاجزاً عن تفسير ميتافيزيقية اللغة، أو تلمس ما وراء اللغة في صورها المنطقية، واستبعد العقل في تحليل المخفيات، وما يمكن أن أسميه الآن "غيب اللغة"، ولمح كل تركيزهم الشكلي على البنى، رغم "أننا إذا أردنا أن نحدّد التّحويل تحديداً واضحاً علينا أن نصف تحليل الخيوط التي يطبق عليها التّحويل، ونصف- كذلك- التّغيير البنوي الذي يحدثه التّحويل في هذه الخيوط"⁽¹⁾، أي البنية التركيبية لجملة من الجمل الاسمية أو الفعلية.

(1) ينظر: نعوم تشومسكي، البنى النحوية (Syntactic Structures)، ص 83.

أعاد تشومسكي واللسانيات التحويلية ظاهرة الحذف في اللغة إلى الصدار فهي في صِدار القواعد التحويلية، والبنى التي تحوي كيمياء الحذف النحوي وتفاعلات دلالاته فهي مرتبطة "بقضية العامل"؛ إذ يقررون أن النحو ينبغي أن يربط "البنية العميقة بالبنية السطحية، والبنية العميقة تمثل العملية العقلية أو الناحية الإدراكية في اللغة "Conceptual structure" ودراسة هذه البنية تقتضي فهم العلاقات لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي، ولكن باعتبارها علاقات للتأثر والتأثير في التصورات العميقة"⁽¹⁾، ونسما بالغبية الموشوجة بقرائن التحقق غير الظاهر ظهورا شكليا أو جليا أو ملموسا صوتا ونطقا وكتابة، فالحذف والتقدير يوصلان إلى ضبط ما لا يمكن ضبطه بغيرهما؛ فثمة تراكيب إسنادية وقع فيها حذف لو لم نقدر ما استطعنا فهمها الفهم السليم، وحيث إن الحذف خلاف الأصل، فإنه لا يعدل إليه إلا لسبب تقتضيه مع قيام قرينة دالة عليه، سواء أكانت هذه القرينة حالية أم مقالية؛ إذ المحذوف بدونها لا يعلم بالنسبة إلى السامع، فيخل الحذف بالمقصود"⁽²⁾.

فهذا الكلام إن هو إلا تأكيد على دلالة العقل البشري في التدخل الفهمي للغة، والقرينة المنطقية التي تربط الشكل الأصل التوليدي بالشكل الفرع التحويلي للغة، كل على حسب صفات اللغات البشرية وطريقة استقراء قرائن الحذوف الموجودة فيها أو المستعملة داخلها، "فالحذف ظاهرة مشتركة في اللغات الإنسانية"⁽³⁾ جميعها.

مثال: ⁽⁴⁾ "Rishard is as stubborn as our father is"، "فمعنى الجملة: ريشارد عنيد كأبينا؛ إذ يرى التحويليون أن هذه الجملة جملة تحويلية تمثل البنية السطحية لمعان

(1) عبد الوهاب زكرياء وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي؛ دراسة تحليلية في القرآن الكريم، ص148.

(2) رايح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم؛ صورها-بنيتها العميقة- توجيهها الدلالي، ص23.

(3) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث؛ بحث في المنهج، ص149.

(4) Langacker Ronald, Fundamentals of linguistic analysis –New York: Harcourt brace Jovanovich, 1972,p.108

ذهنية، وهذه الجملة التحويلية متأسسة من جملتين اثنتين توليديتين، ففي غياب الجملة الباطن منطقية وجود عناصر نحوية أخرى أو تحقق وجود وصف آخر ينضم لبنية هذه الجملة وهما: "Our father is stubborn – Richard is stubborn" (1).

فكأننا أخبرنا بجملة هي جملتان ونواتان فمنطقية الربط تقتضي أن البناء المنطقي يكون أبونا عنيد ورشارد عنيد ثم اختزال الجملة إلى ريشارد عنيد كأبينا.

9-2- التحويل في اللغة العربية:

الحذف "Reduction Rules" أو ما يسمى الإسقاط من البنى التركيبية التحويلية:

أ- في القرآن الكريم: نمح مثالين فيه:

مثال 1: نشهد حذف المبتدأ "العمل" من بنية شبه الجملة "لنفسه" المتعلقة به في تركيب الآية الجليلة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت/46)؛ أي "من عمل عملا صالحا في الدنيا، فائتمر بأمر الله وانتهى عما نهى الله عنه فإنما يعود نفع ذلك على نفسه ويجازى على وفق عمله، ومن أساء فعصى الله، فإنما يرجع وبال ذلك على جرمه، فالآية تحتوي جملتين توليديتين هما العمل لنفسه والإساءة عليها، وقد تم اختيار جملة جواب الشرط لتكون جملة توليدية لتعلق جملة فعل الشرط بها، لأن أسناد العمل الصالح أو جزائه لصاحب العمل مشروط بأن يقوم هو بهذا العمل، وإن الإساءة تسند إلى شخص ما إذا فعلها" هو عينه، فالعمل مبتدأ محذوف في بنية الجملة الأولى من عمل فالعمل لنفسه ومن أساء، فالإساءة عليها أي على نفسه فالهاء محيلة إلى ما ذكر سابقا، و"شبه الجملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره "الإساءة"، والجملة في

منقول من: عبد الوهاب زكريا وأحمد مت صالح، "مقالة ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي دراسة تحليلية في القرآن الكريم، مجلة التجديد، إصدار الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مج11، العدد الثاني والعشرون، 2007، ص150-151.

(1) ينظر: عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي دراسة تحليلية في القرآن الكريم، ص150-151.

محل جزم جواب الشرط، والشرط وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ "من" (1)، فلقد تحولت الجملة التوليدية الأولى نحو الآتي: العمل لنفسه = من عمل صالحا فالعمل لنفسه = قيد الشرط + م + خ ، ثم = من عمل صالحا فلنفسه = قيد الشرط + اسم معرفة + شبه جملة = قيد الشرط + م + محذوف + خ أي خبر، فهي جملة اسمية تحويلية محمولة بالحذف حيث حذف منها المبتدأ، وتترابط الكلمات في الجملة السابقة على النحو الذي تترابط به جملة "ومن أساء فعليها". (2)

مثال 2: مثال ثان لنفيد توضيح خصيصة الحذف في اللغة العربية، ويندرج ضمن نموذج حذف المسند "الفعل" في الجملة الفعلية المركبة المحتواة فيها وحدة إسنادية مؤدية وظيفية الفاعل وهو في قول الله عز من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأحزاب/5)، حيث نلاحظ " أن الوحدة الإسنادية الاسمية "المركبة" أنهم صبروا المكونة من " أن واسمها الضمير "هم" وخبرها الوارد وحدة إسنادية ماضوية بسيطة "صبروا" المركبة من الفعل الماضي "صبروا"، والفاعل المتمثل في واو الجماعة، وهذه الوحدة الإسنادية الاسمية المركبة يسجل أنها جاءت لتؤدي وظيفة الفاعل للفعل "ثبت" الذي لا يظهر في البنية السطحية، وأساس ذلك أن جمهور النحاة منهم الكوفيون والمبرد والزمخشري ذهبوا إلى أن الوحدة الإسنادية الاسمية بعد "لو" هي في موضع رفع على الفاعلية بفعل مضمر تقديره "ثبت" (3)، فالتقدير حاصل وواقع إذ منطق الآية الكريمة يؤكد أن فعل الفعل الذي هو مطلوب، وهو صبر جاء بصيغة الماضي ولم يجئ بصيغة أخرى، ثم إنه مربوط بـ"لو" يعنى لو تحقق فعل الصبر من قبلهم لكان خيرا لهم، ثم " أن تفيد التأكيد فهذا

(1) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، أشرف عليه وراجعته كمال محمد بشر، عبد الغفار حامد هلال، الصورة للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص960.

(2) عبد الوهاب زكرياء وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي؛ دراسة تحليلية في القرآن الكريم، ص153.

(3) رابع بومعزة، نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، ص117.

ينتسق مع ثبات الفعل "ثبت المقدر قبل ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم.

ب- من الشعر العربي:

الشعر العربي يعج بحالات الحذف بين أشطره وأبياته؛ فالشعر يعتمد على عمليات تحويلية أهمها الحذف، فهو ملائم للبلاغة والاختصار سمة من سمات الشعر في كل اللغات، وإنما في الشعر العربي يتمظهر هذا الحذف بشكل متنوع وكثيف، ولا نستثني نوعا من أشكال الشعر العربي قديما وحديثا، والمثل الذي سنحيي به سمة الحذف ونحللها لسانيا من منطلق توليدي تحويلي، ونرى هل تتوافق معاني النظرية اللسانية مع جماليات الشعر، فهناك الحذف السماعي مثلما هو موجود في "أهلا وسهلا" والتقدير حلت أهلا ونزلت سهلا، أما في الشعر فكثيرا ما "يحذف المفعول به، والمعطوف أو المعطوف عليه، والمستثنى وخبر" إن" مع النكرة خاصة نحو قول الشاعر الأعشى:

إنّ محلا وإنّ مرتحلا*** وإنّ في السفر إذ مضوا مهلا

أي: إنّ لنا محلا وإنّ لنا مرتحلا حيث حذف خبر "إن"، ويحصل أن يحذف عنصرا معمولاً من معمولي كان كما في نحو قول الفرزدق:

أسكرانُ كانَ ابنُ المراغة إذ هجا*** تميما يبطن الشام أو متساكر⁽¹⁾

فنستنتج أن حاجة الشعر للحذف ليست حاجة نفعية فقط، بل هي حاجة ضرورية من الضرورات الجمالية والبلاغية التي يعتمد عليها الشعر العربي، وهذا المنطق اللساني يقر بها في العربية لسانيا ونحويا. ليس ما قدمناه في هذا الجانب الأخير هو ما يري لنا - بإجمال - التحويل وعملياته وإنما في الجانب التطبيقي من البحث ي تسنى أن نشرح أكثر ونتوسع أفضل.

(1) رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي؛ دراسة وصفية وتاريخية-منحى تطبيقي في تركيب الجمل في السبع الطوال الجاهليات، ص137.

خلاصة:

استحبنا أن تكون الدراسة التطبيقية مبنية أساسا على تحليل البنى التركيبية القرآنية نحويا ولسانيا، ولم نتحدث عن النظريات الأخرى للتحويلية بوصف الدراسة مختصة بالقواعد التحويلية الأربع الحذف والاستبدال والترتبة والزيادة، أما التدبيجات الأخرى فلها مجالها الخاص بها وحقل آخر من التنقيب والحفر العلمي.

ما نستولده من استنتاج مما سبق هو أن النظرية اللسانية التحويلية التوليدية قادرة على تحليل مفاهيم اللغة وتفسيرها تفسيراً ذهنياً، ووضعها الوضع العقلي والمنطقي وتأسيس مشتركات اللغة البشرية، من منطلق الاشتراك في بنية عقل الإنسان ومنطقه الواحد الذي خلق به، واللغة العربية هي نموذج من مادة اللغة الكونية البشرية التي تمثل شكلاً نطقياً ونحويًا ودلاليًا وجماليًا من كل أشكال اللغة، فيتم إنفاذ كل مصطلحات الدراسة اللسانية لها دون أن تعترض والسياق العام لها.

ليست اللغة العربية قابلة للنظرية اللسانية بعموم والتحويلية لتومسكي بالخصوص فحسب، وإنما مادة خام ومنجم لعرض أي مقترحات أية نظرية لسانية عامة، وأي منهج أو قاعدة من قواعد النظرية التحويلية.

نرفق الجانب النظري ببحث قمنا بإجرائه حول التطور الأكاديمي في الدراسات اللغوية اللسانية في اللغة العربية، لاسيما في النظرية التحويلية التوليدية والمنظور العربي لها في بعض الكتب والأطاريح في الحظيرة العربية لتبيان مدى أهمية العلاقة بين النظرية التوليدية التحويلية واللغة العربية.

فإن البحث هو محاولة لاستقصاء الاستثمارات العلمية في شقها اللساني المعاصر من قبل اللغة العربية، وكيف أن أجهزة النحو والبلاغة العربية تتقبل المفاهيم المستجلبية من التطور العلمي والتكنولوجي في العلوم الأخرى، وكيف كانت على مدبّه بل أثرت المصطلحات العلمية الحديثة بقاموسها، والبحث مثاره معاينة نظرية تشومسكي "نسبة إلى العالم اللساني الأمريكي أفرام نوام تشومسكي 1928" المعاصرة

النظرية التحويلية، ومنطقية الاستفاد منها في اللغة العربية، وأن اللغة ليست مصحرة لدرجة أنها لا تقبل مفاهيم التحويل النحوي أي في القواعد التحويلية الأربع: (1- الترتيب، 2- والحذف، 3- والاستبدال، 4- الزيادة)، ووقعها البلاغي في اللسان العربي، والدراسة ستستقصي بعض الشواهد من القرآن الكريم لتعرض أدوات النظرية التشومسكية التحويلية، وأهداف البحث الكشف عن نجاعة هذه النظرية بوصفها- في رأينا- منطوق للكشف أسرار اللغة داخل عقل الإنسان وموضوعيتها في الدراسة اللسانية العربية، وكيف تداخلت النظرية اللسانية التشومسكية مع اللغة العربية في كثير من المصطلحات منها مصطلح "الإسقاط" الذي أشار إليه محمد علي عبد الكريم الرديني في كتابه: "مباحث لغوية؛ الحركة الجسمية في القرآن الكريم، المحاولات النقدية للمعجمات القديمة والحديثة علم اللغة وعلم الكينات" الصادر في 2009 عن دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع بعين مليلة الجزائر، في معرض حديثه عن تعريفات الحذف اصطلاحا إذ قال في الصفحة⁽¹⁾: "الحذف عند النحاة والبلاغيين الإسقاط فهو عندهم

(1) يحسن بنا أن نشير إلى أن الوراثة وقبلها الفطرة مكنوزة في الإنسان بطاقاته المختلفة فهي - في نظرنا - معطى من المعطيات التي جهزنا الله بها في هذه الحياة بل فمكرمة من مكرماتها، ولكن التواصل مهم فاللغة ذات سمات تواصلية اجتماعية وهذا ما ركز فيه علماء البيئة والإنسان، فالإكتساب اللغوي مهم جدا حتى نوضح الصورة بان منطوق اللغة في عرفها اللساني بشري واجتماعي غريزيا، ثم تحمل مظاهر تداولية وإيلاغية وبلاغية وشعرية وجمالية ومنفعية وغيرها ونسوق قصة الفتى المتوحش "فيكتور" للتدليل على ذلك؛ حين ذكره محمد حسن عبد العزيز ضمن مبحث "اللغة ظاهرة إنسانية"؛ إذ يتحدث العلماء والمؤرخون عن حالات كثيرة عاش فيها الإنسان منذ ولادته بين الحيوانات أو بمعزل عن البشر، يرجع أقدمها إلى عام 1334 من ويرجع أحدثها إلى عام 1920م، ومن أشهر هذه الحالات حالة الغلام المتوحش "فيكتور" الذي اكتشف قرب نهاية القرن الثامن عشر في مقاطعة "أفيرون" بفرنسا، وقد شوهد وهو عار تماما يبحث عن جذور النباتات ليتخذها طعاما، وحين اقترب منه بعض المتجولين في الغابة تسلق شجرة عالية كما يفعل الحيوان، وكان حين قبض عليه يبلغ الثانية عشرة من عمره، ولم يكن آنذاك يستطيع الكلام، وكان يتصرف تمام كما يتصرف الحيوان المتوحش، وقد قضى الأستاذ "إتارد" خمس سنوات متواصلة في تعليمه الكلام والقراءة، ومع ذلك لم يستطع أن ينطق كلمة واحدة، وإن كان قد نجح في فهم عدد كبير من الكلمات والعبارات، وقد انتهى "إتارد" من بحوثه وتجاربهن إلى أن كلام البشر يتطلب تعزيزا اجتماعيا في مرحلة الطفل اللغة- وهي الموحلة الحاسمة-، وإلا فلن يقدر له أن يتكلم أبدا. محمد حسن عبد العزيز، مدخل على اللغة، دار الفكر العربي، ص 32 و 33. وإن من الضروري عليهم أن يكتشفوا الجهاز النطقي عند الإنسان قبل تعليمه السمات الاجتماعية للغة إلا أن اللغة درية ومران أيضا وحمام لغوي أو انغماس لغوي يجعل الإنسان يتلبس باللغة ويندمج في جوها ويكتسب الطاقة في استخدامها.

إسقاط جزى الكلام أو كله لدليل؛ أي إسقاط عنصر نحوي من الجملة أو البنية الإسنادية التحويلية كإضمار أو إسقاط الخبر من جملة الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد/35)، وهذا الإسقاط من البنية الظاهرة للغة، بينما هناك مساحة لتأويله بالقرائن المنطقية للغة في البنية العميقة أي غير الظاهرة صوتياً أو نطقياً أو شكلياً وخطياً أو غرافولوجياً.

1- إشكالية هذا المدخل النظري كله تتحدد فيما يأتي:

- 1- هل اللغة العربية تقبل البحث العلمي بها وفيها كما يقول دوسوسير في تعريف اللسانيات؟
- 2- كيف نشخص توارد المصطلحات العلمية ومفاهيمها في النظرية اللسانية في اللغة العربية ومنها المصطلحات التوليدية والتحويلية لتشومسكي بوصف النظرية لها تداخلات فرضياً مع اللغات البشرية وهي التي جاءت في فكرة العموميات الأساسية للقواعد اللغوية "Formal universals" التي تفصل الاستعمال السلوكي للبشر بلغاتهم المختلفة والأوصاف السليقية للغة البشرية وفطرية اللغة البشرية والجينية الوراثية اللغوية للبشر مع اختلافهم الجلي في طرائق اللهجات وصور التداول اللغوي المتضمن العلاقة بين التركيب العصبي والنفسي وبين شكل النطق والصوت واللغة التي يحدقونها؟

- 1-2- فرضيات: يقول ليونارد برنشتاين أن "مع كل عام يمر يتأكد الدليل على صدق فرضيات تشومسكي بخصوص وجود نوع من السليقة النحوية ذات الملمح الفطري أو لعلها أن تكون ملكة لغوية طبيعية تتحكم فيها عوامل الوراثة وتتسم بطابعها الكوني الشامل" (محمد هليل، برنشتاين ولغة الموسيقى بين نظرية الأصل المشترك وعلم النحو التحويلي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد السابع والعشرون - العدد الأول، يوليو/سبتمبر 1998، ص 146).

1-2-1- المحتوى: اللغة العربية والنظرية التحويلية التوليدية ووشائج البحث العلمي في معاهد اللغة العربية، وأقسامها وتناول لكتاب رشيدة العلوي كمال: "النحو التوليدي" بعض الأسس النظرية والمنهجية، بوصفه من أواخر الكتب الصادرة حديثا (2014) في المنحى العلمي والتكنولوجي الذي درس النظرية التحويلية والتوليدية.

عرفت الحياة العلمية اللغوية تطورا ملحوظا في الآونة الأخيرة؛ إذ مست الحياة البشرية برمتها تحولات كبيرة من الزوايا الحياتية كلها، واللغة ركن أساس منها؛ فبوساطتها يتم التواصل كما يقول علماء اللسانيات جلهم، وكما هو متواضع على أن اللغة للتواصل، فالحركة التكنولوجية الكبيرة التي لحقت بأدوات التواصل والاتصال قيسا والثورة الكبرى للمعلومات، التي لها أسبابها السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية وحتى الاستدمارية، كانت اللغة تحت مجهر التحديث والتحول، وتسابقا مع هذا التطور أحدثت إضاءات كبرى في اللسانيات المعاصرة، لا أحسب أن اللغة لم يقع عليها قسط منه بل كان انقذاف اللغة العربية مبررا من النواحي المختلفة، فاستحدثت الأجهزة الصوتية واللغوية والأرطوفونية والطبية الخاصة بدراسة اللغة، وما تستجره من وسائل في مخابرها وتطورت المفاهيم النظرية أيضا حتى اتجه "التأويل العقلي في دراسة اللغة، أسهم في تطوير العلوم الإدراكية المعاصرة، وإلى احتواء العلوم الطبيعية لدراسة اللغة كما أسهم هذا التحول إلى دراسة أنظمة الحوسبة، والتمثيل العقلي، وقد أدى ذلك إلى ظهور عديد من القضايا خدمت العربية لغة ولسانيات وتوصلا وتفكيراً وإبداعاً، يرتبط بعضها بقانونية هذا التحرك أو بحدوده الصحيحة⁽¹⁾، والسؤال عن البحث العلمي الأكاديمي في أقسام اللغة العربية في الوطن العربي وغيره، وقبله هل النظرية التحويلية التوليدية صالحة للغات العالم جميعها واللغة العربية أم مصلحة لها أم بين بين؟ وقبل ذلك كله نعود إلى طرح التساؤل الذي طرحه "ستيفن بنكر" عن ما الذي

(1) حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية "دراسات تطبيقية، ص22.

يفسر تشرب اللغات الأم منطقاً واحده في الجانب التخيلي والمنطقي العقلي؟ حتى ولو اختلفت مظاهر التعيد اللغوي ويوجد ما يربو عن 5000 لغة في الكرة الأرضية أو يزيد، وعد ستيفن بنكر هذا السؤال - وهو في سياق البحث العلمي-؛ لأنه عطفه على التساؤل عن "الاكتشافات الحديثة" أو علم الاكتشافات في كثير من الحالات" التي ظهرت في الصحافة، نحو: البنى الأساسية الكلية، والأطفال الأذكاء، ومورثات النحو، وإنسان "نيندرثال"⁽¹⁾ المتكلم، والفصحاء الأغبياء، والحواسيب الذكية المصطنعة، والتوائم المتماثلين الذين افترقوا بعد الولادة، والصور الملونة للدماغ أثناء قيامه بالتفكير، وكما يأمل أن يجاب عن الأسئلة الطبيعية عن اللغات، كالسؤال عن السبب وراء وجود هذه الكثرة منها، ولماذا يصعب تعلمها على البالغين، ولماذا يبدو ألا أحد يعرف جمع كلمة "Walkman"⁽²⁾؛ وطرح السؤال الإنساني للغة بوصف مصطلح "اللغة مؤسسة إنسانية" - أندري مارتيني:

Les institutions humaines résultent de la vie en société; c'est bien le cas du langage qui se conçoit essentiellement comme un instrument de communication.

إذ قال: المؤسسات الإنسانية منتجة للحياة في المجتمع أو المؤسسة، ومن الجميل أن حالة اللغة أو وضعيتها مجعولة في أهميتها كأداة للتواصل فهذه أسئلة نضمها إلى أسئلة بحثنا، والعلاقة الموجودة بين تطور العلم في الحياة البشرية برمتها وبين علاقة اللغة العربية بالنظرية اللسانية الحديثة والمعاصرة التوليدية والتحويلية.

⁽¹⁾ Man Nindrthal: هو إنسان اكتشفه علماء الطبيعة والإنسان الأمريكي وهو قد انقرض بسبب تميز صفاته الفيزيائية عن الإنسان العادي، وأثبت العلماء أنه ذكي جدا ومتطور على أسلاف البشر القدماء أو البدائيين، وهو ناطق ومتكلم واكتشف في منطقة "أوراسيا" شمال الكرة الأرضية وهي مكونة من أوروبا وآسيا، وكان تشكلها قبل 350 مليون سنة تقريبا، وبعضهم أضاف الشرق الأوسط لها وشمال إفريقيا لكون المنطقة منفصلة عن بقية إفريقيا بوساطة الصحراء الكبرى، وتمثل أوراسيا الشرقية بقية آسيا عدا منطقة الشرق الأوسط منها.

⁽²⁾ ستيفن بنكر "Steven pinker": الغريزة اللغوية "The Language Instinct"; كيف بيدع العقل اللغة، تعريب: حمزة بن قبلان المزيني، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة العربية، 2000، صفحة مقدمة المؤلف.

1-2-2- النماذج: تتحدد نماذج هذا الجزء في الآتي:

أولاً: في بنيتها ومعناها مكتنزة بالأسرار اللغة العربية.

ثانياً: استكناها لبعض الأسس التي حاول الأكاديميون العرب تأطيرها وتعليمها في المساحة الجامعية.

ثالثاً: الرؤية الأكاديمية للدارسين العرب للنظرية التوليدية التحويلية وعلاقتها باللغة العربية.

1-2-3- أهداف: تتلخص أهداف الدراسة فيما يلي:

إن عملية البحث في اللغة العربية في أوساط الحياضات العربية الجامعية المختلفة دائر على أشده؛ وذلك من خلال الكتب التي تكتب والأطاريح التي تناقش؛ لتروم مستوياتها المختلفة أي المستويات اللسانية بالدرجة الأولى صوتاً أو في علم الأصوات العام وال fonology على حدّ السواء، بما في ذلك المظاهر الصوتية والما فوق صوتية كالتنغيم والنبر والتطريب، وغير ذلك وصرفاً وتصريفاً وتركيباً ونحواً ودلالة، وهذا مجاله في الجانبين الأدبي واللغوي في أفق واحد؛ إذ المعلومات النظرية في اللغة العربية وقواعدها إن هي إلا أدوات للتحليل النقدي والوصف الأدبي، وما الأدب إن لم يكن أجناساً مختلفة شعراً بأنواعه ونثراً بفنونه المختلفة، وحتىّ الجوانب التاريخية والتأصيلية للغة العربية والسياقية والسيميائية، وغيرها ومن خلال الندوات التي تقام وتطبع في أغلبها مساطر أو الملتقيات والمؤتمرات، فتعالج مسائل قد عرضت للغة العربية في عصرنا المجايل لنا، وكانت طرأت على نظام الدراسة في مختبرات اللغة العربية وصفوفها المختلفة من الأساس إلى المتوسط إلى الثانوي إلى الجامعي، ومن ذلك ندوات جامعة الرباط بالمغرب التي يخرجها القائمون عليها في شكل مجلات دورية محكمة تنتظم - كلّ مرّة - في عقد محور رئيس تتعقد عليه أو تنهض عليه معظم المقالات والمداخلات وفي هذا الصدد لا يمكننا إغفال جهود المجالات اللسانية بالمغرب

العربي الشقيق، والدراسات التي أنتجها كبار الباحثين في هذا المضمار من أمثال عبد القادر الفاسي الفهري وغيره.

ولا يجاز لنا إنكار الدارسين العرب الذين أفاضوا في التبحُّث والحفر في أسرار اللغة العربية، وخاصة في البحث في المظاهر الجديدة للنقد العربي الأدبي واللساني، وما هي التحولات المهمة التي انقذت فيها والمفاهيم الفلسفية والفكرية المذبذبة - حين التحليل - فيه؟ ويقمن بنا أن نشير إلى مسألة باتت ضرورية في نظرنا أن النقد اللساني من أهم النقود التي تفهم بها الجملة في العربية والنص، وتقرأ بها النصوص الإعجازية، كما تقول السعدية عزيزي، لأنه فجر إشعاعا كبيرا في البحث اللساني في الجامعات الجزائرية والمغربية والعربية بشكل عام، وفتَّح الأنظار حول اللغة وأسرارها، وعلاقة اللغة العربية بمنطق اللغات جميعها واشتراكها مع اللغات الأخرى واختلافها عنها، ومثال ذلك كتاب: "في النحو المقارن بين العربية والعبرية" للسيد سليمان عليان، الذي تناول فيه الرؤية النحوية بين العربية والعبرية بوصفهما لغتين ساميتين من منطلق التعريف العلمي اللساني الدقيق الأخير لدوسوسير للنحو وهو: " دراسة اللغة بصفقتها مجموعة طرائق التعبير، ويشمل بالتالي الأنظمة التي تعالج البنية والتركيب"⁽¹⁾، ثم تطرق إلى تعريفه في النحو العربي، وهذا كله لأن اللسانيات المقارنة تلفت الانتباه إلى الإنسان والإنسان - في تصورنا - هو مدار البحث العلمي، لأنه سرّ هذا الوجود وقرينة وجود الله الخالق له، فكل تطور علمي حاصل فهو منه وله وعليه وبه، فهو كالتعريف اللساني المعرف للسانيات العامة لدى دوسوسير وغيره، إنها الدراسة العلمية للغة منها وإليها.

كانت كل هذه المنجزات قد جاءت لتأويل ذلك وتفسيره عند الإنسان والمحيط والمجتمع، في ذلك نعرض لدراسة قام بتنسيقها العلمي عبد القادر الفاسي الفهري، وهي

(1) André Martinet, Elément de linguistique général, Armand colin, Paris, France, Quatrième édition, Deuxième tirage, 1998, p9.

بحث شامل حول النظرية اللسانية المقارنة موسومة بـ: اللسانيات المقارنة واللسانيات في المغرب، ونشرتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وهي عبارة عن ندوات ومناظرات حملت رقم "51"، ويقول مقدمها في هذا الصدد: "ولمَّا لشتات هذه الجهود، ومحاولة لتأسيس مجال فرعي في ميدان اللسانيات يهتم بالمحيط اللغوي بالمغرب، ويستغل ما يعرف من خصائص متقاربة أو متباعدة تنسب اللغة العربية الفصيحة (قديمها وحديثها)، أو العربية العامية المغربية، أو لهجات الأمازيغية، بادرنا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بالتعاون مع مؤسسة كونوراد أدناور، إلى تنظيم مائدة مستديرة في موضوع اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب". وقد انعقدت المائدة بين 3 و6 فبراير 1994 بمدينة مراكش، وشارك فيها عدد من الأساتذة والباحثين الدوليين المرموقين، المتخصصين في اللسانيات المقارنة، كما شارك أساتذة وباحثون من مختلف شعب اللغات بالجامعات المغربية، وتمحورت التدخلات حول جوانب من التركيب والصرافة والدلالة والمعجميات، وصفا ونظرا وتطبيقا.⁽¹⁾

وسنعود لعرض منتخبات من التدخلات في دراسات أخرى مشابهة في هذا المجال إن شاء الله. ليس في هذا المضمار فقط تناولت مسألة وشج التصورات حول إمكانية إدخال الأدوات العلمية واستخدامها بشكل فعال في البحث في اللغة العربية على كل الصُّعْد، سواء كانت هذه الأدوات واصفة كأجهزة المكشاف الصوتي ورسم الذبذبات الصوتية، وأجهزة قياس الصوت وشدته، وفي مضامير أخرى كأجهزة الكشف عن التصورات في الدماغ والعلاقة الطبية بين اللغة والعقل، أي على كل الأصعدة العصبية والإدراكية المختلفة والنفسية المرتبطة بنفسية المتكلمين والسامعين، والجوانب الأخرى المنوطة بالعملية التواصلية والإبلاغية بقنواتها المتعددة ورموزها ومكوناتها

⁽¹⁾ ينظر: سيد سليمان عليان، في النحو المقارن بين العربية والعبرية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة- مصر، ط1، 2002، ص8.

كما يقول رومان جاكوبسون، هذا من جهة ومن جهة أخرى لفت الفكر إلى جدلية النظريات القديمة الموروثة في البحث اللغوي والحديثة منها ومناطق التعارضات والتطورات بينهما، وحمام التقاربات والتداخلات بينهما في المفاهيم النحوية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية منها ونماذج أخرى.

وتمثيلاً لذلك نستحب أن نعرض دراسة انبرت للإلماع بأن الدارسين العرب اهتموا برقائيق اللغة العربية في علاقتها بالدماغ لسانيا ومنطقيا، وبالعلم بمستكنهات التكلم والتواصل اللغوي، وهي كتاب: "النحو التوليدي بعض الأسس النظرية والمنهجية" لرشيده العلوي كمال؛ إذ تعكس هذه الدراسة - في نظرنا - مدى مجايلة الخبراء العرب في اللسانيات آخر ما استجد وما توصلت إليه المعامل اللسانية في العالم العربي، فكرا، وتنظيرا، وتطبيقا، وتفسيرا، فقد تحددت في القسم الأول منها: " أهداف ومفاهيم النحو التوليدي"، وفي القسم الثاني "نظرية الاكتساب في جوانبها اللسانية والنفسية والإحيائية"؛ وهذا ما قاله محمد غاليم عن الدراسة أنها: " عمل يسعى إلى توضيح جملة من أبرز المفاهيم اللسانية التوليديية من خلال القسمين المذكورين آنفا، ويشكل القسمان من المفاهيم أساسا معرفيا لا غنى عنه لكل مشتغل بالنظرية اللسانية، على العموم، واللسانيات التوليديية على وجه الخصوص"⁽¹⁾.

أما في مقدمة صاحبة الدراسة فتعرف اللسانيات تقليديا من وجهة نظر علوم الإناسة والأحياء وعلاقتها بالعلوم الأخرى، و"أنها العلم الوحيد الذي يتخذ من اللغة موضوعا له"، كما تحدثت عن قوام اللسانيات التوليديية بوصفها مدققة البحث في هذا المجال، إذ إنها في نظرها تعتمد على " مقارنة افتراضية استنباطية، محورها اللغة الداخلية؛ لأنّ المشكل الأساس بالنسبة إليها هو تفسير اكتساب الأطفال للغتهم الأم،

(1) للاستزادة ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 51، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1996.

وكيفية انتقالهم من معطيات لسانية أولية إلى نحو لغة من اللغات. ثم تفسير وبحث كيفية إمكان توليدهم أعدادا لا نهائية من الجمل رغم محدودية المعطيات اللغات⁽¹⁾، ثم تابعت تبريرها المنطقي للمنهج العلمي لعلماء التوليدية وسبب اختيارهم المنهج العقلي في البحث والتقصي فقالت: " من أجل ذلك، انتهج التوليديون في دراستهم للغة منهجا عقليا، تمثل في عدد من الافتراضات من بينها فرضية فطرية للغة، على اعتبار أن معرفة الطفل باللغة أساسها القواعد الفطرية الموجودة في الدماغ والتي تولد بعض التمثيلات العقلية، مثل تمثيلات الشكل والمعنى⁽²⁾، حتى خلصت إلى وصف ما أنتجه اللسانيون التوليديون بالنحو الكلي، الذي يرى تشومسكي بأنه موضوعا مرتبطا بفطرية اللغة وتشابه الإنسان في اكتسابها وتعلمها والتواصل بها، وهذا لاشتراك الإنسان في اللغة في حد ذاتها ولأنه أصل واحد واللغة قدر عليه.

نلفت النظر إلى أن النظرية التوليدية التحويلية نقلت الأنظار إلى العلم الحديث هي في حد ذاتها؛ وذلك لأن المنطق الذي نهضت عليه هو منطق علمي بل تطرق الأكاديميون في الجزائر والمغرب والمشرق، وحتى في العالم، تناول محاورها من وجهة منطقية منهجية موضوعية دقيقة؛ فهي لا تؤمن بالتخمينات وبالاعتقاد، وإنما تخضع كل الفرضيات إلى التجربة سواء في مسألة اللسانيات التطبيقية أو في اللسانيات العامة، وما يعضد كلامنا هو: "أن المنهجية العلمية تقوم على بناء مجموعة من الافتراضات وإخضاعها للاختبار التجريبي، ويقوم اللساني بتقويم الافتراضات المتنافسة، واختيار أقواها على الصمود أمام الاختبارات المتعددة، ونشير هنا إلى إن لفظ (تجريبي) يختلف عن (تجريبيّ) يحيل الأول على خطوة منهجية في التحليل وفي بناء المعرفة تستخدمها جميع العلوم منها العلوم المعرفية العقلانية، والثاني يقابل

(1) ينظر: رشيدة العلوي كمال، النحو التوليدي بعض الأسس النظرية والمنهجية، منشورات ضفاف والاختلاف بالرباط- المغرب، 2014، ط1، ص14.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص15.

عقلاني، ويحيل على الاتجاه العلمي الذي يرى أن التجربة مصدر المعرفة⁽¹⁾، فعطفا على ما سبق - وبجعل اللغة العربية منوطة بالمعالجة التحويلية التوليدية - فالمعرفة اللسانية العميقة التي أحدثت في عصرنا في كل فروعها، فهي بحث علمي حصيل منذور لاكتشاف اللغة في الإنسان وكيفية اشتغال اللغة في دماغه ونفسه وأعصابه، بل الأسرار الفيزيائية التي تحوط مسألة التفكير والكلام والخطاب والتواصل عنده.

ولما نعود إلى الحديث عن كتاب النحو التوليدي يحسن بي أن أعرض بعض الأسس العلمية التي عرضتها صاحبة الكتاب، والتي عنوانها في الجزء الثامن من الكتاب "الأسس الإحيائية لا كتساب اللسان (أحد الأدلة الخارجية للفطريين)"⁽²⁾؛ إذ تحدثت عن التطور العلمي الحاصل للغة واللغة العربية وكل اللغات التي تدخل في طاولة التشريح اللساني التوليدي التحويلي، فتكلمت عن تنوع الأدلة في الممارسة الإحيائية للغة وتشريح الدماغ، وعرضت صورا علمية كشفية لهذا الأمر، ثم تحدثت عن بلوغ العلم لحقيقة وظائف الدماغ، فتابعته الحديث عن إشراف الدماغ عن الحركات العصبية كلها بما فيها أوامر اللغة، وتناولت مسألة وجود محلية في الدماغ هي المرتكز عليها العمل اللغوي مع عرضها لجدلية الوجود وعدم الوجود، ثم تحدثت عن مناطق اللغة، ونشرت رسوما علمية "شيمات" تظهر سلسلة الروابط الدقيقة بين منطقتي (بروكا) و(فرنিকা)، وذلك في الصفحة 158 من الكتاب، وفي الصفحة الموالية نشرت صورة توضح مناطق مختلفة من الدماغ وهي المنطقة الحسية والحركية والبصرية والمنطقة البصرية للضم والمنطقة السمعية للضم (وتضم منطقة فرنيك في الجهة اليسرى)، والمنطقة السمعية الأساسية والفص الجبهي والفص قبل الجبهي ومنطقة بروكا في الجهة اليسرى، وتحدثت - بعد ذلك - عن سيرورة تكلم اللغة وكل المسائل

⁽¹⁾ ينظر: المرجع السابق، ص 16.

⁽²⁾ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المتعلقة بمعالجة الأصوات المسموعة، وكيفية توليد الكلمات والكلام وهذا هو لب النظرية التوليدية عند تشومسكي، ونلخص ما قان عليه كتاب النحو التوليدي لصاحبته على لسانها فنقول: "لقد قام هذا الخطاب على تناول ظواهر اللغة العربية في إطار لسانيات مقارنة، وكان من أبرز أهدافه إقامة أنحاء عصرية لوصف اللغة العربية في بنيتها الحالية وبنيتها القديمة ووصف لهجاتها، والإفادة من نتائج الأبحاث الأساسية في تطوير مجالات أساسية أخرى عديدة تهتم خدمة اللغة العربية منها مجالات المعالجة الآلية والصناعة القاموسية وأدوات تعليم اللغة ومناهج دراستها"⁽¹⁾، وهذا ما هو إلا ممارسة كل النظريات والوسائل التكنولوجية في البحث العلمي في اللغة العربية، ودمج اللغة العربية نحوا وصرفا وصوتا ودلالة وخطابا في أغلب النظريات اللسانية الحديثة وأكبرها، ومنها النظرية اللسانية التوليدية لشمّل اللغة العربية في الكشف التوليدي، وجعلها مصدر غريبة للنظريات والنتائج العلمية المختصة بالبحث اللغوي الحديث، فهي أي اللغة العربية اشتقاقية وتوليدية، ولها إطار معجمي وقاموسي خاص ولها قوانين نحوية تتوافق مع نظرية توليد الجمل الكثيرة من وحدات لغوية محدودة ومفردات معدودة في قاموسها.

وليس هذا فقط بل يتبين من كلامها اللاحق في تقديمها لكتابها ما نروم البحث فيه في هذا البحث، وما زال متواصلا وهو ارتباط اللغة العربية بالمرتكزات الإبستمولوجية، إذ جعلت هذا السنن هو مأمولها في كتابها قائلة: "وشكلت هذه الأهداف وما يتفرع عنها من قضايا نظرية وتطبيقية المجال التصوري الذي اندرج في البحث اللساني العربي في المغرب، وهو مجال ارتبط في بعده العام بالمرتكزات الإبستمولوجية للثورة العلمية والمعرفية الحديثة، وسعى إلى تطوير الفكر اللغوي العربي الذي ظل تقليديا في جوهره والانتقال به إلى ممارسة معرفية جديدة من حيث

(1) نعوم تشومسكي (Noem Chomsky)، اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، ص13.

النوع؛ إطارها أنموذج علمي يعتبر اللغة قدرة معرفية بشرية، من جهة، ونسقا توليديا من جهة أخرى؛ ومنهجها الاستدلال الواضح ذو الطبيعة الرياضية، وهدفها التفسير⁽¹⁾، وهذا ما أمله تشومسكي في كتابه: "اللسانيات التوليدية"، ولكن بنظرة تتجاوز اللغة العربية وتعد اللغات كلها في بوتقة واحدة وتبتغي نظرية علمية حديثة هي نظرية النحو الكلي أو العالمي أو الكوني ولم لا.

وفيما يتعلق بوجود اللغة العربية في حياض البحث العلمي والتعليم العالي، نورد بعض ما قاله في مستويات نظر إليها في الوطن العربي فيستهلها بمستوى الدساتير الذي يشير - مع بعض النقد - إلى دسترة اللغة العربية في البلاد العربية ويقول: "والجدير بالذكر أن مسألة الرسمية من جملة ما تعنيه أن تمارس العربية في كل المجالات؛ وأن يتم التعامل بها في التعليم والإعلام والإدارات والبحث العلمي، وأن تحترم البنود المرتبطة بدستورية اللغة العربية كما تحترم باقي مواد الدستور المنظم للبلاد"⁽²⁾.

ثانياً مستوى دستور الإعلام: إذ يجعلها مقترحة في لغة الصحافة والإعلام المكتوب والمرئي والمسموع، وذلك في قوله مع نقده دائماً للممارسة الإعلامية للغة العربية: " لكن قوّضت هذه القاعدة المهمة بظهور توجهات وتيارات تدعو إلى استعمال العاميات والدوّارج في الإنتاج الإعلامي والمرئي والمكتوب، فظهرت بعض الصحف والأفلام والبرامج تعتمد الدوّارج والعاميات بديلاً عن الفصحى"⁽³⁾.

(1) رشيدة العلوي كمال، النحو التوليدي بعض الأسس النظرية والمنهجية، ص13.

(2) بلقاسم أيوبي، اللغة العربية والبحث العلمي الجامعي في الوطن العربي، أستاذ اللسانيات التطبيقية وعضو هيئة التدريس بمعهد اللغة العربية للناطقين بغيرها، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بالمملكة السعودية، والنص من محاضرة ألقاها بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر 2013، ص7. منقول من موقع العرفان للاستشارات التربوية والتطوير المهني: الصفحة الرئيسية، تاريخ الدخول للموقع 13-01-2015 في الساعة الرابعة وثلاث عشرة دقيقة مساءً / <http://www.al-erfan.com/index.php/1/146>.

(3) المرجع نفسه، ص8.

ثم المستوى الثالث: وهو محور التعليم والتربية والتكوين.

والمستوى الرابع: البحث العلمي والإبداع والابتكار وهو الأهم في بحثنا هذا وله تصور سلبي عن استخدام اللغة العربية في البحث العلمي؛ إذ يقول إنها أقعد في العلوم الشرعية وبعض حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي مغيبة عن مجالات البحث العلمي والتقني بكل فروعه⁽¹⁾. وهذا الأمر نختلف معه نسبياً، ولو عدنا بعض هذا الإخفاق لقلنا إن عدم اهتمامنا الوافر باللغة العربية واستبعادها الأغلب عن إدماجها في العلم بل وجعلها مثرى العلم ومركزه والإنتاج غير الفاعل في التكنولوجيا الحديثة للبلدان العربية، هي الأسباب التي تؤدي إلى ذلك لكننا متفائلون لمستقبلها العلمي تفاؤلاً مؤكداً.

لا نرى في عمليات التأسيس اللغوي في وقتنا الحاضر ضيراً أبداً مهما تفجرت الدراسات اللسانية واللغوية العالمية في كل اللغات الحية الموجودة في العالم، ومهما تطورت البحوث العلمية، لأن هذا التأسيس هو محاولة اكتشاف اللغة العربية بأدوات حديثة وبوسائل العلم الحديث، بل هو ترسيخ قواعدها وقوانينها وعرضها على المفاهيم اللغوية المعاصرة وانسحاق اللغة العربية في سيل الدراسات اللغوية المستجدة، بل هذا - في نظرنا - مستحب ولكن مع مراعاة المنطق الجديد الذي تدرس به اللغات وتحلل به المفاهيم اللسانية.

ونرى أن أعمق ما توصلت إليه الدراسات العربية المعاصرة ولوجها في مساق البحث اللساني التحويلي التوليدي لأنه في نظرنا هو الذي يتفحص اللغة من زاوية بمنطق موضوعي علمي دقيق أخذ على عاتقه كل التصورات العلمية المستجدة، وليس دراسة تركيبية فحسب أو انغماساً في نظريات النحو الداخلية، وأنه لا يعدو البنيتين السطحية للغة والكلام والبنية العميقة لهما بل كل ما يتطور الإنسان في أدواته وقوانينه،

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها..

ويكتشف المزيد من أسراره إلا وكانت النظرية اللسانية مواكبة لاكتشاف علمي يتمشى وهذا التطور، وأهم نقطة تخدم اللغة العربية في تصورنا هي الرؤية العلمية الموضوعية للغات البشرية، بوصفها قدرا إنسانيا موحدا هو يقود إلى أقدار إنسانية عديدة، ولا توجد حيدة عن السر الجوهري للغة الإنسانية "إذ أقبل الباحثون والدارسون على إجراء التحليلات والتطبيقات على اللغات الإنسانية المختلفة، للتأكد من قدرة هذه القواعد والأسس على الوصف اللغوي الدقيق، والتفسير العلمي المحكم للملكة اللغوية عند الإنسان"⁽¹⁾.

إن دراستنا للنظرية التركيبية في اللغة العربية في القرآن الكريم انعقدت من وجهتين متمازجتين، وجهة النحو والنظرية اللغوية العربية، ووجهة اللسانيات الحديثة نقصد اللسانيات التحويلية التوليدية لاستخراج نظرية موحدة، جمعت كل النظريات اللسانية المكتشفة من سيبويه حتى تشومسكي وجورج لاكوف وغيرهما من العلماء المعاصرين المشتغلين باللسانيات العامة، وفروعها وحتى اللسانيات التطبيقية.

⁽¹⁾ حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية "دراسات تطبيقية"، ص6.

الباب الأول:

التوجيه الدلالي للتحويل في صور التراكيب

التي يكون المسند فيها فعلا

في ربيع (مريم)

الفصل الأول:

صور التحويل بالزيادة

ودلالة الغرض

مفهوم الزيادة:

الزيادة في النحو العربي إضافة مبنوية يترتب عليها إضافة معنوية تتغير بموجبها دلالة التركيب معنى ذلك، والزيادة التي نجعلها "عنصراً تحويلياً هي تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة (...) كلمات قد تكون فضلات أو قيوداً"⁽¹⁾، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق توجيه دلالي للكلام يقتضي زيادة في معناه، "ونورد هنا في الزيادة الدلالية للمعنى ما قصده السيوطي بالزيادة في فائدة الكلام إذا ما زيد لتقييد الفعل بقيد من المفعول المطلق أو به أو له أو فيه أو معه أو حال أو تمييز أو استثناء؛ فكل زيادة بهذا المعنى على الجملة التوليدية الفعلية أو الاسمية قاضية بتحويل المعنى إلى معنى جديد"⁽²⁾، والجرجاني يقول: "كلما زدت شيئاً (...) وجدت المعنى قد صار غير الذي كان"⁽³⁾، وأكد الزيادة نفر من العلماء منهم سيبويه (ت180هـ) وابن جني (ت392هـ) والسيوطي (ت911هـ)، إذ قال السيوطي في الإِتقان، في معرض حديثه عن السّين وسوف والتفاضل بينهما في نظر النحو تفسيراً إنّ "كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى"⁽⁴⁾.

ما يهّمنا في الزيادة أنها معيار من معايير زيادة عنصر لغوي على الركنين الأساسيين الفعلين أو الاسميّين، أي الزيادة فالزيادة التي تُعدّ عنصراً من عناصر التحويل، هي تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة التوليدية كلمات قد تكون فضلات أو قيوداً، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق زيادة في المعنى، وقد تكون وحدات لغوية، لغرض النفي أو التمني أو التعجب أو الاستفهام أو الترجي..."⁽⁵⁾.

نلمح إلى صورة من صور التوكيد لا بالمعنى الحرفي، ولا بأدوات التوكيد المعهودة كـ "قد" التّحقيقية، أو لام التوكيد، أو أدوات النّواسخ وغنما بالاختصاص الذي غالباً ما ينعقد مع أداتين أكثرها وأوقعها إفادة للمعنى الاختصاص وبلاغة المغزى، إذا شكل

(1) ينظر: رباح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم - صورها وتوجيهها البياني، ص38.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص38.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص411.

(4) السيوطي، الإِتقان في علوم القرآن، الباب 1، ج1، ص475.

(5) رباح أحمد بومعزة، البنية العميقة لصور التحويل بالترتيب والزيادة، الربع الثاني من القرآن الكريم نموذجاً، جامعة الملك عبد العزيز، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، 2014، ص20.

التوكيد بين "ما"، و"إلا" كما هو في المثال "ما ضرب زيدا إلا عمرو؛ فمنطقية هذا الاستعمال اللغوي واللساني في البنية التركيبية هو أن هناك "معنى لطيفا، وهو أنك إذا قلت: "ما ضرب زيدا إلا عمرو"، كان غرضك أن تختص "عمرا" بـ"ضرب" زيد"، لا بالضرب على الإطلاق، وإذا كان كذلك، وجب أن تعدّي الفعل إلى المفعول من قبل أن تذكر "عمرا" الذي هو الفاعل؛ لأن السامع لا يعقل أنك اختصته بالفعل معدّي حتى تكون قد بدأت فعديته، أعني لا يفهم أنك أردت أن تختص "عمرا" بـ"ضرب" زيد" حتى تذكره له معدّي إلى زيد؛ فأما إذا ذكرته غير معدّي فقلت: "ما ضرب إلا عمرو" فإن الذي يقع في نفسك أنك أردت أن تزعم أنه لم يكن من أحد غير عمرو ضرب، وأنه ليس -ههنا- مضروب إلا وضاربه عمرو" (1) وهذا في مسار الحديث عن التقديم والتأخير، وكذلك ما في البنية التحويلية للآية الكريمة: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنبياء/2)، أو الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ (الأنبياء/7).

(1) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 350.

أولاً: صور التحويل بالزيادة التي لغرض النفي بأنواعه في البنى التركيبية التحويلية وتوجيهها الدلالي في ربيع مريم:

1- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "لا" على الجملة الفعلية في ربيع مريم: وقد أحصين هذا التحويل في الآيات: 39، 42، 42، 42، 42، 62، 70، 87 من سورة مريم. و 24 مرة في سورة طه، و 19، 20، 24، 27، 28، 43، 45، 66، 95، 102، 103، 23، 47، 10، 30، 46، 67، 66، 39، 43 من سورة الأنبياء. و 8، 12، 12، 52، 55، 73 من سورة الحج. و 44، 56، 62، 62، 65، 65، 74، 88، 101، 108، 116، 117 من سورة المؤمنون. و 3، 3، 4، 19، 33، 33، 37، 37، 60 من سورة النور. و 3، 3، 3، 9، 21، 33، 56، 56، 58، 68، 68، 72 من سورة الفرقان. و 4، 10، 18، 20، 24، 26، 41، 48، 50، 61، 65، 73، 80، 80، 82، 85 من سورة النمل. و 152، 201، 202، 226 من سورة الشعراء، و 9، 9، 11، 13، 13، 23، 35، 39، 41، 50، 55، 56، 57، 60، 71، 72، 76، 77، 78، 80، 82، 83، 84 من سورة القصص. و 2، 17، 53، 60 من سورة العنكبوت. و 6، 6، 30، 39، 45، 52، 52، 56، 57، 57، 59، 60 من سورة الروم. و 3، 3، 8، 22، 23، 25، 28، 30، 30، 36 من سورة سبأ. و 15، 16، 17، 18، 37، 52، 39، 50، 65، 65، 53، 59، 60 من سورة الأحزاب. و 4، 15، 17، 18، 26، 27، 29، 29 من سورة السجدة. و 18، 25، 33، 33 من سورة لقمان. و 2، 2، 11، 14، 14، 18، 20، 20، 21، 21، 22، 35، 36، 39، 39، 43 من سورة فاطر.

2- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "لم" على الجملة الفعلية في ربيع مريم: وأحصيناه في الآيات: 4، 7، 9، 14، 20، 20، 32، 43، 46، 83 من سورة مريم، وسبع مرات في سورة طه، أما في سورة الأنبياء فلم يكن ورود لم على البنية التحويلية الفعلية، ووردت "لم" إحدى وسبعين 71 مرة في سورة الحج، بينما كان ورودها في سورة النور في الآيات: 4، 6، 13، 28، 35، 40، 41، 58، 62 أي تسع مرات، وفي سورة المؤمنون عثرنا عليها تسعا وستين مرة، وثمان مرات في سورة الفرقان في

الآيات: 2، 2، 28، 40، 45، 67، 67، 73، وفي الشعراء جاءت ستّ مرات في الآيات: 7، 18، 116، 167، 197، 225، وفي سورة القصص سبع مرات في الآيات: 31، 64، 48، 50، 57، 58، 64، 78، أما في سورة العنكبوت فاستعملت "لم" ثلاث مرات فقط في الآيات: 19، 51، 67، بينما وجدناها أربع مرات في لقمان في الآيات: 7، 20، 29، 31، في حين كان ورودها في السجدة سبع مرات في الآيات: 5، 9، 19، 20، 25، 27، 60، وفي سبأ مرة واحدة في الآية التاسعة، وفي فاطر مرتين في الآيتين 37، 44.

3- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "ما" على الجملة الفعلية في ربيع مريم:

وردت 6 مرات في سورة مريم مرات، وذلك في الآيات 28، 28، 35، 64، 64، 92، أما في سورة طه فوردت ثلاث مرات 2، 16، 86، وفي سورة الأنبياء مرة واحدة في الآية 65، بينما جاءت في خمس آيات في سورة الحج وهي الآيات: 2، 18، 52، 71، 78، وفي سورة النور فأربع مرات في الآيات: 16، 21، 47، 54، في سورة المؤمنون نشهد مجيئها عشر مرات في الآيات: 17، و 23، 24، 24، 32، 37، 38، 43، 43، 91، وفي النور أربع مرات في الآيات: 16، 21، 47، 54، وفي الفرقان خمس مرات في الآيات: 18، 19، 20، 56، 57، وفي الشعراء خمسا وعشرين مرة في الآيات الآتية: 8، 67، 99، 100، 103، 109، 112، 114، 121، 145، 127، 158، 164، 174، 180، 199، 208، 209، 210، وفي النمل ستّ مرات في الآيات: 49، 56، 60، 65، 81، 93، وفي القصص اثنتي عشرة مرة في 19، 27، 36، 38، 44، 45، 46، 46، 59، 59، 63، 68. وفي العنكبوت اثنتي عشرة مرة في الآيات: 12، 18، 22، 24، 28، 29، 39، 40، 43، 47، 48، 49، وأما في سورة الروم فكان ورودها مرة واحدة في الآية التاسعة فقط، بينما تكرر ورودها أربع مرات في سورة لقمان في الآيات: 27، 32، 34، 34، وفي السجدة لم يكن هناك عملية تحويل بزيادة ما النافية على الجملة الفعلية التحويلية البتّة، أمّا في سورة الأحزاب فرأيناها في ثلاث عشرة مرة في الآيات المعروضة بالتتابع في الآية: 4(ثلاث مرات)، 12، 13، 14، 20، 22، 22، 23، 36، 38، 40، وتكررت في ورودها خمس عشرة مرة في سورة سبأ وذلك في الآيات: 14، 14، 21، 22، 28، 34، 35، 37، 43، 44، 44، 45، 47، 49

(مرتين)، بينما عثرنا عليها في سورة فاطر عشر مرات كاملة في الآيات الآتية: 12، 19، 22، 22، 37، 42، 44، 45.

4- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "لن" على الجملة الفعلية في ربيع مريم:

لم ترد في سورة مريم مطلقاً ووردت مرة واحدة في طه في الآية الثالثة، أما في الأنبياء ففي الآية 87، بينما في الحج فثلاث مرات في الآيات: 37، 47، 73، ولم ترد لا في المؤمنون ولا في النور ولا في الشعراء ولا في القصص ولا في الفرقان ولا في النمل ولا في الروم ولا في العنكبوت ولا في السجدة ولا في لقمان، بينما وردت مرتين في سورة الأحزاب في الآيتين: 16، 62، جاءت مرة واحدة فقط في سورة سبأ في الآية 31، في حين وردت مرتين اثنتين فقط في سورة فاطر في الآية 43.

5- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "ليس" على الجملة الفعلية في ربيع مريم:

وردت في سورة الحج مرة واحدة في الآية 71، ووردت في سورة النور ستّ مرات في الآيات: 15، 29، 58، 60، 60، 61، 61، وجاءت -كذلك- في سورة العنكبوت ثلاث مرات في الآيات: 8، 10، 68، كما جاءت مرتين فقط في سورة الأحزاب في الآيتين: 5، 32، ووردت مرة في سورة لقمان في الآية 15.

6- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "إن" التي بمعنى لا أو ليس " على الجملة

الفعلية في ربيع مريم:

ترد "إن" - غالباً - مع أداة القصر إلا وكان ورودها في سورة مريم مرتين في الآيتين: 71، 93، وفي طه مرة واحدة في الآية الثانية، وفي الأنبياء مرة واحدة أيضاً في الآية السادسة والثلاثين، ووردت في سورة المؤمنون أربع مرات في الآيات: 25، 37، 38، 114، ووردت سبع مرات في سورة الشعراء في الآيات: 109، 115، 127، 137، 145، 180، 186، ووردت في سورة النمل مرتين في الآيتين: 68، 81، وفي سورة الفرقان مرتين أيضاً في الآيتين: 4، 41، وفي سورة الروم مرة واحدة في الآية 58، وفي سبأ ثلاث مرات: 43، 46، 47، وفي فاطر ثلاث مرات كذلك في الآيات: 23، 24، 40.

7- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "هل" التي بمعنى "لا" على الجملة الفعلية في ربع مريم:

وجدناها في سورة النمل مرة واحدة في الآية 90؛ وذلك في معنى لا، والآية الكريمة هي: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي "من الشرك"⁽¹⁾ بمعنى لا تجزون إلا ما كنتم تعملون وهذا شكل خفي من أشكال التحويل الداخلي الذي لا يظهر في بنية، وإنما يستثمر في تبادل أدوار الأدوات كما رأينا مع "إن" وأداة القصر "إلا" وكما تستعمل "هل" في سياق النفي فلها مساقات أخرى، كاستعمالها في القرآن الكريم بمعنى "قد" التحقيقية، وذلك في معرض الحديث عن شيء مؤكد خلقياً أو تاريخياً، كما جاءت في صدر سورة الإنسان في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ (1/); أي قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً. وسنعرض إلى هذا النوع الاستثنائي من التحويل في خانة خاصة ونفرد له باباً موشوجاً به، ولعله يكون مبحثاً خاصاً في دراسة مستفيضة مستقلة به.

وقال البعض: إن "الاستفهام في معنى النفي بقرينة الاستثناء. وورود {هَلْ} لمعنى النفي أثبتته في "مغني اللبيب" استعمالاً تاسعاً قال "أن يراد بالاستفهام بها النفي ولذلك دخلت على الخبر بعدها "إلا" نحو {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: 60]. والباء في قوله: ألا هل أخو عيش لذيد بدائم. وقال في آخر كلامه: إن من معاني الإنكار الذي يستعمل فيه الاستفهام إنكار وقوع الشيء وهو معنى النفي. وهذا تنفرد به {هَلْ} دون الهمزة. قال الدماميني في "الحواشي الهندية" قوله: يراد بالاستفهام بـ {هَلْ} النفي يشعر بأن ثمة استفهاماً لكنه مجازي لا حقيقي اهـ. وأقول: هذا استعمال كثير ومنه قول لبيد: هل أنا إلا من ربيعة أو مضر. وقول النابغة: وهل علي بأن أخشاك من عار"⁽²⁾.

(1) الولاء البلخي (أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي)، التفسير، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، ج1، 2003، ص487.

(2) الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (1393هـ))، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط1، ج19، 2000، ص323.

كما وردت "هل" بمعنى "لا النافية" في سورة سبأ في آيتها الثالثة والثلاثين وهي: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي "ويقال لهم: هل هذا إلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا، مما يسخط ربكم ويغضبه منكم من شرك به ومعصية له"⁽¹⁾، وهي بمعنى لا يجزون إلا ما كانوا يعملون فوردت في الأولى بعدها فعل مضارع لما لم يسم فاعله وهو لجمع المذكر المخاطبين أي أنتم بينما في الثانية فوردت بعدها فعل مضارع لما لم يسم فاعله لكن لجمع المذكر الغائبين.

8- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "ألا" و "الآ"، وكلاً على الجملة الفعلية في ربع مريم: وردت ألا ثلاث مرات في سورة مريم؛ وذلك في الآيات: 10، 24، 48، هي في أصل تكوينها الشكلي والبنوي المركب مركبة من "أن" و"لا" مدغمتين ببعضهما فبقيت الهمزة وألحقت بها "لا النافية" مشددة وحذفت النون صوتياً مع الإدغام فأصبحت تقرأ ألا، فهي قد أجريت عليها عمليات تحويلية على كتلتها اللغوية حتى صارت في هذا الشكل الكتابي والنطقي والقرائي الذي بين يدينا.

وفي القرآن الكريم كثير من هذه الأنواع من التغييرات السبقية للقراءة القرآنية أي تهيئة للشكل اللغوي الأول وتمنحه اللغة، ثم دخول تحويلات صوتية تمس الجانب التجويدي والترتيلي والقرائي بشكل عام ساعة قراءة القرآن، وهذا لا يكون طبعاً عارضاً وإنما له دلالات في تكوين منطوق اللغة العربية ومنطقية القرآن الكريم وتلاؤماً صوتياً ودلالياً ومعنوياً يخدم المغازي العميقة من القرآن الكريم.

ووردت "ألا" التي للنفي وليست للتحضيض ست مرات في الآيات: 25، 106، 124، 152، 161، 177، بينما وردت بصورة "أن لا" أي "ألا" مرتين في الآية الثالثة والـآية الحادية عشرة من سورة الشعراء دائماً، بينما وردت بشكل "كلاً" في الآية الخامسة عشرة من سورة الشعراء دائماً، ونجدها مرة واحدة في سورة النمل بصورة "ألا" في الآية الخامسة والعشرين، بينما وجدنا صورة للنفي بغير في سورة الأحزاب في الآية 58.

(1) المراغي، ج 20، ص 25.

ثانيا: الزيادة التي لغرض التوكيد: (الإنكار - الطلب) و (الحصر - القصر).

التوكيد هو معنى من المعاني التي ترمي إليها الجملة العربية وهو "يفيد تقوية المؤكّد وتمكينه في ذهن السامع وقلبه"⁽¹⁾، وينهض التحويل بزيادة مؤكّد أو مؤكّدين أو ثلاثة أو حتّى أربعة وقد يكون بقرائن هي كلمات ك "أبدا" أو فعلا، دائما أو ببعض الحروف كحروف التعريف "الألف واللام" مثلا وحروف التويد أيضا وهي "إنّ، أنّ، والنون، ولام الابتداء، وقد"⁽²⁾، وقد مسّ التوكيد البنى التركيبية التوليدية، وهو قسمان:

1- الزيادة التي لغرض التوكيد(الإنكار - الطلب):

أ- بمؤكّد واحد:

الصورة الأولى: البنية: قد + فعل ماض أو مضارع:

وقد ورد على هذه الصورة 20 آية كريمة، وهي - مع الماضي- في الآيات الجليلات الآتيات:8، 9، 36، 47، 61، 75، 80(مرتين)، 99، 111، 115 من طه، و42 من الحج، و1، 12، 17، 66 من المؤمنون، و41، 63 من النور و77 من الفرقان.

ومثال البنية التركيبية التحويلية مع الماضي في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون/1): وهذه البنية التركيبية التحويلية بدئت ب "قد"، وهي "وحدة لغوية دلالتها التوكيد"⁽³⁾، أو هي "حرف تحقيق"⁽⁴⁾ ثم تلاها الفعل الماضي "أفلح" بما يحمله من دلالة قاموسية"⁽⁵⁾، فانعقدت دلالة التوكيد؛ لأنّ قد تفيد التحقيق مع الفعل الماضي وتلاها

(1) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 2007 مج3، ص112.

(2) حفني ناصف و محمد دياب و مصطفى طموم و محمد صالح، الدروس النحوية، دار العقيدة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، د-ط، الكتاب الأول، 2007، ص483.

(3) رباح بومعزة، البنية العميقة لصور التحويل بالترتيب والزيادة-الربع الثاني من القرآن الكريم أنموذجا، ص46.

(4) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص681.

(5) يذكر عبد الرحمن أيوب أن الدلالة القاموسية للفعل دلالة مركبة "كدلالة(كَتَبَ) التي تتضمن دلالاته على كلّ من "الحدث" و"الزمن" و"شخص الفاعل" (الغائب)، و"جنس الفاعل(المذكّر)"، وعدد الفاعل(مفرد)...إلخ. ينظر: مقالته: "النظم اللغوية والتطور"، ص130. ينظر: محي الدين محسّب، علم الدلالة عند العرب؛ فخر الدين الرازي نموذجا، ص147.

الفاعل "المؤمنون"، وهي جملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب، وأصل البنية "أفلح المؤمنون"، ومن الحسن أن نذكر تحليلاً لسانياً لما سمّاه بعضهم بالتفسير التحتي السيويهي للتركيب اللغوي بخصوص البنية التوليدية "قد" + فعل ماض "أفلح".

يقول سيويهي "إنّ قد ذهب هي بنية سطحية لبنية عميقة هي قد كان منه ذهاب؛ فحملاً وقياساً على هذا نقول إن أصل البنية في منطق هذا التركيب "قد كان من المؤمنين فلاح" وعطفاً على الآيات التي تتالي بعدها يكون التقدير، فلو عدنا لتحليل كلمة سيويهي في هذا الباب لقنا بأنّ سيويهي تعامل مع الجملة العربية في ضوء بنيتها السطحية وبنيتها العميقة، وأدرك بشكل ما أن الأولى مجال غير منته، وأن الثانية محدودة العدد، وأشار في هذا النص على ما يسمّى اليوم حديثاً بـ Classification بدليل ذكره ما هو محدّد صنفاً ممّا ليس كذلك"⁽¹⁾، وهذا مبين لأن سيويهي أبان عن أن اللغة لها منطق سطحي وأصلها الذي تؤول إليه إنما هو منطقها العميق والتحويل حاصل بينهما في البنية التركيبية التي يتحكم فيها الإنسان لإصابة الأغراض الدلالية المختلفة باختلاف السياق والمقام، وهذا ما هو ماثوث في القرآن الكريم.

ومثال البنية التركيبية التحويلية مع المضارع في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور/63): وذلك "أن المنافقين كانوا يتلوذون ويخرجون عن الجماعة ويتركون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمر الله جميعهم بألا يخرج أحد منهم حتى يأذن له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبذلك يتبين إيمانه"⁽²⁾، وقد من المعلوم عليها أنها تفيد التحقيق مع الفعل الماضي وهنا وصلت بفعل مضارع "يعلم" وهي لا تفيد الندرة أو التقليل؛ إذ إنها تفيد التقليل والتكثير على حسب السياق المستعملة فيه، لكنّها جاءت لتحقيق أن هذا الفعل مرتبط بعدد فعلات التسلل، فكأنه قال: قد يتسلل منكم المتسللون والمتلوذون وفي كلّ مرة يعلمهم الله عزّ وجلّ، وأصل البنية العميقة لهذه البنية السطحية هي "يعلم الله الذين يتسللون" ولكن الدلالة التي وجّهت البنية التركيبية التحويلية هي دلالة

(1) ينظر: عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، د ت، ص123.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص322.

توكيد" التهديد بالمجازاة"⁽¹⁾، بل بنيت على العنصر المزيد "قد" فكرة المفارقة في القرآن الكريم عند بعضهم وهنا لنوع مفارقة الإيهام، وهذا لا يتعارض مع توجيهنا الدلالي للتركيب؛ إذ "المعلوم أن" قد" ترد مع المضارع فتقيد التقليل؛ أي تقليل وقوع الفعل، واستعمال "قد" في الآية للتهكم؛ فهو تعالى يعلم حقيقتهم، ولا تخفى عليه خافية"⁽²⁾.

الصورة الثانية: البنية: السين(س) + فعل مضارع: وهو في الآيتين 135 من طه، و35 من القصص.

ومثاله في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (طه/135): الزيادة في بنية التركيب الفعلي جاءت بزيادة السين التي تدخل على الفعل المضارع لتقيد تحقق وتوكيد الفعل في الزمن القريب وقبلها زيادة حرف الفاء ثم يأتي الفعل "ستعلمون" وأصل البنية "تعلمون" ونشهد بداء علاقة بين الفاء الأولى في الفعل فتربصوا والفاء الثانية التي لحقت فستعلمون وهذا توجيهه الدلالي في التلاحم النصي بين الجمل وبين الأفعال والعناصر النحوية داخل الجمل.

الصورة الثالثة: البنية: لا الناهية + فعل مضارع + نون التوكيد الثقيلة⁽³⁾: ووردت على هذه الصورة الآيات: 117 من طه، و57 من النور، و87 من القصص. ومثاله قول العزيز: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه/117): أصل البنية العميقة لها "يخرجكما" فزيدت الفاء، ثم "لا" الناهية التي تنهى عن إخراج الشيطان لهما من الجنة، ثم الفعل المضارع "يخرج" الذي حوّل بزيادة نون التوكيد الثقيلة عليه أي النون المشددة، فتأكدت دلالة التوكيد بهذه النون التي تتضح بالتوكيد، فهي بنية تحويلية خرجت لغرض الطب بالنهي وهو المعنى العميق أنهما لا

(1) الرازي (محمد بن عمر المعروف بفخر الدين)، مفاتيح الغيب، نسخة محققة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الجزء 24، ص425.

(2) محمد العبد، المفارقة القرآنية؛ دراسة في بنية الدلالة، ص85.

(3) يحسن بنا الإلماح إلى أنه "يؤكد الفعل بإحدى التونين: الثقيلة وهي المشددة المفتوحة غالبا نحو لتذهبن يا زيد، والخفيفة وهي المفردة الساكنة نحو لتذهبن أو لتذهبا (فيجوز أن تكتب الخفيفة بعد الفتحة نونا ساكنة، كما يجوز أن تعامل معاملة التونين في آخر المنصوب فتكتب ألفا). وقد اجتمعنا في قول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف/32). ينظر: أمين علي السيد، في علم النحو، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط5، 1994، ج2، ص155.

يدعانه يخرجهما من الجنة فيشقى، ويسقيا، ولتلمح معنى خفي نوجهه بإضافة النون في هذا السياق وهو أن الشيطان عازم أو قادر فعلا على إخراجها وقد أخرجها حقيقة، "مع أن المخرج هو الله تعالى"⁽¹⁾. ولذلك تحقق توكيد هذا الفعل بالنون وجلاء شرعية النهي عنه، وإعراب الآية الكريمة: "(فَلَا) الفاء عاطفة ولا ناهية (يُخْرِجَنَّكُمَا) مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا وفاعله مستتر والكاف في محل نصب مفعول به (مِنَ الْجَنَّةِ) متعلقان بيخرجنكما والجملة معطوفة (فَتَشْقَى) الفاء فاء السببية وتشقى مضارع منصوب بأن المضمر بعد فاء السببية وفاعله مستتر أن المضمر والمفعول في تأويل مصدر معطوف على ما قبله"⁽²⁾.

ب- بمؤكدين:

الصورة الأولى: البنية: اللام(ل) + قد + فعل ماض أو مضارع: وورد (25) مرة، وهو في الآيات: 29، 50 من الفرقان. و15، 21، 54، 68 من النمل. و34، 46، 63، 23، 49، 76، 83 من المؤمنون. و10، 41، 51، 54 (وفيها آيتان) ، 65، 105 من الأنبياء. و77، 90 من طه. و3، 14 من العنكبوت.

ومثاله في قول الله تعالى وعزّ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (النور/34): والبنية التحويلية مزيدة باللام التي للتوكيد وحرف التحقيق "قد" على الفعل الماضي "أنزلنا" وأصل البنية العميقة لها أنزلنا إليكم آياتٍ. وقد يجيء مسبقا بالفاء أي تسبك الفاء مع حرف التحقيق "قد" وذلك ورد في الآيات: 4، 19، 77 (في آيتين)، 6 من الشعراء، ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (الفرقان/4).

الصورة الثانية: البنية: اللام(ل) + فعل + نون التوكيد: وقد ورد 33 مرة، وهي في الآيات: 49(وفيها آيتان)، 21(وفيها ثلاث آيات)، 29، 49(وفيها آيتان) من النمل. و116 من الشعراء. و53، 55(وفيها آيتان). و40، 57 من "المؤمنون". و40، 58،

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص106.

(2) دعاس، قاسم حميدان دعاس(القرن15)، إعراب القرآن الكريم، دار المنير و دار الفارابي، دمشق- سورية، د ط،

59، 60 من الحج. و46 من الأنبياء. و71 (وفيها آيتان) من طه، و79، 13 (وفيها آيتان)، 7 (وفيها ثلاث آيات)، 9، 10، 11، 12 من العنكبوت.

ونقف على مثال لهذه الصورة مع الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ (طه/71):

الصورة الثالثة: البنية: إما+ فعل مضارع + نون التوكيد الثقيلة: وقد جاء على هذه الصورة في 132 من طه، و93 من المؤمنون، ومثاله في قوله تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه/123): هنا التحويل بالزيادة يقرأ في ظل الجملة الشرطية التي ابتدئت بالفاء ثم إما وبعد الجملة المؤكدة بنون التوكيد الثقيلة التي التحقت بالفعل المضارع يأتيتكم.

الصورة الرابعة: البنية: "هل" التي للاستفهام الإنكاري +فعل مضارع أو ماض+نون التوكيد الثقيلة أو المباشرة : وورد في 15 من الحج، و50 من الفرقان، ونمثل له بالآية الكريمة: ﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ (الحج/15): الدلالة و"الفائدة في الكلام أنه إذا لم يتهياً له الكيد والحيلة بأن يفعل مثل هذا لم يصل إلى قطع النصر، وقرأ أهل الكوفة بإسكان اللام، وهذا بعيد في العربية؛ لأنّ ثمّ ليست مثل الواو والفاء؛ لأنها يوقف عليها وتنفرد⁽¹⁾، والزيادة حاصلة بحرف الاستفهام"هل" على الفعل المؤكّد بحرف"النون" نون التوكيد الثقيلة، وأصل البنية العميقة للآية الكريمة"يذهب كيدُهُ ما يغيظ، أو مغيضه على إتمام عملية التأويل؛ لأنه محوّل بالاستبدال بالجملة الموصولية، وقد مرّ معنا في مبحثه.

(1) النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، ص90 .

الصورة الخامسة: البنية: "إذا"⁽¹⁾ + اللام(ل) + فعل ماضي: وهو في الآية 91 من "المؤمنون"، وفيها آيتان على هذه البنية، وهذه البنية استهلكت وصدرت باستفهام استنكاري فالبنية التركيبية التحويلية للإنكار، وهو قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ، وَهُوَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾.

ج- التوكيد بألفاظ التوكيد:

كل: عددناها (37) مرة، وهي في الآيات الآتية: 15، 50، 98 من طه، وفي 30، 72، 79 من الأنبياء، وفي 2، 3، 5 من الحج، وفي 2، 17، 21، 45 من النور، وفي 2، 39 من الفرقان، وفي 16، 23، 83 من النمل، وفي 37، 63، 95، 222 من الشعراء، وفي 57، 75 من القصص، وفي 40 من العنكبوت، وفي 18 من لقمان، وفي 27، 40، 52، 55 من الأحزاب، وفي 7، 19، 21 من سبأ، وفي 12، 13، 36 من

(1) نلمح إلى الفرق بين "إذن" وإذاً في الكتابة، إذ تكتب إذن (بالتون) إذا جاء بعدها فعل مضارع، منصوب، نحو: قال لك صديقك: أنا مسافر غداً، فقلت له: إذن سأزورك قبل سفرك، وشرط ذلك: - أن تدلّ "إذن" على جواب حقيقي - أن يكون المضارع بعدها مستقبلاً محضاً - أن لا يفصل بينها وبين المضارع، إلا بالقسم، أو (لا) النافية، أو هما معاً، - أن تقع في صدر جملتها؛ فلا يرتبط ما قبلها بما بعدها في الإعراب، عدا ذلك فإنها تكتب هكذا: "إذاً" بالألف، وهذا مشاهد في ورودها في القرآن الكريم على هذا النحو، ومخطوطة بهذه الشاكلة.

ينظر: جمال بن الشيخ، المرجع في قواعد الإملاء، ملحق جداول تصريف الأفعال، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، عين مليلة، أم البواقي، الجزائر، د ط، 2001، ص 56-57.

"إذن" جواب وجزاء يقول الرجل: سأزورك، فنقول: إذن أحسن إليك فأنت أحبته وجعلت إحسانك إليه جزءاً لزيارته، فالإحسان مشروط بالزيارة، فكانت (إذن) هنا جواباً وجزءاً، وقد تتمحّص للجواب فلا يكون فيها مجازة، وذلك نحو أن يقال لك: أنا أحبك، فنقول: إذن أظنك صادقاً، فلا مجازة فيها؛ أي حبك مظنون عندي أي مشوب بالظن في تحقّقه، وينتصب الفعل بعدهما المضارع بشرط تصديرها واستقباله واتصالها بالفعل.

ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج 3، ص 299-300.

وإنه لمجردة الإشارة إلى أنّ "إذاً" لها صيغتان في الكتابة فنكتب -أيضاً- إذن، وقد تنزل منزلة المؤكّد الذي له وظيفة التقصير "القصر" كأنما وهل، وذلك نحو قولنا "إذن عبد الله يقول ذلك"، لا يكون إلا هذا من قبل أن إذن الآن بمنزلة إنّما وهل، كأنما قلت: إنّما عبد الله يقول ذلك، ولو جعلت إذن هنا بمنزلة كي وأن لم يحسن، من قيل أنه لا يجوز لك أن تقول: كي زيد يقول ذلك، ولا أن زيد يقول ذلك، فلما قبح هذا جعلت بمنزلة هل وكأنما وأشباههما".

ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 15-16.

فاطر، ومثالها في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (الأنبياء/72).

جميع: جاءت مرة واحدة وهي في قول الله تبارك وتقدس: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ (النور/61): وجميعا حال منصوية من الجملة الفعلية، أن تأكلوا، وجميعا المزيدة لتوكيد الجملة المنفية كلها؛ أي ليس عليكم جناح أن تأكلوا، وتوكيد الأكل على هذه الحالة أو بهذه الصفة.

أجمع: وردت أربع مرات وهي في الآية 123 من طه، وفي 65، 170 من الشعراء، وفي 13 من السجدة. ومثاله قوله تعالى: ﴿فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء/170).

2- الزيادة التي لغرض الحصر والقصر:

نلمح إلى أنّ هذه الزيادة تتمّ بمؤكّد واحد أو بمؤكّدين وتختلف المزيدات على الجملة الفعلية وهي محصورة عندنا في:

1-2- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"إنّما" مع الفعل: وهي زيادة بمؤكّد واحد وهو "إنّما".

وقد تخالفت زيادة إنّما على الجملة الفعلية الماضوية والمضارعية وهي مجتمعة

11 مرّة:

أ- **الجملة الماضوية:** ووردت في خمسة مواضع في 69، 90 من طه، وفي 115 من المؤمنون، و51 من النور، و91 من النحل، وجاء في الآية الأخيرة الفعل مبنيا لما لم يسمّ فاعله. ومثاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاحِرًا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه/69): زيادة وقعت على الفعل صنعوا وهي بأداة القصر التي تروم التوكيد "إنّما"، وأيضا أسلوب لا يفلح الساحر حيث أتى، فالمعنى صنعوا كيدَ ساحر، وعدم إفلاح الساحر بإتيانه الدائم؛ أي لا يؤمن حيث وجد⁽¹⁾، فحيث "ظرف مكان أريد به التعميم من

(1) الألوسي، (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نسخة محققة، ج8، 1415هـ، ط، ص 541.

تمام التعليل⁽¹⁾، وقد تكون قراءة "أَنَّ ما صنعوا بفتح الهمز، أي لَأَنَّ ما"⁽²⁾، أو "إِنَّ ما صنعوا : من قرأ كيدُ بالرفع، ففي "ما" وجهان؛ أحدهما هي بمعنى الذي والعائد محذوف أو محوّل بالحذف باصطلاحنا، والثاني مصدرية، ويقرأ بالنصب على أن تكون ما كائفة، وإضافة "كيدُ" إلى "ساحر" إضافة المصدر إلى الفعل"⁽³⁾، وهنا تتحقّق توطيدية إنّما وتوجيهها الدلالي الذي يباين البنية من الإخبار "صنعوا كيد ساحر" إلى التوكيد بقصر مصنوعهم، أو صنعهم على أنه كيد ساحر، أو "سحر كما قرئ بإضافة الجنس على النوع"⁽⁴⁾، ومعناه أيضا "إن الذي عملوا هو عمل ساحر، يعنى كبيرهم، وما صنع موسى فليس بسحر (ولا يُفْلح الساحرُ حيث أتى) أينما كان الساحر فلا يفْلح"⁽⁵⁾، وهذا عين التوكيد في هذا المعنى.

ب- الجملة المضارعية: ووردت في ثمانية مواضع، في 72 من طه، و45 من الأنبياء، و55 من المؤمنون، و50 من القصص، و40 من النمل، و6 من العنكبوت، و78 من القصص. وجاء في الآية الأخيرة الفعل بعدها مبنيا لما لم يسمّ فاعله. ملحوظة: قد تستهل "إنما" بالفاء كما في الآيتين الكريمتين 40 من النمل و6 من العنكبوت.

والمثال الذي نورده في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت/6): والزيادة هي "إنما" التي تلتها جملة فعلية مضارعية مثبتة مؤكّدة، وهي "يجاهد لنفسه"، والفعل يجاهد في محل جزم فعل جواب الشرط؛ لأنّ: إنّما "كافة ومكفوفة، والفعل الأول "من جاهد" فهو في محل جزم فعل الشرط، والأصل يجاهد لنفسه، فهي قصر لمعنى الجهاد المشروع والمطلوب والحقن والمستدرّ للثواب والأجر من الله، فكأنه قال: غنما الجهاد فهو يكون للنفس وفيها؛ أي "جهاد حرب أو جهاد نفس"⁽⁶⁾،

(1) المرجع السابق، ج8، ص541.

(2) التّحّاس، إعراب القرآن، ص49.

(3) المرجع نفسه، ص897.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) البلخي، التفسير، ج2، ص334.

(6) ينظر: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، مذيلا بأسباب النزول للسيوطي، دار القدس للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1986، ص396.

ويحور ثوابه إلى المجاهد لا إلى الله وهذا تأكيد خفيّ على الجهاد في حدّ ذاته، ولما ينذر هذا الجهاد؛ إذ يحرّر الله عزّ وجلّ خالصاً له، فيقع نوره وفائدته على الإنسان لينفع ذاته؛ أي "منفعة جهاده له لا إلى الله"⁽¹⁾، وما تساوق والآية الكريمة دالّ على ذلك؛ إذ أعقب الله عزّ وجلّ، للزيادة في تأكيد المعنى السابق فقال: إنّ الله لغني عن العالمين، "الإنس والجنّ والملائكة وعن عبادتهم"⁽²⁾. وهذا تأكيد-أيضاً- في مقابل المؤكّد السابق، وهو بـ"إنّ" واللام على الجملة الاسمية العميقة "الله غنيّ عن العالمين".

وكما في قوله: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (طه/72): التحويل في بنية هذه الآية بحرف النفي "لن" التي تفيد نفي الفعل المضارع مستقبلاً وهو "تؤثرك"، وأصل البنية الفعلية "تؤثرك"، ووحدة القصر "إنما" نشم منها معنى النفي فتقدير البنية العميقة للجملة لا تقضي إلاّ هذه الحياة الدنيا وهذا نمط سنفرده له تحليلاً خاصاً به في البحث إن شاء الله.

2-2- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ "ما" التي للنفي والفعل و"إلاّ"، أو "ما" مع "الفاء": فهي بمؤكدين. وقد ورد هذا التحويل 13 مرّة؛ 10 مرّة مع الفعل الماضي، و3 مرات مع الفعل المضارع.
أ- الجملة الماضوية:

- التحويل بالزيادة على الفعل الماضي المبني للفاعل (المعلوم): ورد عشر مرات: في 20، 56، 57 من الفرقان، و56 من النمل، و59 من القصص، و88 من الشعراء، و7، 25، 107 من الأنبياء. ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفرقان/56): وهنا الزيادة أغرضت للقصر؛ فزيادة ما وإلاّ قصرت شيئين على بعضهما، وهما إرسال الله لمحمد صلّى الله عليه وسلّم، مبشراً ونذيراً، فله انتفت الصفتان "التبشير والإنذار" لما أرسل، وهذا توكيد حاصل وظاهر وثابت.

(1) المرجع السابق، ص396.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ب- الجملة المضارعية: ورد (3) ثلاث مرّات:

الصورة الأولى: الفعل المضارع المبني للفاعل (المعلوم): ورد مرتّين: في 5 من الشعراء، و 2 من الأنبياء. ومثاله في قوله تقدّس وتنزّه: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (الشعراء/5).

الصورة الثانية: الفعل المضارع المبني للمفعول (المجهول) مع الفاء التي يقدر بعدها مبتدأ "هو": وورد مرة واحدة وهو في 60 من القصص في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص/60).

وتقدير البنية التركيبية العميقة للآية الكريمة فهو متاع الدنيا وزينتها، وينضاف تحويل آخر هو التحويل بحذف أو بتقدير المبتدأ المنوط بسياق الآية، و"وقرى «فمتاع الحياة» بنصب الكلمتين على المصدر، وعلى الظرف أي يتمتعون متاعا في الحياة الدنيا"⁽¹⁾.

2-3- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"لا" والفعل المضارع مع "إلا": وقد أحصيناه 11 مرّة في الربع المبحوث.

الصورة الأولى: لا + فعل مضارع مبني للفاعل (المعلوم) + إلا: ووردت على هذه الصورة الآيات الآتية: 108، 111 من طه، و 62 من المؤمنون، و 3 من النور وفيها بنيتان تحتويان على عناصر التوكيد هذه، و 31 من النور وفيها بنيتان جمليتان تحتويان على عناصر التوكيد هذه أيضا، و 65 من التمل، و 33 من الفرقان.

والمثال الذي نقف عليه و الآية الكريمة: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (طه/108).

الصورة الثانية: لا + فعل مضارع مبني للمفعول (المجهول) + إلا: وردت على هذه الصورة الآيتان الكريمتان: 80، 84 من القصص، ومثاله قوله عزّ وتنزّه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (القصص/80)؛ حيث تكونت البنية التركيبية المحوّلة من "لا" المزيدة على الفعل المبني للمفعول "يلقّاه"، وأعقب بعده بالاستثناء بـ"إلا".

(1) الجاوي (محمد بن عمر نوي البننتي إقليميا، التناري بلدا)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د ط، ج 2، 1417هـ، ص 203.

2-4- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ "إِنَّ التِّي لِلنَّفِي" والفعل مع "إِلَّا" التي للقصر: وعدّها (8) مرّات، ووردت على هذه الشاكلة التحويلية الآيات الآتية:30، 114 من المؤمنون، و8، 41 من الفرقان، و81 من النمل، و19 من القصص وفيها جملتان تحتويان جاءتا على هذا النحو، و36 من الأنبياء.

أ-الجملة الماضية: وهي في الآيتين الكريمتين 30 من المؤمنون وجاءت على هذه الصورة: **إِن + فعل ماضٍ + اللّام**: وهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (المؤمنون/30): وأصل البنية قبل التحويل بالنسخ أي دخول "كان" نحن مبتلون، ثم حوّلت بزيادة "كان" ثم حوّلت بزادة أخرى وهي إضافة "إِن" وزيادة اللّام التوكيدية على "مبتلين"، و"إِن" مخففة، و" اللام " فارقة، وقيل: " إِنْ " نافية و" اللام " بمعنى "إِلَّا" وتقدم ذلك مراراً فعلى الأول معناه : وقد كنا، وعلى الثاني: ما كنا إلا مبتلين، فيجب على كل مكلف أن يعتبر بهذا الذي ذكرناه، وقيل: المراد لمعاقبين من كذب الأنبياء، وسلك مثل طريقة قوم نوح، وقيل: المراد كما عاقب بالغرق من كذب فقد نمتحن من لم يكذب على وجه المصلحة لا على وجه التعذيب، لكيلا يقدر أن كل الغرق يجري على وجه واحد⁽¹⁾، و"إِن مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين إِنْ النافية وليست إِنْ نافية واللام بمعنى إلا والجملة حالية أي وإن الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر"⁽²⁾.

ب-الجملة المضارعية: جاءت-على هذه الصورة- الآيات الكريمات الآتيات: 8، 41 من الفرقان، و81 من النمل، و19، 19 من القصص، و36 من الأنبياء. والمثال المورد هنا هو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (طه/36): والزيادة جاءت بـ"إِن" و"إِلَّا" وهما لبلوغ القصر أيضا، فقصر اتخاذهم إياه؛ أي لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على استهزاء، أي لا تأكيد هذه النوع من الاتخاذ والقصر وقع عليه، وأصل البنية العميقة للتركيب "يَتَّخِذُونَكَ هُزُوًا، من دون أي تحويل في درجة المعنى، أي بغير تأكيد.

(1) ينظر: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880 هـ)، تفسير اللّباب ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، د ط، ج1، دت، ص3764.

(2) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج9، ص230.

2-5- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"لم" والفعل المضارع مع "إلا": وقد أحصيناه مرّة واحدة وهو في الآية الكريمة 6 من سورة النور وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

2-6- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"من التي للشرط الجازم" والفعل الماضي مع "الفاء +إن": فعددها ضمن البنية التحويلية المؤكدة بالحصص والقصر فالشرط هو شكل من أشكال القصر؛ إذ قصر تحقق المعيشة الضنكة لكلّ من أعرض عن ذكر الله عزّ وجلّ، وقد ورد في الآية 124 من سورة طه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾. التحويل بزيادة حرف الاستئناف الفاء على الناسخة إنّ ومعمولها؛ فهي تحويل بالزيادة للتوكيد على ما أصله جملة اسمية هي معيشة ضنكا له.

2-7- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بحرف استفهام(هل) + فعل مضارع أو ماضٍ +إلا: وهو في الآية 90 من النمل، و9 من طه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل/90): والأداتان للزيادة بنفع التوكيد للتقصير هما "هل" و"إلا" وهل لم تفد هنا السؤال وإنما أفادت النفي أي لا تجزون إلا ما كنتم تعملون والتقدير التحويلي العميق تعملونه، بزيادة العنصر المحوّل المفعول به، وإن كانت "هل" استعملت لغرض التوكيد أي بمعنى "قد"، وذكر هذا سيبويه⁽¹⁾، و"الأصل مسبوكة بهمزة الاستفهام" أهل"، ولكنهم تركوا ألف الاستفهام؛ لأنّ (هل) لا تقع إلا في الاستفهام⁽²⁾، وهي في قوله تعالى مع التأكيد: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان/1)؛ أي "قد أتى"⁽³⁾ على الإنسان فهو بغرض التقرير لحقيقة أن الإنسان لم يكن شيئا يذكر، "ولا يعرف ولا

(1) سيبويه، الكتاب، ج1، ص492.

(2) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج4، ص210.

(3) أبو عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بـغلام الثعلب (261هـ/ت12 ذو القعدة 345هـ)، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، حققه وقدم له: محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، السعودية- المدينة المنورة، 1423هـ - 2002م، د ط، ج1، ص547.

يدرى ما اسمه ولا ما يراد به، يريد: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن [ينفخ] فيه الروح⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (طه/9): هذه البنية محولة بالزيادة غير الجذرية أو التواتية بلب الزيادة المحلية بحرف الاستفهام "هل"، الوحدة اللغوية التي هي مضمومة إلى أصل توليدي هو البنية التوليدية "أتاك حديث" فقط، ثم قيد الفاعل بالإضافة "موسى" لتخصيص المقيد "حديث"، بأنه لموسى الإنسان والنبى وليس لغيره، والأصل أتاك حديث، وهل وموسى مضافتان فشكلتا مع البنية المولدة أو الأصلية مضامة تحويلية.

2-8- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بفعل ماض له دلالة الحرف الذي له وظيفة النفي (أبى)+إلا: وورد في الآية 50 من الفرقان وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: وأبى فعل ماض ومعناه "رفض" وتأبوا على أن يؤمنوا وإنما مافعلوا وقالوا إلا كفورا؛ أي القصر كان بزيادة تحويلية تمثلت في "الفعل: أبى" وإلا، فالمعنى توكيد دلالة ماقاموا به وهو: لم يكن منهم إلا كفور في مقابل ما نشده الله منهم وهو "التذكّر، أو التذكّر"، وتدلّيا على ذلك ذهب الطاهر بن عاشور في تفسيره؛ إذ قال: "تركيب جرى بمادته وهيئته مجرى المثل في الإخبار عن تصميمي المخبر عنه على ما بعد حرف الاستثناء، وذلك يقتضي وجود الصارف عن المستثنى، أي فصموا على الكفور لا يرجعون عنه لأن الاستثناء من عموم أشياء مبهمة جعلت كلها مما تعلق به الإباء كأن الآبين قد عرضت عليهم من الناس أو من خواطرهم أمور وراجعوا فلم يقبلوا منها إلا الكفور وإن لم يكن هنالك عرض ولا إباء، ومنه قوله تعالى في سورة التوبة الآية 32: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ﴾؛ ألا ترى أن ذلك استعمل هنا في مقام معارضة المشركين للتوحيد في سورة براءة في مقام معارضة أهل الكتاب للإسلام، وشدة الفريقين في كفرهم معلومة مكشوفة ولم يستعمل في قوله تعالى في سورة (الصف/8): ﴿يُرِيدُونَ

(1) ينظر: البغوي (أبو محمد بن حسين مسعود (ت 510 هـ))، معالم التنزيل "تفسير البغوي"، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله بن النمر عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط4، ج8، 1997، ص289.

لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴿١﴾ . والكفور: مصدر بمعنى الكفر. وتقديم نظير في سورة الإسراء، أي أبوا إلا الإشراف بالله وعدم التذکر⁽¹⁾.

ثالثاً: صور التحويل بالزيادة التي لغرض الاستفهام بأنواعه في البنى التركيبية التحويلية وتوجيهها الدلالي في ربع مريم:

بعد عملية إحصائنا للتراكيب القرآنية الواردة في ربع مريم كلها واقتفينا كل التحويلات التي وقعت على مباني الجمل الفعلية بزيادة الاستفهام بمخرجاته الغرضية المختلفة أقصد التنبيه التذكير التوبيخ الاستفهام الاستكاري والحقيقي والتعجبي وغيره من مجمل الاستفهامات عثرنا على الصور التحويلية الآتية:

إن زيادة عنصر لغوي على بنية إسنادية لهو صورة من صور بناء المعنى وتكثيف الدلالة، ولما يكون جميم من المعاني المتوافدة بتوافد هذه الأحرف والأدوات النواسخ، ولذلك راح بعض العلماء يكتبون في إشكالات الزيادة على البناء كتباً مختلفة ككتاب محمد ذنون يونس⁽²⁾ وغيره.

ومن الأمثلة الإجرائية لتوضيح مفهوم الزيادة في تراكيب القرآن الكريم نضرب مثلاً بالزيادة بالحروف على نظام العلاقات الجمالية، التي تبدو زائدة في الشكل ولكن معناها يظل يؤشر بعمق دلالي مصروف إلى ظاهرة تأكيدية أو إثباتية أو غير ذلك، مثل قوله: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الحج/25)، إذ دخلت عليه الباء، وهذا الحرف "الباء" كثيراً ما يوجد في كلام العرب الأول الذي نزل القرآن به وإن كان يعز وروده في كلام المتأخرين، قال عمرو بن العلاء: "اللسان الذي نزل به القرآن، وتكلمت به العرب على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- عربية أخرى عن كلامنا هذا، نقول: قد قيل إن الباء زائدة والمعنى أي البنية العميقة الأصلية للتركيب ومن يرد فيه إلحاداً والباء قد تزداد في مواضع من الكلام، ولا يتغير به المعنى، وعليه شواهد من كلام العرب"⁽³⁾.

(1) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص72.

(2) ينظر: محمد ذنون يونس، مشكلة زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم، جامعة الموصل، العراق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها. كمال جلال الدين، الإتيان في علوم القرآن.

(3) محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، ص63-64.

فهذه الزيادة إضافة في بنية التركيب بجر عنصر "إلحاد" وأصله منصوب على المفعولية، وجر عنصر ظلم أصله ظلما تمييزية قد يخرج المعنى المحول إلى توجيه دلالة التصاق الإلحاد بالذين يفعلون هذا الفعل؛ أي الكفر والصد عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام الذي جعل للناس سواء العاكف فيه والباد، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج/25).

هذا الفعل مفعول "بظلم"؛ أي ظلما لأنفسهم وللناس، فخفضه لإلحاد بزيادة الباء لو ظلم "بظلم" لو حللناهما جيدا لوجدنا الباء جرت إلحادا، ولو صيغت الجملة بصورتها دون الزيادة ومن يرد فيه إلحادا لاقتطع فعل الإلحاد اقتطاعا، وكان لا يعمل استمرارية لصوقه بهم وكأن الله ألصق هذه الصفة آن فعل إرادة الإلحاد والظلم بوصفه وسيلة وحقيقة قارة فيهم وأراد الله عز وجل أن يبين - أيضا - إن الذي يستجره الإلحاد يفعل هذا الفعل من قبل ومن بعد، ومستهل الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾، والآية التي تليها: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج/26)، لاستظهار المفارقة بين الإيمان الحنيف الصافي للأنبياء الذي أخلصهم الله بخالصة ذكرى الدار والناس عطف الآية الآتية "وإذ بوأنا لإبراهيم" ومعلوم إن سيدنا إبراهيم عليه السلام وعلى الأنبياء والمرسلين الرمز الأكبر في الحنيفية السمحاء الخالية من أية ذرة من الإلحاد أو الإشراف بالله ففي الزيادة - حسب رأينا - معنى لم يتحقق في الجملة غير المزيدة بالباء.

ومن الزيادة بالحرف الذي له وظائفه النحوية والبلاغية زيادة "ما" التي تدخل على الفعل فتكون نافية مثل ما قدروا الله حق قدره، أو تدخل على جملة مبتدأة بأداة جزم "لم" فتكون موصولية؛ أي بمثابة اسم موصول نحو "علم الإنسان ما لم يعلم أو جاءت بعدها لا مثل ما لا تعلمون؛ ف"حيث وقعت ما قبل ليس أو لم أو لا أو بعد إلا فهي موصولة نحو ما ليس لي بحق ما لم يعلم ما لا تعلمون إلا ما علمتنا"⁽¹⁾.

(1) السيوطي عبد الرحمن بن كمال جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، الجزء 1، ص 514.

ومن بين صور التحويل بالزيادة بإغراض النفي جملة الآية الكريمة ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ (الفرقان/40)، هناك فعل ناسخ "كان" مضافة إليها الواو للضمير المؤدّي وظيفة اسم كان، ثمّ الأداة المزيّدة هي لا النافية لعملية النشور، فلا يرجون نشورا هي خبر الناسخ "كان"، فالمعنى "العميق هو غير راجين نشورا وتقدير الآية في صورتها العميقة قبل إدخال الناسخ بل غير راجين نشورا وزمن نفي الرجاء حاصل في ماضيهم الماضي المعبر به تحويليا بـ"كانوا"⁽¹⁾.

وهناك الزيادة بأفعال التّصيير كـ"أصبح" مثلا كما رئي في الآية الكريمة: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف/42)، فالجملة المركبة "أصبح يقلب كفيه" جاء ورودها "مؤدية وظيفة خبر الفعل الناسخ (أصبح)"⁽²⁾؛ فهي من أفعال التقليل الزمني والحالي أي تقلب الزمن والحال أي تشتمل زمن الفعل الصباح وتشمل في العمق تغيير الأمر مع الأخذ بدلالة الأزمنة الصباح المساء الضحى، ويوجه بعضهم دلالة هذا التحويل "بالمزاولة والتفصيل في حدوث الحدث"⁽³⁾ والفعل.

ومن مظاهر التّوسعة-وليست الزيادة التحويلية- في الوحدة المضافة المزيّدة إلى الوحدة الإسنادية الوصف بالجملة الفعلية مثلا كما في قول الله عز وجل: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه/20) فـ"تسعى" صفة لحية؛ أي ساعية"⁽⁴⁾.

وفي سياق الآية الفعل واعم السرد الذي أورده الله بين سيدنا موسى عليه السلام وبين إسرائيل من السحرة، فالفعل متجدد والمضارع يضعنا في صورة الحدث وزمنه، فلو قال فهي حية سعت لما كان من معنى البرهانية وحضور الحجة والمعجزة الإلهية، فالبنية العميقة للآية فإذا هي حية ساعية فحول الاسم النعت إلى جملة فعلية مضارعية بسيطة، وهذه لها توجيهاتها الدلالية الثرة أن الحركة ملائمة لحدث الإنجاز وتحويل الله عصا موسى حية ولوضعنا في المشهد الحي المسرود.

(1) رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص148.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص166.

وفي النسخة التحويلية الغربية نستطيع إضافة كلمات أو عناصر إلى الجملة، ليس حروف جر أو عطف أو غيرها فقط وهذا في اللغة الإنجليزية مثلا، وليست خالية من أي معنى تماما ولكن لأغراض صوتية ونطقية تتلاءم مع الصيغة النطقية لأست أصحاب هذه اللغات، فقد أشار عبده الرَّاجحيّ إلى قواعد الزيادة أو الإقحام عند التحويليين (Insertion rules) وكيف أنهم يشيرون إلى أن هناك تركيبات نظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على معنى في العمق، وإنما تفيد وظيفة تركيبية وقد تعد لونا من ألوان الزخارف (Trappings) ويكون ذلك بكلمات مثل (It-there) مثل:

1- There is a hippopotamus in that cornfield. هناك في ذلك فرس النهر.

2- There are many people out of work. هناك الكثير من العاطلين عن العمل.

فكلمة (There) لا تقدم دلالة، للمعنى التام للجملة وإنما هي فاعل سطحي للفعل

الموجود في الجملة، أي أنها نوع من الزيادة ومن ثم فإن التركيب في الجملتين:

1-A hippopotamus in that cornfield.

2-Many people are out of work.

وكذلك استخدام كلمة (It) في نحو:

1-It is raining. كانت السماء تمطر.

2-It is Penelope that took my book. (1) فمن بينيلوب التي أخذت كتابي.

للتوضيح بينيلوب هي رمز للوفاء حتى يتحقق الهدف المأمول والمرجو.

فهي زيادة تركيبية لأنها تقدم فاعلا في السطح، إنَّ الزيادة في بناء الجمل الاسمية

والفعلية -على السواء- لا تتحقق تركيبيا إلا بإيفاد عناصر نسميها أدوات الزيادة، أو كما

يسمها رابح بومعزة عناصر الزيادة؛ إذ يقول: "إنَّ الزيادة التي تعدّ عنصرا من عناصر

التحويل هي تلك الزيادة التي يضاف فيها- إلى الجملة أو الوحدة الإسنادية التوليدية-

كلمات تعدّ فضلات أو قيودا، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق زيادة في

المعنى"⁽²⁾؛ وذلك للتوسّع في الدلالة السياقية للبنى التركيبية الموجهة دلاليا؛ إي التي

تحمل ثقلا دلاليا يتشارك مع كل تركيب مزيد.

(1) ينظر: رشيدة عبد الحميد اللقياني، حروف الجر الزائدة، ص30.

(2) رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم، ص38.

نلمح إلى أن هناك أنواعا كثيرا من عناصر الزيادة إذا تعلق الأمر بالفضلات كالمفاعيل المختلفة من مفعول به وفيه ومعه ولأجله أو له والمطلق، وكما أن التمييزات والاستثناءات والأحوال وغيرها تندرج في حزمة أدوات الزيادة في اللغة العربية والقرآن الكريم، وسنرى ذلك بعد استخراجنا هذه العناصر من بنى الجمل القرآنية الاسمية والفعلية الكريمة، وتراكيبها إن شاء الله.

﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾ (مريم/2): نلمح إلى زيادة مفعول به وبدل على بنية هذه الآية الكريمة؛ فالمفعول به "عبده" و"زكرياء" البديل من المفعول به، فهما عنصران مضافان إلى الجملة المبتدأة بالمصدر "ذكر"، "فعبده" مفعول به للمصدر "رحمة" و"زكرياء" بدل منصوب من المفعول به "عبده" الملحق به ضمير الإحالة لكلمة "ربك"، وهما يوسعان الدلالة ويوضحان النواة التركيبية المتأسسة عليها قصة سيدنا زكرياء في إطار قصة مريم عليها السلام، فالعبد زكرياء هو المغدق عليه هذه الرحمة التي حضّض الله عزّ وجلّ نبيّه محمّداً - صلى الله عليه وسلّم - على ذكرها، وهما عنصرا التحويل التركيبي لجملة الآية الكريمة.

الإعراب: "ربك عبده": مضاف إليه مجرور للتعظيم بالكسرة وهو مضاف والكاف مضاف ضمير المخاطب في محلّ جرّ بالإضافة، "عبده": مفعول به بالمصدر "رحمة" منصوب بالفتحة وهو مضاف والهاء ضمير متّصل مبني على الضمّ في محلّ جرّ بالإضافة، زكرياء: بدل من "عبده" منصوب مثله بالفتحة المقدّرة على الألف الممدودة للتعدّر أي تعدّر ظهور حركة النصب، أو منصوب بالفتحة الظاهرة في آخره إذا أثبتنا الهمزة في آخر زكرياء⁽¹⁾.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ خَفِيًّا﴾ (مريم/3): "إذ" هي عند الجلالين "متعلقة بـ"رحمة"⁽²⁾، وهو بمعنى حين، فأعرابه "ظرف زمان ماض مبني على السكون في محلّ نصب"⁽³⁾، فهو عنصر من عناصر الزيادة لهذه الآية الكريمة والتي تحولت بإضافة الظرف إلى الجملة

(1) ينظر: بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مج7، د ت، د ط، ص5.

(2) الجلالان، التفسير، ص305.

(3) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، ص607.

الفعلية "نادى ربه نداءً خفياً"، وهناك تحويل للبنية المقدرّة بالأساس بعنصر المفعول المطلق "نداءً" للفعل نادى، وعنصر الوصف "خفياً" فالمفعول المطلق "نداءً" مصدر مؤكّد منصوب بالفتحة، خفياً صفة نعت لنداء منصوب مثله بالفتحة الظاهرة في آخره⁽¹⁾؛ فهذا المصدر مرّمته توكيد المعنى وتحقق الفعل "نادى" والدلالة التي تمتح بها الوحدة الإسنادية المحوّلة بزيادة المفعول المطلق هي توكيد الحادثة المسرودة في مستهلّ سورة مريم" والتوكيد من أدوات أو عناصر الزيادة التي تمتح التحويل التركيبي والدلالي، وهذه الزيادة تقع للمسند إليه والمسند⁽²⁾.

﴿إني وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً﴾ (مريم/4): نلمع إلى إنّ الوحدة الإسنادية الفعلية مزيدة ومحوّلة من بنيتها المقدرّة أو العميقة بأداة النسخ "إنّ" والأصل أنا واهن العظم منّي، وذلك بتحويل الفعل إلى الوصف المشتق الذي محله مبتدأ الخبر "العظم"، فهي واهن العظم منّي، ف"إنّ" للنص والتوكيد فأصل البنية التحويلية للآية الكريمة حوّل إلى البنية الظاهرة بزيادة الناسخة المستلحقة بها "ياء" المتكلم "زكرياء"، فإنّ أكّدت المسند والمسند إليه وهذا التأكيد متواشج مع موقف سيدنا زكرياء في عرض حالته المتلوّة على النبيّ محمد، فدلالته تفيد توكيد الحادثة فهو تحويل التوكيد وترسيخ الإيمان.

و"شيباً" تمييز محوّل عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النّار في الحطب⁽³⁾، أمّا التمييز -كما قال رابح بومعزة- فهو عنصر من عناصر الزيادة في بنية الجملة الفعلية في القرآن الكريم، وهذا التّمييز من معانيه المرومة وأهدافه المنشودة توضيح نوع المميّز، وتأكيد المعنى للفعل الذي يحقّق هذا التّمييز، وهذا ما خطب إليه السيوطي؛ إذ قال: "وأما تقييد الفعل بقيد الفعل من مفعول مطلق أو به أو له أو فيه أو معه أو حال أو تمييز أو استثناء"⁽⁴⁾.

نلمح زيادة عنصر "التّمييز" على الوحدة الإسنادية الآية الكريمة: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾، فأغلب النّحاة يجعلون شيباً تمييزاً منصوباً بالفتحة البادية في آخره، وأصل هذا

(1) بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصّل، مج7، ص6.

(2) ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم، ص39.

(3) الجلالان، التفسير، ص305.

(4) بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصّل، مج7، ص6.

التمييز مقلوب أو منقلب عن فاعل؛ إذ سجيته "اشتعل شيب الرأس" ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا بتقدير وشاب الرأس شييا، وفي التعبير فصاحة ظاهرة واستعارة بديعة وبلاغة مشهودة؛ لأنه لم يقل واشتعل رأسي شييا اكتفاءً بعلم المخاطب أنه رأس زكرياء⁽¹⁾، وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر، وقد أتى وقعا له ثمرته في المعنى، والتحويل شارك في تغيير الصيغة من جهة البنية السطحية أو الظاهرة في الكلام، وعمق معنى التأكيد من جهة البنية الخفية أو العميقة كما يقول تشومسكي، وعندما نقدم إلى التعليق على الزيادة في بنية الآية الكريمة وتركيبها المحوّل "اشتعل الرأس شييا" أنّ الأصول التي استلمحناها في أن البنية العنيفة المقيسة في فضاء العقل اللغوي العربي هو "اشتعل شيب الرأس"، بتحقيق جملة بلاغية مبنية أساسا على استعارة مكنية، فالشيب لا يشتعل إنّما النار التي تتصف بهذه أو مادة كالحطب أو الخشب، وهذه مبالغة لاستظهار الوضع الحقيقي الذي يلحق بزكرياء وهو يجأ بالدعاء والتضرع إلى الله أن يرزقه ذرية طيبة فهذا تحويل غرضه العميق التوكيد.

﴿ولم أكن بدعائك ربّ شقيّاً﴾ (مريم/6): الواو عاطفة، عطفت الجملة على الجملة السابقة "اشتعل الرأس شييا، لم: حرف نفي وجزم وقلب لا محلّ له من الإعراب، أكن: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه سكون آخره، وحذفت الواو لأن أصله "أكون" لالتقاء الساكنين، واسم "كان" ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا، فالعنصر المزيد هو حرف النفي "لم" الذي ذهب غرضه متوائما مع وظيفته النحوية؛ أي النفي، وهو نفي الفعل الماضي إلاّ بقرائن شكلية، كالأفعال المضارع المسبوقة بلم "لم أكتب" التي مآلها ماضوية الزمن؛ فتقدير البنية العميقة التي طرأ عليها التحويل بلم هو "أنا شقيّ" ومسند إليه وهو الضمير المتكلم "أنا"، وهو نواة السرد سيدنا زكرياء وهو المبتدأ والمسند الخبر شقيّ، وقد التحم عنصران لتغيير البنية فكان "أكن" ناسخة ولجت على الجملة "أنا بدعائك ربّ شقيّ" بإبقاء المنادى "ربّ" وشبه الجملة "بدعائك" المأصورة بالفعل "أكن" وبعدها تُعزل شبه الجملة "بدعائك"، والمنادى "ربّ" فهذه الوحدة الإسنادية مزيدة بعنصرين:

(1) ينظر: بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل، مج7، ص5.

1- **حرف النفي:** لم "تختص" لم "بعمل نفي المضارع وتقلب زمنه ماضياً، فلم أكن بنيتها العميقة ما كنت في الماضي، كما قد يكون مستمراً، والمنفي بها قد يكون منقطعاً، نحو قوله تعالى: ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ (الإنسان/1)، وقد يكون متصلاً بالحال نحو الآية: ﴿ولم أكن بدعائك شقياً﴾ (مريم/4)، وهذا عكس المنفي بـ "لما" فمستمر النفي إلى حين المتكلم، نحو "لما تشرق شمي الحرية"، ونحو قوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ (ص/8)⁽¹⁾؛ فبنية التركيب المحتواة على لما للنفي أقرب إلى ظاهرها من البنية التركيبية التي تحول بزيادة لم وحدها فهي مقابلة في عمقها لبنية الماضوية لو اتصلت بالفعل المضارع.

2- **"أكن":** الفعل الناقص الناسخ أي المحوّل بلغة اللسانيات التحويلية، فاستزيد منطقياً ونحوياً عنصران لكان وهو الضمير الخفيّ المقدرّ "أنا" وشقيّاً خبر منصوب لـ "أكن".
﴿وإنّي خفت الموالى من ورائى﴾ (مريم/7): هذه الآية الكريمة محوّلة بزيادة ثلاثة عناصر:
- أداة ناسخة وهي إنّ للنصب والتوكيد.
- والمفعول به المنصوب "الموالى" للفعل خفت.

- "ومن ورائى": وهي شبه جملة متعلّقة بالفعل "خفت"؛ فهي في محلّ نصب ظرف مكان ونشقق منها معنى الزمان أي في زمن يأتي بعد وفاتي؛ إذ تعرب "من ورائى" جار ومجرور والياء ضمير متّصل في محلّ جرّ بالإضافة ومعنى "من ورائى" بعد موتي أي خفت الولاية في الموالى؛ بمعنى خفت فعلهم وهو سوء خلافتهم من ورائى وورائى بمعنى خلفي وبعدي وهو متعلق بالموالى أو بمعنى "قدّامي" فيتعلّق بخفت⁽²⁾، ومن ورائى أي "بعد موتي على الدّين أن يضيّعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدّين"⁽³⁾، وتحريف العقيدة والابتداع في الثوابت.

- ﴿وكانت امرأتى عاقراً﴾ (مريم/8): الواو عاطفة أي تعطف الجملة على الجملة السابقة وإنّي خفت الموالى من ورائى" فهي تركيب محوّل بزيادة الناسخة "كان" فأصل البنية نحوّه إلى مبتدأ وخبر؛ فهي على هذا النّحو "امرأتى عاقراً" فالناسخة "كان" الملحقة بها تاء التأنيث الساكنة التي ليس لها محل من الإعراب، فالناسخة هي التي حوّلت الجملة

(1) ينظر: فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص8.

(2) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصّل، مج7، ص7.

(3) الجلالان، التفسير، ص305.

الاسمية بالزيادة و"كان" فعل ماضٍ ناقص لأنه جعل امرأتي اسما لكان، وعاقرا خبرا لها وأضاعت الزمن المعبر عنه والمخبر به من قبل زكرياء في عرض حالته وحالة زوجه العاقر لاستجداء رزق الولد والذرية الصالحة المرضي عنها.

- ﴿فهب لي من لدنك وليا﴾ (مريم/9): هذه جملة محولة بزيادة الجار والمجرور "شبه جملة" لي والتوجيه لذكرياء وهو يلتمس من الله الولي "ابنه يحيا"، ومحولة بزيادة عنصر شبه الجملة "من لدنك، ومحولة- أيضا- بالمفعول به المنصوب للفعل الاتماس أو الطلب "هَبْ" وهو فعل دعاء وتضرع بصيغة طلب.

- ﴿من لدنك وليا﴾: جار ومجرور متعلق بهب، أي من فضلك لدن اسم مبني على السكون في محل جر بمن، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل جر بالإضافة، وليا: مفعول به منصوب بالفتحة بمعنى: وليا من صلبى يلي أمري وشؤوني من بعدي أو بعد انقضاء أجلي"⁽¹⁾.

1- تصنيفات التحويل بزيادة حرف الاستفهام "هل" على الجملة الفعلية في ربيع مريم:
وردت على صور تركيبية مختلفة منها:

الصورة الأولى: هل + فعل مضارع؛ في الآية 65 من سورة مريم، ومرتين في سورة طه وذلك في الآيتين: 40، 120، ومرة في سورة الحج في الآية 15، وأربع مرات في سورة الشعراء في الآيات الآتية: 72، 73، 93، 221، ومرة في سورة القصص في الآية 12، ومرتين في سورة سبأ في الآية السابعة والثالثة والثلاثين، بينما جاءت مرة واحدة فقط في سورة فاطر نلمحها في الآية 43.

الصورة الثانية: هل + فعل ماضي: وجدناها مرة في سورة طه في الآية التاسعة، وأخرى في سورة الأنبياء في الآية 24.

2- تصنيفات التحويل بزيادة حرف الاستفهام "الهمزة" على الجملة الفعلية في ربيع مريم:

جاءت متواردة على هذه الصور:

(1) ينظر: بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل، مج7، ص8.

الصورة الأولى: الهمزة+حرف نفي"لم"+ فعل مضارع:

ونجدها خمس عشرة مرة، في الآية:83 من سورة مريم، وطه 86. الحج 63،
70. النور 41، 43. الفرقان 45. الشعراء 18، 225. القصص 48. لقمان 20، 29.
المؤمنون 105. النمل 86. لقمان 29. ومثال هذا النمط قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا
أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم/83):

فالبنية قبل التحويل ترى أننا أرسلنا الشياطين؛ أي قبل دخول الهمزة حرف
الاستفهام ولم وهو حرف نفي وجزم وقلب أي يقلب معنى الفعل المضارع إلى الماضي
أي الاستفهام عن منفي الفعل تر أننا أرسلنا الشياطين، والأداتان زيادتان على البنية
التركيبية التوليدية فصيرتا المعنى مستفهما عنه منفيا بعد ما كان مثبتا خبريا.

الصورة الثانية: الهمزة+حرف الفاء+حرف النفي"لم"+فعل مضارع:

تعاود مجيئه ستّ مرات في الآيات 128 من طه، و 46 من الحج، و 68 من
المؤمنون، والفرقان في الآية 40، وسبأ 9، ولقمان 31، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ
يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ
نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ {9}: إذ جاءت البنية
التركيبية التحويلية حاوية على زيادة ثلاث أدوات هي الهمزة المستفهم بها عن منفي رؤية
ما بين أيديهم، فأصل البنية العميقة لها هي يرون دون الجزم الموشوح بدخول عامل
الجزم لم، يرون إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض.

الصورة الثالثة: الهمزة+ حرف الفاء+ حرف النفي"لا"+ فعل مضارع:

تعاورت في ربع مريم اثنتي عشرة مرة"12" كالاتي: في الآية 89 من سورة طه،
وفي 10، 44 من سورة الأنبياء، وفي 23 مرتين ومرة في 32، 80، 87، 85 من سورة
المؤمنون، و 60 القصص، وفي الآيتين 4 و 27 من السجدة، ونضرب مثلا على هذه
البنية التركيبية التحويلية بالزيادة التي لغرض الاستفهام في الآية الكريمة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
نَسُقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾
(السجدة/27).

الصورة الرابعة: الهمزة + الفاء + فعل ماضي: تردد مجيء هذه الصورة التحويلية بالزيادة أربع مرات، وذلك في الآيتين 86، 93 من سورة طه، و115 من المؤمنون، و106 من سورة الشعراء، ومثالها قول الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون/115): فهضت صورة التحويل بزيادة الاستفهام الذي غرضه البلاغي التقرير والتأنيب على زيادة الأداة الاستفهامية "حرف الهمزة التي للتعين غالباً" على الفاء المتوسطة بين الهمزة والفعل الماضي "حسبتم"، وكان تقدير البنية التركيبية حسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون" فمن دون الأدوات المزيدة على ما تركيبه جملة فعلية مبتدأة بفعل فحول المعنى من الإخبار في البنية العميقة لتكوين الجملة في منطوق اللغة العربية إلى الاستفهام غير الحقيقي لأن الله لا يسأل عما إذا هم حسبوا أنما خلقوا عبثاً وأنهم إليه لا يرجعون وإنما له فعالية بلاغية تؤثر في المتلقي وهي حقيقة داعي إلى الانتباه قبل وقوع السؤال فعلا يوم القيامة، وتحول المعنى من جملة بغير الفاء إلى جملة مضاف إليها الفاء ولها دلالتها التحويلية للجملة المحولة بزيادة الاستفهام.

الصورة الخامسة: الهمزة + إذا + ما + فعل ماضي: ما نشهده في هذه الصورة التحويلية هو زيادة إذا المتضمنة معنى الشرط بعد الهمزة وقبل ما الزائدة والفعل الماضي، ووجدنا هذا النموذج مرتين في الآية 66 من سورة مريم، و71 من سورة طه، والمثال المفكك تحويلاً لهذه الصورة هو قول الله عز وجل: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ {66}: أي الهمزة + إذا القاضية بمعنى الشرط وما الزائدة شكلاً ووظيفة لكنها فاعلة عمقا ودلالة والفعل الماضي متّ وكان تقدير البنية التركيبية الموجهة دلالية والمحوّلة بالزيادة إذا متّ فسوف أبعث حياً، وحول المعنى من إقامة الجملة الشرطية دون السؤال إلى إضافة السؤال بالهمزة.

وهناك شكل تحويلي آخر مثل السابق ولكن جرف ما غير مجود ويكون بإدغام الهمزتين، فتصبح همزة واحدة ممدودة أي همزة مدّ يعقبا الفعل المتساءل عنه في البنية التحويلية، وهذا لإطلاق النطق وتسهيله صوتياً ونطقياً وتجويداً، ومثاله قول الله جلّ في علاه: ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَأَلْصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾

(طه/71): هنا همزتان همزة الاستفهام المدغمة مع همزة المدية للفعل آمن الذي للجمع "آمنتم" وأصل المعنى بالتحويل بحذف همزة الاستفهامية الأولى وإبقاء قرينة تدل عليها فهي مفهومة من سياق الكلام الذي هو أدل على معنى الاستفهام منه إلى معنى آخر ثم التحقيق الصوتي الذي يعتمد النطق المنبور الذي يصنف الدلالة التي يخرج إليها المعنى، فمعناه "آمنتم له؟" هو "آمنتم له؟" فمندوب وجائز حذف همزة الاستفهام إذا فهم روح السؤال من الكلام بقرائن منطقية اللغة وعقلية التلازم ويضرب المثل لهذا بالبيت الشعري:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب *** ولا لعبا منّي وذو الشيب يلعب

والتقدير: وأذو الشيب يلعب؟ بلهجة المتسائل.

الصورة السادسة: الهمزة + فعل ماضي: ملموح هذا الشكل التحويلي ثمانى مرات في 57 من طه، و 57 من الأنبياء، و 72 من القصص، و 27، و 84 من سورة النمل، و 2 من العنكبوت، و 8 من سبأ، و 40 من فاطر.

والمثال المحلل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ (40): والزيادة بهمزة الاستفهام أو حرف الاستفهام وقعت على الفعل الماضي "رأيتم" لانتهاج أسلوب الاستفهام بعد أن كانت البنية التوليدية إخبارية "رأيتم شركاءكم".

وقد تجيء الزيادة بشكل: الهمزة + فعل ماضي وبعد ذلك تأتي وسط الجملة أم يلحقها فعل ماضي، أيضا كما في الآية 78 من سورة مريم، قال الله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ الغَيْبِ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾: والبنية العميقة لها من دون التحويل بزيادة همزة الاستفهام الإنكاري، وليس الحقيقي وهي اطلع الغيب، ولكن الهمزة صرفت الجملة للاستفهام الموالي لغرض التبكيت والتوبيخ، وتبيان سوء هذا الفعل.

ونلمح إلى بنية تشبه زيادة الهمزة لكتها "أم" + من اسم الموصول بمعنى الذي + فعل ماضي: تعاودت هذه الصورة مرة في سورة السجدة الآية 10، و مرتين في سورة النمل وهما في الآية 60 و 61، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَلَّ مَعَ اللَّهِ بَلْ

هُم قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل/60): وأصل البنية " أم + من" جاءتا مدغمتين فالبنية محوِّلة بالإدغام الصوتي للمتشابهين "الميم الأولى والميم الثانية"، وهي محوِّلة بالاستبدال بالجملة الموصولية أي مِنْ "من"، والفعل الماضي "خلق"، وتقدير البنية العميقة للتركيب التحويلي "أم خالق السماوات والأرض، ومنزل لكم من السماء ماءً.

وقوله تعالى: ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل/61): أي التحويل وقع على الجملة الاسمية الموصولية التي ابتدئت باسم موصول في البنية العميقة، فالتساؤل لم يقع على حدوث الفعل الماضي خلق أو عدم حدوثه أو فعل الخلق أو غيره من الأفعال الأخرى، وإنما وقع على من أو الاسم الموصول في معرض التفاضل للعبادة وتبيان القدرة والجبروت، فالهمزة وقعت على من الاسم الموصول بمعنى الذي، وتقدير البنية بتغيير موضع من إلى الذي الذي خلق السماوات، فهنا الجملة اسمية والتحويل بالزيادة الاستفهام بالهمزة حرف الاستفهام لتعيين الخلق في الآية الأولى، وتعيين جعل الأرض قرارا في الآية الثانية وقع عليها، وهي مكوِّنة من "أم" والجملة المحوِّلة بالاستبدال بالجملة الموصولية؛ والتقدير "أم جاعل الأرض قرارا".

ونجد أيضا: همزة+ من اسم موصول بمعنى الذي+ فعل مضارع: النمل 62، 63 مرتين، 64 مرتين أيضا/الجملة الاسمية.

الصورة السابعة: الهمزة +حرف الواو "و" + حرف النفي "لم" + فعل مضارع: وهي في: طه الآية 133، الأنبياء جاء مرتين في الآية 30، القصص 48، الشعراء 197، العنكبوت وقع مرتين في الآية 20 و 51، الرُّوم في الآيتين المتلاحقتين 8 و 9.

ومثال عن هذه الصورة التحويلية نوضحه في قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ (القصص/48): المزيد ثلاثة حروف همزة الاستفهام، وحرف الواو، ولم التي للنفي والقلب والجزم على الفعل المضارع "يكفروا"،

والمعنى المروم من دلالة التركيب التحويل " أو لم تكفر اليهود الذين أعلموا هذه الحجة قريشا والمشركين، بما أوتي موسى من قبل" (1).

الصورة الثامنة: الهمزة + الفاء + فعل مضارع: وهي في: الأنبياء 3، 66، والحج 72. ومثاله: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الحج/72): وهنا الزيادة بالهمزة والفاء الاستثنائية على الفعل المضارع "أنبئكم"، وهذا الاستفهام المزيد قوى معنى زيادة الإغاطة للكافرين "استئناف ابتدائي يفيد زيادة إغاطتهم بأن أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلو عليهم ما يفيد أنهم صائرون إلى النار، والتفريع بالفاء ناشئ من ظهور أثر المنكر على وجوههم فجعل دلالة ملامحهم بمنزلة دلالة الألفاظ. ففرع عليها ما هو جواب عن كلام فيزيدهم غيظا، ويجوز كون التفريع على التلاوة المأخوذة من قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ (مريم/73)؛ أي اتل عليهم الآيات المنذرة والمبينة لكفرهم، وفرع عليها وعيدهم بالنار، والاستفهام مستعمل في الاستئذان، وهو استئذان تهكمي لأنه قد نبأهم بذلك دون أن ينتظر جوابهم، وشر: اسم تفضيل، أصله أشر. كثر حذف الهمزة تخفيفا، كما حذف في خبر بمعنى أخير" (2).

الصورة التاسعة: الهمزة + الفاء + فعل ماضي: في الآية 77 من سورة مريم، و 205 من سورة الشعراء وهي مثلنا، قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴾.

والزيادة وضحت في البنية السطحية أو التحويلية للآية الكريمة في ازدياد البنية بالهمزة للسؤال والفاء الاستثنائية على الفعل الماضي "رأيت"، ومعناها المختزل العميق "أخبرني" (3)، و" (الهمزة) للاستفهام (الفاء) استثنائية (متعناهم) فعل ماض مبني في محلّ جزم فعل الشرط (سنين) ظرف زمان منصوب متعلق ب (متعناهم)، وعلامة نصب الياء فهو ملحق بجمع المذكر، و جملة: «رأيت ...» لا محلّ لها استثنائية، وجملة: «متعناهم

(1) التّجيبى، القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري، مذيلا بأسباب النزول

للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ص 391.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 17، ص 242.

(3) الجلالان، التفسير، ص 375.

... لا محل لها اعتراضية ... وجواب الشرط محذوف دلّ عليه الاستفهام الآتي أي: لم يغن عنهم تمتّعهم⁽¹⁾.

الصورة العاشرة: الهمزة + واو + فعل مضارع مجزوم بلم: ووجدت في: الروم 37، السجدة 86، فاطر 37 في قوله عز وجل: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: فالزيادة حققت بثلاث عمليات تحويلية وهي العناصر: الهمزة و الواو و"لم" التي للنفي والقلب والجزم، على الفعل المضارع "نعمركم" والسؤال ليس حقيقيا وإنما مستراد التركيب دلالة إحقاق الحجة والتذكير.

الصورة الحادية عشرة: الهمزة + واو + ليس: ورد في سورة العنكبوت 10، قال الله تعالى: ﴿جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لِيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلِلَّهِ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾. أي "من الإيمان والنفاق"⁽²⁾.

هنا التحويلات عدت ثلاثة. وهي زيادة الهمزة على الواو على الناسخة النافية ليس"، لإفادة معان مشتركة متداخلة وهي الاستفهام على منفي لإثبات؛ لأن الاستفهام هنا للتذكير والمحااجة، و"الهمزة) للاستفهام (الواو) استئنافية (أعلم) مجرور لفظا منصوب محلا خبر ليس"⁽³⁾، "والواو اعتراضية، والاستفهام إنكاري إنكارا عليهم قولهم: {آمَنَّا بِاللَّهِ} وقولهم: {إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ}، لأنهم قالوا ذلك ظنا منهم أن يروج كذبهم ونفاقهم على رسول الله، فكان الإنكار عليهم متضمنا أنهم كاذبون في قولهم المذكورين"⁽⁴⁾.

الصورة الثانية عشرة: الهمزة + واو + لو + فعل ماضي: عثرنا عليها في سورة الشعراء 30 وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾. الزيادة هنا وقعت بحرف الاستفهام "أ" على مزيد آخر وهو "الواو" على أداة الشرط غير الجازمة "لو" على بنية فعلية ماضوية،

(1) محمود بن عبد الرحيم صافي (ت1376هـ)، الجدول في إعراب القرآن وصرف وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق- سوريا، بيروت- لبنان، مؤسسة الإيمان، بيروت لبنان، طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد، مج8، ج19، ص126.

(2) البغوي، المرجع السابق، ج6، ص235.

(3) الحاوي عبد الرحمن بن محمد القماش، الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ويُسمى (جَنَّةُ الْمُشْتَقِّ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ)، الإصدار الأول، 2009، ج599، ص360.

(4) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص142.

وهي "جئتك"، وأصل البنية العميقة "جئتك بشيء" فهذا المنطق الخفي للتركيب والتحويلات الثلاثة بالزيادة صرفت المعنى إلى زيادة معنوية تنهض على مفهوم الشرط ب"لو"، والواو، والاستفهام الحقيقي عن فعل مجيئه إياه بشيء.

الصورة الثالثة عشرة: الهمزة + إذا + فعل ماضي: جاءت في سورة المؤمنون 82، قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. فالجملة (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) جملة شرطية تحمل معنى مقول القول ووظيفته، مؤلفة من الجملة الاسمية المنسوخة التي للشرط (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما) وهي جملة استفهامية محولة بالزيادة، والجملة الاسمية التي هي لجواب الشرط "أننا لمبعوثون) وهي استفهامية أيضا؛ فهي محولة بزيادة همزة الاستفهام على بنية الجملة المؤكدة المنسوخة إنا واللام المزحلقة والمؤكدة ومبعوثون. وهذا التحليل مشتق من تحليل رابع بومعزة للآية 49 من سورة الإسراء لكتنه في معرض الحديث عن الصورة الثانية عشرة لصور الجملة الشرطية/الجملة الاسمية" (1).

3- تصنيفات التحويل بزيادة أداة "حرف" الاستفهام "لم" على الجملة الفعلية في ربع مريم: وردت 3 مرّات في 42 من مريم، و46 من النمل مزيدة على الفعل المضارع، وفي 125 من طه مزيدة على الفعل الماضي.

الصورة الأولى: (لم) + الفعل الماضي: كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (طه/125): التحويل بزيادة "لم" على الفعل الماضي "حشرتني".

الصورة الثانية: (لم) + الفعل المضارع: كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل/46): والبنية مزيدة بأداة الاستفهام "لم" أي لأي شيء فعلكم "استعجالكم"؟، ودخلت على الجملة الفعلية المضارعية "تستعجلون"، والبنية العميقة للتركيب "تستعجلون بالسيئة"، فيغيّر المعنى من الإخبار إلى الاستفهام الذي له معنى الإنكار والنهي عن فعل الاستعجال.

4- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "كم" على الجملة الفعلية في ربع مريم: وردت على هذه الصورة الآيات 74، 98 من مريم، و128 من طه، و11 من الأنبياء،

(1) ينظر: رابع بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، ص286.

و112 من المؤمنون، و58 من القصص، ومثالها قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (طه/128): وهذا شكل قرآني وارد متكوّن من "أفلم" زائد الفعل الماضي ثم "كم" للسؤال أيضا.

5- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "ما" على الجملة الفعلية في ربع مريم: عددها ستّ مرّات (6) وذلك في الآيات: 83، 92 من طه، و52 من الأنبياء، و77 من الفرقان، و70 من الشعراء، و63 من الأحزاب، وذلك مقاله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه/83): صيغة تعجب "ما أفعلك" تخرج لفائدة تحقيق الاستفهام المجازي وليس الحقيقي؛ لأن الله يعرف ما يبيت من النوايا وما يبدو والخطاب من الله يوجه إلى سيدنا موسى عليه السلام.

6- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "من" على الجملة الفعلية في ربع مريم: ورد 4 مرّات: في 42، 59 من الأنبياء، و29 من الروم، و26 من السجدة، وتتنوع بين الزيادة على الفعل الماضي وعلى المضارع.

الصورة الأولى: من + فعل مضارع للمعلوم: كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/42): والزيادة قضت بتغيير دلالة البنية التحويلية إلى الاستفهام عن الفاعل، والتحويل جاء بزيادة "من" للسؤال عن الذات "من" المقدم للصدارة؛ فالبنية العميقة لها "يكلؤكم من"، وهذا الاستفهام إنكاري من دلالة التركيب؛ إذ المعنى "سل أيها الرسول أولئك المستهزئين سؤال إنكار وتوبيخ، من يستطيع أن يحفظكم من الرحمن إذا أراد أن ينزل بكم بأسه وعذابه الذي تستحقونه؟. والخلاصة: من يحفظكم بالليل إذا نتمتم، وبالنهـار إذا تصرفتم في أمور معاشكم من عذاب الرحمن إن نزل بكم ، ومن بأسه إذا حل بساحتكم؟" (1) وأحاط بكم.

الصورة الثانية: من + فعل ماضي: كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَةِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء/59): وهنا زيدت من للسؤال عن الذات الفاعلة، والتحويل بالتقديم، فالأصل فعل من، لأنّ التركيب لا يستقيم وفق هذا المنحى، ومن هنا اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به محوّل بالتقديم في رتبته، وفعل:

(1) المرجع السابق، ج16، ص37.

فعل ماضي مؤخر، والفاعل ضمير محوّل بالاستتار الاختياري؛ لأنه "هو" للغائب المفرد المذكّر.

7- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "كيف"⁽¹⁾ على الجملة الفعلية في ربيع مريم: دار هذا التحويل 15 مرّة؛ والأغلب جاء بصيغة الماضي وجلّ الأفعال هي ناسخة(كان) و4 مرّات للمضارع.

أ- الزيادة للفعل الماضي: في الآيات: 44 من الحج، و9 من الفرقان، و14، 51، 69 من النمل، و40 من القصص، و19، 20 من العنكبوت، و9، 42، 48، 50 من الروم، و26، 44 من فاطر في قوله عزّ من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾: فالزيادة تحققت بـ"كيف" التي حوّلت الجملة إلى جملة استفهامية لمرمّة الحال، على الفعل الماضي الناقص "كان"، والأصل دون الزيادة بكيف قبلا، ثمّ عملية التحويل بالتقديم لكيف على الفعل؛ لتصدّره كما أسلفنا في غير ما موضع من المواضع الآتفة الذكر.

وفي قول العلي العظيم: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت/20): وهنا الفعل مع الفعل بدأ وهو ليس بناسخ كما رأينا من قبل مع كان، وهذا الاختلاف، فالأولى السؤال كان عن الحال للكينونة؛ أي لكينونة عاقبة الذين من قبل المذكورين، والثانية للسؤال عن الحال لبدء الخلق، والغرض الخارج إليه الاستفهام هو التعجّب الذي يرمي إلى التنبيه والتذكير والاعتبار وأخذ العظة، ولو قلنا: فانظروا أيّ بدءٍ بدأ الخلق لم يجز على قول من قال: "بأئنّا لو أبدلنا كيف بالمصدر لم نجده يطابق المعنى المقصود"⁽²⁾؛ فالمعنى سؤال عن نوع الفعل لا عن كفيته فقط.

ب- الزيادة للفعل المضارع: في الآيات: 29 من مريم و19 من العنكبوت و48، 50 من الروم في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ

(1) قال سيبويه: "كيف على أيّ حال" ينظر: سيبويه، ج2، ص311، وقد تشرب معنى التعجّب كقوله تعالى: كيف

تكفرون بالله(البقرة/28). ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1، ص143

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج4، ص221.

ذَلِكَ لِمُحِبِّي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الروم/50): وأما الزيادة هنا في البنية التحويلية فمستبصرة مع الفعل المضارع "يحيي"؛ أي إنها إضافة تحويلية تنفصل فيها عمليتان تحويليتان بزيادة عنصر "كيف"، وبتقديمها في اللحظة ذاتها.

8- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أم" على الجملة الفعلية في ربع مريم: وتكون متصلة ومنقطعة⁽¹⁾؛ و نشير إلى أن العملية التحويلية بزيادة أم التي للسؤال تتحقق - في الأغلب - بزيادة أداتين أكثر ووردها مع الهمزة، أما أم فتد في بداية الجملة الفعلية، وهي مشعة بالسؤال عادة يكون مشار إليه في الآية السابقة أو الآية اللاحقة، وقد أحصينا (أم) في الربع المدروس 14 مرة موزعة الورد على الآيات الآتية:

أ- الزيادة للفعل الماضي: في 86 من طه، و21، و24 من الأنبياء، و68، و69 المؤمنون، و50 من النور، و27 من النمل، و4 من العنكبوت، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُشْرُونَ﴾ (الأنبياء/21): فزيدت "أم" على الجملة الفعلية الماضية "اتخذوا آلهة"، وهي "جملة مبنية للإنكار؛ ولذلك فصلت ولم تعطف"⁽²⁾، وهي "حرف عطف"⁽³⁾؛ أي "أم" عاطفة «اتخذوا» ماض وفاعله"⁽⁴⁾.

ب- الزيادة للفعل المضارع: في 70، و72 من المؤمنون، و44 من الفرقان، و40، و41، و59 من النمل، ومن أمثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل/59): ونلمح بنية مركبة من أم، التي و"ما" الموصولية مع الجملة الفعلية المضارعية "يشركون"، ولكنها تنتسق دلالة كاملة مع همزة الاستفهام المزيدة على "لفظ الجلالة" الله، الله خير أمّا تشركون "خير" أي إنه محوّل بالحذف، بعد حذف "معمول الفعل (تشركون) وهو تشركون به أو تشركونه مع الله أو ما وافقها، والجملة محوولة بالاستبدال بالجملة الموصولية؛ فتقدير البنية التركيبية (أم مشرككم

(1) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص213.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، ص29.

(3) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص644.

(4) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص283.

خير)، و"مجازه أم ما تشركون؛ أي أم الذي تشركون به، فأدغمت الميم في الميم فتقلت و«ما» قد يوضع في موضع «من» و«الذي»⁽¹⁾.

أما الآية الكريمة: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (المؤمنون/69): فهي محولة بزيادتين للاستفهام والنفي ب(لم) وهذا صرف زمن الفعل إلى الماضي رغم أن الفعل في شكله مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأمثلة أو الأفعال الخمسة، إلا أنه يرتد إلى زمن الماضي.

أما في الآية الكريمة: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلْنَا آذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنَّ أَدْرِي أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء/109)، فتداخل تحويلان في بنية تركيب الآية الكريمة؛ "فجد أن هذه الجملة محولة بالاستبدال لورود المسند فيها وصفا "صفة مشبهة" عاملا عمل فعله"⁽²⁾، وهو محول بالزيادة التي لغرض الاستفهام إذ تبتدئ بهمزة الاستفهام "حرف استفهام" قبل المسئول عنه "قريب"، ثم "أم"، ثم بعيد، إذ إن الجملة المضارعية المركبة "أقرب أم بعيد ما توعدون" المحولة مؤدية وظيفيا عمل المفعولين للفعل المضارع القلبي "أدري"، وتقدير بنيتها العميقة "أقرب أم يبعد ما توعدون"⁽³⁾.

9- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "ماذا" على الجملة الفعلية في ربيع مريم: توارد هذا التحويل (6) مرّات على الفعل الماضي ثلاث وعلى المضارع ثلاث أيضا، وهو في النمل في الآيات 28، 33، 84، وفي الشعراء الآية 35، وفي لقمان في الآية 11، وفي فاطر في الآية 40.

أ- الزيادة للفعل الماضي: مثاله في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (فاطر/40): والأصل: خلقوا ماذا، لكن لماذا الاستهلال والمرتبة الأولى، وهي في محل نصب مفعول به محوّل بالتقديم إجبارا، وهذا المثال مع الجملة الفعلية الماضية.

(1) أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ج2، ص95.

(2) رابح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم، ص276.

(3) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ب- الزيادة للفعل المضارع: مثاله في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (فاطر/28): أمّا في تركيب هذه الآية الكريمة فـ"ماذا" زيدت على الجملة الفعلية المضارعية "يرجعون"، أي: يرجعون ماذا، وكتاهما للاستعمال وظيفية "ماذا" وهي للاستفهام عن الشيء الواقع عليه الفعل، فهي دائماً في محل نصب مفعول به محوّل بالتقديم على البنية التحويلية.

10- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "بم" (1) على الجملة الفعلية في ريع مريم: ورد مرة واحدة في الآية 35 من سورة النمل، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل/35): إذ البنية التحويلية جاءت بزيادة (بم) ومعناها بأي شيء على الفعل المضارع (يرجع)، والأصل التوليدي للبنية يرجع المرسلون.

11- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أين" على الجملة الفعلية في ريع مريم: وردت مرة واحدة في سورة الشعراء في الآية 92؛ إذ زيدت (أين) على حرف (ما) التي في محلّ (المفعول به) المقدم وجوباً ثم على الفعل الماضي الناسخ (كنتم) مبني للفاعل أو للمعلوم، وهو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾: وبنية الآية محوّل بتحويلات عديدة، فهي بزيادة "أين" للاستفهام عن المكان، وبالتحويل بالتقديم في الوقت ذاته، وزيادة "كنتم"؛ أي: الناسخة وهي مصوغة للماضي، ومحوّل بالجملة الموصولية من "ما"، وكنتم تعبدون؛ أي معبودكم، وتحويل وقع على خبر كنتم بتحويله إلى جملة فعلية مضارعية وتقدير البنية العميقة "كنتم عابدين"؛ فهو خبر منصوب وعلامته الياء؛ لأنّه جمع مذكر

(1) نشير إلى أنّ بنية "بم" التي للسؤال عن الوسيلة أو الأداة هي متكونة من حرف الجرّ الباء و"ما" الاستفهامية و"الأصل في "ما" الاستفهامية أن ترسم بحرفين م+ا=ما، نحو: ما هي الكلمة التي تقرأ من اليمين غلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين؟ إنها كلمة "ليبيا"، وتحذف الألف من "ما" الاستفهامية، إذا دخل عليها حرف من حروف الجرّ، نحو: فيم تفكر؟ بم تفسر ذلك؟، لم كذبت؟، عم يتساءلون عن النبأ العظيم (النبأ/1)، عم تبحث هناك؟، علام هذا التهاون؟ ينظر: جمال بن الشيخ، ص24.

ومثاله قولي: فيم غيابك عن عياني وأنت في *** قلبي أبعد من قلبي موجد؟/وعلام أنت قسيمي مفصولة *** عني وإنا -مذ خلقنا- مفرد؟، وكذلك: ولم جفاؤك عن هواي وكني *** لك أين أين نجاؤك وتراك؟/إن كنت لست أراك في قلبي فما *** غبت بروحي بما أحسّ أراك: هي أبيات من صناعة الباحث ومن نسيجه كما قال الجاحظ، وارتجلت في لحظة تنويع الأمثلة في خصوص (بم ولم وعلام ونحو ذلك) يوم الجمعة 16 محرم 1437هـ/الموافق لـ 30 أكتوبر 2015، في الساعة الثامنة وسبع دقائق مساءً ببسكرة.

سالم، وبـ "أين" توجّهت دلالة الجملة- بعد التحويل- إلى الاستفهام، وقد كانت في بنيتها الأصلية لغير الاستفهام.

12- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أنى" على الجملة الفعلية في ريع مريم:
أحصيناه 3 مرّات في الآيات 8، 80 من مريم والآية 3 من فاطر، ومثاله في قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر/3): والزيادة التحويلية لـ(أنى) التي تفيد السؤال عن الزمن، وقد تستعمل للسؤال عن المكان، جاءت على الفعل المضارع (تؤفكون) وهو بصيغة المبني لما لم يسمّ فاعله.

13- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أيان" على الجملة الفعلية في ريع مريم:
و "أيان" ظرف زمان مبهم بمعنى "متى"، وهو مختصّ بالأمر العظام، وفيما يراد تفخيم أمره نحو قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ (النازعات/42)، وقوله: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ (القيامة/6)⁽¹⁾، ولا تختص أيان بما مرّ من الزمان؛ فلا يقال: "أيان نمت؛ إذ هي مختصة في الاستفهام بالمستقبل، وتخالف في ذلك متى فهي للماضي والمستقبل، وتوحي بالاستبطاء، فقوله تعالى: أسان مرساها، يوحي أنهم يستبطئون يومها"⁽²⁾.

ووردت مرّة واحدة مع فعل المضارع (يبعثون) الذي هو مبني للمفعول، في 65 من النمل، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: والتحويل -هنا- حاصل بزيادة أيان التي للاستفهام لكن غرضه المسرّ فيها هو تبيان أنهم جاهلون لوقت بعثهم، وتأكيد دلالة ذلك أن الفعل لما لم يسمّ فاعله وأيان: "اسم استفهام عن الزمان وهو معلق فعل (يشعرون) عن العمل في مفعوليه"⁽³⁾، وإيان "متى ينشرون مركبة من أي وأن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة"⁽⁴⁾؛ أي بعد تفكيك بنيتها النحوية يُجلى تركيبها على هذا النحو.

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج1، ص180.

(2) ينظر: المرجع نفسه، مج1، ص180.

(3) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص294.

(4) البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي)، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت- لبنان، د ط ج4، د ت، ص275.

14- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أي" على الجملة الفعلية في ربيع مريم: جاءت مرّة واحدة في الآية 38 من النمل وهي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾: والبنية التركيبية التحويلية مزيدة باسم الاستفهام "أي" المعربة أي التي تظهر عليها علامات الإعراب رفعا ونصبا وجزا، ثمّ مزيدة بالضمير "كم" فالكاف للخطاب والميم للجمع، وهي بنية وجّهة دلالة الجملة من الإخبار إلى الاستفهام. و"أي" بحسب ما تتضاف إليه، فإن أضيفت إلى مكان كانت مكانا، أو إلى زمان كانت زمانا، أو إلى غيرهما كانت بحسب ما أضيفت إليه⁽¹⁾، ومثاله قوله تعالى ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان/34)، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء/227).

لم يكن التحويل بزيادة أداة الاستفهام "متى" على الجملة الفعلية في ربيع مريم.

رابعا: صور التحويل بزيادة النواسخ:

تتعدد الزيادات على نظام الجملة الاسمية والفعلية، فالزيادة زيادة الأدوات، وزيادة الأحرف، وهذه في علم أصول النحو حقيقة من حقائق تركيب الكلام وبناء المعنى، فمن بين وظائف الزيادة مثلا للحروف سواء كانت للشرط أو للتعريف أو غيرهما وظيفة الربط؛ إذ يقول أبو بكر بن سهل بن السراج البغدادي: "وأما ربطه (أي الحرف) فنحو قولك: إن يقيم زيدٌ يقعدُ عمرو؛ فيقوم زيد ليس متصلا بـ "يقعدُ عمرو، ولا منه في شيء فلما دخلت (إن) جعلت إحدى الجملتين شرطا، والأخرى جوابا"⁽²⁾، ونسمي الجملة، في صورتها الأولى، وقبل دخول النواسخ، والأحرف المشبهة بالأفعال، الجملة المحضة؛ أي التي يتمحض عنصرا إسنادها فيكونان مبتدأ وخبرا بالأساس للنواسخ (كان وأخواتها وإن وأخواتها، لأفعال التحويل والتصيير والتحويل)، والجملة بعد دخول هذه الأدوات جملة غير

(1) ينظر: السامرائي، معاني النحو، مج1، ص220.

(2) أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط3، 1996، ص43.

المحضة، "وتكون الزيادة بإدخال كلمة جديدة إلى مبنى الجملة فتعطي الجملة قيمة دلالية جديدة تعرفها من العلاقة بين هذه الكلمة وبؤرة الجملة"⁽¹⁾.

فضلا عن أنّ الزيادة في البنية الشكلية للغة القرآن الكريم فهي -كما أسلفنا- زيادة في معناه بعد أن زيدت على بنائه، وهذا مع كل حروف الزيادة التي نراها في زياداتٍ لتوكيد الكلام والاستفهام فيه ونفيه، وغير ذلك على الإسناد. إضافة على ذلك " فإنّ الزيادة مصطلح نحوي وليس من اللازم أن يكون مطابقا للدلالة المقامية، فهم يريدون به أن الحرف زائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، ولا يصح إسقاطه لأنه لم يوت به للوصل بين الألفاظ في الجملة ولكن جيء به لمقاصد بيانية، تدرك بالحس العربي السليم وسجية الفصاحة وقال الزركشي في "البرهان" سئل بعض العلماء عن التوكيد بالحرف وما معناه إذ إسقاط كل الحرف لا يخل بالمعنى فقال هذا يعرفه أهل الطباع؛ إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على المعنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف"⁽²⁾، وهذا يستوجب أن هناك منطقية عقلية وفطرية في استقبال اللغة العربية وتلقيها، وقراءة القرآن الكريم وفق هذه الآلية تستوضح لنا صواب ما ذكرناه.

أ- التوجيه الدلالي لصور التحويل في الجملة الاسمية المحضة "المجردة":

الجملة الاسمية المحضة المجردة التي لم تدخل عليها ناسخة في ريع مريم: نعني بها البنى التركيبية التوليدية التي لم تحوّل بالزيادة عليها أدوات أو أحرف أو أفعال مشبهة بالفعل ك"إنّ"، و"أنّ" وأخواتها، أو أفعال ناقصة ك"كان" وأخواتها، تتضاف إليها فتغيّر ما حقه مبتدأ وخبر في أصل الجملة، فيصبح المبتدأ اسما لكان وأخواتها والخبر خبرا لها، فالتمحّض-هنا- أسّه صفاء البنية الجمالية من عملية تحويل زيادة النواسخ كلها، وهذا التحويل ندعوه **التحويل المحلي**؛ لأنه أبقى البنية الجمالية المحولة بنية اسمية مع استقبالها

(1) عبد الحلیم بن عیسی، البنية التركيبية للحدث اللساني، ص111.

(2) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1957، مج3، ص74.

إضافات بنوية أفعال ناقصة ونواسخ بأنواعها المختلفة، هذا من جهة، وزيادة أفعال معيّنة تحوّل البنية التي أصلها حملة اسمية إلى جملة فعلية وهذا التحويل قلب البنية التركيبية التوليدية من بنية اسمية إلى فعلية، وندعوه **التحويل الجذري**؛ لأنه غير البنية جذريا، والأفعال الناقصة تسمى كذلك؛ لأنها لا يتمّ بها مع مرفوعها كلام تامّ، بل لابدّ من ذكر المنصوب ليتّم الكلام، فمنصوبها ليس فضلة بل هو عمدة؛ لأنه في أصل البنية العميقة للتركيب خبر للمبتدأ، وإنّما نصب تشبيها له بالفضلة بخلاف غيرها من الأفعال التامة؛ لأن الكلام ينعقد معها بذكر المرفوع، ومنصوبها فضلة خارجة عن التركيب ذاته⁽¹⁾.

وفي إطار التحويل بإضافة العناصر العاملة (النواسخ) وسنجد أن من النواسخ ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر، ويشمل كان وأخواتها، وأفعال المقاربة وأفعال الشروع، وأفعال الرجاء وما وأخواتها النافيات المشبهات بـ"ليس" الجاريات مجراها، وهي إن ولا النافية للجنس وما الحجازية وهي جميعها أحرف، ويلحظ أن هذه النواسخ رتبها على العموم الصدارة⁽²⁾ في نظام البناء الأصل التوليدي، والفرع التحويلي.

ب- التوجيه الدلالي لصور التحويل في الجملة الاسمية غير المحضة:

قد سبق معنا الحديث عن الجملة الاسمية المحضة التي لم يزد عليها ناسخ أو حرف مشبّه بالفعل كـ"إنّ" مثلا أو ما ضارعها وعمل عملها، فغير المحضة هي التي لحقت بنيتها هذه الزيادات، وقد أحصيناها (842) تحويلا، نعرضها إجمالا على هذا النحو في كل سور ربع مريم من القرآن الكريم.

1- التحويل بزيادة النواسخ:

ويمكن أن نستخرج صور التحويل بالزيادة على الجملة الاسمية المحضة، انطلاقا من العناصر الناسخة المزيدة، فنجعلها: خمس عشرة صورة سنعرض - بالتحليل والتوجيه الدلالي - مثلا واحدا لكلّ لصورة منها:

(1) ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج2، ص271.

(2) ينظر: رايح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص147.

أ- التحويل بزيادة "كان وأخواتها": وقد وردت (322) ورودا في الربع المبحوث. الصورة الأولى: التحويل بزيادة "كان": وفيها تحوّل البنية بزيادة كان للماضي أو المضارع وقد تكون موصولة بضمائر عديدة منها "أنا" أو "أنت" أو "هو" أو "هي" وغيرها، وقد وردت على هذه الصورة (301) آية قرآنية كريمة، وهي الأغلب من حيث ورودها، وهو في نظرنا لمرونتها، فالنسخة "كان" تستعمل ناقصة فتحتاج إلى "اسم" هو اسمها و"خبر" هو خبرها، والتامة فتحتاج إلى فاعل لها، وهي على هذا الحال بمعنى خلق أو وجد، ولها دلالات ومعانٍ تخرج إليها.

ونقف على مثال لها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ (المؤمنون/17): فـ "كلنا" هي العنصر الناسخ المحوّل بالزيادة على التركيب القرآني، وسبكت "كان"، وهي للماضي مع ضمير المتكلم الجمع "نحن"، فظهرت في بنيتها "كنا" (النون "نا") الدالة على الفاعلين، وهب في محلّ نصب اسم كان، وغافلين هي خبر لها منصوب وعلامته الياء؛ لأنه جمع مذكّر سالم.

وانظر إلى وظيفة خبر "كان" التوكيدية في قوله تعالى وعلا علوا كبيرا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان/67)، إذ منطوق اتّباع عنصر الاسم والخبر الناسخة "كان" في العربية هو الفلسفة العميقة لتوجيه دلالة التركيب فـ"كان" أي هو أي إنفاقهم المفهوم من أنفقوا بين ذلك خبر كان وقواما حال مؤكّدة، فلو قيل: وكان بين ذلك لكان كافيا، ولكن أكد بـ"قواما" لما فيه من صريح اللفظ المفهم للعدل، والإنفاق يكون ولا يكون والشأن أن يكون: ولهذا علق، وكان التعليق بـ"إذا"، وقدم نفي السرف على نفي التقدير؛ لأنّ الإسراف شرهما، ففيه مجاوزة الحدود، وضياح المال وفي التقدير مفسدته مع بقاء المال فينفقه في الخير، وقد يبقى لغيره فينتفع به⁽¹⁾.

(1) ينظر: عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب وإعداد ومراجعة وتعليق: محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، دار الكتاب الجزائري، الجزائر، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة- مصر، د ط، 1964، ص 269.

وفضلا عن دلالة كلمة قواما التي تفيد القصد الوسط والتقويم بالعدل، فإن وجودها بوصفها خبرا لكان هنا وازن بين العمليتين أو الطرفين المنهي عليهما حتى يتحدّد المعنى في المباح بينهما، وتوكيد الإلحاح عليه للمثوبة والأجر.

الصورة الثانية: التحويل بزيادة "ليس": "ليس" فعل جامد غير مشتقّ، وهو من أخوات كان ودلالته النفي أيضا؛ إذ يدخل على الجملة الاسمية فتنتفيها، وتكون لنفي الحال على الإطلاق، نحو (ليس أخوك حاضرا) أي الآن، وإن قيّدت كانت بحسب ذلك القيد، فقد تكون للمضي نحو (ليس أخي قد سافر أمس)، وقد تكون للاستقبال، وذلك نحو قولك (لست ذاهبا إليه غدا)، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ (هود/8)، وقد يكون للاستمرار، وذلك كقولك: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران/182)، وقد تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنثَى﴾ (آل عمران/36)، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى/11)⁽¹⁾.

و"ليس" تحتاج إلى عنصرها اسمها وخبرها، ويتوسّط تواردها في الربع المدروس؛ إذ وردت في (11) موضعا: ومثالها في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ (النور/61): وعطفا على ما تكون له ليس هو كونها-هنا- للحقيقة؛ لأنّه يقرّر أنه ليس عليهم جناح أن يأكلوا مجتمعين، أو أشتاتا أي متفرّقين جمع "شت"، وقد نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل⁽²⁾.

البنية العميقة لها موجود أو كائن جناح عليكم فهي للإثبات فحوّلت البنية التركيبية فانفتت دلالة الإثبات إلى ضدها وأضحت البنية لها دلالة النفي بعد ولوج ليس على جملة الآية الكريمة.

(1) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص163.

(2) ينظر: بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، مذيلا بأسباب النزول للسيوطي، دار القدس للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، د ط، 2011، ص358.

الصورة الثالثة: التحويل بزيادة "أصبح": وهي في (5) خمسة مواضع، ومثالها في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص/10): أصل البنية (فؤاد أم موسى فارغ)، ولها وظيفة تغيير البنية التوليدية إلى بنية تحويلية دون أن يكون التحويل جذريا بل يبقى محلّيًا، وقد تستعمل أصبح لما تخرج إليه من دلالة أو معنى الفعل أي الإصباح في حد ذاته كما نقول أضحي لزمان الضحي وأعرق لزمان العراق ونظيره أشأم وغيره، وقد يستفاد من دلالة الزمن فيها حتى ولو لم تقصد دلالة الزمن في حد ذاتها مع سياق مختلفة، فهنا الدلالة قد تتوافق مع زمن الإصباح، ومع أن فؤاد أم موسى آل إلى فراغه، أي خلوه من خلته وظناه وهو موسى عليه السلام.

الصورة الخامسة: التحويل بزيادة "ظل": كان ورودها (3) ثلاث مرّات، ونعرض مثلا لها في قوله عزّ من قائل: ﴿تُخَلِّفُهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه/97): وأصل البنية "ظلمت" بفكّ الإدغام، أو "بلامين أولهما مكسورة حذفت تخفيفا، أي دمت"⁽¹⁾، كان وهي للماضي ومسندة إلى ضمير المخاطب المفرد المذكر وتبدّى ذلك في التاء (ت)، والتحويل بالزيادة كان في بنية ظلمت التي أصل البنية قبلها "أنت عاكف عليه، فأضحت "ظلمت عليه عاكفا" مع تحويل بتقديم عليه على خبر ظلّ، ومنحت الآية بعد التحويل بدلالة تساوي "ظلمت عليه" أي "أقمت عليه"⁽²⁾. والإعراب: ظلمت: فعل ماضي مبني على الفتح، التاء ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع اسم "ظل"، عليه: حلى حرف جرّ، الهاء ضمير متصل مبني على الكسر في محل جرّ، عاكفا: خبر "ظل" منصوب وعلامته الفتحة"⁽³⁾ الظاهرة في آخره.

(1) الجلالان، تفسير الجلالين، ص318.

(2) التحيبي، القرآن الكريم ومختصر تفسير الطبراني مذيلا بأسباب النزول، ص318.

(3) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص634.

الصورة السادسة: التحويل بزيادة "مادام": وقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم/31): مادام هي الزيادة في التحويل من البنية الاسمية "أنا حي" أي في كل وقت أنا فيه حي، أو في مساحة حياتي، أو ما وافق هذا المعنى، ومغناها "توقيت للفعل في قولك أجلس مادام جالسا، كأنك قلت أجلس دوام جلوسك، نحو قولك: آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج، ولذلك كان مفتقرا إلى أن يشفع؛ أي يسند بكلام؛ لأنه ظرف مما لا بد أن يقع فيه"⁽¹⁾؛ فالمعنى المفهوم من الآية المستنتج من دلالة التركيب هو أن يلتزم الصلاة والزكاة دوام حياته؛ أي عيسى عليه السلام.

الصورة السابعة: التحويل بزيادة "مازال": ومن مرادفات مازال: مافتى وما أفتأ، وما انفك وما ونى، وما رام من رام يريم؛ أي برح وأصل عملها أن تتعدى بمن إلى ما هو الآن مصدر خبرها، فيقال مازال القلب رحيفا، وما زال القلب من الرحمة، أي ما انفصل منها، وكذلك ما زال الله عفواً ومازال الله من العفو، أي ما انفصل منه، لكنها جعلت بمعنى "كان" دائما، فنصبت الخبر نصب كان، وإنما جعلت بمعناه؛ لأنه إذا لم ينفصل شخص عن فعل كان فاعلا له دائما"⁽²⁾.

وورد هو أيضا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ (الأنبياء/15): والأصل تلك دعواهم وتلك مبتدأ ودعواهم خبر ثم صيغت بعد التحويل بإفادة بقاء قبيلهم ودعواهم تلك، حتى أي للغاية أي إلى أن جعلناهم حصيدا خامدين.

(1) ابن يعيش (ابن علي النحوي (643هـ))، شرح المفصل، صحح وعلق: عليه حواشٍ نفيسة بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، طبع إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده آغا الدمشقي ونشرها، مصر، د ط، ج7، د ت، ص111.

(2) شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، طبعة جديدة مصححة ومذيّلة بتعليقات مفيدة، ط2، 1996، ج4، ص184.

ب- التحويل بزيادة "إن" وأخواتها: وردت على هذه الشاكلة التحويلية (514) مرّة في ربع مريم.

الصورة الأولى: التحويل بزيادة "إن": وقد وردت (361) مرّة ، وهي الأغزر بالموازاة مع العناصر الأخرى، ومثاله في قوله تعالى: ﴿وإن تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه/7): الجملة بنية إسنادية محولة بزيادة الناسخة "إن" التي حوّلت البناء وزيد تحويل آخر أنه محول بالاستبدال المصدر المشتق اسم فاعل "عالم" فأصل البناء هو عالم، ودخلت: "إن" فلحق بها الضمير وهو "هو"، فالضمير الهاء في محل نصب اسم (إن) ويعلم جملة فعلية في محل رفع خبر إن، ودلالاتها التوكيد المطلق.

الصورة الثانية: التحويل بزيادة "أن": ووردت (56) مرّة.

الصورة الثالثة: التحويل بزيادة "كأن": ووردت (33) مرّة، ومثالها في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ (إِنِّي) لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل/10). وتحتوي أداتين للزيادة التي تهدف إلى التوكيد الأولى للتشبيه وهي كأن، والثانية (إن + ي).

الصورة الرابعة: التحويل بزيادة "لعل": ووردت (9) مرّات، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل/46): إذن لعلّ هي البنية الناسخة المزيدة وهي للترجي كما هو معهود، ولعلكم ترحمون معناها "فلا تعذبون"⁽¹⁾، والضمير "كم" هو اسمها المبني على السكون في محل نصب، أمّا "ترحمون" وهي جملة فعلية مضارعية مبنية للمفعول محولة بقاعدة استبدال ما حقّه مفرد وهو مؤدّ وظيفة خبر "لعلّ"، وأصل بنيتها قبل تحويلها "لعلكم مرحومون"، وقبل إضافة الناسخ "لعلّ" "أنتم مرحومون"، فيرجعان إلى المبتدأ والخبر.

(1) الجلالان، تفسير الجلالين، ص 381.

الصورة الخامسة: التحويل بزيادة "لكن": ووردت (25) مرّة: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (النمل/73): الزيادة وقعت بالناسخة "لكن"، ومبتغاها الاستدراك على المقول السابق، وأصل البنية العميقة للآية الجليلة (أكثرهم لا يشكرون) فتوكيد عدم أكثرية من يشكرون منهم، إنما للاستدراك على ما أفاده معنى الجملة التي تسبقها وهو مؤكّد بـ"إنّ" ولامّ التوكيد أو اللامّ المزحلقة أيضا وهو قوله: وإنّ ربّك لذو فضل على الناس.

الصورة السادسة: التحويل بزيادة "ليت": ووردت (3) مرّات: كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الأحزاب/66): وليت معناها التمني فتوجه دلالة البنية التحويلية إلى التمني، وأصل البنية نحن مطيعو الله ومطيعو الرسول، فتحول الضمير المنفصل "نحن" للجمع إلى ضمير "نا" أي هو الدال على اسم ليت التي هي مبنية على السكون في محل نصب، و"أطعنا" جملة فعلية ماضوية محوّلة بالاستبدال في محل رفع خبر ليت، وأصلها ليتنا مطيعو الله ومطيعو الرسول.

الصورة السابعة: التحويل بزيادة "لا" العاملة عمل "ليس": أي للنفي: ووردت (17) مرّة: كما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص/88): ولا هنا عاملة عمل ليس فلها اسمها وخبرها فهي ناسخة ولكن التحويل يبقى محليّا وإن زيدت دلالة النفي على الجملة، وتخرج إلى غرض توكيد عدم ألوهية أو تأله أحد مفترى أو مختلقا للناس أو العالمين ومنهم ومن غيرهم، إلاّ الله الذي هو أحق بالألوهية وبالعبادة بعد ذلك ففيها قصر وهو دلالة تخرج إليها معاني الزيادة وتحديثها التحويلات بالزيادة في الجملة الاسمية.

2- الجمل الاسمية المحضة المجردة التي دخل عليها فعل من أفعال المقاربة أو الشروع:

أ- أفعال المقاربة: وجاء على هذه الشاكلة التحويلية (6) ستّ مرّات.

الصورة الأولى: التحويل بزيادة "كاد" (تحويل محلي): قد تستعمل "كرب" وأخذ وجعل وطفق بمعنى "كاد"، وكاد من الأفعال بمعنى المقاربة ولا يكون الخبر إلاّ فعلا صريحا ولا يقع الاسم فيه ولا يسمع فيه أن ولا يمتنع عن ذلك؛ أي نقول: كرب يفعل⁽¹⁾، وكما في قولنا:

ويكرب يفضي القلب للطير عشقه يحاورها: إني بسري مؤلّه
كأنّ لمن أحببت قراناً سيّد ومن يهوى في رأي المحبّ مؤلّه⁽²⁾

ووردت (4) مرّات: ومثاله في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور/35): وعنصر التحويل هو "فعل المقاربة (كاد)"؛ إذ إن الجملة الاسمية المحولة نوجّه دلالتها إلى مقارنة حدوث الإضاءة من الحدوث ولكنه لا يقع في الزمن الحاضر أو الزمن المطلق بل يستحيل وقوعه⁽³⁾، فخير الجملة الاسمية هي وحدة إسنادية مضارعية هي (تضيء) "عسى"⁽⁴⁾.

الصورة الثانية: التحويل بزيادة "عسى": من طيب القول أن نعرض إلى نظر العرب في "عسى"؛ إذ فيها ثلاثة مذاهب وهي "أحدها أن يقولوا عسيت أن تفعل وعسيتما إلى عسيتنّ وعسى زيد أن يفعل وعسيا، إلى عسين وعسيت وعسينا، والثاني أن لا يتجاوزوا

(1) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج6، ص 126.

(2) ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو، ص149.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص149.

(4) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص149.

عَسَى أن يفعل وعسى أن يفعلا وعسى أن يفعلوا، والثالث أن يقولوا عساكَ أن تفعل إلى عساكَنَّ وعساه أن يفعل إلى عساهنَّ وعساني أن أفعل وعساي⁽¹⁾ وكلها تحويلات بدخول عسى مع الضمائر المختلفة على الجملة في العربية لها دلالاتها حسب استعمالاتها الثلاثة.

ووردت (2) مرّات: ومثاله في قوله جلّ وعلا: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (النمل/72): وعسى للترجي، وهي تحتاج لسبكها مع اسمها وخبرها إلى "أن" في الغالب، وأصل البنية العميقة لآية الكريمة: هو كائن مردوف، أو هو مردوف، ولكن لما تحولت البنية وجهت دلالاتها بزيادة عسى ومتبوعها "أن" والفعل المضارع "يكون" ثم حولت الجملة بزيادة تحويلية أخرى وقعت على "بنية" خبر عسى، وهي جملة فعلية ماضوية "ردف" المتعلق بها "لكم"، وتقديرها "عسى كونه مردوفاً"، فالمبتدأ والخبر تحولا إلى اسم عسى وخبرها، فكان أصل اللغة مادة خام متكونة في بناء الجملة الاسمية من اسم مبتدأ واسم خبر وهما يشكلان في الجمل المحولة بالقصدية الكاملة إلى صيغ مختلفة تخدم المعاني التي تتضاف إلى الجمل التوليدية بعد التحويل بالزيادة لإغراض بلاغية كثيرة، وها نحن مع الترجي.

ب- الجمل الاسمية المحضة المجردة التي دخل عليها فعل من الأفعال التي تنصب مفعولين؛ أصلهما مبتدأ وخبر:

وهذا في (التحويل الجذري)، و"هذه النّواسخ هي ما يصطلح عليها بأفعال القلوب وأفعال التحويل"⁽²⁾ وأفعال الشروع، وهي إضافات بنوية "أفعال" تحوّل البنية الجملة الاسمية إلى بنية تحويلية فعلية، وقد أحصينا عملية التحويل بدخول هذه الأفعال (172) مرّة، موزّعة على الأفعال الآتية: جعل (74) مرّة، اتّخذ (24)، رأى (15)، علم (17) مرّة، وجد (6) مرّات، ظنّ (4) مرّات، أنبأ (7) مرّات، حسب (8) مرّات، أمّا وهب (10) مرّات،

(1) ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، ص122.

(2) رابح بومعزة، نظرية النحو، ص153.

وأرى (7) مرّات، فهما لا تتصبان مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر. وهناك طائفة من الأفعال لحظنا غيابها في هذا الربع كالفعل: ألقى، وترك، وصير، وخال، وردّ.

قد أحصينا ورودها في ثماني صور هي:

الصورة الأولى: التحويل بزيادة "جعل" (أفعال الشروع): نذكر أنّ أفعال التحويل التي فصلها النحاة فيما بعد فلم يذكر سببويه منها إلاّ (جعل)⁽¹⁾، وقد شبهه بالفعل ظننت في أحد وجوه إعرابه⁽²⁾. وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم/21): وجعل من أفعال التصيير لها مفعولها، وهما مبتدأ وخبر في البنية الأولية الاسمية، فجملة "لنجعله آية للناس ورحمة منا" أصلها هو: آية، ورحمة منا، فجعل نسخ الدلالة من الأصلية وهي الإخبار باسمية المبتدأ وخبرية الخبر إلى موضعة الفعل بعد "لام" السببية التي تحتاج إلى "أن" المضمرّة المحوّلّة بالإخفاء، لتتعدّد الدلالة للتوضيح والتجلية وتبيان سببية ما قام به الله عزّ وجلّ ردا على تساؤل يحين وهو يحاوره عليه السلام.

الصورة الثانية: التحويل بزيادة "وجد": وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء/53): والبنية التوليدية للآية العظيمة قبل دخول الفعل "وجد" الذي يحتاج مفعولين هي "آباؤنا عابدون لها"، فالأصل فيهما مبتدأ وخبر، وحوّلت بزيادة الفعل فتأولت الدلالة التحويلية إلى معنى ألقينا آباءنا على حالة العبادة لها.

الصورة الثالثة: التحويل بزيادة "رأى": وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (سبأ/6): والبنية التوليدية هي العلم المنزل إليك من ربك هو الحق، فهي بنية اسمية تحوّلت دلالتها من التبليغ الاسمي إلى التبليغ الفعلي، فيرى فعل ليس للرؤية العينية فقط، وإنما للتصور

(1) معصومة عبد الواحد، الجمل الفرعية، ص195.

(2) ينظر: رايح بومعزة، نظرية النحو، ص149.

والفهم، فالمفعول الأول المحول من كونه اسما مبتدأ إلى أنه مفعول أول هو "الذي أنزل إليك من ربك" أو بعد دراسة التحويل بالاستبدال نقول: المنزل إليك من ربك، والمفعول الثاني الذي تحوّل من خبر هو "هو الحق".

الصورة الرابعة: التحويل بزيادة "حَسِبَ" (1): من "أفعال الرجحان" (2)، وهي من الأفعال التي تتعدّى إلى مفعولين و"لا تقتصر على مفعول دون سواه مثلها مثل خال عبد الله زيدا أخاك" (3).

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل/44): وحسب من الأفعال القلبية وهي تنصب مفعولين، كان أصلهما مبتدأ وخبر، فالمعنى قبل التحويل "هو لجة"، وبدخول حسب عليه أضحى المبتدأ هو ضميرا ملتصقا بالفعل وهو مفعول به أول، والثاني لجة وهو مفعول به ثانٍ.

الصورة الخامسة: التحويل بزيادة "ظَنَّ": وهي من التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم، وقال الراغب: الظن اسم لما يحصل من أمانة (4). وهو - أيضا - من الأفعال التي تتجاوز إلى مفعوليهما ثباتا أو "تقتضيهما" (5)، ولا تقتصر على تعديها إلى مفعول واحد دون الآخر، و"وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين -ههنا- أنك إنما أردت أن تبين ما استقرّ عندك من حال المفعول الأوّل، يقينا كان أو شكّا، وذكرت الأوّل، لتعلم

(1) الاختلاف الصرفي في الفعل حسب بكسر السين، وحسب يفتحها أي في ظهور الحركات على الحروف قضى باختلاف دلالي ومعنوي فبينهما بون ف"حسب القلبي منقول من حسب الحسي الذي منه الحساب ومنه حسب الدراهم" وبينها وبين ظنّ فرق في أنّ الحساب قائم على الحساب والنظر العقلي، بخلاف الظنّ الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنى الأسباب" وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" (الكهف/104) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ص21.

(2) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ص300.

(3) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص39.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ص17.

(5) ينظر: المرجع نفسه، مج2، ص18.

الذي تضيف إليه ما استقرّ له عندك (ما هو) فإنّما ذكرت (ظننت) ونحوه لتجعل خبر المفعول الأوّل يقينا أو شكّا، ولم ترد أن تجعل فيه الأوّل الشك أو تقيم عليه في اليقين⁽¹⁾، وذلك أنّه إذا قلنا: ظننت محمّدا مسافرا، فليس الظنّ في محمد، وإنما في السفر، فإذا ذكرنا (محمد) ولم نخبر عنه بشيء، حيث إن المفعولين هما في الأصل مبتدأ وخبر، "فإذا اقتصرنا على الأوّل، فقد أتينا بالمبتدأ ولم نأت له بخبر فلم يكتمل المعنى⁽²⁾، ولم تتحقّق الدلالة النهائية للجملة.

فمن هذا نستخلص أنه من المنع التّام الاستغناء عن أحدهما لتكتمل الدّلالة للبنية التركيبية من التوليدية إلى التحويلية ومن البنية الأصليّة للتركيب الجملة الاسمية إلى الفعلية. وهذا الفعل ينسخ عمل الجملة الاسمية جزريا؛ فهي وأخواتها تدخل على الجملة الاسمية أي ما أصله في البنية التوليدية مبتدأ وخبر "فتنصبهما على أنّهما مفعولان لها، وهي أفعال القلوب، أي من معانيها العلم والظنّ والشكّ؛ فهي قائمة بالقلب ومتعلّقة به؛ من حيث إنّها صادرة عنه لا عن الجوارح والأعضاء الظاهرة"⁽³⁾، ومثاله قولي:

وطنيّ قلبك شقّ قلبيّ أو دمي	دمك، وروحيّ روحك وفؤادي
وطنيّ خاطر كالمشرّد خاطري	فوجدت غير الظنّ في أبعادي
فنسيت هجعيّ والمنام نسيتي	فجعلت أنّ تيقظي كرقادي ⁽⁴⁾

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص40.

(2) ينظر: معصومة عبد الواحد، الجمل الفرعية، ص196.

(3) ينظر: أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، ص177.

(4) الأبيات للطالب الباحث مرتجلة للأرب العلمي وللتّمثيل وهي محاولة تطبيقية لتوضيح عمل الناسخ للجملة الاسمية ظنّ وتحويل المبتدأ والخبر مفعولين لها، والأبيات ارتجلت يوم الأربعاء 14 محرّم 1437 الموافق لـ28 أكتوبر 2015 في الساعة الثانية وعشر دقائق صباحا، ببسكرة، والأبيات من بحر الكامل وتفعيلاته كملّ الجمال من البحور الكامل*** متفاعّل متفاعّلن، وسمّي بالكمال لتكامل حركاته وهي ثلاثون حركة، وليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره وضابطه: متكاملٌ وجمالٌ وجهك فائن*** متفاعّلن متفاعّلن متفاعّلن : ينظر: شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن عبّاد بن شعيب الفنائي، المعروف بالخواص (ت858هـ)، الكافي في علميّ العروض والقوافي، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص64، ومثاله: قول البحترى يصف قصرا: ملأَتْ جوانبُه الفضاة وعانقتُ*** شرفأته قطع السحاب الممطر.

ينظر: غازي يموت، بحور الشعر العربي، عروض الخليل، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، ط2، 1992، ص23.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور/12): (المؤمنون (أنفسهم خيرًا)) فجاءت ظنّ التي غيرت البنية، فأصبحت (ظنّ المؤمنون بأنفسهم) الأصل؛ أي متعدّ بحرف الجر "الباء"، وأصلها ظنّ المؤمنون أنفسهم خيرا فهو منصوب على نزع الخافض، وخيرا المفعول به الثاني ليوضح المعنى " وفي التصريح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يظنّ بالمسلمين إلا خيرا" (1).

الصورة السادسة: التحويل بزيادة "أرى": وهذا الفعل ممّا يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل؛ أو كما ذكر سيبويه "مفعولين ولا يجوز أن تقتصر على مفعول واحد منهم دون الثلاثة؛ لأن المفعول - ههنا - كالفاعل في الباب الأوّل الذي قبله في المعنى، وذلك قولك: أرى الله بشرا زيدا أباك ونبأت زيدا عمر أبا فلان، وأعلم الله زيدا عمرا خيرا منك" (2).

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (الأنبياء/37): وهنا البنية محوّلة بزيادة الفعل "أرى" الذي يتعدّى إلى ثلاثة مفعولين، فهنا نلمح بعد الزيادة مفعولين والثالث في بنية التقدير أي هو محوّل بالحذف فالأول لـ"أرى" هو الضمير "كم" للمخاطب الجمع، والثاني "آياتي"، والثالث حقّا أو ظاهرة أو ما ضارع هذا المعنى.

الصورة السابعة: التحويل بزيادة "وهب": وأصل وهب "من الهبة، ثمّ ضمن معنى التّصيير وذلك نحو قولهم : وهبني الله فداك، ومعنى هذا القول انه جعله فداء محبوب لديه، وهو بمنزلة الهبة، فدعا لنفسه أن يجعله الله فداءً، وهو بهذا المعنى لازم المضي لجريانه كالمثل" (3)، ووهب من المنح في البدء؛ أي الإغداق بالموهوب أو بالوهب، ويحتاج إلى مفعوليه.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص341.

(2) سيبويه، الكتاب، ج1، ص41.

(3) فاصل صالح السامرائي، معاني النحو، مج2، ص28.

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت/27): وهنا المفعول الأول هو الضمير المقدر في صعيد التخييل أي وهبناه إسحاق، وحوّلت إلى أنه مخفي محول بالحذف متعلق ببنية له أي شبه الجملة والمفعول الثاني هو إسحاق ويعقوب.

الصورة الثامنة: التحويل بزيادة الفعل "أبأ": وهو من باب الأفعال التي تحتاج إلى ثلاثة مفعولات، وقال سيبويه: "وَأَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالُ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى مَا ذَكَرْتَ لَكَ مِنَ الْمَفْعُولِينَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ مَتَعَدِّيًّا، تَعَدَّتْ إِلَى جَمِيعِ مَا يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْفِعْلُ، الَّذِي لَا يَتَعَدَّى الْفَاعِلُ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: أَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا الْمَالَ إِعْطَاءً جَمِيلًا، وَسَرَقَتْ عَبْدَ اللَّهِ الثُّوبَ اللَّيْلِيَّةَ، لَا تَجْعَلُهُ ظَرْفًا، وَلَكِنْ كَمَا تَقُولُ: يَا سَارِقًا اللَّيْلَةَ زَيْدًا الثُّوبَ، لَمْ تَجْعَلْهُ ظَرْفًا"⁽¹⁾، وهو في مضمار "أعلم" أيضا؛ فنقول: "أعلمت هذا زيدا اعلم قائما العلم اليقين إعلاما، وأدخل الله عمرا المدخل الكريم إدخالا، لأنها لما انتهت صارت بمنزلة ما لا يتعدى"⁽²⁾، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور/64): من الإنباء، أي الإعلام أي المتعدّي لثلاثة مفعولين، وتقدير الكلام أن- في البنية التحويلية- بنية عميقة محولة بالحذف حذف الثالث من المفعولين، فالضمير "هم" المفعول الأول لينبئهم، وبما عملوا في محل نصب المفعول الثاني أو بما تعلق محولا بالحذف بها، والثالث هو (حاصلا أو كائنا أو معدودا أو ما ضارع هذا السياق)، فالبنية التركيبية بعد دخول ينبئهم عليها حارت إلى الجملة الفعلية التي لها دلالة مغايرة تماما للجملة التوليدية قبل دخول (أبأ) عليها، وهو تحويل جذري.

(1) سيبويه، الكتاب، ج1، ص41 .

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

خلاصة الفصل:

لقد استحصلنا - من مبحث التحويل بالزيادة- النتائج الآتية:

1- تخرج لثلاثة معانٍ النفي والاستفهام والتوكيد، وتمس البنية الفعلية البسيطة والمركبة في العربية على حدّ السواء.

2- تتعدّد حروف الزيادة أو عناصرها في التوكيد والنفي والاستفهام، وكانت في التوكيد: إمّا بمؤكّد واحد كزيادة لام التوكيد على الفعل، أو قد التي هي لتحقيق الفعل مع الماضي وللتكثير مع الفعل المضارع، وإمّا بمؤكّدين فتحول البنية بزيادة أداتين للتقصير (القصر) كأداة النفي ما وأداة الاستثناء "إلا"، أو إنّ التي للنفي وإلا، أو قد يؤكّد باللام ونون التوكيد الثقيلة.

وفي النفي: كانت عناصر التحويل في الربع المدروس هي "لا" و"ما" "لم" و"ليس" و"ألا" و"ألا"، و"كلا" وإنّ ولن وهل التي بمعنى لا.

وفي الاستفهام بعناصره التي حولت بها البنى التركيبية الفعلية في الربع المبحوث وهي حرفا الاستفهام الهمزة وهل و لمّ وماذا ومن وما وكيف وأين وأيان وبمّ وأنى وأيّ وأمّ وكم ولم يكن التحويل باسم الاستفهام "متى".

3- ما يوجز جداه في مذاهب الزيادة لإعراضها المختلفة أنها تجيء مركبة متداخلة وليس بسيطة مفردة مباشرة، فقد رأينا أن البنية المزيدة قد تكون بنية في حدّ ذاتها كما هو الحال: أولو، أولم، أوليس، وغير ذلك والمعنى يبدو شجرة مثقلة بالمعاني وليس فيها معنى واحد أو اثنين فقط بل قد يتعدّى إلى معانٍ أربعة أو أكثر من ذلك أو أقلّ، فالغرض من التحويل بالزيادة أوسع إتياءً، وأغزر منحا للمعاني والدلالات وسوى ذلك.

4- وتتداخل الفوائد التي تقفناها من أنواع الزيادة الثلاثة التي عرضناها أي بأدوات الاستفهام والنفي والتوكيد، إذ يخرج الاستفهام إلى التعجب الحافل بأغراض يفيدها التعجب في حدّ ذاته، أو الاستفهام الاستكاري الذي يغيّر البنية التركيبية إلى بنية تحويلية تخدم سياق الآيات الكريمة بعد التحويل.

5- ونستجني ممّا سبق من عرض عناصر التحويل بالزيادة على الجملة الاسمية أن التحويل فيها يتأتّى بزيادة نواسخ تنسخ أو تغيّر شكل البنية التركيبية التوليدية الاسمية إلى شكل البنية التركيبية التحويلية الاسمية؛ فالبنية أصلها في منطق التركيب عنصران مبتدأ

وخبر، ولما تحوّل بزيادة "كان" وأخواتها، وأنّ وإنّ وأخواتها، وأفعال القلوب والشكّ وأفعال التحوّل والتّصيير التي تنصب مفعولين أو ثلاثة كـ"أعلم وأرى وأنبأ"، وهذا لأغراض التوكيد وغيره من المعاني البلاغية التي تتداول في الكلام وفي القرآن الكريم تبعاً لسياقاتها اللغوية، ومقاماتها التي تتراتب معها، تنتظم فيها الجمل على نحو يخدمها، وتنعقد فيها دلالات مباينة تمام التباين لجمل مزيدة بعناصر الزيادة الأخرى، وهذا التحوّل متفرّع فرعين: المحليّ وهو الذي لا تتغيّر فيه البنية الاسمية ولو أضيف إليها أفعال غيرت دلالتها كلياً، إلّا أنّ الجمل تبقى اسمية ولا تبرح اسميتها بعد التحوّل عكس التحوّل الثاني وهو الجذري الذي تنتقل البنية فيه إلى بنية فعلية بعد أن كانت اسمية محضة.

الفصل الثاني:

صور التحويل بالترتيب

ودلالة الغرض

- مفهوم الترتيب (قرينة الرتبة):

أولاً: التقديم والتأخير في النحو والبلاغة ودلالاتهما.

الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، لأن المبتدأ هو المخبر عنه والخبر هو المخبر به؛ فالخبر تالٍ للمبتدأ في الترتيب، ولكن يجوز أن يغيّر الأمر فيتقدم الخبر ويؤخر المبتدأ لغرض بلاغي يتجه إليه المتكلم.

من مثال التحويل بالتقديم عموماً في القرآن الكريم في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه/17)، ما اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مقدم؛ فهذه بنية الآية الجليلة المحولة والمقدرة ونحن بدل أن نقول تقدير الجملة أو الآية، نقول ببنيتها العميقة، أو السطحية، لنوائم مصطلحات النحو التحويلي في شقيه الغربي والعربي، وندرج على ذلك في كل البحث - إن شاء الله - جواز تقديم المبتدأ الأصيل وتأخيره: "يحرك هذا الأمر غرض المتكلم وحاجته مثل ذلك: جملة "مسافر عبدُ الله"، فإن لم تتعلّق الإفادة بتقديم الخبر، جاء على نحو "عبد الله مسافر" (1).

يصلح رابع بومعزة على نوعي التحويل النحوي بالجذري والمحلي، وهما مصطلحان يفيداننا في النظر إلى صيغة التحويل في الجمل العربية فالجذري بمعنى قاعدي والمحلي بمعنى عارض، وإنّها لمجدرة أن نمائلهما مع مصطلحات النحو التحويلي كمصطلح "الأصلي والفرعي" مثلاً، وقد قسم عبد القاهر الجرجاني التقديم قسمين:

1- التقديم على نية التأخير (التحويل المحلي): "ذلك كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ والمفعول إذا قدّمته على الفاعل، وهو ما يسمّيه بعضهم بالتحويل المحلي، ونورد مثلاً قدمه رابع بومعزة على التحويل المحلي وهو في جملة الآية الكريمة: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾

(1) مازن المبارك، الجملة بين النحو والمعاني، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 1410-1989، ص36.

أَهْوَى (النجم/53)، إذ الجملة محولة تحويلاً محلياً فصيغة الآية الكريمة قبل التحويل هي على بنية "أهوى المؤتفكة"، فتحويلها بتقديم مكون المفعول به على الفعل وهذا لغرض دلالي توجه إليه في الموقف والسياق، فانطوي التقديم، وتعمد لاهتمام المفعول به "المؤتفكة"، وعني به في مستهل الجملة.

2- التقديم لا على نية التأخير (التحويل الجذري): يقول الجرجاني: "أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعله باباً غير بابه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأً، ويكون الآخر خبراً له فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذلك على هذا، ومثاله ما تصنعه بـ"زيد" و"المنطلق"؛ حيث تقول مرة: "زيد المنطلق"، وأخرى تقول: "المنطلق زيد"؛ إذ يفهم من كلام الجرجاني أن التقديم على نية التأخير هو الأهم في هذه الظاهرة بتلك الوحدات النحوية الدالة كالخبر ومتعلقاته التي تبني الإسناد، وغيرها مما يجوز فيه أن تتغير رتبته في التركيب اللغوي إما النوع الثاني فهو أقل وأندر، وكلاهما يمنحنا دلالة التخالف في البنية والتركيب.⁽¹⁾

ويشير الجرجاني بأوصافه التي يسديها لهذا الباب فيقول: "إنه كثير الفوائد، جم واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطفه لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"⁽²⁾، ونضرب مثلاً أورده الجرجاني في التقديم المفعول: وهو ضرب عمراً زيد، ومنطلق زيد المثال السابق فيحل الجرجاني فيقول: "معلوم أن "منطلق"، و"عمراً" لم يخرجاً بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأً ومرفوعاً بذلك وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله كما يكون إذا

(1) ينظر: غيات محمد بابو، الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في

اللغة العربية، العام الدراسي: 2008-2009، ص 177.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 117.

أُخِّرَت⁽¹⁾، بل ويضيف: "وأظهر من هذا قولنا: ضربت زيدا وزيد ضربته لم تقدّم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له، فهو نوع من التحويلات الجذرية؛ إذ هو الذي ينتقل فيه المسند إليه من مكان داخل الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية إلى مركز الصدارة متخلصا من أثر الفعل الذي كان العامل الأساس فيه، من نحوك ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة/205)، ذلك أن لفظ الجلالة "الله" في هذه الجملة لا يخضع وظيفيا للفعل "يحب"، وإنما العامل فيه هو الابتداء"⁽²⁾.

وضرب بعض العلماء مثلا في العربية للتحويل الجذري الذي يوازيه بالتقديم لا على نية التأخير، وهو استبدال بنية الجملة ببنية أخراة لا يعكس معيارا من معايير الاهتمام الموشوجة بها العناصر المقدمة، أو المؤخرة، إنما هو "تحويل جذري لمفهوم اللسانيات الحديثة"⁽³⁾.

يشير العديد من العلماء إلى هذا النوع من التحويل في جملة الآية الكريمة: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فصلت/17)؛ إذ يقرر بأن المبتدأ "تمود" لم يقدم للاهتمام به، وتركيزنا فيه "إنما" للفت انتباه السامع إلى منطلق مشترك بينهما يبني عليه الخبر الجديد، في كل الأحوال قد يكون هذا التنبيه بتقديمه صورة من صور الاهتمام خصوصا وهو بعد و(أما).
وصورة التحويل الجذري في البنى التركيبية الإسنادية هو التغير الموقعي الذي ينتج عنه تغاير في الإعراب والحكم، كما مثل الجرجاني بأنه تمايز تام من ذلك ضربت زيدا، وزيد ضربته، ومن ذلك تفريق بعض الدارسين بين جملة الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة/205)، والآية: ﴿لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ (الأنعام/76)؛ إذ هناك تغاير

(1) ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم، صورها وتوجهها البياني، دراسات نحوية، ص31.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص159.

جذري بين موقفين كلاميين مختلفين في البنية وفي المعنى والدلالة، وجملة الآية الثانية يوسمها بأنها جملة فعلية مضارعية منفية.⁽¹⁾

والتقديم والتأخير لا يراد به التغير غير الوظيفي الدلالي للكلمات أو مكونات الإسناد الفعلية والاسمية، إذ لا ينتهي المعنى مع التقديم والتأخير فقط، وهذا ما رآه تمام حسان في أنواع الرتب في الكلام إذ يناقش الرتبة الزمانية فيقول: "إذ يحتكم العقل لأحد الأمرين ثم لا يتوقف المعنى على تقديمه في الكلام، وإنما يؤمن اللبس على رغم انعكاس رتبة الأشياء"⁽²⁾، وللتمثيل التطبيقي نقدم هذا المثال:

يقول الله عز وجل في القرآن العظيم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ (الأنبياء/90)، فمما هو مدوَّب على الاتفاق عليه هو أن امرأة سيدنا زكريا كانت عقيما، وأن حملها بغلام لا يتم إلا بعد صلاح حالها في الولادة، وإزالة عقمها بإرادة الله؛ فالمعقول أن يتم إصلاحها أولا ثم يترتب على ذلك أن يأتي الغلام هبة من الله لوالده زكريا؛ فما كان هذا المعنى لا يغيره أو يخفيه عكس ترتيب ذكر الأحداث، جاءت الآية وهي تقدم ذكر الهبة لأنها هي المطهر الأوضح للاستجابة، وليس يساوي ذلك في الحسن أن يقال: [فاستجبنا له فأصلحنا زوجه ووهبنا له يحيى]؛ لأن دعاءه لم ينصب على إصلاح الزوج. من هذا نفهم أن دلالة هذه الرتبة العكسية دلالة منطقية بالنظر إلى المتلقي، فنسب الوهب إلى إصلاح الزوج لكن الله هنا يقدم جملة ووهبنا له يحيى على أساس أن الله قادر على كل شيء أما إصلاح الزوج فأمر طبيعي، فيبين أن كل المعجزات والمستحيلات الطبيعية والكونية التي لا تتحقق في إطار الإنسانية القاصرة والضعيفة، هي في نظر الخالق أمر يسير وبسيط، ونلتنع -هنا أيضا- البنية العميقة والسطحية للآية الكريمة، فالأصل في البنية العميقة أن يتحقق الفعل المنطقي الذي يكون سببا في تحقق أفعال أخرى، فأصلاح الزوج هو بادرة الولادة والإنجاب، وهذا مبدأه وضع الآية على هذا النحو،

(1) ينظر: رابع بومعزة، الجملة في القرآن الكريم، ص 31.

(2) ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص 71.

فالتحويل بالتقديم لسانيا "قائم في الوعي العقلي عند المتكلم فيعمد إليه إذا وجد له مسوغاً"⁽¹⁾، ونرى أن خزانة العربية في التراث القولي الأدبي شعرا ونثرا مواراة بهذا الأسلوب.

قد يدنو من معنى التقديم والتأخير في اللغة معنى آخر وهو الاستبدال، وأشار إليه تشومسكي ولكنه ليس في معناه؛ إذ الاستبدال قائم على استبدال الألفاظ التي هي أخبار أو مبتدآت أو أفعال أو فاعلون أو غير ذلك على أساس الأذق تداوليا، ويعتمد في تحليل قيم التحويل بالاستبدال فهم وتفكيك البنية التركيبية المتأسسة على الوحدات الإسنادية والتي تولد الوحدات الدلالية.

وتنقسم اللغات الطبيعية ومنها اللغة العربية بالنظر إلى المكونات قسمين من الوجهة الوظيفية لتحويل بنى اللغة: "لغات ذات مجال بعدي، ولغات ذات مجال قبلي؛ وتتسم اللغات ذات المجال البعدي بخصيصة ورود الفضلات بعد الرأس ويعنى بالرأس وظيفيا الأساس في الإسناد في مقابل اللغات ذات المجال القبلي التي تترتب فيها الفضلات قبل الرأس، وتتجلى هذه السمة في مستوى الجملة باعتبارها كلاً؛ إذ إن رأس الجملة "الفعل" في "اللغة العربية" تتقدم عن باقي المكونات الأخرى في اللغات ذات المجال البعدي ويتأخر في اللغات ذات المجال القبلي مؤديا بذلك التقابل بين اللغات ذات الرتبة (فاعل + مفعول)، واللغات ذات الرتبة (فاعل + مفعول + فعل)، وتتجلى الخصيصة نفسها في صعيد المركبات ذاتها، إذ إن رأس المركب يتقدم على فضلاته في اللغات ذات المجال البعدي ويرد متأخرا عنها في اللغات ذات المجال القبلي"⁽²⁾.

أما فيما يتعلق باللغة العربية من المعلوم أنها من اللغات التي يتقدم فيها الفعل على باقي المكونات في الجملة الفعلية، إلا إذا كان أحد هذه المكونات حاملا لوظيفة تداولية تخوله التقدم كما يتبين من المقارنة بين الجملتين:

(1) صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية، ص 120.

(2) أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية؛ مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، ص 59.

أ- عشق كثير عزة.

ب- عزة عشق كثير، بنبر "عزة".

هذه القاعدة المسئولة عن ترتيب العناصر داخل المركبات في اللغة العربية، وباستثمار المصطلحات الوظيفية يجوز لنا أن نعبر بهذه الشاكلة: (مح: رأس: فضلة)... (مح رأس فضلة)؛ حيث مح هو المحدد.

وكذلك مصطلحا المحمول والموضوع وهما مصطلحان منطقيان وظيفيان؛ إذ يقوم البراغمانتاكس أو الدلالة التوليدية على مبدئين رئيسيين اثنين:

أ- عدم استقلال التركيب بالنسبة للدلالة.

ب- الطبيعة الدلالية للبنية مصدر الاشتقاق والتحويل لأنوية الجمل الاسمية والفعلية في العربية وغيرها، انطلاقا من هذين النواتين: يصاغ النحو العربي والعالمي على الشكل الآتي:

نشكل مصدرا لاشتقاق الجملة بنية منطقية دلالية مصوغة طبقا لمنطق المحمولات، تتضمن محمولا فعليا اسميا أو وصفيا يربط بين عدد معين من المصوغات: على أساس هذا الضرب من التمثيل للخصائص المنطقية الدلالية تكون البنية مصدرا لاشتقاق الجملة الآتية مثلا: قتل خالد هنداً

ج: الجملة

محمول/فعل	موضوع 1 / اسم - فاعل	موضوع 2 / اسم - مفعول به
قتل	خالد	هنداً ⁽¹⁾

- التمثيل بسورة الشعراء:

الجملة

محمول	موضوع 1	موضوع 2
-------	---------	---------

⁽¹⁾ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، المغرب، ط2، 2010، ص101.

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشعراء/10).

وذلك ما يمنح الجملة وضعية قابلة لتحريك العناصر الإسنادية، وثناء المعنى اللغوي، وقابلية تطويع المكونات التركيبية، حسب الاحتياجات التداولية بمنطق القواعد التحويلية، وبما أن اللغة العربية واللغات الكونية مكتنزة بالمفردات والوحدات "اللكسيمية"⁽¹⁾، التي تشكل الأسماء والأفعال وبالنقل بين هذه الوحدات وتغايرها تتمايز المعاني في التقديم والتأخير وبواسطة قاعدة "الإدماج المعجمي يعوض المحمول المركب بالمفردة الملائمة، أو الموائمة لهذا المعنى أو ذلك، فتنتقل بذلك البنية "أ" مثلا إلى البنية "ب"، وتعد البنية خرج الإدماج المعجمي دخلا للقواعد التحويلية التي تنتج عنها بنية سطحية تؤول صوتيا من طريق القواعد الصوتية من هذه القواعد التحويلية قاعدة" تكوين الفاعل التي يستلزمها ترتيب المكونات خاصة في اللغات ذات البنيات الترتيبية التي يتقدم فيها الفاعل على الفعل، فبهذه القاعدة تنتقل البنية 1 إلى البنية 2 في اللغة الإنجليزية :

1 البنية S

pred arg1 Arg2

Mary john killd

2 البنية S

Vp np

Np v

"Mary killd john"⁽²⁾

(1) الألكسيمية: معناها معجمية: Lexicologie، ولأها مرتبطة بالقاموس؛ فالكلمات نجدها في القواميس بأنواعها المختلفة، فسمّاها أصحاب القواميس اللسانية واللغوية المتخصصة: قاموسية: Lexicographie، ويجوز لي أن أنتعتها مفرداتية لأن كل ليكسيم أو ليكسيمة هي وحدة معجمية أو مفرداتية لأن المفردات ترتب وتبويب في قواميس اللغات، ينظر للاستزادة: عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات؛ عربي- فرنسي، فرنسي- عربي، مع مقدّمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب،، 1984، ص 207.

(2) أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 102.

ثانياً: التحويل بالاستبدال والغرض البلاغي:

ونحن نعتقد ان في مغايرة الرتبة شكل من أشكال التحويل بالاستبدال؛ لأنه تعوّض عن رتبة برتبة، واستبدالها بها، ومراوحة عناصر الجملة في بنية التركيب من جملة لها ترتيب لعناصرها بمواقع معينة لجملة تغيّر فيها نظام الترتيب لأغراض ودلالات لها توجيهها البلاغي والتداولي، ومن أنماط التحويل بالاستبدال"ما وقع في الوجدتين الإسناديتين الواردتين في الآية الكريمة: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ (الحج/19)، فيما أن البنية العميقة للوحدة الإسنادية الماضية هي "الكافرون" وهو صلة الموصول "الذي" هو المبتدأ تحول إلى ورودها "الكافرون"، أي "الكافرون قطعت لهم ثياب من نار"، والخبر كذلك يحول ليبدو من وحدته الإسنادية الماضية "قطعت لهم ثياب من نار" إلى صيغة الوصف "مقطعة لهم ثياب"، ومناطق الأمر ولبه في هذا أن الجملة لها إعراب إذا نابت عن المفرد"⁽¹⁾.

فالدلالة التأويلية التي تترسخ في الذهن عند قراءة هذه الآية الكريمة برفع النص من المعنى السطحي على مستوى التحقق تتموضع أن اختلاف الوحدات أو الصيغ الصرفية له اختلاف المعنى زمنياً وحدثياً، أما ما قترحه تشومسكي في التحويل بالاستبدال فالبنية التركيبية المرجوة في نظام النحو التحويلي (Grammaire Génrative) على اللغات كلها، فهو مشجر يحلّل المؤلفات المباشرة ليمنح الدلالة على أساس العناصر الإسنادية" الفعل والفاعل مثلاً ففي جملة "المجتهد ينال الجائزة؛ غد نتتبع ما حذف في البنية السطحية للجملة وهو الضمير المنفصل "هو"؛ فالبنية التركيبية حسب رابح بومعزة متكونة من "مؤلف مباشر أول هو"مسند إليه" المجتهد، ومؤلف مباشر ثان"مسند" هو ينال الجائزة، والتحويل حسب اختصار الفضلات بالنظر إلى المسند والمسند إليه في هذه الجملة "المجتهد ينال الجائزة" أو الجمل الآتية: ينال المجتهد الجائزة، ينال المجتهدان

(1) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص65.

الجائزة، ينال المجتهدون الجائزة. هو بالاستبدال وليس بتقديم المبتدأ في جملتين: المجتهد ينجح، المجتهد ينال الجائزة⁽¹⁾، والاستبدال لون من ألوان التحويل الوظيفي.

ثالثاً: التحويل في الجملة الفعلية.

إن الحديث عن عنصر التحويل بالترتيب في اللغة بعامة، واللغة العربية بتدقيق الدراسة اللسانية، يستجرنا إلى الحديث عن عملية التحويل بتأخير عنصر لغوي بَدَلَ عنصر لغويّ آخر، من ذلك تغيير نظام القواعد الأصلية في الجملة الفعلية والاسمية إلى قواعد اقتضاها سياق الحال؛ إذ يخرج هذا التحويل الواقع على مستوى بنية الرتبة بين الفاعل والفعل والمفعول والمبتدأ والخبر وغير ذلك من عناصر الإسناد أولاً، وما أضيف إليها من أغراض دلالية تضبط احتياج الإنسان للمعاني الموصولة بالتركيب اللغوية ثانياً، ومن ذلك تشابه الجملتين الظرفية والاسمية- بصورة عامّة- في الضوابط التي تحدّد موقع كلّ طرف من أطراف الإسناد فيهما، سواء فيما يتصل بالحالات الكلية أو ما يتعلق بعدد من المواضع التفصيلية⁽²⁾ في العربية.

إن قرينة الرتبة في النحو العربي واضحة الدلالة؛ وذلك لأمن اللبس إذا تغيرت التراكيب في المواضع السياقية والتداولية المختلفة، لكنّ الذهن البشريّ يستطيع أن يحفظ قاعدة "الرتبة" إذا فهم أنّ الغرض من صور الترتيبات المتنوعة في اللغة العربية هو المعنى؛ إذ يؤدّي الرتبة دوراً جليلاً في الترتيب⁽³⁾، وهذا مرتبط - أيضاً- بنظم الكلام والجمال في اللغة في شكله التوليدي والتحويلي على هذا التدرج فالنظم "التأليف"، ونظمت اللؤلؤ؛ أي جمعته في السلك، وقرنت أي عنصر بآخر، أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 29.

(2) علي أبو المكارم، التراكيب الإسنادية، الجمل: "الظرفية-الوصفية-الشرطية"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط 1، 2007، ص 70.

(3) عزام محمد ذيب إشريده، دور الرتبة المنزلة والمواقع في الظاهرة النحوية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط 1، 2004، ص 197.

(4) المرجع نفسه، ص 196.

ونجعل أن من أهم أسباب تغيير الرتبة في مكونات اللغة العربية والنحو العربي، هو الوقوف عند متطلبات السياق المحوّل، ولمطابقة الحاجة البلاغية بين المرسل والمرسل إليه وهما مصطلحان للنظرية التواصلية الجاكوبسونية (نسبة إلى رومان جاكوبسون) الحديثة، والرتبة في اللغة عند نعوم تشومسكي هي التي يمكن ملاحظتها في البنية السطحية مع العلم أن الرتبة الموجودة في البنية العميقة تختلف عن الرتبة الموجودة في البنية السطحية⁽¹⁾؛ فترتيب الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/28) يختلف جذريا عن الجملة بصيغة: "إنما يخشى العلماء الله من عباده"، أو "إنما يخشى الله العلماء من عباده"، فتغير البنية له أثر تداولي أو سياقي مستتبع، "فتقديم الركن اللغوي أو الالتزام بموقعه في التركيب اللغوي الأساس مرتبط بالبعد الدلالي بوصفه الموجه للتأليف اللغوي، وهدف تقديم الأركان اللغوية في التراكيب العربية يمكن أن يوافق هدف تقديم الأركان اللغوية في النظرية اللسانية الفرنسية، فطبقا لاعتقاد تون.إ. فان دايك (Dik1978)"⁽²⁾ وتشومسكي (Chomky1977)، فإن أهم ركن لغوي في التركيب الأساس هو ذلك الركن المقدم على غيره من بقية الأركان⁽³⁾ اللغوية.

قال سيبويه: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى" أكثر اهتماما وفائدة"، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم⁽⁴⁾، فمن دوافع التحويل بالتقديم والتأخير عنصر الاهتمام عند المتكلمين والمصغين على السواء.

إنّ للرتبة نظاما خاصا في العربية، فهناك "جملة صلة الموصول لا تتقدم على الموصول أبدا، فمثلا جملة (قدم محمد يقود سيارته التي يفخر بها)"⁽⁵⁾؛ فالاسم الموصول

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية- طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص125.

(2) ينظر: تون.إ. فان دايك، علم النص؛ مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص135 إلى 156.

(3) ينظر: البنية التركيبية للحدث اللساني، ص127.

(4) سيبويه، الكتاب، 1/34.

(5) ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص67-68.

التّي: اسم موصول وهي في محل صفة، أما الجملة الفعلية "يفخر بها" فهي جملة صلة الموصول، إذ لا يمكنها أن تتقدم في رتبها على "التي" لكن المعنى في تحويل بعض هذه الجمل وارد، فيمكن القول: جاء يقود سيارته التي يفخر بها محمد، ولا صرف ذلك بالنسبة إلى جزء من المعنى فالنظام في هذه الرتبة محفوظ كما يقول تمام حسّان، نفهم من ذلك أن هناك تقدما أو تأخيرا محمودا ومقبولا من الناحية الدلالية وله أغراضه التي تتلون بها المعاني الجمالية، وأن هناك نظاما ثابتا لا نفجره بأي حال من الأحوال أو غيره، وهذا متعلق بخصوصية الأحرف في اللغة والأدوات؛ وما دام الفعل والفاعل قد يتقدم الثاني على الأول بالجواز والوجوب، أو الخبر على المبتدأ بخصيستي الوجوب والجواز أيضا في إطار الإسناد، فلا يحق مثلا لصلة الموصول التقدم على اسم الموصول بأي حال من الأحوال في المنطق السائر للغة العربية .

مثال ذلك قول الله عز وجل: ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (الأنبياء/36)، فلا يمكن أن تتقدم الجملة الفعلية "يذكر آلهتكم" على الذي اسم الموصول، لعلّة تركيبية فلا نقول: أهذا يذكر آلهتكم الذي، ولعلّة دلالية إذ تتفصم عرى الدلالة فلا يكتمل المعنى وخصوصا والأسلوب استفهامي، "وما يلحظ- من خلال تحليلنا للتركيب في البنية التركيبية للحدث اللساني - أن القواعد التحويلية للكلام الأساس قد جعلت رتبة العناصر التي تؤثر في مضمون الإيجاز اللغوية، وتغير وظيفته أولا، أي في الصدارة وبخاصة الأدوات وكل شيء يغير معنى الكلام ويؤثر في مضمونه وإن كان حرفا فمرتبه الصدر، أي صدر الجمل وابتداء الكلام كحروف النفي والتنبيه والاستفهام والتحضيض الاستحاثات كهلا أو تستعمل لولا في بعض الأحايين كما في القرآن الكريم وغيرها، وإن وأخواتها النواسخ للجملة الاسمية وغير ذلك، وأمّا الأفعال كأفعال القلوب والأفعال الناقصة، فإنها كان لها تأثير بالغ في الجملة لم تلزم بالإجبار التصدر إجراء لها مجرى سائر الأفعال، هذا ما يشير إليه صاحب "الأشباه والنظائر" (السيوطي/1/265) (1).

(1) عبد الحليم عيسى، البنية التركيبية للحدث اللساني، ص124.

إنّ ظاهرتي التقديم والتأخير في الجملة العربية تتواشجان مع خصوصيتها وهما ليستا شيئاً اعتباطياً في بنية التركيب اللغوي، إنما الغرض من تقديم مكون هو الاهتمام به في نفسك، وعظم موقعه في قلبك، وكثرة جريه على ذهنك؛ فهذه الأسباب الموجبة لتقديمه⁽¹⁾ وتغيير البنية اللغوية.

1- التحويل بتقديم الفاعل (المسند إليه) عن الفعل (المسند) بين الكوفيين والبصريين:

نلت النظر إلى أن هذا التقديم ليس على نية التأخير للبنية التركيبية التحويلية بتقديم الفاعل عن الفعل، فهذا النسق من التحويل ينضوي تحت نوع التحويل الجذري؛ لأنه يغيّر البنية نهائية، أقصد بنية الإسناد؛ وذلك من البنية التركيبية التوليدية الفعلية إلى البنية التركيبية التحويلية الاسمية؛ فالفاعل الذي قُدّم أصبح مبتدأ، ومنهم من يرى أنّ "الفاعل، أو نائب الفاعل، أو اسم الفعل الناقص إذا تقدّم على الفعل أصبح مبتدأ"⁽²⁾، وهذا في عرف النظرية البصرية.

أمّا في مفهوم الكوفة؛ فهو فاعل مقدم على فعله؛ لكنّ ما نقفوه - وكما كان أغلب حدّاق المعريين يتبعون البصريين في الإعراب- هو أن التقسيم المنطقي النحوي للجملة يتحقّق بأن الجملة الفعلية ما كان المسند فيها فعلاً، والجملة الاسمية ما كان المسند فيها اسماً.

تتعدّد إشكالية اختلاف بين علماء المدرستين المعروفتين في النحو واللغة العربية وهما المدرسة الكوفية والمدرسة البصرية؛ ونعتقد أن هذا الاختلاف - مع أهميته وعمقه في مسائل العربية - إلاّ أنّه في فروعها وليس في أصول النحو العربي، وهو ثراء تأسست عليه اللغة العربية من عهد أبي الأسود الدؤلي إلى وقتنا الحاضر؛ حتّى مع المدارس النحوية الأخرى، وقد عرّض بعض العلماء إلى مسائل الخلاف بين المدرستين؛ إذ نرى

(1) غيات محمد بابو، الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، ص 195.

(2) محمد بشار بن عبد الرزاق تاجي، تعلم الإعراب في أصغر كتاب، مدخل إلى الإعراب، أساسياته - أصوله - مبادئه، وبذيله الإملاء - المعجمات - الموضوع المتميّز، وزارة الإعلام، دمشق - سوريا، ط4، 2005، ص15.

أن هذه المسائل أغلبها مظنونة في حياض العمليات التحويلية، كالتّي أشار إليها ابن الأنباري؛ أي موجودة ضمنها، "فهي تدور حول التّقديم والتّأخير والحذف والزيادة، والعامل النّحوي في بعض الكلمات، وتعدّد صيغ الجمع للمفرد، ووجوه الإعراب التي تجوز في بعض الكلمات، ولغات العرب في استعمال بعض الحروف العاملة مثل "عل"، والتّصنيف لبعض الكلمات من حيث هي أسماء أو أفعال مثل "أفعل" في التّعجب وغير ذلك من القضايا الخلافية"⁽¹⁾، لكنّ في مجملها ندرجها في لباب ما يقع عليه التحويل في اللغة العربية، وهي أربعة عناصر: التقديم والتأخير كالحال في إشكالية تقدّم الفاعل على فعله، والحذف والزيادة والاستبدال.

تقول المدرسة الكوفية: إذا تقدم الفاعل عن الفعل صار فاعلا مثل: زيد سافر، فالكوفيون قالوا زيد فاعلٌ، وهذه الصورة الأولى لتحويل المبتدأ؛ إذ البصريون يرون أنّ (زيد) - في الجملة السابقة - مبتدأ؛ أمّا الصّورة الثانية؛ فهي المبتدأ محوّل عن المفعول، فإذا تقدّم المفعول به على فعله، وأريد من هذا التقديم جعله مركزا للإخبار، تحوّل مبتدأ وأعطى علامة الرفع؛ قال عبد القاهر الجرجاني: "وهذا الذي ذكرت من تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له قد ذكره صاحب الكتاب (يعني سيبويه (11/1))"⁽²⁾، لكن يشترط جمهور النحاة أن يكون الفاعل متأخرا عن عامله؛ أي "وجوب وقوعه بعد المسند نحو: جاء الطالب"⁽³⁾، فلا يصحّ تقديمه عليه فقولنا: - سَعِدَ حَضْرًا - ليس - سعد - فيه فاعلا في اصطلاح النحاة بل هو مبتدأ، وأجاز الكوفيون أن يتقدم الفاعل على فعله، فإن

(1) محمّد سليمان ياقوت، أصول النّحو العربي، دار عباد الرّحمن، ط1، 2010، ص523.

(2) مازن المبارك، الجملة بين النحو والمعاني، ص47.

(3) حسن نور الدّين، الدّليل إلى قواعد اللغة العربية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 1996، ص71.

- سعاد- في الجملة السابقة فاعل للفعل عندهم.⁽¹⁾ وقد أجاز الكوفيون تقدّم الفاعل مع "بقاء فاعليته وذلك تمسّكا بقول "الزّباء" (*):

ما لِلجمالِ مشيُها وئيدا *** أجندلاً يحملن أم حديدا.

إذ أعربه الكوفيون على هذا النّحو: ما اسم استفهام مبتدأ، للجمال: جار ومجرور متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ، مشيُها: فاعلا مقدّما لوئيد وعلامته الضّمة الظاهرة في آخره؛ أي قبل الضمير "ها"، وضمير الجمال مضاف إليه، وئيدا: حال من الجمال منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره (...)، وأوله البصريون على أن: مشيُها مبتدأ محذوف الخبر، والتّقدير - في البنية العميقة- مشيُها يكون أو يوجد وئيدا، وقيل: ضرورة؛ أي من ضرائر الشعر، كما يقول "ابن عصفور الإشبيلي" (*)، وقد روى مثلت: الرّفع على ما ذكرنا، والتّصّب على المصدر؛ أي تمشي مشيها، والخفض بدلّ اشتمال من الجمال⁽²⁾، ففي جملة (زيد قام)؛ "فإنّ قام مقدّم حكما على الضمير الفاعل المستتر فيه،

(1) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج1، ص40-41.

(*) ينسب هذا الشاهد إلى الزّباء بنت عمرو بن الضرب، وهي من نسل العماليق، وكان أبوها عمرو بن الضرب قد ملك الجزيرة، والجزيرة مصر قديم يقع بين دجلة والفرات، فغزاه جذيمة الأبرش وفرّق جموعه وقتله فملكّت الزّباء بعده، ومازالت تحتال للأخذ بنأر أبيها حتّى قتلت جذيمة في قصّة يطول ذكرها، وهي مذكورة في كثير من المراجع، ينظر مجمع الأمثال للميداني، في شرح المثل: خطبٌ يسير في خطبٍ كبير، وبعد الشاهد قولها: أم صرّفاناً باردا شديدا أم الرّجال جنّما قعودا" ينظر: الأشموني- علي بن عيسى أبو الحسن نور الدّين الأشموني الشافعي (838- ت900هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمّى "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك"، حقّقه وشرح شواهد محمد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثّانية، طبعة منقّحة ومزيدة، الجزء الثّاني، ص142 و144.

(*) هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد النحوي الحضرمي الإشبيلي صاحب الكتاب المعروف "ضرائر الشعر"؛ إذ كان هذا الكتاب مؤعّى كثير من الضرورات الشعرية التي تقتضي بتجاوز قواعد النحو والصرف والصوت؛ ينظر: ابن عصفور الإشبيلي (ولد597- توفّي669)، ضرائر الشعر، تحقيق السيّد إبراهيم محمّد، دار الأندلس للطباعة والنّشر ط1، 1980.

(2) ينظر: الأشموني، شرح الأشموني، ص142 و144.

وقولنا على جهة قيامه به احتراز على المفعول القائم مقامَ الفاعل، وإن كان فاعلا عند الكوفيين⁽¹⁾.

ففي أصل اللغة وحتى المنطق الملتزم بالعقل أن الفاعل يأتي بعد فعله المسند إليه كما في قامَ وحفظَ القرآنَ الكريمَ، وينفع الناسَ، وغيرها من الأمثلة، والحقيقة أنك لو قدّمتَ الفاعل، وقلت مثلاً: زيد قام لم يبق عندك فاعلا وإنما يكون مبتدأً أو خبراً معرّضاً للعوامل اللفظية.⁽²⁾

ونشير إلى أن سببويه جوّز هذا التقديم للضرورة الشعرية فقط؛ وذلك بعد الأداة قلّما؛ إذ يقول - في باب ما يحتمل في الشعر: "ويحتملون قبَحَ الكلام حتى يضعوه في موضعه؛ لأنه مستقيم ليس فيه نقيض؛ فمن ذلك قوله:

صددت فأطولت الصدودَ وقلّما * وصالٌ على طول الصدود يدوم⁽³⁾**

وإنما الكلام: وقلّ ما يدومُ وصالٌ⁽⁴⁾ على طول الصدود، و"يقصد بذلك أن المعنى هنا صحيح لم يتغير، فلم يكتفِ بأنه ضرورة شعرية"⁽⁵⁾، وإنما تعليل سببويه بقوله: مستقيم ليس فيه نقيض؛ فهو مقبول من الناحية النحوية لاستوائه على هذا التركيب، ولكنه ليس دائماً في الكلام وكلمة القبول النحوي يمكن أن نترجمها بـ: "Grammaticalness".

لا توجد صيغة تحويلية لتركيب فعلي للآيات القرآنية الكريمة بتقديم الفاعل من الوجهة البصرية في ربع مريم، والآيات التي سنعرضها هي للتمثيل فقط كما أسلفنا؛ إذ لا

(1) ينظر: شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال الباشا، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2002، ص95.

(2) ينظر: خليل أحمد عاميرة، في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1987، ص40.

(3) البيت معزوّ إلى الشاعر المرّار الفقعسي في ديوانه في الصفحة 480، إذ نشرح مقاله فيه بان الشاعر يوجه الحديث إلى ذاته فيقول صدّت هذه المرأة فأطولت الصدود يا أيتها المرأة ومع طول الصدود لا يبقى من المودّة والحباب شيء كأن هذا الصدود كليل بمحو ما كتبه القلب من حب وودّ.

(4) ينظر: سببويه، الكتاب، 31/1.

(5) ينظر: أشرف السعيد السيد خضر، التقديم والتأخير في بناء الجملة، ص233.

نعتمد بالتحويل بتقديم الفاعل عن فعله موجودا، وقد افترضنا أنه حوّل فيها الفاعل بتقديم رتبته على رتبة الفعل فيذكر الفاعل أولا، ثم يليه ذكر الفعل في كامل سورة مريم، ولها الاختفاء أثر دلالي عميق وبلاغة نصطوح عليها بلاغة عدم التحويل، ونشرحها أكثر في وقتها في بحثنا إن شاء الله، ولتلافي إشكال الخلط بين الجملة الاسمية والفعلية.

لا يحتوي المنطق النحوي التركيبي على شكل تحويل الفاعل بتقديمه على الفعل في التركيب الفعلي، سنشير إلى مسألة اختلف فيها النحاة والمدارس النحوية واللغوية اختلافا واسعا، وهي مجيء الاسم أولا ثم يليه الفعل المنسوب أو المسند إليه؛ ففي هذه الحالة: إمّا أن يكون في حالة مبتدأ، والفعل والفاعل جملة فعلية في مقام الرفع للخبر بعد الإعراب الإفرادي للجملة، وإمّا أن يجعل فاعلا، وهناك ضوابط للتفريق بين الاعتبارين إمّا على أساس شكلي بنوي، وإمّا على أساس معنوي ومنطقي، وإمّا على أساسات أخرى بلاغية أو واقعية أو سياقية، وسنعرض لهذه المسألة للتوضيح والتجلية بمثالين قرآنيين بوصفهما نموذجين موضحين:

النموذج الأول: في قول الله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾

(الأنبياء/62): جُعِلت- على مذهب الكوفيين- الهمزة للإنكار، وأنت: مبتدأ وفعلت: جملة فعلية من فعل فعلت: وفاعله المحوّل بالإضمار فيه إجبارا؛ لأنّه للمخاطب في محل رفع خبر الضمير المنفصل (أنت)، أمّا إذا قرأناها من وجهة تحويلية أخرى فنعتقد أن سياق الآية ليس تحويليًّا؛ فهو - في أصله توليدي-؛ أي تقدير البنية (فعلت) أنت، لكنه محوّل تحويليًّا واحد بالزيادة التي لغرض الاستفهام الإنكاري عن شخصية الفاعل من قِبَل قوم إبراهيم، أو على "سبيل التّفجّع والإنكار"⁽¹⁾. وقيل: "قد يكون حقيقيًّا؛ فهم لم يعلموا أنه الفاعل، وقد يكون تقريريًّا؛ إذ علموا أنّه الفاعل"⁽²⁾؛ فأضيفت الهمزة وألحق بها الضمير

(1) محمّد سيّد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النشر الفجالة، القاهرة- مصر، د ط، د ت، الجزء 9، ص 224.

(2) محمود بن عبد الرّحيم صافي (ت 1376هـ)، الجدول في إعراب القرآن، ج 17، ص 45.

(أنت) الذي قدّم على فعله؛ فهو محوّل بتقديم الفاعل (أنت) على فعله؛ لأنّ مناط الآية قد يتطلب لهذا التحويل في رأينا، وبذلك يكون الفاعل محوّلًا بتقديمه على فعله، وما يعضد ذلك أن قوم إبراهيم يسألون عن المحدث للفعل، وليس يستقصون عن الفعل في حدّ ذاته؛ لأنّ فعلة تحطيم الأصنام واضحة ومتحقّقة، و"هم يعلمون أنّ الفعل وقع وقد شاهدوه، ولكن يسألوه عن الفاعل"⁽¹⁾، ولكنّ لخطورة هذا الفعل الذي لا يقدم عليه أيّ منهم ومن غيرهم لقداسة الأصنام التي كانوا يعبدونها؛ فهم يحارون في من تجرّأ وحطمها؛ فتحقّر لأنّ يقع السؤال عن الفاعل، فالاحتياج الدلالي في بنية الآية أن يتقدم المسئول عنه أولا بحثا عن من قام بالفعل.

أمّا إذا بحثنا المسألة من الجوانب المعنوية، فإنّ الفاعل إذا تقدم على فاعله في بنية أصله التوليدي أن يبني أساسا على تقدّم الفعل للإخبار، وهو الغرض الأوّل لإفهام السامع، فهنا نعدّ هذا الافتراض من تقدم الفاعل على فعله ضمن إزالة الوهم من ذهن المخاطب في حادثة القصص القرآني أولا؛ فعندما نقول: الأصل في الزيادة المبنوية زيادة معنوية، فتحقق وجود الهمزة للسؤال تطلبا معنويا آخر أدى إلى شرعية التحويل في البنية كلها، وهنا وقع الأمر على دهشة القوم واستنكارهم لفعلة تحطيم الأصنام آلهتهم؛ إذ جعلهم نبينا إبراهيم عليه السّلام جذاذا إلا كبيرا لهم، وفي السؤال عن إبراهيم دهشة أخرى تطلبت موقفا تحويلا اقتضى بجعل (أنت) فاعلا، وليس (مبتدأ) إنما هو مبتدأ في منطوية البنية، وشكليتها؛ أنه ضمير منفصل موشوج بفعل وفاعل مقدّر في منطوية الذهن.

إنّ هذه الدهشة مطابقة للمفاجأة التي أصابتهم بمن فعل الفعل لا بالفعل عينه، وهذا احتياج له منطوقه البلاغي والدلالي وتوجيهه المعنوي، ويعبر عن وجود التساؤل والدهشة والاستنكار، أنه مقدم أيّ الفاعل (أنت) سواء كانوا اعتقدوا فعل إبراهيم هذه

(1) فاصل الصالح السامزائي، معاني النحو، مج3، ص231.

الفعلة، أو لا وسواء افترضوها أم لم يفترضوها، وهذا ينطبق في نظرنا على السامع أو قارئ القرآن أيًا كان لونه.

وكما لا نستكف أن نلمع لمعنى آخر في توكيدنا لشرعية تقدّم الفاعل هنا على فعله، بمعنى القصر والتخصيص؛ أي (أنت) فقط فعلت هذا بالهتتا يا إبراهيم، وفيها معنى أنك جرّوت على فعلته أنت فقط دون سواك، وأنّ الفعل حاصل وواقع، وليس هو المهم في قيمة السرد المرتبط بحوار قوم إبراهيم معه، بل لأنّ المسؤول عنه هو إبراهيم، المعبر عنه بالضمير "أنت".

ومن هنا نفهم أحقيّة تميّز النّبّي إبراهيم، ووقوع المعجزة عليه والتأييد من ربه، وهذا له خصائصه الجمالية في سرد القصة؛ فهذه الجملة بؤرة تغير في نظام قصّ قصة إبراهيم، ومصداق هذا الكلام ما ذهب إليه الجرجاني؛ إذ قال: "ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة، فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أنت فعلت؟ فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو؟ وكان التردد فيه، ومثال ذلك أنك تقول: أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ تبدأ في هذا ونحوه بالفعل؛ لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه؛ لأنك - في جميع ذلك - متردد في وجود الفعل وانتقائه، مجوّز أن يكون قد كان، وأن يكون لم يكن، ونقول: أنت بنيت هذه الدار؟ أنت قلت هذا الشعر؟ أنت كتبت هذا الكتاب؟ فتبدأ - في ذلك كله - بالاسم؛ ذلك لأنك لم تشكّ في الفعل أنه كان، كيف وقد أشرت إلى الدار مبنية والشعر مقولا، والكتاب مكتوبا؟ وإنما شككت في الفاعل من هو؟ فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ولا يشك فيه شاك، ولا يخفى، فساد أحدهما موضع الآخر، فلو قلت: أنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ أنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟ أنت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ خرجت من كلام الناس،

وكذلك لو قلت: أنبت هذه الدار؟ أقلت هذا الشعر؟ أكتبت هذا الكتاب؟ قلت ما ليس بقول. (1)

لكن التحويل بالتقديم هو تحويل جذري؛ لأن تقدم الفاعل حور الجملة من فعلية إلى اسمية وعلاقتا الإسناد في الجملتين مختلفتان إسناد فعلي-جملة فعلية، وإسناد اسمي-جملة اسمية.

النموذج الثاني: في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور/19): هنا يمكن أن يكون حور الفاعل لفظ الجلالة الله بتقدمه على الفعل "يعلم" كما حور الفاعل الضمير الذي للجمع "أنتم" على الفعل "تعلمون" بعد النفي بلا، وهنا لدلالة التأكيد والقصر أي قصر الفعل "يعلم" على الله، ونياطته به دون سواه ومنهم أنتم، وبالمقابل أن يقصر الله نفسه على الفعل يعلم بالموازاة مع جهلهم الدائم المؤكّد والدائب وتأكيد ذلك بـ"لا تعلمون".

والأصل في الجملة (يعلم الله) و(لا تعلمون) أو (لا تعلمون تأكيداً) ثم حور بالزيادة بلا النافية "لا تعلمون" والأصل في البنية التوليدية فعلية وهي يعلم الله وتعلمون أو لا تعلمون لكن حدث هذا التحويل لغرض التأكيد؛ أي تأكيد الفعل على الله بل قصره عليه وتأكيد نفي الفعل على "أنتم"، بل قصر عدم المعرفة على "أنتم"، كأنه قال والله فقط هو الذي يعلم والكل لا يعلمون ما يعلم، ومنهم (أنتم) الذين لا تعلمون أبداً ما يعلم الله؛ لأن في الآية مقابلة بلغة البيان في مضمار البلاغة، فهذه صورة من صور التحويل من بنية الجملة الفعلية إلى بنية الجملة الاسمية التي تحمل الفعل في طياتها، ولكن قدم (الله) للاهتمام به أيضاً، وقدم (أنتم) للاهتمام به أيضاً، فأما الله المقدم فلثقل معنى الفعل

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 86-88. نقل عن: فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج1،

المنسوب إليه بالنظر إليهم "أنتم" المضادد تماما لما لا يقع على الضمير "أنتم" الفعل الذي يلتحق بالله "يعلم".

ثم إن السياق يقرّ بتقديم الفعل للزيادة في المعنى بهذا التحويل، ولو قال: ويعلم الله ولا تعلمون أنتم، فكان كمن يخبر فقط بالاتساق مع ما جاء قبلا "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة"، ونتيجة لهذه المعرفة الممايزة لعلم الله وعلم المنفي عنهم العلم "أنتم" أعقب الآية ب: "ولولا فضل الله عليكم وأن الله رؤوف رحيم"؛ فهو قد أقرّ التعامل معه برحمته ورأفته؛ لأنّ عذاب أولئك وجيع وأليم لقاء سوء ما يفعلون من فاحشة مقبوحة عند الله تعالى وعند خلقه؛ ولأنّ القدر سبقهم بالجهل والله أعلم به منهم قبل أن يسبقهم.

ونلاحظ أن جلّ العلماء قد أقرّوا بوشيجة عملية التقديم والتأخير بالمعنى في ذهن المتكلم والمصغي، بل عماد ذلك، ونعرض قولاً متعلقاً بأصل التقديم والتأخير الذي يتلّون بلونين الجذري وغير الجذري، وهو: "الترتيب (التقديم والتأخير) الذي يُعدُّ عنصراً تحويلياً هو ذلك الذي يتم فيه إجراء تغيير يقع على ترتيب عناصر البنية التركيبية من نحو تقديم الفاعل على الفعل، أو المفعول به على الفعل والفاعل في الجملة الفعلية، ومن نحو تقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية، أو تقديم عناصر توسعة الجملة (الفضلات) على أحد ركني الجملة الأساسين، أو عليهما معا بغية إحداث تغيير في المعنى؛ فالترتيب عنصر تحويلي يرتبط بالبنية العميقة المتعلقة بالمعنى في ذهن مستعمل اللغة، ويتمّ بتقديم ما حقه التأخير، للتعبير عن ذلك المعنى ونقله إلى السامع.

وهذا النوع من التحويل بالترتيب قسم قسمين: تقديم على نية التأخر، ويسمى تحويلاً محلياً وتقديم لا على نية التأخر، ويسمى تحويلاً جذرياً.⁽¹⁾

(1) راجع بومعزة، البنية العميقة لصور التحويل بالترتيب والزيادة، ص 23.

مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (الفرقان/17): هنا تحويل بزيادة همزة "حرف الاستفهام" وكلهم أعرب الآية الكريمة على هذا النحو: " (أنتم): الهمزة للاستفهام و(أنتم): مبتدأ والجملة: مقول القول (أضللتم) ماض وفاعله، والجملة: خبر (عبادي): مفعول به منصوب وعلامته الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم والياء مضاف إليه⁽¹⁾، ويمكن أن نجعل الصيغة الفعلية بتقديم الفاعل على الفعل على مذهب الكوفيين (أنتم) تقدم على (أضللتم) كما في سورة الأنبياء (أنت فعلت هذا بالهتتا يا إبراهيم)، والتحويل جذري؛ أي تغيرت البنية من أضللتم عبادي وهي بنية تركيبية فعلية إلى (أنتم) بعد الهمزة التي جاءت للتوبيخ، ثم الفعل أضللتم، والتقديم هنا جعل البنية التركيبية اسمية لكن السؤال وقع على الفاعل المحوّل إلى مبتدأ، وهو (أنتم) ولم يقع على الفعل (أضللتم)؛ لذلك إهتّم به فقدّم على قاعدة النحو، ومنطق العربية في التحويل بالتقديم والتأخير.

وهذا توضيحا لرأي الكوفيين أنهم قالوا بجواز تقدّم الفاعل على فعله على خلاف البصريين يجعلوا العنصر الأوّل أنّه مبتدأ.

لا يوجد صيغة تركيبية -على مذهب من قال بالابتداء إن قدّم الفاعل- لتقديم الفاعل عن فعله في ريع مريم كلّها، ونحن اعتمدنا مذهب من قال بعدم تقديم الفاعل لكي لا نقع في اشتباه كما أسلفنا، وإنّما أردنا توضيح المسألة في النماذج التي عرضناها فقط.

2- التوجيه الدلالي لتحويل البنى التركيبية المحولة بتقديم المفعول به على الفاعل:

قد تحدث علماء العربية والنحو عن القواعد المنطقية في اللغة العربية لبناء الجملة الفعلية وشرحوا مراتب العناصر النحوية، وسيبويه انبرى إلى ذكر المراتب الوجوبية "الإجبارية" والجوازية "الاختيارية" للمفعول به؛ "إذ يجوز تقديم المفعول به على الفاعل وتأخيره عنه مثل ذاكر الدرس عليّ، وذاكر عليّ الدرس، ما لم يكن أحدهما ضميرا

(1) دعّاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص367.

متصلاً ومحصوراً بـ إنّما فيجب تقديمه حينئذٍ مثل قرأت الكتاب فلا نقدر أن نقول قرأ الكتاب (ت) أو بأية طريقة كانت، وإنّما ذاك الدرس محمود⁽¹⁾، وهذه منطوقية العلاقة بين المفعول به والفاعل في العربية.

والأصل فيه أن يكون مؤخر الرتبة في العربية بعد الفعل والفاعل؛ فقال سيبويه: "فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول: ضرب زيدا عبد الله؛ لأنك إنّما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً"⁽²⁾؛ إذ التقديم المنشود هنا هو تقديم على نية التأخير كما أشار إليه الجرجاني إذ يكون ذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل كقولك: "منطلق زيد، وضرب عمرا زيد، معلوم أن منطلق وعمرا لم يخرجوا بالتقديم عمّا كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوع بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله كما يكون إذا أخرت"⁽³⁾، فيحتمل بقاء العنصر المقدم ما كان قبل الإعراب، وهذا له خصوصيته البلاغية والدلالية؛ لأن لهذه العملية التحويلية بعدا دلاليا في منطوقية النظرية التحويلية، وكل العلماء يقولون بأن التقديم عربي وجيد وكثير الورد في كلام العرب"⁽⁴⁾؛ أي أن وظائف التحويل بتقديم المفعول على الفاعل غزيرة وفائضة في الكلام والمعنى، والعربية أعنى بالعمق المعنوي، وهذا الترتيب الذي تحدث عنه سيبويه هو ترتيب محول عن ذلك الترتيب الأصلي؛ إذ تلتقي هذه القاعدة مع الفكرة

(1) ينظر: نافع الجوهرى الخفاجي، المختصر في النحو أو المسمّى: الزهور النديّة في الدروس النحويّة، تحقيق ومراجعة: محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الآداب (علي حسن)، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص45.

(2) سيبويه (ت180هـ)، الكتاب، 34/1.

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1، ص106.

(4) معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية في اللغة العربية، ص190.

الشائعة عند التحويلين بأن كل بنية سطحية - وهي الترتيب الفرعي هنا - لها بنية عميقة وهي الترتيب الأصلي هنا وهذا النوع من الترتيب هو "فعل - مفعول به - فاعل" (1).

ولذلك سنلمح العديد من الأساليب والتراكيب التي قدّم فيها المفعول على الفاعل في آي القرآن الكريم لاسيما في المتن المبحوث، وهو مجمل "ربع مريم" الكريم، وإذا استعرنا مصطلحي البنية العميقة والسطحية من تشومسكي واستدعيتهما هنا، وجعلنا أن المظهر السطحي للتركيب هو خارجي، وهو البنية المحولة بتقديم المفعول عن الفاعل، والمخبر العميق له هو الداخلي؛ أي البنية التي يحال عليها وهي أصل التركيب، فيمكن القول - إذن - إن "النظرة التي تتعمق لهذه التراكيب الخارجية لتصل إلى ما تحتها من تراكيب داخلي، وما سمّاه صاحب كتاب "الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة" بروح التراكيب الذي يمدّ به المعنى، كما أنها تدور مع التحويلات المختلفة للتركيب لتتري إلى أي مدى بعدت هذه التحويلات بالتركيب عن المعنى الذي خوّل العرب لهذه التراكيب أن تؤديه" (2)، فنفهم أن دلالة التحويل بعملية تقديم المفعول هي تتد واضح لأصل العرب في التكلم واستخدام هذه الخصيصة التحويلية في الجملة الفعلية.

وقد تحدّث سيبيويه في مستهل حديثه عن الفاعل الذي تعدّاه فعله إلى مفعول فقال: "وذلك قولك ضرب عبد الله زيدا، فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدّى إليه فعل الفاعل" (3)، ثم أعقب بعرض عملية التقديم بين المفعول والفاعل دون ذكر معياري الإيجار أو الاختيار.

إن قاعدة التحويل في الجملة الفعلية أن يتقدم عنصر من البنية الإسنادية وبنية الجملة له محل التأخر من ذلك جملة الاستفهام الآتية: كتابَ مَنْ قرأتَ؟، فـ"كتابَ" مفعول

(1) أشرف السعيد السيد خضر، التقديم والتأخير في بناء الجملة عند سيبيويه في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 219.

(2) ينظر: محمود عبد السلام شرف الدين، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية، دار مرجان للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1984، ص 68.

(3) سيبيويه، الكتاب، ج 1/34.

به مقدم لكن هذا التقديم وجوبي أو إلزامي بمصطلحات النحو التحويلي، وهو مضاف و"مَنْ" مضاف إليه؛ فهذه بنية الجملة السطحية أما بنيتها العميقة المحوِّلة فهي الجملة الاستفهامية الآتية: قرأتَ كتابَ مَنْ؟؛ فكتابَ مفعول به منصوب، وهو في محله من حيثُ ترتيبُ العناصر الإسنادية العادية في الجملة الفعلية.

مثلا في الجملة الشرطية في السورة الكريمة: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (القصص/27-28)، وإعرابها أولا: "أي: منصوب بـ قَضَيْتُ وما: زائدة، والأَجْلَيْنِ مجرور بالإضافة، وتقديره: أيّ الأجلين قضيت، وقَضَيْتُ مجزوم"⁽¹⁾، وذهب بعضهم إلى أن "ما" لا تكون زائدة البتة فقال: "وأما ما فهي ابتداء وخبر لا غير؛ إذ لا يمكن جعل ما زائدة"⁽²⁾، وقال آخر يجعل ما زائدة: "«أَيَّمَا» أي: اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لقضيت وما زائدة «الأَجْلَيْنِ» مضاف إليه «قَضَيْتُ» ماض وفاعله «فَلا» الفاء رابطة، ولا تعمل عمل إن «عُدْوَانَ» اسمها المبني على الفتح «عَلَيَّ» متعلقان بمحذوف خبر لا والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط"⁽³⁾.

و"«أَيَّمَا» اسم شرط جازم مفعول به مقدّم منصوب ... و(ما) زائدة، (قضيت) فعل ماض في محلّ جزم فعل الشرط، (الفاء) رابطة لجواب الشرط، (لا) نافية للجنس، (عدوان) اسم لا مبنيّ على الفتح في محلّ نصب (عليّ) متعلّق بمحذوف خبر لا (ما)

(1) وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق - سوريا، الطبعة الثانية، 1418هـ، الجزء 20، ص 80.

(2) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج 1، ص 74.

(3) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج 2، ص 428.

حرف مصدري⁽¹⁾، فالجملة الشرطية "أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ" هي جملة تفسيرية شرحت قول موسى عليه السلام: قال ذلك بيني وبينك؛ فهي مؤلفة من الوحدة الإسنادية الماضوية التي للشرط المحوّل بتقدم المفعول به "أيّ"؛ إذ توشح به "ما" الزائدة لإقرار الشرط، وتوكيده، والمضاف إليه "الأجلين"، والفعل الماضي "قضى" المتصل به الضمير "ت" التي لها وظيفة الفاعل، ومؤلفة من الوحدة الإسنادية الاسمية التي لجواب الشرط "فلا عدوان عليّ"⁽²⁾، جاءت هذه الجملة في سياق التفسير؛ فهي جملة تفسيرية، وهي في خانة التحويل لغرض التوكيد لمعنى شرطية الوعد.

وكذلك تقديم المفعول وتأخيره في النفي، وبجاء لك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول وتأخيره، فإذا قلت: "ما ضربت زيدا"، فقدت الفعل كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد، ولم تعرض في أمر غيره لنفي ولا إثبات وتركته منهما محتملا.

وإذا قلت: "ما زيدا ضربت" فقدت المفعول كان المعنى على أن ضربا وقع منك على إنسان وظن أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه⁽³⁾.

وعطفا على استخدمنا المصطلحات الحديثة المستعملة في النحو العالمي الحديث، كما يقول عبده الرّاجحي أو المصطلحات اللسانية التحويلية التي نجعلها موازية موائمة للمصطلحات النحوية العربية القديمة، فسنستخدم مصطلح الاختيار بدل الجواز في مجمل التحويلات النحوية التي تمسّ جمل الآي العظيمات، ومصطلح الإيجار الذي نرمي به إلى الوجوب، ففي هذا المنحى الذي نشهد عملية التحويل بتقديم المفعول به على الفاعل في بنية تركيب الجملة الفعلية في ربع مريم.

(1) عبد الرحيم الصافي، الجدول في إعراب القرآن، ج20، ص239.

(2) ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم؛ صورها وتوجهها البياني، ص76.

(3) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: أبو فهر محمد محمود شاكر، ص126.

فنحن نجد أن عملية الاختيار في تحويل بنية النَّوَاة أو التوليدية في الجملة الفعلية ظاهرة في قولنا مثلاً "رسمَ الزهرةَ الطفلُ و"أنارَ القنديلَ أبي"، إذ الاهتمام بالمفعول المقدم كما قال العلماء هو الوارد والموجه للدلالة بعد التحويل، أو لما يعرض من تطلّبات المقام والمقال والسياق، ونقدر تقديمه إن كانت هناك قرينة دالة على ذلك؛ إذ أمنا اللبس في المعنى؛ كما يقول الغلابيني مثل ذلك "أكرمت موسى سلمى، وأضنت سعدى الحمى" (1).

أما الإجبار فنراه بين المفعول به والفاعل تقديمًا وتأخيرًا فيما يلي "إن اتّصل بالفاعل ضمير عاد على المفعول بالإحالة أو "إذا عاد عليه ضمير في الفاعل نحو: سكنَ الدَّارَ بانيتها" (2)، أو نحو: أكرمَ سعيداً غلامه، ومنه قوله تعالى "وإذ ابتلى إبراهيمَ ربه بكلماتٍ"، وقوله "يومَ لا ينفعُ الظالمينَ معذرتُهم" لئلاً يلزمَ عودُ الضمير على متأخر لفظاً ورتبة" (3)، أو أن يحصر في المفعول الفعل بـ"إلاّ أو بـ"إنمّا"، نحو ما أكرمَ سعيداً إلاّ خالدً، أو وإنمّا أكرمَ سعيداً خالدً" (4).

ونلفت الانتباه إلى أن المفعول به أهم ما ينوب عن الفاعل في الجملة في اللغة العربية، حتّى ترى طائفة من اللّغويين والنحويين أنه إذا وُجد المفعول به في الكلام لا يجوز أن تنيب غيره مع وجوده، سواءً تقدم المفعول به أم تأخّر، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ (البقرة/210)، أصل الكلام والله أعلم "وقضى الله الأمر"، فحذف لفظ الجلالة وهو الفاعل وأقيم المفعول به مقامه، وهذا لتبيان قيمة المفعول به الوظيفية والمنطقية في الواقع الكوني والوجودي والطبيعي وفي اللغة بعموم واللغة العربية بالخصوص، و"لقد أصاب الفكر النحوي العربي الناجح، والتوفيقُ في حديثه عن تحويل الكلام من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، " أو الأصح- ما لم يسمّ فاعله-؛ فما حل

(1) ينظر: مصطفى الغلابيني، جامع الدروس، ج3، ص9.

(2) حفني ناصف وآخرون، الدروس النحوية، ص434.

(3) ينظر: مصطفى الغلابيني، جامع الدروس، ج3، ص10.

(4) ينظر: محمود عبد السلام شرف الدين، الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دراسة تفسيرية، ص68.

المفعول أو غيره ممّا هو قريب منه "الجار والمجرور - الظرف - المفعول المطلق" لشدة تطلّب الفعل إياه محلّ الفاعل إلاّ إبقاءً للجانب الشكلي في النظام التركيبي للجملة الفعلية العربية "فعل + اسم مرفوع" (1).

ونودّ الإشارة إلى مفهوم العامل هنا لكي نضبط البنية الأصلية لموضع المفعول به بوصفه يُعدّ من متمّمات المعنى في الجملة الفعلية، وهو من القيود أو الفضلات أي يمكن الاستغناء عنها في الجملة الفعلية بعد الفعل والفاعل الذّين يكونان الإسناد الفعلي، وعدّه بعضهم كأنه داخل في عملية الإسناد، ولذلك أفردوا له مساحة واسعة؛ وذلك لأن هناك بعض الأفعال لا يتم معناها المفرد ولا السياقي أي داخل الجملة إلاّ بالمفعول به، والحق أن سببويه جعل عامل انتصابه الفاعلية، فنراه تاليا بعد فاعله أو "ما جرى مجراه من الأسماء العاملة، ويدلّون على ذلك بأنه يكون على حسب عامله حال التقديم والتأخير من التصرف وعدم التصرف، فإن كان العامل الفعل متصرفا جاز التقديم نحو فهم محمدُ الدرس، وإن كان جامدا لم يَجْزُ في المفعول به التقديم، كقولك: ما أجملَ الرّبيع؛ حيث فعلُ التعجب جامد، فلا يجوز تقدم المفعول به "الرّبيع" عليه" (2)، ومنهم من يفسرون بأنه انتصب باشتغال الفعل عنه بالفاعل قبل وصوله إليه، وهذا ما يفسّره لنا عدم اشتغال المفعول بالفاعل عدّ نائب فاعل ورفع المفعول به.

أولا: تصنيف النماذج إلى صور:

الملاحظة 1: لم يكن تحويل بنية التركيب بتقديم المفعول به على الفاعل في كامل آيات سورة مريم.

الملاحظة 2: عددنا وروده كاملا في الربع الكريم (65) خمسة وستين ورودا متلاونا بين الضمائر المختلفة - كما أسلفنا - وهي ضمائر: المتكلم والمخاطب والغائب الجمّة، والمفرد المؤنث، أو أن يكون المفعول به المقدم اسما ظاهرا منصوبا كلفظ الجلالة "الله"

(1) ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس، ج3، ص11.

(2) إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي، دار النشر للجامعات، القاهرة- مصر، ط1، 2007، ص33.

اختلفت صيغ الفاعل بعد المفعول به المحول بال حذف، فيجيء الفاعل مرة اسما مرفوعا ظاهرا مثل قوله تعالى: ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ (العنكبوت/53)، ومرة جمعا في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ (الروم/9)، وجاء محولا بعد بنية الجار والمجرور أو من بعده كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ (لقمان/27)، وجاء محولا بعد إلا للاستثناء الذي يفيد القصر كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ (العنكبوت/43)، وجاء اسما موصولا مع صلته مثل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ (القصص/15)، وجاء محولا من "من واسم مجرور" في قوله تعالى: ﴿مَا آتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ (القصص/46)، أو قوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ (العنكبوت/28)، وجاء محولا بجملة مؤكدة من أن ومصدرها مثل "أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك" والتقدير يكفهم إنزلنا عليك.

أما من حيث تطبيق مصطلحي الإيجاب والاختيار الذين نسبناهما للمفاهيم التحويلية الحديثة ولهما - بصورة الرياضيات - إحدائيات في النحو العربي، وفي فضاء الإعراب، وهما الجواز والوجوب، ففي عنصر التحويل بتقديم المفعول به على فاعله يوجد صور حدث هذا التحويل فيها بالإيجاب، وأخرى حدث فيها بالاختيار، وهذا في منطق اللغة العربية كما يقول أحمد مختار عمر في رسالته "أصول اللغة"⁽¹⁾، وقد تحققت صور تحويل المفعول به في الإيجاب كلها. ونضرب مثلا لكل صورة:

أ- التحويل الإيجابي:

المثال الأول: المفعول به جاء بعد أداة الحصر "إنما": وهي كاقفة ومكفوفة تفيد القصر لا محل لها من الأعراب"⁽²⁾، وما هي الكاقفة وإن مكفوفة عن عمل في النسخ للمبتدأ والخبر، ولا يشترط أن تدخل على الجملة الاسمية وإنما تتعدها إلى دخولها على

(1) أحمد مختار عمر، تقديم ومراجعة" في أصول اللغة"، الجزء الرابع:القرارات التي صدرت في الدورات من الثامنة والأربعين إلى الثامنة والسنتين، مجمع اللغة العربية، مصر، ط1، 2003.

(2) الأنصاري، أوضح المسالك، ج1، ص115.

الجملة الفعلية، كما سنرى في مثال الآية القرآنية الكريمة الآتية في قاله جل شأنه: ﴿وَمَنْ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر/27):

وفي هذه الآية تقديم المفعول به على الفاعل المؤخر للقصر أو الحصر؛ فنقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه، ونحب أن نقدّم مثالين من الشعر العربي في قول ذي الرّمة:

أستحدث الركب من أشياعنا خبراً***أم عاود القلب من إطرابه طرباً

وقول الشاعر: اعتاد قلبك من سلمى عوائده***وهاج أهواءك المكنونة الطلل".⁽¹⁾

وتأويل الآية أن الخشية هنا بمعنى الإجلال والتعظيم لا الخوف"⁽²⁾، "وهكذا فإن إعجاز القرآن العلمي في أنه يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويدعوهم إلى ولوجها، والتقدم فيها، وقبول كل جديد راسخ من العلوم"⁽³⁾. بل وقرئت الآية بقراءات شاذة؛ "في القراءات الأحادية الشاذة: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"، وغني عن البيان بعد هذا أن كل لفظ قرآني لم يتواتر في قراءته أكثر من وجه كان يكتب برسم واحد فقط، وأن كل ما صح فيه تواتر أكثر من وجه وتعذر رسمه في الخط محتملاً لجميع الوجوه، كان لا بد أن يلجئ الناسخين إلى كتابته في بعض المصاحف بوجه، وفي بعضها الآخر بوجه ثانٍ"⁽⁴⁾ مختلف ومغاير.

(1) أبو الفتح عثمان بن الجني (321 أو 322-392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية-القسم الأدبي، مصر، ج1، د ط، 1952، ص295-296.

(2) بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربي عيسى البابي الحلبي وشركاه، ثم صورته دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط1، 1957، ج1، ص341.

(3) متاع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 2000، مباحث في علوم القرآن، ج1، ص280.

(4) ينظر: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000، ص.

وهذه الآية فيها الكثير من الأغراض البلاغية التي هي مضامة في الجملة، وكل كلمة فيها لها وظيفة تحويلية؛ فهناك حصر للخشية على العلماء من الناس على الخشية، وحصر ضمني للخشية على غيرها من أنواع الخوف للعلماء، والفعل يخشى جاء بعد إنما التي هي توسم كافةً ومكفوفةً؛ لأنها مترتبة من إنّ وما، وهي أداة حصر أي حاصرة، والله لفظ الجلالة مفعول به محول بتقدمه - بالإجبار - على فاعله "العلماء" بعد شبه الجملة التفسيرية المعترض "من عباده"، والتي هي "حرف جر واسم مجرور" متعلقان بحال محذوفة - من العلماء - لأن من حرف جر بياني، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وتقدير البنية العميقة لها حال كونهم من بين عباده⁽¹⁾؛ أي الله فالضمير عائد على الله، وفي بلاغة هذه الآية الكريمة التي تقدمها العملية التحويلية لبنائها أي عناصرها؛ فلحصر الخشية بالعلماء، كأنه قيل: الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم أما إذا قدمت الفاعل فإن المعنى ينقلب إلى أن العلماء لا يخشون إلا الله، وهما معنيان مختلفان كما يبدو للمتأمل⁽²⁾ وللناظر.

وجاءت هذه الصورة مرة واحدة فقط، أو جاءت بين "ما وإلا" اللتين للحصر، كما في قوله جلّ وعلا: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ (العنكبوت/42)، وقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب/22): ومعنى الآية "ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله. أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أخبرنا ابن برزة، أخبرنا الحارث بن أبي أسامة، أخبرنا داود بن المحبر، أخبرنا عباد بن كثير، عن ابن جريج عن عطاء وأبي الزبير عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا

(1) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، ج9، ص403.

(2) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج22، ص287.

العالمون﴾ (العنكبوت/43)، قال: "العالم من عقل عن الله فعل بطاعته واجتنب سخطه"⁽¹⁾.

وهنا حصر عقل الأمثلة المضروبة للناس جميعا على العالمين فلذا كانت البنية التركيبية أن المفعول به المحول بتقديمه إجبارا على الفاعل الذي جاء بعد إلا التي للحصر، وإعرابها: "و: الواو حالية، ما: نافية، يَعْقُلُهَا: مضارع ومفعوله (الهاء) ضمير المؤنث الغائب أي تعود على الأمثال المضروبة المذكورة، إلا: حرف حصر، العالمون: فاعل والجملة حال منصوية"⁽²⁾، أو الجملة (وما يعقلها إلا العالمون) في محل رفع خبر، المبتدأ (تلك)، وأصل البنية قبل إجراء التحويل: يعقل العالمون الأمثال المضروبة، ثم حدث تحويل من شقين بالزيادة (ما)، و(إلا أداة الحصر)، وتحويل التقديم بوصف المفعول به (الهاء) "مبنيًا على السكون في محل نصب مفعول به مقدّم"⁽³⁾؛ فهو ضمير متّصل بالفعل، ولا يعرب في منطوق اللغة العربية إلا مفعولا به.

المثال الثاني: المفعول به وقع ضميرا متّصلا بينما جاء الفاعل اسما ظاهرا:

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (فاطر/25) وهو كثير في ربع مريم.

المثال الثالث: جاء في الفاعل ما يدل عليه ويحيل إليه (بلغة اللسانيات النصية والنحو): كما في قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (الروم/57)، والضمير هو "هم" العائد على المفعول به الذي هو "الذين ظلموا"، وهو نادر جدًّا؛ فهذه هي الحالات الموجودة في نظام التحويل بتقديم المفعول به على فاعله في ربع مريم المدروس.

(1) البغوي، معالم التنزيل، ج6، ص243.

(2) دَعَّاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص456.

(3) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج9، ص50.

ب- التحويل الاختياري:

يتبدى هذا التحويل في كون المفعول به اسما ظاهرا، وهو مخصّص للاهتمام به: كما في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/33)؛ لأن المفعول به جاء اسما ظاهرا "الناس"، ولكن في عمق المعنى نستشف شكلا من أشكال الإيجابية البلاغية بموجب هذا التقديم؛ ففي قاعدة الإخبار نقدر أن نقول بالإثبات حتى ولو "إذا" متضمنة معنى الشرط: وإذا مسّ ضرّ الناس.

فهنا تدرج عملية التقديم والتأخير ليست إلا على مدى الاهتمام بالمقدم دون المؤخر فالاهتمام بالمفعول به هنا "الناس" وليس بالفاعل "ضرّ"، أو للفت الاهتمام به، أهل النية من العربية يفهمون الغرض المطوي في بنية العمق حتى ولو من المجاز أن يتقدم، "وقد أوضح عبد القاهر الجرجاني شيئا من هذا فقال: واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام"⁽¹⁾؛ فتوجيهات هذه الدلالة إن هي إلا لملائمة المعنى التحويلي للسياق، فهذا التصرف بعينه والإجبار ليس فيه "تصرف على حدّ تعبير فاضل الصالح السامرائي"⁽²⁾، وحينما يكونان أي المفعول به والفاعل ليس بينهما لبس، أو من المنطقية أن نفرق بين معنى المفعول به والفاعل كما هو الحال هنا؛ فالدلالة تقتضي صرف المعنى حسب قرينة النصب، ونوجه دلالة هذا التحويل بأن الحديث واقع على الإنسان على الناس، والآيات الكريمة السابقة متحدثة، عن الإنابة لله وعن الأوبة إلى الله، وعن الابتعاد عنه ومجازاة الله للجافين له وذكر النذارة؛ إذ رأى زهانتهم فيه، وليس الكلام عن مضمار الفاعل "الضرّ" فهذا المعنى جعل المفعول به "الناس" تقدّم.

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 84-85.

(2) ينظر: فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، ج 2، ص 56.

ثانياً- صور التحويل بتقديم المفعول به على الفاعل وتوجيهها الدلالي:

جاء هذا التحويل في صور مختلفة من حيث كونه ضميراً أو اسماً ظاهراً ومن حيث تغيير بنية الفاعل الذي قام بفعله، فمرة يكون اسماً مرفوعاً ومرة شبه جملة مثل ما يأتيهم من ذكر من ربهم أي مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وبالنظر إلى هاتين النقطتين سنحلل البنى التركيبية التحويلية ونوجهها دلالياً:

النموذج الأول من الصور: مجيء المفعول به المحول بالتقديم ضميراً من الضمائر المعروفة، ثم يليه فاعله، وهو كالاتي:

الصورة الأولى الغالبة: المفعول به المحول بالتقديم على الفاعل ظاهر؛ أي ليس في بنية التقدير والحذف مجيء المفعول به ضميراً للجمع المذكر الغائب "هم": وقد ورد 22 مرة في ربيع مريم: الأنبياء:36، 46. الحج:55. النور:32، 37، 38. الشعراء:5، 6. القصص:46، 47. العنكبوت:36، 51، 53، 55. الروم:36. لقمان:32. السجدة:3. الأحزاب:15، 57. فاطر: .

1- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾/46:

نجد تحويل البنية اللغوية الإجمالية للآية بتقديم الضمير "هم" أي ضمير الجمع على الفاعل، والأصل في بنية الجمل، ولئن مسّت نفحة "وقعة خفيفة"⁽¹⁾ من عذاب ربك الكافرين أو الظالمين، مبدأً أن العربية في منطقتها خصّصت تقسيمات الكلم العربية إلى أسماء وضمائر وأفعال وحروف والضمائر دورها الوظيفي بنوي وشكلي وبلاغي، فها هو يسعفنا في تكميل البنية الفعلية وتغيير نظام ورود الجملة الفعلية إلا على نسق تحويلي، فلا نستطيع أن نقول "مسّت نفحة من عذاب ربك هم"؛ فهذا مخالف لسيرورة الكلام ولمنطق الواقع المحصل، والتوجيه الدلالي لعملية التحويل أنه لما كانت النفحة سريعة وخاطفة قدّمها لوظائف، نصّفها بأنها مباغته وأسرع من مخيلتهم أو توقعهم لها، وهم قد

(1) الجلالان، التفسير، ص326.

نعموا في الخيرات ورحمة الله؛ فهي ملائمة لهذا التقديم، وفاكهة معناها أنها "نفحة الخطرة والمسّة كما تقول نفح بيده إذا قال بها هكذا ضارباً إلى جهة، ومنه نفحة الطيب كأنه يخطر خطرات على الحاسة، ومنه نفح له من عطايا إذا أجره منها نصيباً، ومنه نفح الفرس برجله إذا ركض، والمعنى ولئن مسّ هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم ليندمنّ وليقرنّ بظلمهم، و"معنى المسّ هو اتصال بظاهر الجسم، ومعنى النفحة المرّة من الرّسخ في العطية، يقال نفحه بشيء إذا أعطاه"⁽¹⁾ إيّاه لها بهذه الصيغة أو هي موجودة في العربية؛ فهي اسم مرّة هنا يجمل بنا أن نتعرض لذكر المرّة والهيئة، وبيان وسائل اشتقاقهما:

- اسم المرة أو مصدر المرة: كلاهما واحد. ويبنى من الثلاثي المجرد على وزن فعلة، لبيان عدد المرات التي حدث بها الفعل، نحو: وقفت وقفة، وقفت وقفتين، ووقفت ثلاث وقفات إلخ، "استعملوا فعلة للمرة من الثلاثي كقولهم: قعدت قعدة وأتيت أتية، وربما جاؤوا بها على المصدر مضافاً إليه تاء الوحدة نحو أعطى إعطاء واستدرج استدرجة"⁽²⁾ وقسيمه: استقرأ استقراءة، وبصاغ من فوق الثلاثي، بإضافة تاء إلى المصدر، مثل: أكرمته إكرامة، وسفّرتة تسفيرة، وإن كان المصدر فيه التاء من الأصل، فيذكر بعده ما يدل على عدده، مثل: رحمته رحمة واحدة أو رحمتين.

- أما اسم الهيئة أو مصدر الهيئة: فهو المصدر الذي يذكر لبيان نوع الفعل أو صفته، فيذكر من الثلاثي على وزن فعلة، بكسر أوله، مثل مات ميتة سيئة. وفلان يمشي مشية متباطئة بكسر الميم"⁽³⁾.

(1) فاضل الصالح السامرائي، معاني الأبنية العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، 2008، ص34.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء 17، ص58.

(3) الصافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الجزء 17، ص36.

وما يمتن معنى خطف الله للكافرين بالنفحة أنه استعملوا الإعراب الآتي: مسّ فعل ماض مبني على الفتح لاتصاله بباء التانيث الساكنة التي ليس لها محل من الإعراب، وهم ضمير الغائبين متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم للاختيار على الفاعل "نفحة" المرفوع بالضممة الظاهرة في آخره، والأصل التوليدي لها.

2- قال الله عز شأنه: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ (الحج/55)، في الآية تحويلان بتقديم المفعول به المضمر المتصل على الفاعل في تركيبين فعليين هما "حتى تأتيهم الساعة"، فالضمير المحول الملتصق بالفعل هو في محل نصب مفعول به مقدم؛ أي "الهاء مفعول به"⁽¹⁾، والميم للجمع، والفاعل الساعة، وفي الثانية أو يأتيهم عذاب يوم عظيم؛ فالضمير هم في محل نصب مفعول به مقدم والفاعل المؤخر "عذاب".

3- قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور/32)، نبصر -هنا- تحويلًا في تركيب الآية الكريمة بتقديم المفعول به في شكل ضمير متصل للجمع الغائب "هم" والفاعل المؤخر بشكل مؤكد والفاعل لفظ الجلالة "الله" وجاءت بنية الجملة الفعلية "يغنيهم الله" في محل جزم جواب الشرط، ودلالة المعنى يغنيهم الله بذلك أي النكاح.

4- قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور/33): الصورة عينها التي حول بها المفعول به في بنية الجملة الفعلية "حتى يغنيهم الله من فضله" إلا أن الفعل يغنيهم مضارع منصوب بأن المضمر وجوبا بعد حتى.

(1) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج6، ص467.

5- قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور/37).

في هذه الآية وقع تحويل في بنية المفعول به المقدم في شكل الضمير المتصل لجمع الغائبين "هم" والفاعل المؤخر "تجارة" وتقدير التركيب العميق رجال لا تلهي تجارة الرجال عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة".

6- قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْبِدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور/38): فالبنية المحولة بتقديم المفعول به وبتأخير الفاعل "الله" هي على شكل الضمير المتصل لجمع الغائب المتحدث عنه آنفاً.

7- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (الشعراء/5): في هذه الآية كان مكنن التحويل في فعل "يأتيهم" والفاعل محوّل هو أيضا شكلا وحكما إعرابيا فالفاعل هو ذكر المجرور لفظا المرفوع محلا أي تقدير شكل الفاعل وحكمه ذكر بالرفع لكنه أخذ منحنى آخر في شكل اسم مجرور ودلالة على النمط من الفاعل لها تأثيرها في المعنى وهي أعنى وأوقع من ذكر عنصر الفاعل دون تحويل توكيدية ذكر اسم مجرور لفظا مرفوع محلا؛ لأنّه فاعل "يأتي" (1).

وهذا في حدّ ذاته نعهه تحويلا أو عملية من عملياته متاحة في مندوحة الله ولهذا الشكل دلالاته التي تختلف عنه حين يقول ما يأتيهم ذكر من الرحمن محدثاً.

8- قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الشعراء/6): تشابه البنية التركيبية التي حضنت التحويل بالتقديم البنية السابقة في الآية التي مرت معنا إلا أن فاعلها "أنباء" جاء صريحا مفردا غير محول من عنصرين أو أكثر فـ "أنباء" فاعل مؤخر للفعل فسيأتيهم.

(1) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج8، ص163.

9- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الشعراء/206): نبصر - هنا- تحويلا بتقديم المفعول به الإجمالي وهو الضمير "هم" على الفاعل الذي جاء بصورة مغايرة وممايزة عما سبق وروده في أنماط الآيات الفاتتات الذكر وهو أي الفاعل "ما"؛ أي الاسم الموصول بمعنى "الذي".

10- قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (الشعراء/224): المفعول به المقدم هو الضمير "هم" المسبوك بالفعل "جاء"، والفاعل هو المفردة الغاوون أي أن الفاعل على غير الاسم الموصول في الآية السابقة.

ملحوظة: تواردت صور تحويل المفعول به بتقديمه على فاعله بتعدد وتنوع في سورة الشعراء، فمرة جاء المفعول به المقدم الضمير "هاء- هـ" ومرة أخرى هو ضمير الجمع "هم" وثالثة جاء ضمير المخاطب "كاف- ك" ورابعة كان ضمير النحن "نا" الجمع المتكلم، وكما تلاونت صور وروده تراوحت أنماط ورود فاعله في السورة كالاتي فمرة كان الفاعل محولا وهو في حكم إعرابي مختلف وهو من "ذكر"، ومرة ثانية جاء مفردة جمعا ك"أنباء" ومرة ثالثة كان بعد أداة استثناء إلا والفاعل "المجرمون"، وخامسة جاء اسما موصولا "ما" بمطابقة الذي وتعقبه جملته الموصولية، وفي كل هذه التغيرات في ورود المفعول به والفاعل تموضعات دلالية حسب سياقات الآيات التي وردت فيها والتحويلات لها توجيهاتها الدلالية المتساوقة مع نظام البنية التركيبية، وأشكالها الجملة، وكل هذا له علاقة بالمنطق العقلي الذي يحكم توليد البنية اللغوية في الآيات وتحويلها إلى بنية لغوية أخرى في تغاير أنظمة رتبة عناصر الجملة الفعلية.

11- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ (القصص/48).

12- قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (العنكبوت/37): نمط التقديم مضارع لأنماط سابقة؛ فالضمير الذي يطابق المفعول

هو "هم" في التركيب الإسنادي الفعلي المحول "فأخذتهم الرجفة" وفاعله المؤخر إجبارا هو "الرجفة".

في الآية تحويلان بتقديم المفعول به على الفاعل فالنموذج الأول المفعول به المقدم هو "هم" في تصبيهم وفاعله المؤخر "مصيبة" والنموذج الثاني الضمير "هم" للجمع شغل وظيفة المفعول به المقدم اختيارا في "فجاءهم"، والفاعل المؤخر "الحق".

13- قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص/46): في الآية نمط مغاير في الفاعل محول تحويلين الأول مؤخر على مفعوله المقدم والثاني أنه مجرور بمن لفظا مرفوع محلا أي أصله حكم الرفع للفاعلية والمفعول المقدم هو الضمير "هم" في التركيب التحويلي الفعلي "أتاهم".

14- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتُنَبِّئَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص/46).

15- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت/51): عنصر التحويل هو المفعول به المقدم إجبارا وهو الضمير لجمع الغائبين الذكور "هم" والفاعل محول بدوره وهو في بنيته العميقة مؤول بمصدر مفرد تقديره "إنزال الكتاب" بعد جمع أنا والتركيب الإسنادي الفعلي المحول بالاستبدال "أنزلنا" فالتقدير أولم يكفهم إنزال الكتاب من لدنا عليك، وهو نمط جديد من الأنماط التحويلية التي تمس المفعول به بتقديمه على الفاعل. فكل من "إنا أنزلنا عليك الكتاب" في تأويل فاعل للفعل المجزوم بلم "يكف" فهي أي البنية التركيبية التحويلية في محل رفع فاعل للفعل "يكفهم".

16- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت/55): يغشاهم فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف

الممدودة للتعذر وهم ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به مقدم إجبارا على الفاعل المؤخر "العذاب".

17- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم/9): تحويل المفعول به بتقديمه على الفاعل جاء بصورة ضمير للجمع المذكر الغائب المتحدث عنهم سابقا وبذلك فهو إجباري في قاعدة اللغة في نظامها الفعلي.

18- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (الروم/36): عملية التحويل بتقديم المفعول به واقعة في "إن تصبهم سيئة" فالمفعول به المقدم بالإجبار هو "هم" المتسق بالفعل "تصبهم"، وسيئة فاعل مؤخر وهذا نمط توارد كثيرا في السور الكريمات السابقات فهو متعدد وجم.

19- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان/32).

20- قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة/3): في الآية تقديم للمفعول به بصورة الإجبار وهو ضمير الجمع الغائب المتحدث عنهم "هم" والفاعل هو من نذير والتقدير المحول الأول في نظام اللغة العربية ونحوها هو ما أتاهم نذير ومن حرف جر زائد والدلالة الموجه إليها تأكيد النفي الذي تحقق في ما النافية، أي نفي إتيان أي نذير من النذر، وهذا تحويل زيادة الحرف من على بنية التركيب التحويلية للآية، ونذير اسم مجرور بـ"من" لفظا مرفوع محلا أي حقه الرفع لأن موقعه الفاعلية وليس المجرورية، أو لأنه فاعل "أتى"؛ أي بمعنى "ما أرسل في ذرية العرب في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يبعث إليهم نذير

معاصر فلطف الله سبحانه بهم وبعث إليهم رسول منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

20- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب/22): والمفعول به المحول بالتقديم هو

ضمير متصل بالفعل وهو ضمير المتكلم الجمع وهو "نا" والفاعل لفظ الجلالة "الله".

21- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب/57): نلمح إلى أن المفعول به المحول بالتقديم هو ضمير الجمع الغائب المذكر "هم" والفعل لعن والفاعل لفظ الجلالة الله.

22- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (فاطر/5). تحويل المفعول به بتقديمه على فعله في جاءت "هم" والفاعل رسلهم وهو أي المفعول به ضمير للجمع الغائب المذكر وقد مر معنا هذا الشكل وهو متواتر في مجمل السور المدروسة.

الصورة الثانية: المفعول به المحول بالتقديم جاء ضمير للمفرد الغائب "ه":

جاءت في الآيات: طه: 122. الحج: 11، 11، 11، 31، 37، 60. النور: 35،

39، 40. الفرقان: 3، 3، 6. الشعراء: 197. القصص: 8، 15، 25. العنكبوت: 24،

39. لقمان: 14، 27.

1- قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه/122)، فهناك تحويل لبنية

الجملة الفعلية الأساس أو التوليدية من مرتبية تقدم الفاعل على المفعول به إلى تغاير الرتبة؛ حيث قدم المفعول به الضمير المتصل بالفعل اجتبى "اجتباها" على الفاعل ربُّه وهو يسرد قصة آدم مع الله عز وجل إذ غوى وعصى فتاب الله عليه واصطفاه نبيا، أو

(1) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج9، ص185.

"قرّبه"⁽¹⁾، فالإعراب " ثم: حرف عطف وتعقيب، اجتنابه أي اصطفاه فعل ماض مبني على السكون المقدر على الألف للتعذر، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدم، والتقدير ثم اجتنى آدم ربه أو رب آدم، ربّه فاعل مرفوع بالضمّة للتعظيم، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، نلمع إلى أن هذه العملية التحويلية الاختيارية جاءت في سياق السرد ولذلك كان المفعول به "آدم" ضميرا متصلا؛ لأنه يكره أنه يكرر كلمة موسى، وقد ذكره مرات متواليات؛ حيث يبدأ ذكر تواتر الضمير مع الاسم الصريح بين الله عز وجل وآدم عليه السلام من جملة الآية الكريمة: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ (طه/121).

فتوجيهنا الدلالي لهذه العملية التحويلية أن تقليص المفعول به "آدم" بعد الفعل اجتنى ملائم لسير السرد من جانب، ومن جانب مؤات لفكرة الاجتناء والاصطفاء لرسالة النبوة وتكريما لآدم الذي عصى ربه فغوى، فلم يشأ الله ترده بالذكر مرة أخرى، فالبنية العميقة هي في الجملة مستكملة ضمن بناء الآيات التي تنشأ السرد، فليست الجملة مستقلة ببنيتها التركيبية وحدها، وهذا اقتضى تقديمه بشكل إصاقي أي الضمير، وهذا أقره المنطق السليم لتقبل السرد أو الاتساق بين الذكر بالتقديم والتأخير.

2- قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ (الحج/11): نشهد شكلا سابقا من أشكال التحويل بتقديم المفعول به بوصفه ضميرا متصلا "هاء/ه" موشوجا بالفعل الماضي "أصاب"؛ أصابه والفاعل مؤخر هو خير، والبنية اللغوية اقتضت في منطقتها التحويلي أن يكون ضميرا متصلا فالأصل بحفظ رتبة الفاعل ورود الآية: إن أصاب خير الواحد من الناس اطمأن به.

(1) الجلالان، التفسير، ص320.

3- قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبْ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ

الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج/11): نجد العملية التحويلية ذاتها ولكن المفعول به فيها مسند إلى

فعل زيد بتاء التانيث الساكنة التي ليس لها محل من الإعراب، والفاعل مؤنث وهو "فتنة".

4- قال الله تعالى: ﴿خُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج/31): يوجد شكل تحويلي بتقديم

المفعول به على فاعله بوصفه ضميرا متصلا بالفعل "تخطف" والفاعل "الطير"، وتقدير

بنية الآية المحولة من الجملة التوليدية في الأصل: فتخطف الطير من يكفر بالله؛ لأن

الحديث دائر ومنوط به كل من يكفر بالله عز وجل؛ إذ سبق الإشارة له فكأنما الضمير

إحالة بمفهوم اللسانيات النصية؛ إذ قال الله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من

السماء فتخطفه﴾ أي فاخطفته الطير، أو أخذته بسرعة، ويتساءل القارئ لماذا عدل إلى

المضارع والمتوقع أن يعطف عن الماضي خرّ لاستحضار الصورة الغريبة إذ تأكله الطير

مزعا في حنجورها وحواصلها هذه من الناحية البلاغية للآية.

5- قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (الحج/60): فيه شكل تحويلي مرت صورته في بنية الآية الكريمة لينصرنه،

وهي جملة جواب القسم، والمفعول به المقدم هو الضمير "هاء/ه" والفاعل لفظ الجلالة

مؤخر.

6- قال الله تعالى: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ

فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ

زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور/35): نجد - في هذا النموذج - صورة المفعول به

المقدم وهو ضمير المفرد الغائب "هاء/ه" والفاعل المؤخر "نار" في قوله تعالى: ﴿ولو لم

تمسسه نار﴾.

7- قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور/39):
المفعول به الأول المقدم كان ضميرا للمفرد الغائب "هاء-هـ" يحسبه، والفاعل المؤخر هو الظمان. يحسن بنا الإلماحة إلى أن يحسب تنصب مفعولين وفي البنية التوليدية للغة العربية التي دخلت عليها حسب فالأصل في المفعول به الأول والثاني هو المبتدأ والخبر فهذا تغيير جذري من بنية لجملة اسمية إلى بنية فعلية، فأصل منطق البنية العميقة قبل إجراء عملية التحويل هو أو السراب أو الآل ماء، وهذا نظير ظن وأخواتها.

8- قال الله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (النور/40): التحويل في المفعول به المقدم بوصفه ضميرا متصلا للمفرد الغائب المذكور سابقا وهو بحر لجي والفاعل المؤخر هو "موج" وهذا شكله فائت في كثير من السور والآيات، ونفيض قليلا في البنى التركيبية التحويلية فنقول: إن أصل الجملة الفعلية يغشاه وصف ثان بعد الوصف لجي والتقدير في بنية العمق بحر لجي مغشي بموج، ولكن سياق الآية ومعناها استحقا تحويل بنية الوصف إلى جملة فعلية مضارعية لتستدر الدلالات اللازمة حقيقة وسردا.

9- قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ وَاحِدٌ وَهُوَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (الفرقان/4): شاهد التحويل بتقديم المفعول به على فاعله في فعلي "افتراه" و"أعانه" فالضميران في آخر الفعلين في محل نصب مفعول به مقدم إجبارا وفاعلاهما هما واحد وهو "كلمة قوم" مؤخر.

10- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان/6): في هذه الآية نجد أن اسم الموصول "الذي"، والجملة التي بعد أي جملة صلة الموصول هي الفاعل للفعل "أنزله"، المكون من فعل ماض والهاء الضمير

المتصل، الذي نعربه في محل نصب مفعول به مقدم بالإجبار على الفاعل، وهذا الشكل عينه مع الإشكال السابقة للبنية التحويلية للمفعول به ماعدا بعض الاختلافات في الفاعل.

11- قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء/197):

المفعول به المقدم هو الهاء في الفعل "يعلمه" والفاعل المؤخر هو "علماء".

12- قال الله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ

وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص/8): جاءت عملية التحويل بتقديم المفعول به الهاء-ه

الضمير الراجع على النبي موسى -عليه وعلى الأنبياء السلام- في الفعل "فالتقطه"،

وتأخر الفاعل "آل" بمعنى أهل فرعون، وتقدير البنية العميقة للتركيب: والتقط آل فرعون

موسى، لكن جاء متناغما مع مساع السرد؛ إذ ذكر في الآية السابقة في قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا

إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ

إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/7)؛ فالمفعول به عنصر سابق؛ أي رابط للجملتين

التين ذكر فيهما وأحال بإحداهن على الأخرى.

13- قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ

هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ

فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالٌ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (القصص/15): في الآية

موضعان فيهما التحويل بتقديم المفعول به على فاعله؛ في "فاستعاثه الذي من شيعته على

الذي من عدوه وفي "فوكزه موسى فقضى عليه"، فالنمط الأول الفاعل اسم موصول وهو

الذي مؤخر أي الذي اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل للفعل

فاستعاثه، والهاء في "فاستعاثه" ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول

به مقدم تقديمًا اختياريًا؛ أي بحوزنا أن نقول: فاستعاث الذي من شيعته موسى على الذي

من عدوه، وهي البنية التوليدية أو العميقة التي تريض وراء هذا الشكل التحويلي في

تركيب الآية الكريمة، والنمط الثاني في "فوكزه موسى" فالضمير هو الهاء في الفعل "وكز" والفاعل هو "موسى" مؤخر؛ أي في تقدير البنية العميقة أو التوليدية: فوكز موسى الذي من عدوه ففضى عليه.

14- قال الله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/25): في مستهل الآية الكريمة تقديم المفعول به "الهاء" في فجاءته على فاعله "إحدهما"، فالتقدير: فجاءت إحدهما موسى؛ والمفعول به موسى تحول إلى الضمير "هاء"؛ لأن الجملة في مساق السرد والقص الذي يتناول أحداث النبي موسى، فوظيفة التحويل بالتقديم لا تخلو من فوائد سردية فالضمير أي المفعول به المقدم اختياراً عنصر سابق للجملة التي هي وحدات سردية، من جهة ومن جهة أخراة فتقديمه له وظيفة في المعنى؛ فهو المهتم به ومحور السرد.

15- قال الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص/24): فالتحويل بتقديم المفعول على الفاعل نهض على الجملة المبتدأة بفاء العطف "فأنجاه الله من النار"، فالضمير المتصل "ه" مبني في محل نصب مفعول به مقدم إجبارياً على الفاعل "الله" لفظ الجلالة.

16- قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان/14): هذا نمط تحويلي ورد معنا أيضاً؛ إذ المفعول به المقدم هو الضمير المفرد الغائب الهاء والفاعل المؤخر "أمه"، فالعملية إجبارية لاتصال الفاعل بضمير عائد محيل على المفعول به.

17- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان/27).

الصورة الثالثة: المفعول به المحول بالتقديم جاء ضميراً للجمع المذكر المخاطبين "كم":
وقد ورد 10 مرة في ربع مريم: النور: 2، 58. العنكبوت: 27. لقمان: 33، 33. السجدة:
11. الأحزاب: 9، 15. فاطر: 25، وأمثلته المعروضة والمحللة بالتوجيه:

1- قال الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور/2): فهنا تقديم المفعول به على شاكلة الضمير المتصل "كم" المستلحق بالفعل "تأخذكم بهما رأفة"، فالضمير "كم" في محل نصب مفعول به مقدم إجباراً عن فاعله المؤخر "رأفة"، وتقدير البنية التركيبية للآية ولا تأخذ رأفة بهما أنتم فهو إجباري، والمشهود هنا أن "بهما" شبه جملة جار ومجرور اعترضت دخول الفاعل "رأفة" وهذا له دلالاته وأغراضه.

2- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور/58): حولت بنية الجملة الفعلية "ليستأذنكم" بتقديم المفعول به المقدم إجباراً بلحمته مع الفعل ومضامته إليه وتأخير الفاعل الذي هو "الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم".

3- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت/24): في هذه الآية الجليلة نمط مر معنا نمط مشابه له وهو أن الضمير الذي يعمل عمل المفعول هو "هم"، وهو أن الضمير "كم" جمع المخاطبين الذكور هو الضمير المبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم إجباراً، والفاعل "أحد" المجرور لفظاً والمرفوع محلاً، والتقدير المنطقي للتركيب الإسنادي الفعلي المحول ما سبقكم أحد.

4- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَآخَشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (لقمان/33).

5- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة/11): في هذه الآية الكريمة نلمح أن المفعول به المحول بالتقديم هو ضمير الجمع المخاطب "كم"، والفاعل المؤخر بالإجبار هو "ملك" وهو مضاف والمضاف إليه "الموت"، وهذا شكل من أشكال بنية التحويل التركيبية سبق في بعض آيات السور الآتية الذكر.

6- قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب/9): وهذا شكل من أشكال تحويل المفعول به بتقديمه على صيغة ضمير الجمع المخاطب "كم" وفاعله "جنود"، بمعنى "إذ جاءتكم الأحزاب للقضاء عليكم، وقد أنث الفعل على اللفظ لا المعنى"⁽¹⁾، فلفظة الفعل جاءتهم موصولة بتاء التانيث وهذا شكل من التانيث اللفظي أما المعنى فهو المعنى.

7- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب/15): التحويل في المفعول به الذي هو ضمير الجمع المخاطب "كم" أي في محل نصب مفعول به مقدم إجبارا على الفاعل "الفرار".

الصورة الرابعة: المفعول به المحول بالحذف جاء ضمير المفرد المخاطب "الكاف/ك":

وجاء في الآيات: طه: 126. الأنبياء: 36. الشعراء: 111. الروم: 60. لقمان: 23. الأحزاب: 52.

(1) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج9، ص223.

1- في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه/126):
ورد تحويل في تركيب البنية التوليدية أو النواة للآية الكريمة وهو تقديم المفعول به
الضمير الكاف الذي يحيل على آدم؛ أي أنت المخاطب في حركة سرد قصة الله عز
وجل لآدم بعد إنزاله من الجنة وتحميله رسالة النبوة، فأعراب جملة الآية: أتتك فعل ماض
مبني على السكون المحذوف لانتقاء الساكنين ولاتصاله بتاء التانيث الساكنة التي لا محل
لها من الإعراب، أو "فعل ماض مبني على الفتح المقدر على آخره المحذوف"⁽¹⁾ والكاف
ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم "محول بتقديم رتبته"، آياتنا
فاعل مؤخر مرفوع بالضم، وأصل البنية: أتت آياتنا آدم، و"نا" ضمير متصل مبني على
السكون في محل جر بالإضافة بمعنى "جاءتك آياتي"⁽²⁾.

2- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ
وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (الشعراء/36): "الواو استئنافية، إذا: ظرف لما يستقبل من
الزمان خافض لشروطه متعلق بجوابه، أداة شرط غير جازمة، رآك فعل ماض مبني على
السكون المقدر على الألف للتعذر، والكاف ضمير الغائب في محل نصب مفعول به
مقدم، الذين: اسم موصول في محل رفع فاعل، وجملة رآك الذين في محل جر بالإضافة
لوقوعها بعد الظرف إذا" كفروا: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة والواو
ضمير في محل رفع فاعل والألف فارقة، والجملة صلة الموصول"⁽³⁾؛ أي الجملة ليس لها
محل من الإعراب، نذكر أن البنية تحولت بجعل المفعول به المنصوب ضميرا مقدما
متصلا بالفعل والفاعل مؤخر.

فهناك قاعدة في النحو العربي تقول أن كل ضمير يتصل بآخر الفعل يتوجب أن
يعرب مفعولا به منصوبا لذلك الفعل، وعندما كان المفعول به ضميرا مخاطبا أي النبي

(1) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 639.

(2) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج 7، ص 171.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 212-213.

محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتكلم معه أو الذي يحاوره الله عز وعلا، فاقترضى أن يكون شكليا في بنية الفعل، وهذا وجه دلالة الجملة من التوليدية إذا رأى الذين كفروا محمدا أو أنت لم يكن المعنى التحويلي بالتقديم، فضلا عن أن التقديم تستصحب دلالة التأكيد وتخصيص الواقع عليه الفعل أي أنت المخاطب فأخذ رتبة الفاعل وتأخيرته بعده له دلالة تركيبية غير الدلالة الأولية برتبة الفاعل المقدم.

3- قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْوْمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ﴾ (الشعراء/111): الضمير الكاف "ك" هو المقدر بالمفعولية المنصوبة المقدمة الإجمالية؛ لأن من مواضع تقديم المفعول به على الفاعل أو على الفعل وجوبا" إذا كان ضمير نصب متصل والفاعل اسما ظاهرا مثل: هداك الله فالكاف في محل نصب مفعول ولفظ الجلالة "الله" فاعل⁽¹⁾ والفاعل "الأردلون"؛ أي الأردلون أو الدينيون.

4- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الروم/23): هذه الآية تشابه السابقة في عملية التحويل النحوي بتقديم المفعول به وتأخير الفاعل، إلا أن الفعل هو فعل أمر منهي عليه بلا "فلا يحزنك" والفاعل "كفره" مؤخر، والضمير الذي شغل وظيفة المفعولية هو الكاف الذي لحق الفعل "يحزنك".

5- قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم/60) هذا النمط - أيضا - توارد كثيرا؛ إذ المفعول به ضمير المخاطب المفرد الكاف والفاعل جاء محولا في بنيته بالاستبدال، وهو عنصر من عناصر التحويل في الجمل العربية، فالفاعل "الذين لا يوقنون"، فكما جاءت بنية اسم الموصول وصلته في محل نصب مفعول به كانت - أيضا - في محل رفع فاعل مؤخر كما في هذه الآية الكريمة.

(1) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

6- قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ

بَعْتُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (العنكبوت/53): جاء فعل ماض مبني على الفتح والضمير هم

مفعول به مقدم إجباراً، وفاعله العذاب مرفوع بالضممة الظاهرة في آخره.

7- قال الله تعالى: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ

حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ (الأحزاب/52): "والمفعول به

المحول بالتقديم هو ضمير المفرد المخاطب "الكاف" والفاعل "حسنهن".

الصورة الخامسة: المفعول به ضمير للمفرد المؤنث الغائب "ها": وجاءت في الآيات:

النمل: 14، 43. العنكبوت: 42.

1- قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل/14): في هذه الآية الكريمة نجد البنية البنية المحولة بتقديم المفعول

به "الهاء-هـ" على فاعله "أنفسهم" والضمير المتصل المبني على السكون في محل نصب

مفعول به المقدم يحيل على الآيات المبصرة التي ظن فرعون وقوم موسى أنها سحر مبین

إلا أنها تأييد من الله، بعد أن تفضل بها الله عز وجل على نبيّه موسى عليه الصلاة

والسلام وعلى الأنبياء جميعاً، وهي تسع آيات؛ قال الله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ

تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَاسِقِينَ ﴾ (النمل/12)، والهاء -في فلسفة اللسانيات النصية من ضمائر الإحالة السابقة أو

اللاحقة في تسهم في الاتساق اللغوي أو التماسك بين الجمل في تشكيل النص وبناء

المنطق المعنوي؛ فهي قد أشير إليها سابقاً ولكن الهاء حلت محل "الآيات المبصرة

التسع"⁽¹⁾ وهذا، لكن آلية التحويل اختصرت الآيات المبصرة في ضمير إحالي وهو الهاء

حلّ محلها وعمل عملها وناب عنها.

(1) قال محي الدين درويش في "إعراب القرآن الكريم وبيانه" وهو شرح معنى الآيات التسع " اذهب يا موسى في تسع

آيات؛ أي في جملة تسع آيات وعدادهن، ولقائل إن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة اثنتان منها اليد والعصا والتسع:

الفلق، الطوفان، الجراد، القمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجذب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم" ج19/ص486.

2- قال الله تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (النمل/43): في هذه الآية حولت البنية الفعلية بنقدم الضمير الذي يعود على ملكة سبأ التي أرسل سليمان الهدهد إليها، والضمير هو "الهاء" ضمير المؤنث المفرد على الفاعل الذي هو "ما" التي حولت في البنية الشكلية والنحوية إلى وظيفة الفاعلية؛ فـ"ما" اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل الفعل "صدّ"، و"كانت" فعل وفاعل، وتقدير البنية التوليدية الأصلية للجملة المحولة هي وصدّ الذي كانت تعبده من دون الله المرأة التي كانت تملك الناس، "وبجوز أن تكون ما: مصدرية؛ أي وصدّها عبادة الشمس عن الإسلام، وجملة إنها تعليل للصد عن الإسلام، وعبادة غير الله، وإنّ، واسمها، وجملة كانت خبرها، واسم كانت هي" (1).

نلاحظ نمطين من أشكال التحويل بتقديم المفعول به في صورة المفعول به الهاء في استيقنتها وصدّها فالهاء الأولى تحيل على مجمل التسع الآيات والهاء الثانية تحيل على المرأة "بليقيس" (2)، التي كانت تملك عرش سبأ.

3- قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّمَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ (العنكبوت/42): وهنا تقديم إجباري للمفعول به، لأنه في بنية تركيبية تحوي أداتي حصر وهما "ما" النافية، الأداة "إلا" التي للحصر، والمفعول به الهاء التي تعود على الأمثال والفاعل المؤخر هو العالمون وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم. الصورة السادسة: المفعول به المحول بتقدمه على الفاعل ضمير "تا" الدالة على الجمع المتحدث: وجاءت في الآيات: الشعراء: 99. الأحزاب: 82، متساويا من حيث وروده مع الاسم المعرب الظاهر: الحج: 37. فاطر: 27.

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج19، ص520.

(2) بليقيس هي: "ابنة شراويل بن أبي سرح بن الحارث، بن قيس بن صيغي بن سبأ، وقال ابن الكلبي: كان أبوها من عظماء الملوك، يرجع إلى: محي الدين درويش في "إعراب القرآن الكريم وبيانه" مج19/ص504.

1- قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾/99: هنا التحويل في بنية الفعل المغاير بالحاق الضمير "نا" أي نحن التي تقوم مقام المفعول به المقدم إجباراً فـ"نا" في محل نصب مفعول به مقدم والفاعل مؤخر وهو المجرمون بعد أداة الاستثناء "إلا" ونلفت النظر إلى أن الإيجار في التحويل بالتقديم جاء من كون أداة الاستثناء تحمل معنى القصر أو الحصر "فيوجب تقديمه على فاعله إذا كان مقصوراً مثل" ما كتب المقالة إلا محمداً"، فالمقالة مفعول به ومحمد فاعل⁽¹⁾، فكذلك ما أضلنا إلا المجرمون، ونحن لا نفيض بالتحليل في التحويلات الإيجارية لأن المنطق المختلف هو يفرضها فلا نخرج ثمرات التحويل ودلالاته منها وإنما نعم البحث والتقصي في التحويل بالاختيار.

2- قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ/2)، والمفعول به الذي وقع له تحويل بتقديمه على فاعله هو ضمير المتكلم الجمعي "نا" والفاعل هو الساعة.

الصورة السابعة: المفعول به المقدم اسم موصول مع صلته:

وقد ورد مرتين في ربيع مريم:

1- قال الله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ (الروم/57): في هذه الآية الكريمة تحويل إجباري للمفعول به بتقديمه عن فاعله فالمفعول به له نمط أنه محول بالاستبدال من اسم الموصول وصلته التي لا محل لها من الإعراب وهو "الذين ظلموا"؛ أي في محل نصب مفعول به مقدم إجباراً في بنية التركيب الفعلية المحولة، والفاعل اسم ظاهر مشفوع بالضمير العائد المحيل على المفعول به وهو "هم".

⁽¹⁾ ينظر: محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر، دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة- وفق مقررات اللغة العربية-، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، مدينة نصر القاهرة- مصر، 1996، دط، ص77.

فالإجبارية في منطق اللغة العربية هنا أنه اتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به مثل "أخذ الكتاب صاحبه" فالكتاب مفعول به مقدم وصاحبه فاعل مؤخر⁽¹⁾؛ فذلك "معذرتهم" فاعل مؤخر للفعل "ينفع"، ويبين المعنى وتشع الدلالة من هذه الآية انطلاقاً من هذا التقديم والتحويل في بنية التركيب؛ إذ تقديم "الذين ظلموا" في محله لأنه المخبر به عن العذاب وتأكيد هذا العذاب عليهم وإلحاقه بهم إنما جاء لالتصاق الضمير العائد عليهم "هم" وتأخيره عليهم، ودلالته عليهم، فنقدر أن الإجبار في التقديم إنما يطابق فعلياً قود العذاب بما حاق بالذين ظلموا.

2- قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (السجدة/29): المفعول به المحول بالتقديم الإجباري هو اسم الموصول "الذين" وجملة صلة الموصول التي ليس لها محل من الإعراب؛ فهو اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به مقدم والفاعل المحول بالتأخير الإجباري هو "إيمانهم" فأخر؛ لأنه لحقت بنيته ضمير يعود على المفعول به وهو مطابق له في العدد وهو "هم" وإجبارية النحو العربي هذا التأخير؛ "لئلا يلزم عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهذا محظور"⁽²⁾ في العربية.

الصورة الثامنة: جاء اسماً ظاهراً بالإجبار:

1- قال الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت/24)، أو الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر/27)، أو بالاختيار كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَأَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/33).

(1) محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر، ص 77.

(2) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس، ص 9.

2- قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الحج/37): نشهد بنائين محولين للجملة الفعلية بتقديم المفعول به على الفاعل في جملة الآية الكريمة" لن ينال الله لحومها ولا دماؤها"، و"ولكن يناله التقوى منكم"، ففي الأولى كان المفعول به المقدم لفظا صريحا وهو لفظ الجلالة"الله"، ومنهم من قال بأن المفعول الحقيقي في البنية العميقة للجملة محذوف وهو رضا الله، لأن بلاغة الجملة لن يصيب رضا الله؛ فليس ممكنا أن ينال الله نفسه. أما في الثانية فهو شكل ضميري عائد على المذكور الأول "الله" والمستوجب الذكر هنا أن تحويل البنية بتقديم الله مفعولا به عن الفاعل "لحومها ولا دماؤها" جاء بعد الفعل "ينال"، ولم تلحق قرينة التأنيث بالفعل فلم يقل: لن تنال الله لحومها ولا دماؤها؛ لأن المعنى لن يرفعان إليه، وكأن الله يناله كل شيء فليس بالتخصيص، إنما هو أهل لأن يندرج في رضاه كل شيء.

والتحويل التركيبي في رتبة الفاعل والمفعول له دلالات كثيرة فالمفعول المحول بتقديمه هو الجلالة "الله"، فالمعنى يروم المنال وليس النائل أي لحوم الأضاحي ودماؤها فهذا انعقد التحويل فالمطابقة بين المنال المهم الذي هو محل الكلام وهو الله عز وجل توضع أن يؤخر الفاعل "لحومها ولا دماؤها"، وهذه دلالاته تركيبيا ولسانيا وأصل بنيتها العميقة أن يقول عز من قائل: لن ينال أو تنال لحومها ولا دماؤها الله، فهذا لا يقدم معنى كافيا منطقيا بالنظر على مغزى الآية كلها، والتي تحضض على إصابة الأجر أو الغرض من التقرب إليه بالأضاحيات والذبائح، وانتسقت نصيا وتوكيديا حين حول المفعول به "إلهها" العائد على الله عز وجل في الجملة الثانية المستدركة، ولكن يناله التقوى منكم ليبين ويؤكد أن الذي ينال الله أي يصيب الأجر هو التقوى ويرفع إليه طيبا، ويحدث الإخلاص، وليس ما نفيت إنالته في التركيب التحويلي السابق، فهي أي "البدن" أصل المنسك الذي جعله الله للناس لعبادته وتوحيده جل وعلا إجلالا عظيما وحده لا شريك له، وهذا مصداقه قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ

بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَنَاعَ وَالْمُعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (الحج/36).

ونلاحظ مجانسة ومخالفة في تذكير الفعل وتأنيث الفاعل "لحومها ودمائها" ولو أنت الفعل لجاز وأفاد كما قال صاحب معاني القرآن، وكأنه على هذا النحو ليلتئم المعنى الذي نصّ عليه بالاتباع، وهو التقوى والتذكير أصل والتأنيث فرع فأراد أن يصيب الأصلية في النوال بالتقوى لا باللحوم والدماء المضحى بها؛ إذ "اجتمعوا على الياء. ولو قيل (تتال) كان صوابا، ومعنى ذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروها نضحوا الدماء حول البيت. فلما حجّ المسلمون أرادوا مثل ذلك فأنزل الله عز وجل قوله: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم"⁽¹⁾.

وجاء -كذلك- في تفسير هذه الآية، "وذلك أنّ أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن لطحوا حيطان الكعبة بدمائها فأنزل الله سبحانه (لَنْ يِنَالَ اللَّهُ) أي لن يصل إلى الله (لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)، أي النية والإخلاص وما أريد به وجه الله عز وجل، وقرأ يعقوب تتال وتتاله بالتاء، غيره: بالياء، (كَذَلِكَ) هكذا (سَخَّرَهَا) يعني البدن (لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) لإعلام دينه ومناسك حجّه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا"⁽²⁾.

3- قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

(1) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)، معاني القرآن، تحقيق حمد يوسف نجاتي، محمد علي نجار، عبد الفتاح

إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الجزء 2، ص222.

(2) أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي،

بيروت- لبنان، 1422هـ، الجزء7، ص24.

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت/40): أخذته: فعل ماض مبني على الفتح لاتصاله بتاء التانيث الساكنة التي لا محل لها من الإعراب، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به مقدم إجبارا على فاعله "الصيحة"، نلمح إلى أن هناك تحويلا بالحذف في المفعول به المقدر بمنطقية الكلام في الجملة "أغرقتنا" وتقديرها أغرقناه، وهو يعود على ما يجيء بعد منهم، وما نحله ونوجهه دلاليا أن كلاً وهو المفعول به المقدم اختيارا اتصلت به الفاء وأصل الجملة على الإخبار أي بنيتها العميقة أخذنا كلا بذنبه فدلالة زيادة الفاء وكلا أي كل واحد من المذكورين سابقا أي قارون وفرعون وهامان؛ إذ " أَشَارَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكُرِيمَةِ إِلَى إِهْلَاكِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَارُونَ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، ثُمَّ صَرَّحَ بِأَنَّهُ أَخَذَ كُلًّا مِنْهُمْ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ فَصَّلَ عَلَى سَبِيلِ مَا يُسَمَّى فِي الْبَدِيعِ بِاللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمُرْتَبِّ اسَبَابَ إِهْلَاكِهِمْ، فَقَالَ: فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا"⁽¹⁾، والتتوين هنا تتوين عن عوض كما هو معروف، وتكفله اللغة في منطقتها الاختصاري، وهي بنيتها العميقة التوليدية كل واحد منهم؛ إذ يقول الله العلي الجليل: " قول تعالى ذكره: فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا"⁽²⁾.

ويقول صاحب التحرير والتنوير، "لأن (كلا) اسم يعم المذكورين فلما جاء منتصبا بـ {أَخَذْنَا} تعين أن ما قبله منصوب بمثله وتتوين العوض الذي لحق (كلا) هو الرابط وأصل نسج الكلام: وعادا وثمودا وقارون وفرعون إلخ (...). كلهم أخذنا بذنبه"⁽³⁾، والفاء تسمى في النحو فصيحة أي تبين ما ذكر سابقا؛ أي "أي إن شئت أن تعرف مصيرهم فقد أخذنا كلا منهم بذنبه"⁽⁴⁾، وكلّ هي توكيد لفظي، فهذا يرسخ معنى توكيد الفعل "الأخذ" ويزيده قوة ودلالة ناصعة.

(1) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ص434.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء20، ص169.

(3) الطبري (ت 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، 2000، الجزء20، ص35.

(4) المرجع نفسه، ص35.

خلاصة الفصل: استنتجنا من هذا الفصل أن التقديم والتأخير لهما بلاغة خاصة في القرآن الكريم حسب أولويات المقصود والأغراض الكامنة وراء هذه العملية التحويلية فأشرنا إلى قرينة الرتبة في العربية، وتحدثنا عن المفهوم الاستبدالي المتحقق من التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، وتناولنا اختلاف العلماء في شرعية تقدّم الفاعل على فعله فوجدنا أن البصريين لا يجيزونه لأنه يتداخل مع الجملة الاسمية أما الكوفيون فيقبلون تقدمه ويبقى فاعلا نحوا ودلالة وكل في ذلك له حجه

والمستتب-أيضا- من هذا المبحث أن استعمال التحويلات الاختيارية بتقديم المفعول به عن فاعله أكثر من الاستعمالات الإجمالية، فذلك يوحي إلينا بأن القاعدة اللغوية النحوية الأصلية في العربية هي الأولية، وهي الإطار الاختياري ثم تنفرع منها قواعد أخرى إجبارية وهذا حسب الحاجة.

ورود المفعول به ضميرا متصلا بالفعل على تنوع إحالاته كان أكثر من مجيئه اسما ظاهرا في ريع مريم، وهذا له دلالاته التي يتقصد إليها ومعناه المتجه إليه، في حين وجدنا المفعول به اسما للتوكيد في فكلا أخذنا بذنبه، و"إنما يخشى الله من عباده العلماء"، و"إذا مسّ الناس ضرٌّ"، و"لن ينال الله لحومها ولا دماؤها"، جاء المفعول به اسما موصولا في "لا ينفع الذين كفروا إيمانهم"، وكذلك "لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم".

الفصل الثالث:

صور التحويل بال حذف

ودلالة الغرض

أولاً: مفهوم الحذف النحوي في ضوء التحويلية، وتوجيهه الدلالي:

إن الحذف هو أن نخفي عنصراً من عناصر الإسناد الفعلي والاسمي أو جملة من البنية الظاهرة الفوقية للغة، وأن نبقي قرائن دالة على المحذوفات وهو أنواع، فمحذوف للفعل وللإسم وللجملة من ذلك - على التمثيل لا الحصر - قول الله بعده عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد/35)؛ فيقول العلماء: "(مثل) مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: كائن فيما قصصناه، وقوله (وظلها): الواو عاطفة، (ظلها) مبتدأ خبره محذوف أي: كذلك، وجملة (أكلها دائم) حال ثانية من العائد المقدر (وعدها)، وجملة (تجري) حال من العائد المقدر، وجملة (وعقبى الكافرين النار) معطوفة على جملة (تلك عقبى)"⁽¹⁾؛ إذ: إن أصلها (وظلها دائم)؛ إذ "وجب في النعت المقطوع إلى الرفع حذف الخبر: أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا أي دائم"⁽²⁾.

وكقولي لأحد طلبتي: من جاء؟ فيقول محمد، والتقدير أن الفعل مسبوق الذكر محذوف؛ فأصل جملة الطالب ردا عن سؤالي منطقياً "جاء محمد"، أو كسؤال طالبتي لي: ما هي سورة الآلاء والأفضال فأقول: الرَّحْمَنُ، والتقدير هو: سورة الأفضال والآلاء الرَّحْمَنُ أو بتغيير درجة التداول بالتأكيد الضمني فأقول لها: الرَّحْمَنُ سورة الأفضال والآلاء، ردا على جوابها وترسيخاً للمعنى في ذهنها، و"الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية"⁽³⁾، وتحظى ظاهرة الحذف في الجمل من قبل علماء المنهج التوليدي التحويلي بوضع قواعد تنتظم فيها، وأحكام تضبطها تراكيب اللغة الإنسانية النحوية (Syntactic Structures)، ونجد أن هناك حذفاً يقع في مساحة التقدير عند علماء النحو كما ذهب سيبويه والبصريون إلى أن "الحال" هي أصلها في بنية عميقة

(1) أحمد بن محمد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، د ط، د ت، ج 1، ص 459.

(2) إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، ج 1، ص 626.

(3) ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، 1998.

مصادر مؤولة في موضع الحال؛ فهي مؤولة بالمشقق مثل ساعيا وسائرا وراكضا وعاديا فجأة، وقيل هي أحوال عن حذف مضاف؛ أي تقدير الكلام أتى إتيان ركض وإتيان سعي وإتيان سير ولقيه لقاء فجأة.

ومثال ذلك جملة قرآنية حذف فيها الضمير وقدّر في البنية وهي: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء/26)، وتقدير الجملة بل هم عبادٌ مكرمون فعباد خبر للمبتدأ هم ومكرمون صفة مرفوعة، أو جملة الآية الكريمة الآتية: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ (يوسف/44)، والتقدير قالوا: هذه أو تلك أضغاث أحلام؛ أي التي رآها الملك أو التي تراها أو رأيتها أيها الملك في منامك وهذه على تقدير المحاوراة بينهم وبين الملك.

وهناك حذوفٌ مقدّر في مضمار الكلام؛ أي بين جملة وجملة، أو تركيب وتركيب متواصلين، وهذا يغزر في القرآن الكريم كثيرا؛ لأنّ الحذف أقعد في مساحة الاختصار، والله عز وجل في قرآنه العليّ يكتفّ عمليات الإيجاز وهو من البلاغة؛ وذلك لأنه يقول كل شيء في دائرة المقدرات أو المضمرات بين الجملة، وحجة الأمر ما قد ورد في سورة مريم في قول الله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم/12)؛ ففي الكلام "محذوف تقديره، أنه ولد لذكرياء المولود"⁽¹⁾، و"مقول قول محذوف، بقرينة أن هذا الكلام خطاب ليحيى، فلا محالة أنه صادر من قائل، ولا يناسب إلا أن يكون قولاً من الله تعالى، وهو انتقال من البشارة به إلى نبوءته. والأظهر أن هذا من إخبار القرآن للأمة لا من حكاية ما قيل لذكرياء؛ فهذا ابتداء ذكر"⁽²⁾.

والمحذوف هو جملة فعلية تبتدئ بفعل من نوع مبني للمجهول "ما لم يسم فاعله" أنه ولد لذكرياء المولود، أو ما هو محذوف في سورة يوسف في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ص462.

(2) طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص17.

يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف/15)، والتقدير: فتركه يذهب مع إخوته فلما ذهبوا وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، ولم ترد هذه الجملة السردية؛ لأن من منطقية الأمر أنه لما ذهبوا به أن أغلب الأمر ترك أبيهم سيدنا يوسف لإخوته لاصطحابه معهم.

كما أنّ هناك الحذف في البنية الجملة أو الزيادة في وحدات إسنادية نلفت النظر إلى أن هناك الحذف والزيادة في البنية الصرفية (المورفولوجية) للكلمة، وأقرّ بهما العلماء فسيبويه توقف أمام أصول الكلمات وعالج ما يلحقها من الحذف والزيادة وفي نصوصه الدالة على أصول الكلمات ما يأتي: "لو سميت رجلا (ذو) لقلت: هذا ذوّا، لأنّ أصله (فَعَلٌ)"، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: هذا ذوّ؛ لأنّ أصله (فَعَلٌ)"⁽¹⁾.

ثانيا: التّحويل الدلالي للتحويل بحذف الفعل:

إنّ الحذف ظاهرة لغوية عامّة تشترك فيها تشترك فيها اللغات الإنسانية⁽²⁾؛ والحذف القطع من الطرف في اللغة، وفي الحديث الشريف "حذف السلام في الصلاة سنّة، هو تخفيفه وترك الإطالة فيه"⁽³⁾، ولذلك الطريقة التي نحاول أن نحلّل بها العناصر المحذوفة (الفعل) في بنية الجملة الفعلية هي ذاتها التي رأتها التحليل في النحو العربي القديم وحتى الحديث؛ ذلك كله متقارب أشدّ التقارب "من الطريقة التي استخدمها النحو التوليدي التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف"⁽⁴⁾؛ وذلك أن المحذوف من ظاهر البنية السطحية ليس تاركا أثره البلاغي بل مستقرّاً بقرائن التأويل والتقدير المعنوية واللغوية، ومن صور حذف الفعل أن "يكون المسند (الفعل) محذوفا في البنية السطحية للجملة الفعلية المركبة المحتواة فيها هذه الوحدة الإسنادية الاسمية المؤدّية وظيفه الفاعل.

(1) ينظر: محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، ص 176.

(2) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 4.

(3) سنن المصطفى، أبو داود، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 158/1، واللسان (حذف). ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني، مباحث لغوية، ص 106.

(4) عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي - دراسة تحليلية في القرآن الكريم، ص 150.

ونقف عليها في قوله تعالى من الآية 5 من سورة الحجرات: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ فلو أنهم صبروا: كلها بوصفها وحدة إسنادية أدت وظيفة الفاعل للفعل المحوّل بالحذف (ثبت) الذي لا يظهر في البنية السطحية، وأساس ذلك أن جمهور النحاة منهم الكوفيون والمبرّد والزجاج والزّمخشري ذهبوا إلى أن الوحدة الإسنادية الاسمية بعد (لو) هي في موضع رفع على الفاعلية بفعل مضمر تقديره (ثَبَّتَ) ⁽¹⁾، ونجعل بين مصطلحي الحذف والتقدير شبه تطابق مع بعض الاختلاف الطفيف عند البلاغيين والنحاة؛ "فمن الممكن أن ننظر إلى الحذف والتقدير لا كاصطلاحين يختلف مضمونهما بل بوصفهما ظاهرة واحدة الأبعاد في جوهرها من التلازم بين الحذف والتقدير؛ إذ الحذف ليس إلّا تقدير ما لا وجود له في اللفظ، كما أن التّقدير - في مجاله الرّئيس - ليس إلّا حذف بعض أجزاء النّصّ الكلاميّ في اعتبار النّحاة" ⁽²⁾.

التحويل بحذف الفعل: والفعل هو المسند في الجملة الفعلية، ولحذفه ينبغي توافر قرينة دالة عليه؛ لأنّ "الحذف خلاف الأصل، فلا يعدل إليه إلّا لسبب يقتضيه مع قيام قرينة دالة عليه. سواء أكانت هذه القرينة حالية أم مقالية؛ إذ المحذوف من دونها لا يعلم بالنسبة إلى السامع، فيخل بالمقصود ونقف على الوحدة الإسنادية الفعلية المحوّلة بالحذف في قوله تعالى: (وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (لقمان/25)، فالوحدة الإسنادية الماضوية البسيط، لفظ الجلالة "الله" محوّلة لورود الفعل الماضي، والمفعول به فيها محذوفان، وبنيتها التركيبية العميقة "خلقهنّ الله" ⁽³⁾ وله مصطلحاته عند سيبويه منها "الاختزال والإضمار والإخفاء" ⁽⁴⁾ وغيرها؛ أي يقدر الفعل في سياق الآية الكريمة، بعد

(1) ينظر: رايح بومعزة، نظرية النحو العربي، ص 117.

(2) ينظر: علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النّحو العربي، ص 209.

(3) ينظر: رايح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص 70.

(4) ينظر: سيبويه، الكتاب، 1/321. وينظر أيضا: علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النّحو العربي، ص 209.

عملية تطبيق قاعدة التحويل بحذفه، أو إسقاطه - كما يقول تشومسكي- في التحليل التوليدي التحويلي للغة، من البنية الظاهرة للغة في آيات القرآن العظيم، وله قرينة دالة على وجوده؛ أو دليل(*) كما يرى ابن هشام⁽¹⁾، إمّا لأن المفعول به الظاهر يحتاج إلى فعل معيّن إن كان الفعل متعدّياً، أو يقدرّ الفعل بعد أداة للعطف- وهو غزير- مثاله: في قول الله عزّ من قائل: "تنزيلاً ممّن خلق الأرض والسّمّوات العلى" فتنزيلاً مفعول مطلق لفعل محذوف على صيغة الإيجاب أو اللزوم تقديره نزلناه تنزيلاً؛ إذ " ذهب النّحاة إلى أنّه يجوز حذف عامل المصدر المؤكّد؛ وذلك لأنّه جيء به لتقوية المؤكّد وتقرير معناه (...). وأمّا فعل المصدر المبين للنّوع والعدد، فجائز الحذف لدليل حالي أو مقالي فقد قال ابن مالك: "حذف ما يعلم جائز"⁽²⁾، كأن يقال: ألم تُهنِ المقصّر؟ فنقول: بلى إهانةً بالغةً أو إهاناتٍ متعدّدةً، وكقولك لمن تراه ينوي السّفرة: سفراً قاصداً، ولمن قدّم قدوماً مباركاً، ولمن عاد من الحجّ حجّاً مبروراً، ونحو ذلك"⁽³⁾، وهنا يحذف الفعل حذفاً تداولياً وظيفياً لأغراض تحويلية عديدة أهمها أنّ القرينة واضحة ناطقة تؤوّل إلى الفعل، ولتفادي تكرار المعروف، ونظير ذلك، ودأب المتكلمين على استعمال هذه الصيغ بشكل مستمرّ، ويحذف المفعول المطلق مثلاً للدعاء كقولنا "جدعا للخبيث، أو في الأمر كقول الشاعر:

(*) وهو نوعان: غير صناعي وهو حالي ومقالي، وصناعي وقد اختصّ بمعرفته التحويون وللدليل اللفظي شروط هي: "كونه طبق المحذوف فهو مطابق له لا مختلفاً عنه، وأن لا يكون ما يحذف كالجزم فينبغي أن يكون مشاكلاً لكلية الظاهر في بنية التركيب، وأن لا يكون مؤكّداً، وأن لا يؤدّي حذفه إلى اختصار المختصر أي الاختصار مرتين، وأن لا يكون عاملاً ضعيفاً، وأن لا يكون عرضاً من شيء، وأن لا يؤدّي حذفه إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه، ولا إلى إعمال العامل الضعيف مع إمكان إعمال العامل القويّ" ينظر: صبري إبراهيم السيّد، لغة القرآن الكريم في سورة النور- دراسة في التركيب النحوي، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية- مصر، د ط، 1994، ص36

(1) ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص605-610.

(2) صبري إبراهيم السيّد، لغة القرآن الكريم في سورة النور-دراسة في التركيب النحوي، ص35.

(3) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2007، مج2، ص142.

على حين ألهى الناس جلّ أمورهم***فندلا زريق المال ندل الثعالب، ومعنى ندل الشيء نقله بسرعة أو اختلسه⁽¹⁾، أو كما قال ابن مالك في ألفيته:

وَالْحَذْفُ حَتَّمْ مَعَ آتٍ بَدَلًا مِنْ فِعْلِهِ كَ: نَدَلًا، أَلْدُّكَ: أُنْدُلًا
وما لتفصيل ك إِمَّا مَنَّا عَامِلُهُ يُحَذَفُ حَيْثُ عَنَّا⁽²⁾

1- صور التحويل بحذف الفعل:

قبل أن نحلّل صوراً متواردة من صور التحويل بحذف الفعل في ربع مريم إنه لمجدرةً أن نلمح إلى إنا قسّمنا هذا التوارد قسمين: قسم هو الحذف في البنية اللغوية المستشفّ من المعطوفات وسنضرب له مثالين للتوضيح، وقسم تعاورت عليه صور متعددة مقدر حذف الفعل فيها بناءً على استلحاق القرائن، وسنعرض لكل صورة منه مثالا واحدا فقط:

وقد أحصيناها في كامل ربع مريم كما يلي جاء في سورة مريم في الآيات الآتية:
12، 13، 21، 23، 49، 55، 58، 68، 14، 77، 34، وفي سورة طه ورد في الآيات الآتية: 3، 6، 4، 7، 10، 16، 22، 30، 39، 71، 86، 94، 112، 120، 103، وفي سورة الأنبياء لمحناه في الآيات: 3، 4، 9، 25، 16، 38، 28، 33، 73، 78، 79، 83، 84، 89، 90، 92، 96، في سورة الحج جاء الحذف بالعطف في الآيات الآتية: 5، 14، 15، 18، 20، 22، 23، 25، 26، 27، 36، 37، 40، 42، 44، 64، 65، 70، 73، 75، وفي سورة المؤمنون في الآيات الآتية: 20، 35، 52، 58، 71، 78، 113، وأما في سورة النور فورد في الآيات الجائية: 24، 29، 31، 34، 32، 37، 41، 44، 47، 48، 50، 51، 52، 55،

(1) أبو فارس الدّحاح، شرح ألفية ابن مالك، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1424هـ، د ط، ص188.

(2) عبد اللطيف بن محمد الخطيب، متن ألفية ابن مالك، ضبط وتعليق، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2006، ص19.

وفي سورة الفرقان ففي الآيات المتلوّة: 19، 38، 47، 53، 54، 55، 56، 62، 64، 66، 75، 76، وفي سورة الشعراء جاء في: 36، 44، 94، 95، 169، 170، 184، 218، 219، وفي سورة النمل في 2، 8، 18، 19، 24، 47، 48، 49، 53، 57، 60، 63، 64، 65، 67، 68، 74، 86، 87، وفي سورة القصص جاء في الآيات الآتية: 6، 9، 14، 36، 39، 40، 69، 73، 81، 83، وفي سورة العنكبوت جاء في: 15، 23، 27، 32، 33، 38، 39، 44، 45، 46، 48، 55، 60، 61، وفي سورة الروم في الآيات الآتية: 8، 16، 17، 21، 24، 25، 38، 41، 45، وفي سورة لقمان في الآي الكريّمات: 14، 16، 20، 25، وفي سورة السّجدة في جمل الآيات الكريّمات الآتيات: 4، 9، 16، 27، وفي سورة الأحزاب في: 1، 5، 7، 12، 17، 18، 21، 22، 25، 27، 28، 29، 33، 34، 36، 38، 45، 46، 48، 50، 51، 53، 57، 58، 59، 60، 66، 67، 72، 73، وفي سورة سبأ جاء في الآيات الآتية: 1، 2، 3، 4، 9، 10، 13، 15، 18، 22، 31، 42، 46، 54، وفي سورة فاطر وردت هذه الصورة بحذف الفعل في البنى التركيبية المعطوفة في الآيات الآتية: 3، 11، 19، 20، 21، 22، 24، 25، 29، 33، 41، وقد لاحظنا - بعد الإحصاء، أن شكول العطف جميلة وكثيرة ووافرة بالموازاة مع الصور المتعددة الأخرى التي اجتهدنا في تحليلها بالتأويل وتفسير القرائن.

إذن وردت هذه الصورة 230 مرّة في الآيات المذكورة آنفاً، وننبّه إلى أن بعض الآيات فيها تحويلاً أو أكثر.

القسم الأول: الحذف في بنية العطف:

الصورة الأولى: فيها ثلاثة نماذج وهي:

1- في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان/3): فعلان مقدران

محولان بالحذف هما معطوفان بالواو على الجمل السابقة التي لها معنى واحد وهما: ولا

يملكون حياة مواعمة لـ (ولا يملكون موتا)، ولا يملكون نشورا فحذف الفعل لتلافي التكرار وهذه وظيفة جمالية وصوتية ترتبط بموازنة الفواصل القرآنية من جهة ووظيفة دلالية، فضلا أن أننا نعتقد أن عدم امتلاك الموت هو أقوى وأكبر من عدم امتلاك الحياة؛ ذلك لأن الموت تستتبع الحياة فعطف الفعل المحوّل بالحذف المعطوف (لا يملكون) بعد ما ذكره صراحة، ثم تثنى بعطفه مخفيا على الحياة ثم تلت بعطفه محولا بالحذف أيضا على النشور، وكأنه من منطقية هذا التتابع أن عدم امتلاك الموت يؤدي بنا مباشرة إلى عدم امتلاك الحياة، وعدم امتلاك النشور وفي هذا منطقية تحويلية اقتضت التسلسل في هذا الأمر.

وقد يصلح أن نقول: "ولا يملكون موتا ولا يملكون حياة ولا يملكون نشورا ولكن إخفاء الفعل بتحويله بالحذف أولا دلّ عليه الحرف السابك العاطف (الواو)، والفعل منفي بلا فالأفعال المعطوفة المحذوفة ستكون منفية أيضا، وهذا هو قانون العربية في تركيبها اللغوي، والآية الكريمة تبدأ من قوله تعالى وعزّ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً﴾ (الفرقان/3)، ثم تعطف الآية المبحوثة: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾؛ «وَلَا يَمْلِكُونَ» معطوف على يخلقون وإعرابه مثله «لِأَنْفُسِهِمْ» متعلقان بيملكون «ضَرًّا» مفعول به «وَلَا نَفْعاً» معطوف على ضرا «وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا» معطوف على ما قبله «وَلَا حَيَاةً» معطوف على ما قبله «وَلَا نُشُورًا» الواو عاطفة ولا زائدة نشورا معطوف⁽¹⁾؛ فهي في سياق متعدد لأفعال منفية، وهو الفعل ذاته الذي عطف مرة ظاهرا ومرة محولا بالحذف في البنية العميقة، فلما ابتدئ به الكلام ذكر في البنية السطحية وكان موكلا لعدم امتلاك الضر والنفع للأنفس، ثم عطف ظاهرا أيضا بعد الموت والحياة والنشور، وفي هذا أسلوب قرآني محض، فالفعل فعل واحد وهو عدم امتلاك هذه الآلهة الضر والنفع للأنفس من جهة وعدم امتلاكها؛ أي الآلهة الموت والحياة

(1) دعاس، إعراب القرآن، ج2، ص364.

والنشور من جهة أخرى، وقال لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أولا فهم يحتاجون إلى الملك والإله لا يحتاج، ولم يقل لا يميئون ولا يحيون لأنهم لا يقدرن على شيء من ذلك، والفعالن المحولا بالحذف بقريئة العطف خافيان في البنية السطحية لدلالة انعدام الفعل في حد ذاته وعدم اقتدار هذه الآلهة المفتأة على القيام بهذا الفعل ولا امتلاك حقّه، فإنها لا تخلق شيئا، والإله يكون قادرا على الخلق والإيجاد⁽¹⁾.

2- في قول الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (الفرقان/4): جاؤوا هو المقدر المحول بالحذف ملتمح بالعطف بعد الواو؛ أي فقد جاؤوا ظلما، وقد جاؤوا زورا والفعل الأول يخدم المعنيين فقوله "وله تعالى (ظلما) مفعول جاءوا أي أتوا ظلما ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال⁽²⁾؛ وقيل: " جاؤوا بظلم"⁽³⁾؛ إذ يقتضي مباشرة أن الظلم يدفع للزور بل هو ثمرته أو نتاجه؛ ولذلك عطف عليه بحذف الفعل الدال عليه حرف الواو، وهو (الواو) من أكثر الحروف العطفية السابقة دلالة على المحذوف المقدر من البنية العميقة لتراكيب الآي الجليلات.

3- في قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الفرقان/17): بنية الكلام العميقة التوليدية هي ويوم يحشرهم ويحشر ما يعبدون من دون الله، وفي هذا النموذج تغاير لشكل العطف الذي يشمل الفعل المحذوف؛ فالجملة (وما يعبدون) أي الجملة الموصولية كلها هي التي تُقدر في محل نصب مفعول به لفعل (يحشر) المحول بالحذف الموحية به (الواو)؛ إذ المعنى يوم يحشرهم ويحشر ما يعبدون من دون الله، أي الذي يعبدون من دون الله، وهنا عمليتان تحويليتان أخريان هما التحويل بحذف الفاعل وهو لفظ الجلالة "الله" ويوم يحشرهم الله ويحشر الله ما يعبدونه من دون الله؛ أي العملية الأخرى حذف المفعول به وتقدير الكلام ويحشر الله الذي يعبدونه من دون الله من آلهة مختلفة مفتراة ومعبودات مصطنعة ما أنزل الله بها من سلطان، أو ما يعبدون من دون

(1) المراغي، ج18، ص148.

(2) العكبري، ج2، ص980.

(3) النحاس، ج3، ص152.

الله "من الملائكة والإنس والجنّ، واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ) بالياء جميعاً، بمعنى: ويوم يحشرهم ربك، ويحشر ما يعبدون من دون فيقول. وقرأته عامة قراء الكوفيين (نَحْشُرُهُمْ) بالنون، فنقول، وكذلك قرأه نافع، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب"⁽¹⁾.

ونعرب الآية بما يلي: "«وَيَوْمَ» الواو عاطفة والظرف متعلق بفعل محذوف تقديره واذكر «يَحْشُرُهُمْ» مضارع ومفعوله والفاعل مستتر والجملة مضاف إليه «وَمَا» الواو عاطفة واسم الموصول معطوف على مفعول يحشرهم «يَعْبُدُونَ»⁽²⁾، والمعبودون من دون الله أيضاً " كالملائكة وعيسى بن مريم وعزير عليهم السلام، والإنس والجن والأوثان والشمس والقمر والكواكب والحيوان، ومطلب استعمال (من) لمن لا يعقل و(ما) لمن يعقل وبراءة المعبودين من العابدين؛ ذلك لأنّ لفظ (ما) هنا يتناول العقلاء وغيرهم باعتبار الوصف، وفي كل محل يراد بها الوصف لا تخص بالعقلاء، وقد تأتي على قلة فيهم كما تأتي من على قلة في غير العقلاء"⁽³⁾.

ونوجه دلالة حذف الفعل المعطوف المقدر التحويلية في الآية الكريمة بأنّ العابد والمعبود كلاهما محكومان بفعل الحشر، في مكان واحد وزمان واحد، وسنام ذلك كله "يعني: يجمع العابد على الضلال والمعبود على الضلال في مكان واحد معاً، لماذا؟ لأنّ العابد إذا وجد نفسه في العذاب ربما انتظر معبوده أن ينقذه من العذاب، لكنّ ها هو يسبقه إلى النار ويقطع عنه كلّ أمل في النجاة"⁽⁴⁾، والمعبود ملحق بعطف الفعل على العابد، وصدارة العابد أحقّ من صدارة المعبود المفتأت على الله؛ لأنّ اللوم عينه يقع على

(1) ينظر: الطبري(ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن تفسير الطبري"، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج19، ص247.

(2) دعّاس، إعراب القرآن، ج2، ص367.

(3) القماش، الحاوي في تفسير القرآن الكريم، ج55، ص103.

(4) محمد متولي الشعراوي (ت1418هـ)، تفسير الشعراوي، ج1، ص6403.

العابد وهو جاءه النذارات والبشارات والرسل والقرآن والدلائل على وحدانية الله تعالى، وتفرد به بأنه المعبود وحده لا شريك له.

الصورة الثانية: وهي عطف الفعل محوّلًا بالحذف لكن الفعل مبني لما لم يسم فاعله، أو مبني لمفعوله ونموذجه الذي اجتنبناه في الآية 40 من سورة الحج؛ إذ يقول الله تعالى وتقدس: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: فالفعل (هَدَمَتْ) معطوف بالواو ومحوّل بالحذف من بنية المعطوفات "بيعٌ وصلواتٌ ومساجدٌ، ونعتقد أن نسبة الفعل هَدَمَتْ بالتشديد للتكثير؛ أي هذا الفعل تكرر كثيرا لكثرة الذي وقع عليه فعل الهدم، أو هَدِمَتْ بالتخفيف، وهذه لغة (أهل الحجاز)"⁽¹⁾، إذ "قصد بصوامع (صَوَامِعُ لِلرَّهْبَانِ)، و(بَيْعٌ) وهي جمع لبيعة واحدة؛ كنائس للنصارى، و(صلوات) كنائس لليهود (بالعبرانية تسمى صلواتا)"⁽²⁾، بفتح الصاد والثاء المثلثة كما في الخفاجي على البيضاوي قال: "وبه قرئ في الشّواذ ومعناه في لغتهم المصلّى فلا يكون مجازا"⁽³⁾، وقد تكون كلمة معربة وأصلها بالعبرانية الذي ذكرناه، و"يقرأ صَلُوتٌ بضمّ الصاد واللام وإسكان الواو صَلُوبٌ و صَلُوبٌ"⁽⁴⁾، ثم تأتي (مساجد) للمسلمين من آل محمد صلى الله عليه وسلم (يذكر فيها) اسم الله؛ أي المواضع المذكورة"⁽⁵⁾، و"اللام، هنا: حرف جواب، هَدَمَتْ: فعل ماض مبني للمجهول (للمفعول) جواب الشرط مبني على الفتح، الثاء: للتأنيث، صوامع: نائب فاعل مرفوع (الضمة وهي علامته وليس سبب الرفع)، الواو: حرف عطف، بَيْعٌ: معطوف مرفوع على الفعل المحول بالحذف

(1) ينظر: البغوي (510هـ)، معالم التنزيل، ج5، ص389.

(2) المرجع نفسه، ص389.

(3) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج6، ص437.

(4) العكبري (ت616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص944.

(5) جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين، مذيلا بأسباب النزول للسيوطي، دار القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1986، ص337.

المقدّر من الفعل الظاهر (هدّمت) وصلوات: الواو حرف عطف، صلّوات: معطوف مرفوع أيضا على الفعل المحول بالحذف (هدّمت)، الواو: حرف عطف، مساجد: معطوف مرفوع أيضا كما هو الحال على الفعل المحذوف المقدر الذي هو (هدّمت)⁽¹⁾، ويحقّ أن نتساءل لِمَ أُخِّرَ (المساجد) فقد يكون تأخيرها راجعا لأن تأثيرها في الناس أعظم وأشمل من المذكورات من دور العبادة قبلها.

القسم الثاني: ورد الفعل مقدرا محذوفا من البنية الظاهرة والقرائن السابقة أو اللاحقة هي التي تدلّ عليه، وتؤكد تحويله بالحذف، وتستدرّ دلالات تحويله البلاغية والمقامية. وجاء في سورة مريم في الآية: 34، وفي سورة طه: 4، 14، 39، وفي سورة الأنبياء وجدناه في الآيات الآتية: 19، 73، 75، 77، 81، 82، 85، 86، 90، 103، وفي سورة الحجّ في الآيات الآتي ذكرها: 31، 63، وأمّا في سورة النور ففي الآية: 41، وفي سورة النمل في الآيات الآتية: 10، 12، 52، 61، 88، وفي سورة القصص في الآيات: 32، 43، 46، وفي سورة العنكبوت: 36، وفي سورة الروم: 6، 18، 31، 40، وفي سورة لقمان: 9، 26، وفي سورة سبأ: 1، 11، 12.

الصورة الأولى: الفعل المحول بالحذف لمفعول مطلق:

ورد في الآية 34 من مريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾؛ فسبحانه مفعول مطلق لفعل محول بالحذف مقدّر في البنية العميقة بأسبّح سبحانه.

وورد في الآية الكريمة 3 من سورة طه، في قوله جلّ وتقدّس: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾؛ فتنزيلا مفعول مطلق لفعل⁽²⁾ محول بالحذف نقدّره في البنية

(1) ينظر: محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 671.

(2) ينظر: نشير إلى حذف الفعل المحول بالحذف لنائب المفعول المطلق كما هو "في الأمر" في قوله تعالى: (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) (محمد/47) فضرب؛ أي المصدر هو نائب مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره "فاضربوا الرقاب ضربا" ينظر: أبو فارس الدحداح، شرح ألفية ابن مالك، ص 188.

العميقة بأنزلناه تنزيلا والهاء محيلة إلى القرآن الكريم والوحي، أو أنزل تنزيلا بالفعل المبني للمفعول "المجهول" وهو مستبعد عندنا.

ووردت هذه الصورة في كل من الآيات الكريمت 88 من التَّمَل، و 9 من لقمان، و 6 من الرُّوم.

الصورة الثانية: الفعل المحوّل بالحذف مقدرّ باستقرّ أو يستقرّ.

وجاء في الآية 19 من سورة الأنبياء، وذلك في قول الله العليّ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾؛ فالأصل على صعيد البنية التركيبية العميقة للآية الكريمة وله من استقرّ أو يستقرّ في السماوات واستقرّ أو يستقرّ في الأرض، ومن استقرّ أو يستقرّ عنده على حسب تساوق المعنى، وتقاود السياق الكامل للآيات والسورة؛ إذ "يحصل أن يحذف الفعل من جملة الصلّة، وذلك أنّه إذا وقعت صلة الموصول شبه جملة (ظرفا أو جارا ومجرورا) قدرّ النّحاة تعلقها بفعل محذوف وجوبا تقديره (استقرّ) أمّا إذا وقع خبر المبتدأ شبه جملة فيجوز تقدير العامل فعلا هو (استقرّ) وهو مذهب سيبويه والجمهور و اسما هو (مستقرّ)"⁽¹⁾.

وإعراب تركيب الآية السابقة هو: "الواو: استئنافية، له: جار ومجرور للتّعظيم متعلق بخبر مقدّم (محوّل بالتّقديم) في الرتبة، من: اسم موصول مبني على السّكون في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر (محوّل بالتأخير)، في السماوات: جار ومجرور متعلّق بفعل مضمر (محوّل بالحذف) تقديره (استقرّ)، والجملة الفعلية (استقرّ في السماوات والأرض) صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب، بمعنى وله كلّ من فيهما خلقا وملكا، عنده: ظرف مكان منصوب على الظرفية وعلامته الفتحة، متعلّق بفعل مضمر "محوّل بالإضمار أو الحذف" أيضا تقديره (استقرّ عنده)، والجملة الفعلية "استقرّ عنده" صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب؛ أي ومن عنده من الملائكة"⁽²⁾.

(1) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 259.

(2) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصّل لكتاب الله المرثّل، مج 7، ص 198.

ووردت هذه الصورة في الآية 63 من الحج، و 41 من النور، و 26 من لقمان، و 1 من سبأ.

الصورة الثالثة: الفعل المحوّل بالحذف أو بالإضمار مقدّر بفعل أمر: أذكر، أو يفسره المذكور بعده: يرد الفعل اذكر "مع فاعله المخاطب والفعل اذكر مع فاعله المتكلم استغناء من المذكور من القصة أو الحديث ودلالة المقام"⁽¹⁾، وله شواهد عديدة في القرآن الكريم، وورد في الآية 73 من سورة الأنبياء، في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾؛ فأعراب الآية: "«وَلُوطًا» الواو عاطفة ولوطا مفعول به لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور «آتَيْنَاهُ» فعل ماض وفاعله ومفعوله الأول والجملة مفسرة لا محلّ لها من الإعراب"⁽²⁾، أو قوله تعالى: (ولوطاً) أي وآتينا لوطا و(آتيناها) مفسر للمحذوف، ومثله ونوحا وداود وسليمان وأيوب وما بعده من أسماء الأنبياء عليهم السلام"⁽³⁾. وفي الآيات: 75، 77، 81، 82، 86، 88، 90، 103 من الأنبياء، و 54 من النمل.

الصورة الرابعة: الفعل المحوّل بالحذف أو الإضمار مقدّر في البنية العميقة لمفعول لأجله مذكور في البنية السطحية للآية:

ومثاله ما جاء في الآية الكريمة 45 من القصص؛ في قول الله تعالى وتقدّس وتبارك: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ والفعل المحذوف المقدر في البنية العميقة لتركيب الآية الظاهر هو (علمناك) من أجل الرحمة أو للرحمة أو رحمة، أو "أي لم تشهد قصص الأنبياء ولا تليت عليك ولكننا بعثناك وأوحيناها إليك للرحمة لتنذر قوما فتعرفهم هلاك من هلك وفوز من فاز لعلمهم يتذكرون وقوله جل وعز ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت

(1) طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 262.

(2) قاسم حميدان دعاس، إعراب القرآن الكريم "دعاس"، ج 2، ص 292.

(3) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج 2، ص 922.

أيديهم"⁽¹⁾، وقد يكون الفعل المحوّل بالحذف:(عَلَمْنَاكَ)، و(رَحْمَةً): مفعول به أو مفعول لأجله، قال الرّمخسريّ: "ولكنّ علمناك رَحْمَةً وقرئ: رحمة، بالرفع: أي هي رحمة ما أتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهي (خمسمائة وخمسون سنة)، ونحوه قوله: لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ"⁽²⁾.

ومنهم من جعله فعلا محوّلًا بالحذف لمفعول مطلق؛ أي: "ولكن رحمتك رحمةً بإرسالك والوحي إليك وإطلاعك على الأخبار الغائبة"⁽³⁾، والمذهب عينه ذهب إليه الأخفش ولكن بفعل(رَحِمَكَ) "فنصب رَحْمَةً على(ولكن رَحِمَكَ رَبُّكَ رَحْمَةً)"⁽⁴⁾.

الصّورة الخامسة: الفعل المحوّل بالحذف أو الإضمار مقدّر بـ: "قال":

وهذا باب "يحذف فيه فعل القول المقدّر بقال أو يقول أو يقولون (...). استغناء بذكر المقول طلبا للاختصار ولوضوح الدلالة عليه"⁽⁵⁾، وكثرة وروده قدّم أبو علي الفارسي وسما له بأنه: "من حديث البحر ولا حرج"⁽⁶⁾، ومن أمثلته ما ورد في قوله تعالى: (والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم)، نقرّ الفعل المحوّل بالحذف بقولون لهم أو يقولون انطلاقًا من سياق الآية الكريمة.

ويحدث أن ترد هذه الصورة في أي القرآن الكريم؛ لاسيما فيما تعلق بسور السرد والقص والحوار بين الأنبياء وأقوامهم وبين الله عزّ وجلّ ومرسله، ومبعوثيه من الأنبياء والرسل، وقرينة الحذف عادة تكون موجودة في البنية الظاهرة للتراكيب القرآنية، فمثلا

(1) أبو جعفر النّحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النّحوي(ت 338 هـ)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصّابوني، جامعة أم القرى، مكّة المكرمة، ط1، 1409هـ، ج5، ص182.

(2) جار الله بن القاسم محمود بن عمر الرّمخسري، (467-538هـ)، القرن السادس، الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحقيق و تعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوّض، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، دار العبيكان، الرياض، المملكة العربية السّعودية، ط1، 1998هـ، ج4، ص510.

(3) البغوي(ت510هـ)، معالم التّنزيل، ج6، ص211.

(4) أبو سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط(ت215هـ)، معاني القرآن، ج3، ص24.

(5) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص262.

(6) ابن هشام، المغني، ج2، ص169.

جملة النداء أو وأوحينا إليه أو فناديناه أو في ما يضارع هذه القرآئن، ومثال هذه الصورة التحويلية ما ورد في الآية 10 من سورة النمل، والآية 11 من سبأ، و97 من سورة الأنبياء.

قال الله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ/11): وتقدير المعنى باستظهار الفعل المحوّل بالحذف (وأوحينا له وقلنا اعمل)، أو (وقلنا)، أو (وقال)؛ أي: " قال جلّ وعزّ: (أن اعمل سابغات وقدر في السرد)"⁽¹⁾، "وقدر بعضهم فعلا فيه معنى القول فقال: التقدير أمرناه أن اعمل"⁽²⁾.

الصورة السادسة: وهي متواردة بعدد غير قليل في ربع القرآن الكريم بل في القرآن الكريم كلّه؛ ذلك أن المعطوفات قد تكون داخل الآية الواحدة أو تتعدى إلى آيات متتابعة متوالية بعد فاتحة كل آية، وذلك أن القرينة التي استكنها بها الفعل المحوّل بالحذف في الآية الأولى هي التي نسحبها على الآية الثانية وهكذا، وهذا قد نضمّه إلى قسمي المحول بالحذف من الأفعال في المعطوفات، ولكن آثرنا أن نشير إلى هذا الشكل لكثرة وروده في الربع المدروس (ربع مريم)، ومثاله في قول الله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان/2): رغم أنه مستنتج من المعطوف إلا أننا جعلناه مفردا مقدرا؛ لأنه ابتدئ به بآية ثانية، وتقدير الكلام مع الفعل المحول بالحذف (تبارك)؛ أي "تفاعل من البركة؛ وهو كقولك: تقدّس"⁽³⁾؛ أي تفعلّ من القداسة والقدسية، (تبارك) الذي له ملك السماوات والأرض نسقا نحويا وتركيبيا على مستهلّ سورة الفرقان، وبداية الآية تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، نزيد الواو التي منطقتها الوجود، فكأن الله عز وجل قال: وتبارك

(1) النّحّاس، معاني القرآن الكريم، ج5، ص396.

(2) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم، ج8، ص74.

(3) التّجيبّي (ت419هـ)، القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري، مذيلا بأسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مكتبة المنصورة، القاهرة- مصر، 2009، ص395.

الذي له ملك السمّوات والأرض، ويجمل بنا أن نقدر فعلا محذوفا هو لصيق ببنية الجملة العميقة، وهو استقرّ أو يستقرّ أو يرجع أو يعود على أساس السياق الذي تعالجه الآية الكريمة، ونقدره في الذي له استقرّ أو يستقرّ ملك السمّوات، يستقر ملك الأرض أو يستقرّ أو يعود أو يرجع أو عاد أو رجع أو آل إلى غيرها من الأفعال التي تخدم توجيهات دلالية معينة مستنبطة من الآية التي تذكر فيها.

خلاصة: ما ينبغي أن يستخلص من دراسة صور تحويل الفعل بالحذف، هو أن دلالة الخفاء مختلفة عن دلالة الظهور، وفي هذا منطقية تحويلية لبنى التراكيب اللغوية في العربية والقرآن الكريم، وليس ثمة ذلك التوكيد أو اجتناب التكرار الظاهر ولا اشتغال أشياء عديدة على أمر، كل هذه الأشياء مشتركة فيه، بل المنطقية التي تضيء لنا عقلية استكشاف القرائن التي بوساطتها نعثر على الفعل المقدر في البنية العميقة بما يتلاءم مع شرعية وجوده أو وجود فعل آخر مضمّر في الجملة هو أدل وأعنى من غيره.

ونلمح إلى أن تفسير القرآن الكريم وإعرابه ممّا انتخبناه للتدليل على بعض ما ذهبنا إليه من احتمال فعل مقدر محذوف يروم مركزية المقدر بالنظر إلى الأفعال الأخرى، كما هو الأمر في تقدير الفعل استقر جملة صلة الموصول لجملة الآية الجليلة: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد/1)، أو نظائرها في سور أخرى تدخل في ربع مريم فالدلالة التي يحويها فعل المضارع يستقرّ، أو الماضي استقر فيه مركزية تشمل أغلب تشارك الأفعال في معناه فيكون موكلا عن الأفعال الأخرى، فضلا عن دلالة استعمال الزمن بالتوائم مع سياق الآية ومقامها العام المحيط بها.

فمثلا نستطيع أن نقدر: (سبح لله) ما كان مستقرا في السمّوات وما كان مستقرا في الأرض وهذا صحيح، ولكن علماء التفسير والنحو واللغة والقرآن الكريم استندوا على الدلالة الأقرب إلى منطقية استواء المعنى وتركب التصور بين المحذوفات من الأفعال والظاهر من البنى التركيبية التحويلية القرآنية، وكل هذا راجع إلى إصابة أغراض التراكيب

الذي مرده إلى النظم كما هو عند الجرجاني؛ إذ قال: "وإذ عرفت أن مدار أمر (النظم) على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"⁽¹⁾.

وهذا كله في فصل أن هذه المزايا في النظم بحسب المعاني والأغراض التي تؤم، وهذا ما جعلني أقول بأن احتمال تقدير طائفة من الأفعال لبلوغ معنى واحد قائم، ولكن فكرة انتقاء المنطقي منها وكيفية توضع في البنية المقدر، وما القرائن التي جعلنا تركيبه مع غيره من الكلام لإفادة المعنى بواسطة العناصر المحذوفة (الفعل) والعناصر المشفوعة بها البنية السطحية، وهي مثلا المفعول المطلق أو المفعول لأجله أو معمول صلة الموصول المحذوفة، كما هو الشأن بـ"استقر"، وأصحاب النظرية التحويلية في اللغة اعترفوا بال حذف بوصفه قاعدة عقلية تحويلية تحصل في اللغة البشرية.

وليس الحذف الفعل فقط بل الفاعل والمفعول والحروف والجمل الفعلية والاسمية، وذلك تجاوزا للنحو الوصفي الذي يؤمن بالظاهر، ولا يعمق تصوره في البنى العقلية التي نجد اللغة فيها أخذت شكلا آخر ليس مفصوما - بأي حال من الأحوال، عن علائق البنى الظاهرة فقد "اعترف النحو التوليدي التحويلي بوقوع ظاهرة الحذف في اللغة، وعده من الظواهر اللغوية العامة، وقدّر لهذه الظاهرة أحسن التقدير حيث عدّها عنصرا من عناصر التحويل، ولعل السبب الرئيس الذي أدى إلى الاتفاق بين النحو العربي والنحو التوليدي التحويلي في تقريرهما بظاهرة الحذف هو الاعتماد على العقل في دراسة اللغة؛ حيث لا تقتصر الدراسة على الألفاظ والتراكيب المحسوسة فقط، بل تعدى إلى البنية

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

العميقة تحت هذه المادّة المحسوسة⁽¹⁾، أو التي تبين لنا في النطق أو الخطّ، ونحبّ التّويه والإيضاح إلى أن اللغة الإنجليزيّة تحتوي على عملية التحويل بحذف الفعل في بناها وتركيباتها ومنطق هذه اللغة قابل لهذه العملية التحويلية فمن أمثلة الحذف فيها: "ما هو شبيه بما يرد في اللغة العربيّة من حذف في جملة الجواب بما يرد في الإنجليزيّة من حذف للفعل من جملة الاستفهام فيما دُعي بالاستفهام اللاحق في الجملتين الآتيتين وغيرهما ممّا يتناوله التّحويليون في درس الحذف"⁽²⁾.

A) she can read. Can't she ?

B) they should leave. should'nt they ?

فقد حذف الفعل الأصلي من جملة السّؤال، وبقي الفعل المساعد⁽³⁾.

نستنتج من هذه الدراسة أن الحذف له قواعده ومنطقيته في نظام تركيب الجملة في اللغة العربيّة وله معايير أدق في تركيب القرآن الكريم، والحذف قاعدة تحويلية تمنح الحيوية والاختصار الحقيقي للتواصل اللغوي، وحذف الفعل هو مستقراً بقرائن لغوية ومنطقية وسياقية تفهم، فيثبت المحذوف في البنية العميقة للجملة وهو الفعل، والحذف ليس مستبعداً في منطقية اللغة البشرية عن كل اللغات الإنسانيّة، مادامت تحوي الحقيقة الكونية على فعل وفاعل ومفعول به ومتعلقات والإنسان محكوم بمشروطية هذه العناصر كلها.

(1) ينظر: عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي، دراسة تحليلية في القرآن الكريم، ص 168.

(2) Julia ,S. Falk, linguistics and language, second edition, john Wiley et dongs, u.s.a ; 1978, P. 194-195.

نقلا عن طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 261.

(3) طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 261.

ثالثاً: إضمار الفاعل (المسند إليه) ونائب الفاعل والدلالة التحويلية:

نرى ذهاب "سيبويه إلى صيغة (فاعل) تكون لصاحب شيء" (1). إنَّ الفاعل هو من قام بالفعل أو قام به أو هو الاسم المرفوع الذي قام بالفعل الذي سبقه أو لحقه وأسند إليه أو هو المسند إليه في الجملة الفعلية، وأصله الظهور خاصة إذا كان اسماً ظاهراً مثل جاء محمد، ويطيب لنا أن نشير بأنَّ الفاعل لا يحذف وإنما يخفى من ظاهر الجملة والتركيب، أو يسقط وقد "عبر سيبويه لمصطلح الإضمار وعنى به الحذف في مجالات كثيرة منها حذف الفعل" (2)؛ إذ قال: "...). ومما ينتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره" (3) أو الحرف" أو الفاعل وهو في فضاء تقديري من البنية السطحية للكلام، مخفي غير أن وجوده المنطقي مستقر هو ونائب الفاعل أيضاً؛ لأنه صورة فرعية له كما يقول علماء (أصول النحو).

ومثال على ذلك في قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه/10)، والفاعل بنية مقدرّة أو ضمير مقدر وجوباً مآله أنا للفعل أجد أي أجد أنا من دون التأكيد.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه/11-12): الفاعل محول بالإضمار "محذوف" ومقدر في آتاه وتقديره هو أي موسى لأن الآية مسوقة لسرد خبر موسى، والفاعل محوّل بالإضمار "محذوف" مقدر في فعل الأمر "اخلع" نعليك أي أنت على الإيجاب.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه/13): الفاعل محوّل بالإضمار "محذوف" مقدر بـ"أنت" والخطاب منتاط بموسى عليه السّلام.

(1) محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت، ص 47.

(2) ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني، مباحث لغوية، ص 107.

(3) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1/268.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه/14): الفاعل محوّل بالإضمار في فعل اعبدني، ومقدر بـ"أنت" بالإجبار، والفاعل عينه في الفعل أقم.

قال تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (طه/16): الفاعلان في يؤمن واتبع هما واحد وهو محذوف مقدر على الجواز "هو"، فتردى فاعلها أنت.

- إضمار الفاعل في المفهوم التحويلي لتشومسكي: إن الحذف خصيصة من المنطق أن تكون في كل اللغات، وهو نوع من أنواع الإيجاز، و"هو سمة بارزة في اللغة العربية"⁽¹⁾، وهذا لتطلبات سياقية وتداولية وبلاغية مختلفة، ويستلمح الفاعل المحذوف من البنية السطحية التي تتضوي تحتها بنية عميقة وسيتمدّ المعنى بشكل أساس- إن لم نقل بشكل كامل- من البنية العميقة بوساطة قواعد التفسير الدلالي (Semantic Interpretation)، كما يستمدّ التمثيل الصوتي (أي اللفظ) لكلّ جملة وتحويلها إلى إشارة صوتية مسموعة من بنيتها السطحية بوساطة قواعد النظام الصوتي (Phonological Rules)⁽²⁾.

أما الفاعل فيضمّر في الجملة الفعلية في اللغة العربية كما أنه يضمّر أو يخفى من الجملة الفعلية في اللغة الإنجليزية التي عماد الجملة؛ فبما أن الفاعل ليس ظاهري فمن الواجب أن يكون مقولة فارغة كما يعبر تشومسكي عن عملية الحذف، وبعد النقد الذي شهدته النظرية "نظرية النحو الكلي" فإن استخدام المقولات الفارغة قد أصبح يتمثل في صور التمثيل العقلية، بشكل تحدده نظرية الأثر* الخاصة بقواعد النقل** ومبدأ الإسقاط*** والمبادئ المتنوعة للإجازة****⁽³⁾.

(1) ينظر: رابح بومعزة، تيسير تعليمية النحو- رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة- مصر، ط1، 2009، ص88.

(2) ينظر: جون ليونز، تشومسكي، ترجمة: محمد زياد كبة، ص66.

(3) ينظر: حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية "دراسات تطبيقية"، مكتبة الثقافة الدينية، ص43.

إن مصطلح إضمار الفاعل له قراءة عقلية "تشومسكي ومنطقية في بناء الكلام واللغة البشرية، إذ يسم هذا الحذف أو الإضمار بمبدأ الإسقاط الفاعلي "الأقصى" الذي هو وظيفة تركيبية (Syntactic Fonction) غير مشبعة ما لم يزودنا بالفاعل الذي تسند إليه"⁽¹⁾، أو تكون له صورة صوتية وشكلية في بنية الجملة الفعلية أي يتحقق ظاهراً، وهذا ما يمكن أن نقول بأنه الإضمار الفعلي للفاعل في الجملة الفعلية في اللغة العربية، وكثير من المصطلحات التي أتى بها تشومسكي ترمي إلى هذا الباب العقلي الذي لا استغناء للإنسان عليه في فهم اللغة، "فالطاقة اللغوية والإنجاز يمثلان حيز الزاوية في النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي؛ لأنّ الإنجاز اللغوي أو السطح يعكس الطاقة اللغوية، أي يعكس ما يجري في العمق من عمليات؛ إذ اللغة التي تنطق فعلاً، إنما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة أو محذوفة أو غير ظاهرة للعيان، تختفي وراء الوعي، بل وراء الوعي الباطن أحياناً، ودراسة الإنجاز؛ أي البنية السطحية يقدم التفسير الصوتي للغة ودراسة الطاقة؛ أي البنية العميقة يقدم التفسير الدلالي"⁽²⁾، إذ لا يظهر الفاعل في البنية السطحية فهذا تحويل عن الأصل وأهم ما يميّز البنية السطحية في صورتها الجديدة هو دورها الجديد في التأويل الدلالي"⁽³⁾، وكله إنما معاده في تصورنا إلى " الصورة المنطقية وهي التمثيل المنطقي لتحليل المعنى التركيبي مثلاً من إضمار الفاعل أو عناصر أخرى، أو الدلالة الناتجة عن التأليف الحاصل بين وحدات الجملة، أي المعنى الذي يحدد التراكيب النحوية"⁽⁴⁾ الحاصل فيها التحويل بالإضمار والتحويلات الأخرى.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 49.

(2) ينظر: رابح بوحوش، التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري-تطبيقات على النظرية التوليدية التحويلية ل(تشومسكي)، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص28.

(3) ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص310.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص310.

والحذف تفحص لتقدير العناصر النحوية الغائبة عن البنية الظاهرية والتي هي متعلقة بالقرائن، ونستعملها بوعي تداولي اعتدنا عليه سواء في كلامنا وإنتاج التراكيب التحويلية، أو في سماعنا وتحسس مواطن الحذف، لاسيما الفاعل في الكلام المسموع أو المقروء.

ملحوظة: ندأب على مرادفة مصطلح الحذف بالإضمار؛ لأن الفاعل لا يحذف نهائياً في منطقية بناء الكلام والجملة، والحقيقة إنما يحول من بنية إلى بنية حسب التوجيه الدلالي المنشود والبلاغة المبتغاة فنراوح بين هذين المصطلحين؛ لأن المصطلح هو أقعد في حذف ركني الجملة مثلاً أو الجملة أما الفاعل فلا يحدث منطقياً أن يحذف فيتعاور مصطلح التحويل بالإضمار في مساحة البحث، ومن الأجود أن نقول بأن مجموعة من المترادفات تصب في مفهوم الحذف كالتعليل، والتقدير، والإسقاط، والإخفاء، وكثير من المصطلحات التي لا نفيض فيها في هذا الموضوع، لكنّ الحذف والتقدير يوصلان إلى ضبط ما لا يمكن ضبطه بغيرهما، فتمّة تراكيب إسنادية (جمل أو وحدات إسنادية) وقع فيها حذف لو لم نقدّره ما استطعنا فهمها الفهم السليم⁽¹⁾، وتوجيه الدلالة التوجيه الصائب والرّصين.

إنّما نريد أن ننهج نهجا في تبيان فضائل الإضمار في بعض محذوفات العناصر الإسنادات التركيبية الفعلية والاسمية ودلالاتها الوظيفية اللغوية والبلاغية والإعجازية، وأننا نتبع التوجيه الدلالي للبنية التركيبية الفعلية والاسمية المحولة بإضمار الفاعل والفعل والجملة الفعلية والخبر والمبتدأ، ولا تلتفت إلى حذف العناصر النحوية الخارجة عن تكوين البنى التوليدية التحويلية كحذف حرف الجر، أو الوحدة الإسنادية المحولة بالحذف مؤدية وظيفة المستثنى، مثل قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْتَوُوا إِلَّا بَحْجَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران/112)؛ إذ بنيتها العميقة هي اعتصامهم بحبل الله، أي

(1) ينظر: رابح بومعزة، تيسير تعليمية النحو، ص88.

تمسكهم وتشبثهم بحبل من الله⁽¹⁾، وإنما ما يعد تحويلًا بالإضمار أو بالحذف في مسلك هذا البحث هو الحذف الذي نصفه بحذف العنصر التحويلي، وهو الذي يسجل في الجملة أو الوحدة الإسنادية التوليدية الاسمية أو الفعلية لغرض في المعنى، وتبقى معه هذه الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية حاملة معنى ما⁽²⁾، ودلالة خاصة بهذا التركيب المحول خصوصية تلازمية، أو ما يسميها علماء اللسانيات التوليدية والتحويلية "المزيدات للجمل الفرعية المشتقة أو المحوِّلة من الجملة الأصلية بقاعدة من قواعد التحويل"⁽³⁾، المعروفة في منطِق اللسانيات الحديثة- الجملة الأساس/Kernel Sentence، الجملة النواة/Kernel Sentence، الجملة المشتقة/Derived Sentence.

ويكون الفاعل الذي يعقب الفعل مباشرة ضميرًا متخيلاً غير ظاهر، فهو مستتر مقدر منوط بفعله الماضي أو المضارع أو الأمر، فيقول العلماء: إن الضمير المستتر هو الذي ليس له صورة في اللفظ، كالضمير الملحوظ في محو: افهم درسك، أو قومي لله قانتة⁽⁴⁾، وهذا متطابق مع الصورة اللسانية التي قال بها علماء اللسانيات التوليدية والتحويلية، في بنيتين ظاهرة في بناء اللغة متحققة صوتياً وخافية مجتة غير ظاهرة، وإنما - بمنطق البناء اللغوي- معروفة حسب معايير الأفراد والتنثية والجمع والتذكير والتأنيث، وعملية استتاره وإضماره هي التوضُّع الحقيق والفعلية والوظيفي لعملية التحويل اللغوي في المفهوم التحويلي؛ فأصل الفعل افهم درسك هو الجملة الآتية التوليدية افهم "أنت" درسك، فيكون الضمير أنت فاعلاً محوِّلاً بقاعدة التحويل بالإضمار، ولا تكايسَ عمّا أبداه

(1) ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص134.

(2) ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجيهها البياني، ص41.

(3) ينظر: معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، ص34.

(4) ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي؛ تحقيق محمد أحمد قاسم، القواعد الأساسية للغة العربية، المرجع السابق، ص86.

الجرجاني عبد القاهر من مصطلح وهو يعبر عن خفاء الفاعل في بنية الظاهر من الكلام؛ إذ قال: " قيل: إنه إذا قال: أدافع كان الفاعل الضمير المستكن في الفعل، وكان "أنا" تأكيداً له أعني للمستكن، " فالمستكنّ عنده هو المضمّر ولذلك لمحنا كلمة "الظاهر" في مضادة مصطلح المستكنّ"⁽¹⁾.

ملحوظة: آثرنا اصطلاح (إضمار) للفاعل على التحويل بالحذف؛ ذلك لأن الفاعل لا يحذف البتة من الفعل والجملة الفعلية، فليس من منطقي الواقع ولا اللغة أن يقوم فعل دون فاعله أو مسببه، فكل فعل في اللغة فاعله الذي قام به ولو لحظنا تعريف الفعل الدقيق لعرفنا أن الحقيقة في الإسناد الفعلي قائمة بينهما، إذ يقول التعرف أن الفاعل هو الذي قام بالفعل أو قام به الفعل وهذا التعريف يشمل الفعل المبني للمعلوم، كما يشمل المبني للمفعول أو المجهول، ويحوي الفاعل الحقيقي والنحوي والمجازي وكل أنواع الفاعل في اللغة والبلاغة.

1- صور تحويل الفاعل بالإضمار (الحذف) في البنى التركيبية التحويلية الإسنادية وتوجيهها الدلالي:

قبل أن أعرض إلى تبيان الصور التي توارد عليها الفاعل محوّلًا بالإضمار من البنية السطحية لتراكيب الآي الكريمة من ربع مريم، ويحسن بنا التنويه أن مصطلح الإضمار قد يتطابق عندنا مع التقدير؛ أي تقدير فاعل في سياق قرآني معيّن، وليس أنه يكون ضميراً مستتراً أو محوّلًا بالإضمار على صيغة الإيجاز كما الشأن بالنسبة لضمائر المتكلم والمخاطب أو بصيغة الاختيار كما هو الشأن بالنسبة لضمائر الغائب كلها وكلّ هذه الأنواع من الضمائر أحصيناها في ربع مريم وبالصيغتين اللتين ذكرناهما.

⁽¹⁾الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص341.

أ- التحويل الإجباري:

1- الفاعل المحوّل بإضماره من البنية السطحية: يكون ضميراً مستتراً تقديره (أنت) (إجباراً) فلا يمكن أن يظهر في قاعدة العربية في التخاطب: ورد في الربع كله في كلّ سورة الكريّمات؛ فقد ورد في سورة مريم 26 وذلك في الآيات: 5، 6، 10، 12، 16، 26، 39، 41، 42، 43، 44، 46، 51، 54، 56، 65، 75، 83، 84، 97، 98. وورد في سورة طه 59 مرّة، وذلك في الآيات الكريّمات: 2، 7، 12، 13، 14، 19، 21، 22، 24، 24، 25، 26، 27، 29، 31، 32، 42، 47، 57، 58، 65، 68، 72، 77، 84، 94، 97، 105، 107، 108، 114، 117، 118، 119، 120، 130، 131، 132، 135. وورد في سورة الأنبياء 9 مرّات، وكان ذلك في الآيات الآتية: 24، 42، 45، 87، 89، 104، 108، 109، 112. وورد في سورة الحجّ 20 مرّة، في تراكيب الآيات الآتية: 2، 5، 18، 26، 27، 34، 35، 37، 49، 63، 65، 67، 68، 70، 7. أمّا في سورة المؤمنون فورد 28 مرّة؛ وذلك في الآيات الجليلات: 26، 27، 28، 29، 39، 54، 72، 73، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 93، 94، 99، 109، 113، 118، وورد في سورة النور 9 مرّات، وذلك في الآيات: 30، 31، 41، 43، 53، 54، 57، وورد في سورة الفرقان 16 مرّة وجدناه في الآيات: 6، 9، 15، 44، 45، 52، 58، 59، 60، 65، 69، 74، وورد في سورة الشعراء 30 وروداً، لمحناه في الآيات: 10، 13، 17، 22، 31، 36، 52، 69، 83، 84، 85، 86، 87، 116، 118، 154، 167، 169، 187، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 225، وأمّا في سورة النمل فورد 29 مرّة، وذلك في الآيات: 10، 12، 14، 22، 28، 37، 39، 43، 44، 50، 51، 59، 64، 65، 69، 70، 72، 79، 80، 81، 88، 92، 93. أمّا في سورة القصص فجاء 37 مرّة، وذلك في الآيات: 7، 11، 16، 19، 20، 21، 25، 26، 27، 31، 32، 34، 38، 40، 46، 49، 50، 56، 71، 72، 76، 77، 85، 88. وفي سورة العنكبوت كان وروده 13

مرّة، وذلك في الآيات: 8، 20، 30، 33، 45، 48، 50، 52، 63، وفي سورة الروم 10مرات، في الآيات: 30، 38، 42، 43، 50، 52، 53، 60، وأما في سورة لقمان فحصرنا فيها 19 مرّة، وذلك في الآيات: 7، 12، 13، 14، 15، 17، 18، 19، 25، 29، 31. وفي سورة السجدة ورد 6 مرّات في الآيات: 3، 11، 12، 30، وفي سبأ 19 مرة، وذلك في الآيات: 11، 19، 22، 24، 25، 26، 27، 30، 31، 36، 39، 46، 47، 48، 49، 50، 51. وفي سورة الأحزاب يورد 27 مرة، وذلك في الآيات: 1، 2، 3، 16، 17، 28، 37، 47، 48، 51، 52، 59، 62، 63، 71. وفي سورة فاطر ورد 6 مرات، وذلك في الآيات: 18، 27، 37، 40، 43.

ومن أمثلة الحذف قوله تعالى وعزّ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم/51)، أذكر: أنت وتوجيه الحديث والاتعاظ والذكر للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بعده من يقرأ ويتدبر ويقع في مثل هذه المواقع.

نستحب أن نشير إلى عملية تناسقية وفكرة في اللسانيات النصية موشوجة في نظرنا بإعجاز كلام الله عزّ وجلّ وهي هذه الأنماط التي سنصنفها لاحقا، وهي لتحويل الفاعل بالإضمار تتغاير في الإسنادات التركيبية الفعلية والاسمية تغايرا سرديا وسياقيا، فهو كرة تكون لله عز وجل، ومرة لإبراهيم، ومرة للشيطان، ومرة لموسى وإسماعيل، وهكذا فالاستعمالات التحويلية لعنصر الفاعل الذي هو عنصر أساس في بناء الإسناد منشور - بلغة الرياضيات- نشرا على الجملة الواردة في الكلام القرآني في السرد والقص غير ذلك، وهذا في نظرنا ملمح من ملامح إعجاز القرآن الكريم من الوجهة اللسانية النصية أو علم النص، كما يقول فان ديك أو ولفغاغ هاينيه أو دوبوغراند ودريسلا، أو غيرهم من الغرب أو العرب المحدثين أو المعاصرين المجالين لنا.

ومن أمثلته - أيضا- قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم/98): فاعل تحسّ أنت يا محمد أو من يوجه لك القرآن، وكمثّل

ذلك في الفعل تسمع. نجوز أن نسيغ الجملة الآتية فاعل محول بالاستتار إجباراً مشتقين الكلام من الإعراب المعهود والشائع في الكتب، والفاعل في الفعل "تحسّ" ضمير مستتر إجباراً، تقديره أنت؛ دأباً على استعمال عملية التحويل من البنية الظاهرة إلى البنية الباطنة لسانياً، وتماشياً مع صيغة محوّل بالإضمار أو الحذف.

2- تحويل الفاعل بالإضمار "الحذف" حين يكون ضميراً مفرداً مذكراً للمخاطب "أنت":

الصورة الأولى: الضمير مقدّر ومقترن بفعل مضارع: ورد - في كامل الربع المبحوث- 93 مرّة؛ ففي مريم:8، وفي طه:22، وفي الحج:7، وفي المؤمنون:3، وفي النور:2، وفي الفرقان:4، وفي الشعراء:4، وفي النمل:8، وفي القصص:8، وفي العنكبوت:3، وفي الروم:3، وفي لقمان:3، وفي السجدة:2، وفي سبأ:2، وفي الأحزاب:10، وفي فاطر:4.

الصورة الثانية: الضمير مقدّر ومقترن بفعل أمر: ورد - في كامل الربع المدروس- 250 مرّة؛ فقد ورد في مريم:16، وفي طه:33، وفي الأنبياء:9، وفي الحج:13، وفي المؤمنون:23، وفي النور:6، وفي الفرقان:12، وفي الشعراء:26، وفي النمل:21، وفي القصص:22، وفي العنكبوت:9، وفي الروم:7، وفي لقمان:16، وفي السجدة:4، وفي سبأ:16، وفي الأحزاب:15، وفي فاطر:2.

أمّا الماضي فلم يكن له من ورود البتّة، هذا حتم منطقي في العربية إلا إذا اتّصل بالموثّق مثل (خفت عليه) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقَبِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/7)؛ إذ خفت: فعل ماض مبني على السكون لاتّصاله بتاء التأنيث الساكنة التي لا نحلّ لها من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر فيه (إجباراً) وجوباً تقديره أنت⁽¹⁾.

ملحوظة: هناك كثير من الأفعال محوّلة هي ذاتها بالحذف أي في البنية العميقة وعير ظاهرة في البنية السطحية قدرنا فاعلها المحوّل بالإضمار والتي عثرنا عليها وهي

(1) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصّل، مج8، ص361.

في فعل الأمر فقط ففي المضارع تخلو نهائيا من الورد، وهي في الآيات الآتية: ﴿وَذَا
 التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء/87)، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ
 السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء/104)،
 بتقدير الفعل (أذكر)، وفي قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ
 بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج/26) بتقدير الفعل (وطهر)، وفي قوله
 تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (الحج/35)، بتقدير الفعل (وبشر)، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ
 لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِن
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم/30) بتقدير الفعل (الزم).

ملحوظة: في الآية 46 من مريم وهي قوله عزّ وعلا: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي
 يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم/46) جاء الفعل إن لم تنته، وتقدير
 الفعل في البنية التوليدية قبل التحويل، هو إن ما انتهيت أي في الماضي؛ لأن لم للنفي
 والجزم والقلب فنقلب زمن المضارع إلى الماضي.

أردنا الإشارة إلى خصوصية استثنائية في اللغة العربية القرآنية، وهي شكل اسم
 الفاعل السَّادَّ مسدَّ الخبر على أنه فعل، لأنه في نظرية التحويل والتقدير يحول بقاعدة
 الاستبدال التحويلية اللسانية إلى الفعل المضارع أو الماضي على حسب السياق،
 وهو "أراغب" أنت أي أترغب فالضمير "أنت" - في رأينا - أقرب إلى أنه توكيد لفظي منه
 إلى الفاعل، إذ هو محول بالإضمار إن أردنا عرضه بهذه الطريقة وليس أنت بمبتدأ.

3- تحويل الفاعل بالإضمار حين يكون ضميرا مفردا مذكرا للمتكلم تقديره (أنا):

ورد في ربع مريم كلاًه 73 مرة؛ وأحصيناه في سورة مريم 8 مرّات في الآيات: 18، 19،
 43، 45، 46، 47، 48. وفي سورة طه 9 مرات في الآيات: 10، 15، 18، 40، 46،

71. وفي سورة الانبياء 6 مرات وذلك في الآيات: 45، 57، 67، 109، 111. وفي سورة الحجّ مرتين في الآيتين الكريمتين: 72، 78. وفي سورة المؤمنون 3 مرات وذلك في: 97، 98، 100. وفي سورة الفرقان مرتين في: 28، 57. في الشعراء 14 مرّة في الآيات: 12، 14، 29، 49، 82، 109، 127، 135، 145، 164، 180، 221. وأما في سورة النمل 14 مرة وذلك في الآيات: 7، 19، 20، 21، 24، 39، 40، 91، 92. وأما في سورة القصص 9 مرات وهذا في: 12، 27، 29، 33، 34، 38، 49. وأما في سورة العنكبوت فمرة واحدة في الآية: 8. وأما في سورة لقمان مرة واحدة، وهي في الآية 15. وأما في سورة سبأ فورد مرتين في الآية: 28. وأما في سورتي الروم وفاطر فلم يرد فيهما هذا النوع.

ونقف على مثال له في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان/15): فهنا نلمح الفاعل محوّلًا بالإضمار في البنية العميقة وتقديره (أنا) وهو يعود على الله عزّ وجلّ؛ لأنه هو صاحب الإنباء بما يعمل.

ملحوظة 1: كلّ الأفعال في الربع الكريم فاعله المحوّل بالإضمار مسند إلى المذكر إلّا في الآية 12 من سورة القصص، كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾: فالفاعل المحوّل بالإضمار في البنية العميقة أصله (أنا) وهو عائد على المتكلمة، إذ سبقت بقرينة الفعل (فقالَتْ).

ملحوظة 2: كلّ الأفعال في الربع المبحوث هي مضارعة ويختلف تواريخها في أنها مجزومة على أنها فعل جواب الشرط أو جواب الطلب أو فعل مضارع متجرّد من عوامل الجزم والنصب، أو الفاعل محوّل بالإضمار لاسم فعل مضارع كما هو في اسم فعل أمر (أفّ) في الآية الكريمة 67 من سورة الأنبياء وهي: ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فمعنى اسم الفعل المضارع (أفّ) "أتضجّر، وكذلك أوّه بمعنى: أتوجّع، ويعرب كلّ منهما اسم فعل مضارع مبنيًا"⁽¹⁾، فأفّ اسم فعل مضارع بمعنى أتضجّر مبني على الكسر.

- تحويل الفاعل بالإضمار حين يكون ضميرا مفردا مذكرا للمتكلم "أنا" أو الفاعل ضمير مرفوع للفعل المضارع المبدوء بهمزة المتكلم وتوجيهها الدلالي:

تتصوي - تحت هذه النماذج- صور يتعاور فيها مجيء أنماط مختلفة من حيث زمن الفعل المضارع الماضي، والمضارع المجزوم بلم، الذي يعلق به الفاعل المحول بالإضمار فقد يجيء الفعل بشكل فعل الشرط أو جوابه أو فعل الطلب أو جوابه أو الفعل المضارع المتجرد من عوامل النصب أو الجزم، وقد أحصينا سبعة عشر ورودا للفاعل المحول بالإضمار، تقديره في البنية الخفية للتركيب الفعلي "أنا"؛ أي ضمير المتكلم المفرد المذكر؛ إذ قلنا: إن النظرية اللسانية، ومنطق اللغة العربية مقاربان في خطّي الإيجاب والاختيار نظرا لمنطق المتلقي والمتكلم والتداول؛ ولذلك برّرنا (أنا) بوصفه ضميرا مستترا مضمرا إجبارا في الفعل ولم أكن بدعائك شقيا، وبرّرنا الضمير هو بالاختيار في (قال ربّ وهن العظم مني)، وذلك تآلفا مع المتلقين، ومنطق الفهم اللغوي الذي يستوجب منطقا شكليا ولغويا تتأسس عليه مفاهيم اللغة البشرية.

هذا ما سنوجهه دلاليا في مساق عرضنا للنماذج القرآنية وتحليلنا لصور التحويلات اللغوية للفاعل بالإضمار في سورة مريم وفي سائر سور الربع المدروس من القرآن الكريم.

• **الفعل الماضي:** وفيه مجموعة من الأفعال منها: خلقتك، نذرت، متّ.

(1) شعبان صلاح، تصريف الأفعال في اللغة العربية، دط، دت، ص24.

وهناك اختلاف في الشخصية التي يحملها الضمير فمرة مذكراً، ومرة مؤنثاً، مرة الله المتكلم، ومرة الشخصيات التي تتحرك في النص القرآني كحديث مريم عليها السلام ليأتي متاً، وحديث زكريا عليه السلام إني نذرت للرحمن صوما.

• **الفعل المضارع:** وردت مجموعة من الأفعال المضارعة مقرونة بفاعل محول بالإضمار تقديره في عمق البنية "أنا"؛ والفعل "أهدك" فعل مضارع مجزوم؛ لأنه فعل جواب الطلب في قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ {43}.

ب- التحويل الإجباري: للأفعال المبنية للفاعل (للمعلوم):

وقع مرتين الفعل "المبني للمجهول" الملتب مع فاعل محول بالإضمار هو في التقدير "أنا" في "أبعث"، منه قول الله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم/33).

1- صور تحويل الفاعل بالإضمار حين يكون ضميراً للجمع المتكلم "نحن" أو الفاعل هو ضمير مرفوع للفعل المضارع المبدوء بالنون وتوجيهها الدلالي:

ملحوظة: كثيراً ما يرد الضمير متعلقاً بالله عز وجل وهذا للتعظيم والتتزيه.

ورد 75 مرة في كل آيات ربع مريم، ونقف على مثال له في قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم/7): فالله عز وجل هو المتكلم وهو المبشّر مع ذلك ورد الفعل مسنداً لضمير الجمع المتكلم (نحن).

وقد أحصيناه في كل السور على هذا النحو: سورة مريم: وردت 18 مرة في الآيات: 7، 21، 29، 40، 63، 64، 68، 69، 72، 79، 80، 84، 85، 86. سورة طه: وردت 22 مرة في الآيات: 21، 23، 33، 34، 45، 56، 58، 71، 72، 97، 99، 102، 115، 124، 127، 131، 132، 134. سورة الأنبياء: وردت 13 مرة في الآيات: 7، 9، 18، 29، 44، 47، 81، 88، 91، 104. سورة الحج: 8 مرات في الآيات: 5، 9،

10، 25، 36. سورة المؤمنون: 9 مرّات في 21، 37، 47، 55، 56، 62، 95، 107. سورة النور: ورد مرّة واحدة في الآية الكريمة 16. سورة الفرقان: 7 مرات في الآيات: 18، 19، 21، 32، 49. سورة الشعراء: 9 مرّات في الآيات: 4، 18، 40، 51، 71، 98، 111، 186. سورة النمل: 7 مرات في الآيات: 27، 37، 41، 49، 83. سورة القصص: 20 مرة في الآيات: 5، 6، 9، 14، 23، 28، 35، 47، 55، 57، 75، 83. سورة العنكبوت: 8 في الآيات: 7، 9، 12، 43، 58، 69. سورة الرّوم: ورد مرّة واحدة في الآية الكريمة 28. سورة لقمان: 4 مرّات، في الآيات الكريّمات: 21، 23، 24. سورة السّجدة: ورد خمس مرّات في الآيات: 12، 21، 27. سورة الأحزاب: ورد مرّتين في الآيتين: 31، 60. سورة سبأ: ورد 12 مرّة في الآيات: 7، 9، 12، 14، 21، 25، 31، 33، 42. سورة فاطر: 5 مرّات في الآيتين: 36، 37.

كل الأفعال التي وردت حاملة فاعلا محولا بالإضمار منها: نجعل، نكلم، نرث، نورث، نرثه ننتزل، نبشرك أو نبشرك على قراءتين متواترتين مختلفتين، لنحشرنهم، لنحضرنهم، لننزعن، ننجي، نذر، سنكتب، ونمدّ، نعدّ، نحشر. نسوق وغيرها "وكلها مختلفة السياقات وأنماط الجملة والأسلوب؛ فهناك المؤكّد كالفعل "لنحشرنهم، ولنحضرنهم، ولننزعن" والمؤكدات لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة، ومنها ما هو مؤكّد بالقصر كالفعل "وما ننتزل إلاّ بأمر ربك"، ومنها ما لحقت أوله سين الفعل كالفعل "كلّا سنكتب ما يقول".

كلّ هذه الأفعال فاعلها المحول في البنية العميقة التقديرية بالضمير نحن أي الدال على المتكلمين القائمين بالفعل وهو يطابق ذات الله العلية المعظمة المقدّسة المجلّة؛ لأن سياقات مجيء هذه الأفعال كلها هي في معرض الحديث عن فعل الله بالمجرمين والطيبين على حد السواء، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَرِئُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم/80)، وقوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم/85)، وقوله أيضا: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم/72).

ج- التحويل الاختياري: الفاعل المحوّل بإضماره من البنية السطحية يكون ضميراً مستتراً (اختياراً) في قاعدة العربية في التخاطب.

1- ضمير المفرد المذكر الغائب وتقديره(هو):

كان هذا النموذج من الضمائر التي هي تحويلات للفاعل بالإضمار أكثر الضمائر وروداً في هذا الربع؛ إذ أحصيناه 847 مرة وهي النسبة الأعلى.

في سورة مريم ورد 45 مرة في الآيات الكريمة: 3، 4، 6، 8، 9، 10، 11، 15، 17، 19، 21، 30، 31، 32، 35، 42، 43، 46، 47، 49، 55، 60، 77، 78، 80، 87، 92، 94. في سورة طه ورد 105 مرة في الآيات: 3، 4، 5، 7، 10، 11، 16، 18، 19، 20، 21، 25، 36، 40، 44، 45، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 55، 56، 57، 59، 60، 61، 64، 65، 66، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 79، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 88، 89، 92، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 106، 109، 110، 112، 113، 115، 116، 117، 120، 121، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 133، 135. في سورة الأنبياء ورد 30 مرة في الآيات: 4، 5، 18، 28، 29، 33، 36، 42، 47، 52، 54، 56، 58، 59، 60، 63، 66، 76، 77، 87، 89، 94، 110، 112. في سورة الحجّ ورد 59 مرة في الآيات: 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 11، 12، 14، 15، 16، 17، 18، 23، 25، 28، 30، 31، 32، 34، 37، 38، 40، 52، 53، 56، 59، 60، 61، 65، 66، 70، 71، 78. في سورة المؤمنون ورد 26 مرة في الآيات: 7، 23، 24، 28، 33، 35، 38، 39، 40، 62، 70، 78، 79، 80، 88، 91، 92، 99، 108، 112، 114، 117. في سورة النور ورد 52 مرة في الآيات: 3، 11، 19، 21، 29، 31، 33، 35، 38، 39، 40، 43، 45، 46، 48، 49، 52، 55، 64. في سورة الفرقان ورد 55 مرة في الآيات: 1، 2، 4، 5، 6، 7، 8، 10، 11، 17، 19، 27، 29، 42، 43، 45، 47، 48، 53، 54،

55، 56، 57، 58، 60، 61، 62، 68، 69، 70، 71. في سورة الشعراء ورد 50 مرّة
 في الآيات: 12، 15، 18، 20، 21، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33،
 34، 35، 42، 49، 62، 63، 70، 72، 75، 78، 79، 80، 81، 82، 89، 112،
 117، 132، 133، 155، 168، 184، 188، 189، 202، 215، 218، 219. في
 سورة النمل ورد 65 مرّة في الآيات: 8، 10، 11، 15، 16، 19، 20، 21، 22، 25،
 27، 36، 38، 40، 41، 44، 46، 47، 54، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 74، 76،
 78، 83، 84، 88، 89، 90، 91، 92، 93. في سورة القصص ورد 97 مرّة في
 الآيات: 4، 14، 15، 16، 17، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 27، 28، 29،
 30، 31، 33، 34، 35، 37، 46، 50، 56، 59، 62، 65، 67، 68، 69، 71، 72،
 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 82، 84، 85. في سورة العنكبوت ورد 44 مرّة
 في الآيات: 3، 4، 6، 10، 11، 14، 16، 19، 20، 21، 25، 26، 28، 30، 32،
 33، 36، 38، 40، 42، 45، 47، 51، 52، 53، 55، 60، 61، 62، 63، 65، 68.
 في سورة الرّوم: ورد 64 مرة في الآيات: 5، 6، 11، 19، 20، 21، 24، 25، 27،
 28، 29، 30، 33، 35، 37، 39، 40، 41، 44، 45، 46، 48، 50، 53، 54. في
 سورة لقمان ورد 33 مرّة في الآيات: 6، 7، 10، 12، 13، 15، 18، 20، 21، 22،
 23، 25، 27، 29، 31، 32، 34. في سورة السجدة ورد بها 15 مرة في الآيات: 3، 4،
 5، 7، 8، 9، 22، 25، 26. في سورة سبأ ورد بها 31 مرّة في الآيات: 2، 4، 6، 7،
 8، 12، 13، 14، 23، 24، 26، 32، 36، 37، 39، 40، 43، 48، 49. في سورة
 الأحزاب ورد بها 38 مرّة في الآيات: 4، 8، 21، 23، 24، 26، 27، 29، 30، 31،
 33، 36، 43، 44، 50، 53، 57، 64، 68. في سورة فاطر ورد بها 38 مرّة في
 الآيات: 1، 2، 8، 9، 10، 11، 13، 18، 22، 30، 34، 35، 37، 39، 41، 42،
 45.

الصورة الأولى: مجيء الفاعل المحول بالإضمار ضميرا مفردا مذكرا للغائب للفاعل الماضي المبني لما لم يسم فاعله (للمجهول) "هو": نشهده في سورة مريم مثلا وهو "وُلِدَ" أي هو نائب فاعل محول بالإضمار والحديث عن يحيى عليه السلام، وذلك في قول الله تعالى شأوه وتقدّست أسماؤه: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم/15).

الصورة الثانية: مجيء الفاعل المحول بالإضمار ضميرا مفردا مذكرا للغائب في الفعل الماضي المبني للفاعل (للمعلوم) "هو": وقد ورد 531 مرّة في الربع المدروس؛ إذ ورد 42 مرّة في مريم، و 87 مرّة في طه، و 23 مرّة في الأنبياء، و 14 مرّة في الحج، و الآيتين 16 و 08 في المؤمنون، و 10 مرّات في النور، و 47 مرّة في الفرقان، و 38 مرّة في الشعراء، و 52 مرّة في النمل، و 85 مرّة في القصص، و 24 مرّة في العنكبوت، و 26 مرّة في الروم، و 15 مرّة في لقمان، و 14 مرّة في السجدة، و 08 مرّة في سبأ، و 15 مرّة في الأحزاب، و 15 مرّة في فاطر.

ومن أمثلة مجيء الفاعل محولا بالإضمار بصيغة الاختيار وهو ضمير المفرد المذكر الغائب للفعل الماضي المبني للمعلوم قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم/4)، ففاعل (قال) ضمير محول بالإضمار، هو (هو)؛ أي زكرياء، أي الفاعل ضمير مستتر بالاختيار ومحول في بنية الخفاء والغيبة وبنيته العميقة "هو" ويعود بمفهوم الإحالات النصية اللغوية- إلى المتكلم عنه في الآية السابقة وهو زكرياء عليه الصلاة والسلام، والآية فيها بلاغة كثيرة والكثير من المفسرين قالوا: إن شيئا تمييز مقلوب عن الفاعل أي محول بقلبه من صيغة الفاعل إلى التمييز وتقدير البنية، واشتعل شيب الرأس كتدفق ماء النهر من تدفق النهر ماء، ومصداقا لذلك قال محي الدين درويش: "وشيئا تمييز محول عن الفاعل، أي انتشر

الشيب في رأسي"⁽¹⁾، "وأصل هذا التمييز مقلوب عن الفاعل؛ إذ أصله واشتعل شيب الرأس، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً بتقدير وشاب الرأس شيباً، وفي التعبير فصاحة ظاهرة واستعارة بديعة وبلاغة مشهودة؛ لأنه لم يقل واشتعل رأسي شيباً اكتفاءً بعلم المخاطب أنه رأس زكرياء وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر"⁽²⁾.

أو في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (مريم/17): المضمرة الفاعل المحول بالحذف من البنية الظاهرة للفعل الماضي وهو "هو" يعود على روحنا المرسل من قبلنا والمتكلم هو الله عز من قائل وجل، وأول داع لإضماره هو كراهة تكراره في هذا الموضع؛ إذ ذكر في جملة، فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها هذا الروح بشراً سوياً، ونرى أنه لم يعد بوصفه توكيداً معنوياً لقرب مسافة إرسال الروح، والتطبيق الفعلي بقدرة الله عز وجل من أنه روح، وتحقق فعل تمثله بشراً سوياً من جهة، ومن جهة أخرى لعدم المن عليها بأن الله أرسل له الروح فحار بشراً سوياً يخاطبها وتكلمه وللفاصلة القرآنية وتمائلها الصوتي والبنوي واللفظي، وكذلك في قوله: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (مريم/24)؛ إذ الإعراب هو: الله لفظ الجلالة هو الفاعل المحول بالإضمار في قوله تعالى: "فناداها" على خلاف بين المفسرين، فمنهم من يقول بأنه الله المنادي، ومنهم من يقول بأن الروح المرسل الذي نزل عليها "جبريل"، إنما هو الذي ناداها كما ذهب إلى السيوطي في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"⁽³⁾، ومنهم من قال بأنه "عيسى عليه السلام"⁽⁴⁾.

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، الجزء 16، ص566.

(2) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل في كتاب الله المنزل، مج7، ص6.

(3) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، المجلد العاشر، الجزء 15، 2003، ص43.

(4) ينظر: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت161هـ)، تفسير الثوري، تحقيق امتياز علي عرشي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1983، ج1، ص183.

الصورة الثالثة: مجيء الفاعل المحول بالإضمار ضميرا مذكرا للغائب للفعل المضارع المبني للفاعل (للمعلوم) "هو": ورد في الربع المدروس 478 مرة؛ إذ ورد 14 مرة في مريم و38 مرة في طه و13 مرة في الأنبياء و52 مرة في الحج و13 مرة في المؤمنون و47 مرة في النور و19 مرة في الفرقان و16 مرة في الشعراء و27 مرة في النمل و41 مرة في القصص و23 مرة في العنكبوت و53 مرة في الروم و22 مرة في لقمان و9 مرات في السجدة و30 مرة في سبأ و28 مرة في الأحزاب و33 مرة في فاطر.

ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النمل/93): فالفاعل (سيريكم) هو الواقع عليه تحويل الفاعل بالإضمار والفاعل مضارع محوّل بزيادة السين للتنفيس وللاستقبال ويعرب: "السين للاستقبال ومضارع والكاف مفعوله الأول والفاعل مستتر"⁽¹⁾، وتقدير القول: سيريكم هو؛ أي الله عزّ وجلّ.

الصورة الرابعة: مجيء الفاعل المحول بالإضمار ضميرا مذكرا للغائب للفعل المضارع المبني لما لم يسم فاعله "للمجهول"⁽²⁾ "هو": نلاحظه في الآية السابقة عينها في الفعل "يبعث"، أي هو وتوجيه الضمير إلى يحيا المتحدث عنه وهو مثار معجزة الإيجاد والخلق من عدم الأم في قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

(1) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص419.

(2) والفعل المبني لما لم يسم فاعله أو للمجهول هو الفعل المحذوف فاعله أو بلغة التحويليين محوّل فاعله بإضماره من البنية السطحية للتركيب اللغوي، وأسند إلى ما ينوب عليه إلّا في قولنا مثلا خلق البشر فاعله عزّ وجلّ هو الخالق وليس من أحد سواه إنما شكليا وبنويا قلنا ناب البشر عن الفاعل وإنما هو عن المفعول ولذلك نستحب أن نقول: مبني للمفعول لأن الأصل التوليدي لجملة خلق البشر هو خلق الله البشر والله لفظ الجلالة الفاعل الذي لما حوّلت الجملة بحذفه وبنائها لصيغة ما لم يسم الفاعل ناب المفعول شكلا وبنية أي نحو فقط وليس حقيقة وواقع، و "يسند لما ينوب عنه -كما قلنا- إمّا للإيجاز أو للجهل به أو لتحقيره أو لتعظيمه أو لإبهامه عن السامع أو لغير ذلك، نحو (هُدِمَ الْبَيْتُ)" ينظر: جماعة من الأساتذة، قاموس تصريف الأفعال، جروس بروس، طرابلس، لبنان، ط1، 1993، ص(و). ونائب الفاعل هو الاسم المرفوع الذي لم يذكر معه فاعله نحو: قُطِعَ الغصنُ، وشُمّت الوردَةُ أو هو اسم تقدّمه فعل مبني للمجهول أو شبهه كاسم المفعول والمنسوب أي فيه ياء النسبة محو أقرشي جدّه؟، وحلّ محلّ الفاعل بعد حذفه؛ نحو: أكرّم الرجلُ المحمودُ فعله" ينظر: حفني ناصف وآخرون، الدروس النحوية، ص422.

(مريم/15)، وَيُبْعَثُ: "فعل مضارع مبني للمجهول أو للمفعول مرفوع وعلامته الضمة الظاهرة في آخره لتجرده من عوامل التّصّب والجزم، و نائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازا أو محوّل بالإضمار فيه اختيارا تقديره(هو)، وجملة (يبعث) في محلّ جرّ بالإضافة، بمعنى(يومَ يبعث يومَ القيامة)، حيّا: حال منصوبة، وعلامتها الفتحة الظاهرة في آخره"⁽¹⁾. وقد يكون الفاعل المحول بالإضمار هو محول -أيضا- بالاستبدال مع أن ومعموليهما في تأويل مصدر مشتق له دلالة الفاعل الموجهة لغرض أن الله لم يقم بهذا الفعل لتنافيه مع منطق الألوهية ولا يقوم به ولن يقوم به أبدا وهو اتخاذ الولد أو الشريك وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم/35)؛ أي ما كان لله أن يتّخذ؛ أي (هو)؛ وهو محوّل بالاستبدال لوظيفة اسم كان؛ إذ "إن يتّخذ مصدر مؤوّل اسم كان"⁽²⁾؛ أي ما كان لله اتّخاذ ولد من ولد أي كان نوعه سبحانه أي لا يكون له ذلك أبدا واقعا وتخيلا.

2- ضمير المفرد المؤنث الغائب وتقديره(هي): نلفت النظر إلى أن الفرق بين تاء الفاعل وتاء التأنيث الساكنة هو أن الأولى عاملة يعني مؤوّل بالفاع تقديره هل فصلّيتُ تسع ركعاتٍ فالتاء فيها ضمير متّصل في محل رفع فاعل والمعنى أنا، أمّا تاء التأنيث الساكنة فليس لها هذه الوظيفة وإنما للدلالة على التأنيث فقط، وهي من أمارات الفعل لقول صاحب الألفية: [بتا فعلت وأنت ويا افعلي*** ونون أقبلنّ فعل ينجلي]، وغالبا ما يتعب الفعل المقرون بتاء التأنيث فاعله سواء أكان جمعا مؤنثا أو مفردة مؤنثة، فالتاء كتلة لغوية تلحق الفعل المسند إلى ضمير مؤنث غائب مفرد أو جمع مؤنث، وهي ليس لها محلّ من الإعراب وهي قرينة التأنيث دون التذكير، و"استشهد به سيبويه على أن تاء التأنيث جاءت للفعل"⁽³⁾، في البيت الشعري: لما أتى خبر الزبير تواضعت... سور

(1) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج7، ص14-15.

(2) ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مج16، ص 605.

(3) ينظر: سيبويه، ج1/ص25.

المدينة والجمال الخشع"⁽¹⁾، لما أضاف "سور" إلى مؤنث وهو "المدينة"، وهو بعض منها. قال سيبويه: "وربما قالوا في بعض الكلام: "ذهبت بعض أصابعه"، وإنما أنت البعض، لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه، ولو لم يكن منه لم يؤنثه؛ لأنه لو قال: "ذهبت عبد أمك" لم يحسن"⁽²⁾.

وأحصيناه في الربع المدروس 79 مرة وهو على هذا التوارد في كل سور الربع: في سورة مريم ورد 16 مرة في الآيات الآتية: 16، 17، 18، 20، 22، 23، 27، 29، 83. في سورة طه 7 مرات في الآيات الآتية: 15، 20، 22، 40، 69، 129. في سورة الأنبياء 7 مرات في الآيات الآتية: 31، 40، 43، 74، 80، 81، 91. في سورة الحج 4 مرات في الآيتين: 5، 65. في سورة المؤمنون مرتين في الآية 20. في سورة النور ورد مرة واحدة في الآية 8. في سورة الفرقان 3 مرات في الآيات: 12، 66، 76. في سورة الشعراء مرتين في الآيتين: 45، 222. في سورة النمل 16 مرة. في سورة القصص 12 مرة في الآيات الآتية: 10، 11، 12، 13، 25، 26، 32، 58، 76. في سورة العنكبوت: 3 مرات في الآيات الآتية: 41، 45، 60. في سورة الروم مرة واحدة في الآية 48. في سورة لقمان مرتين وهما: 10، 31. في سورة السجدة لا يوجد فيها هذا التحويل لهذا الضمير. في سورة سبأ 3 مرات في الآيات الآتية: 3، 14، 37. في سورة الأحزاب مرتين وهما: 31، 50. في سورة فاطر: 3 مرات وهما: 9، 11.

وله صورتان في الفعلين الماضي والمضارع المبين للمعلوم وهما:

⁽¹⁾ وهذا البيت يعبر به الفرزدق بالغدر ويهجو، فإن الزبير بن العوام رضي الله عنه حين انصرف يوم الجمل، عرض له رجل من بني مجاشع رهط الفرزدق، فرماه فقتله غيلة. ووصف الجبال بأنها "خشع". يريد عند موته، خشعت وطأطأت من هول المصيبة في حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قبح ما لقي من غدر بني مجاشع.

ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج1، ص17.

⁽²⁾ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج1، ص17.

الصورة الأولى: مجيء الفاعل المحول بالإضمار ضميراً مفرداً مؤنثاً للغائب في الفعل الماضي المبني للمعلوم: "هي": ونقف على مثال له في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/91): أحصنت: "حفظت ومنعت"⁽¹⁾، "فعل ماض مبني على الفتح، والتاء تاء التانيث الساكنة لا محل لها من الإعراب، وهي: للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر اختياراً تقديره (هي)"⁽²⁾، أو "مستتر فيه جوازاً تقديره (هي)"⁽³⁾؛ أي الحديث عن مريم، كأنه قال: "واذكر مريم"⁽⁴⁾ التي أحصنت فرجها؛ أي صانته من الفحش وحفظته من أن ينال.

الصورة الثانية: مجيء الفاعل المحول بالإضمار ضميراً مفرداً مؤنثاً للغائب في الفعل المضارع المبني للمعلوم: "هي": ونقف على مثال له في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الأنبياء/31): أن تميد بهم يعني: "كي لا تميد بهم"⁽⁵⁾، وذهب بعضهم إلى أن (أن تميد بهم) "كراهة أن تميد بهم أو لئلا تميد بهم فحذف لا واللام الأولى وإنما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما ترى ذلك في قوله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾"⁽⁶⁾، ووجدت "مخافة أن تميد بهم"⁽⁷⁾، وهي مستبعدة في منظورنا إلا أن تكون المخافة نابعة من المخلوقات.

أما الإعراب: ف(أن) حرف ناصب (تميد) مضارع منصوب بأن وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول لأجله (بهم) متعلقان بتميد"⁽⁸⁾، فهنا نلمح تحويلاً بالاستبدال لما

(1) التَّجْبِيي، مختصر تفسير الطبري، ص330.

(2) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص675.

(3) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرئى، مج7، ص258.

(4) جلال الدين المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، ص330.

(5) البغوي، معالم التنزيل، ج5، ص316.

(6) الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص138.

(7) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص917.

(8) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص285.

وظيفته مفعول لأجله وهو بالمصدر المؤوّل ويتحقّق بأن ومعموليها الفعل والفاعل المحوّل بالإضمار، وتقديره (هي) وهو استتار جوازي، و (هي) عائدة على الجبال التي جعل لها رواس حتّى لا تميد بهم.

2- التحويل بحذف المفعول به والدلالة التحويلية:

الحذف عملية من عمليات التحويل من بنية المنطق الأول للغة العربية واللغات الأخرى إلى بنية المنطق الثاني، وهو المنطق التحويلي أو التركيب التحويلي، إذ يقول العلماء فيه إنه منطق للإخفاء بقرائن الدلالة إليه في البنية الظاهرة الصوتية أو الكتابية، وقال المبرد فيه: "لا بد أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى"⁽¹⁾، وذهب العلماء العرب المحدثون إلى أن الحذف بوصفه عنصراً تحويلياً عند تشومسكي والتحويليين له إحدائيات عند العرب القدماء، فيقول نهاد الموسى: "إن ما انكشف لتشومسكي والتحويليين في المستوى الدلالي للجملة في بنيتها العميقة والسطحية قد انكشف لا بن هشام وللإمام عبد القاهر الجرجاني، بل وحتّى تمام حسان يرسخ فكرة الحذف في الحياض التوليدية والتحويلي فيقول: "...أما العناصر التوليدية التحويلية فحسبنا أن نرى دعوة النحاة أن اللغة سليقة، وأن بعض حالات الحذف لا يقدر المحذوف فيها إلّا في ضوء فهم معين أقرب ما يكون للبنية العميقة وبعض البنى السطحية، ويسوق على ذلك مثلاً للتليل: في قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾ (آل عمران/102)؛ إذ يقول: ليس معناها في الحقيقي نهياً عن الموت، وإنما هو أمر التمسك بالإسلام حتّى الموت، وكون البنية سطحية هذا لا يطعن في أنّ معناها الأمر"⁽²⁾، وبالرغم من أن

(1) المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 205هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1963، ج3، ص112.

(2) ينظر: عاطف فضل، ظاهرة حذف المفعول به؛ دراسة وصفية إحصائية تحليلية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد9، العدد1، ديسمبر 2013، ص288.

المفعول به فضلة كما يسميه العلماء أي تزيد عن الأركان الأساسية التي تبني الإسناد، وينهض عليها المعنى إلا أن الحاجة إليه تشدنا دائما فلا يجوز حذفه عندئذ.

أولاً- ماهية المفعول به: "ما يدل على من وقع عليه فعل الفاعل"⁽¹⁾، و" لم تغير - لأجله- صورة الفعل، نحو: يحب الله المتقن عمله"⁽²⁾، وهو أول وجوه النصب التي عدّها الخليل بن أحمد الفراهيدي: "أحدا وخمسين وجها، فأولها نصب من مفعول أي مفعول به"⁽³⁾، ويذكره سيبويه الأوّل في باب "مجاري أواخر الكلم في العربية"؛ حيث يجعلها في ثمانية مجار هي "النصب والجر والرفع والجزم والفتح والكسر والضمّ والوقف"⁽⁴⁾. هذا من حيث الحكم الإعرابي، والوظيفة النحوية في اختلاف الحركات الإعرابية، وهو يعد- في الأغلب- ضمن دائرة الفضلات؛ أي العناصر النحوية التي لا تتدخل في عمليتي الإسناد الأساسيتين الإسناد الاسمي والإسناد الفعلي؛ أي لا يفسد التركيب الجملي إن لم يكن المفعول به؛ وإن ارتباط حذف المفعول به مع الفعل بعلاقة المفعولية جعل بعض النحاة يعدّون ذلك المفعول ركنا رئيسا من أركان الجملة أو الوحدة الإسنادية الفعلية، وحقّتهم في ذلك أن المفعول به في ارتباطه ببؤرة هذين التركيبين الأساسيين وهما الفعل والفاعل سواء بسواء"⁽⁵⁾.

وبالرغم منه فضلة كما يسميه العلماء إلاّ أن الحاجة إليه تشدّ أحيانا فلا يستغنى عنه ولا يصح حذفه أو عملية تحويله بالحذف-...- أما في غيرها فيجوز حذفه- واحدا أو أكثر لغرض لفظي أو معنوي؛ فمن اللفظي المتعلق بالشعر: أن يحافظ استناره على

(1) محمد بشار بن عبد الرزاق تاجي، تعلم الإعراب في أصغر كتاب؛ مدخل إلى الإعراب أساسياته-أصوله-مبادئه، وبذيله الإملاء-المعجمات-الموضوع المميز، وزارة الإعلام، دار الفارابي، دمشق، سوريا، ط4، 2005، ص15.

(2) الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، ص187.

(3) ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص34.

(4) سيبويه، الكتاب، 13/1.

(5) رابح بومعزة، تسير تعليمية النحو، ص90-91.

وزن الشعر؛ كقول أحمد شوقي: [ما في الحياة لأنّ تعا *** تب أو تحاسب متّسع]؛ أي أن تعاتب المخطئ أو تحاسبه...-، ومنها المحافظة على تناسب الفواصل وهذا في القرآن الكريم من الوجهة الجمالية والاتزانة ووزن الآيات القرآنية، وذلك في نحو قول الله تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَنْ يَخْشَىٰ﴾ (طه/2-3)، فحذف مفعول يخشى ولم يقل يخشاه أو يخشى الله لتناسب الجملة التي تنتهي بـ "يخشى" الجملة التي تنتهي بـ "يشقى" (1)، ويأتي على أنواع أربعة،

1- اسما معربا، كما في الأمثلة الآتية:

- "قطفت" "الشهد" من ورد الشفاه *** فذقت السكر من كأس الورود
- عشقت "الحياة" قلبي وروحي *** فبالحب والعشق تحلو الحياة
- عشقت "الصالحات" من النفوس *** فهل تحلو النفوس مع الفساد؟
- فانصر "أباك" على الأعداء حتى ولو *** كان الوحيد الذي أنت تحاربه
- رفع الزمان الطاهرين إلى العلى *** فكأنما رفع الضياء الأنجما (2).

2- اسما مبنيا:

- عشت "الذي جعل النفوس رقيقة" *** كالنور وهو محبة الأحباب
- فعش هذه الأنفاس بالحب إنه *** كمصفاة ماء، دونها اعكوكر الماء

3- ضميرا:

أ- متصلا: الشعر أحببته حتى غدا بفي *** مجرى الكلام ومجرى الصمت في نفسى.

ب - منفصلا: إياك نرجو إذا جننا لموعدنا *** أن الرجاء هو الجسر الوحيد لنا

4- جملة:

أ- اسمية: قال الفؤاد: "هواء الحب ينعشني" *** للنفس، ردت: وعطر العشق يحييني

(1) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص179.

(2) تنبيه: كل الأبيات الشعرية المعروضة بوصفها نماذج عن أنواع المفعول به من تأليف الباحث وقد ارتجلت لغرض وظيفي يوم 8-1-2014، في الساعة السابعة مساء-قسنطينة-الجزائر.

ب- فعلية: صاحبت فلسطين: "خلوا الموت يرتاح"*** قد برأته - على التاريخ- أرواح
 - جعل البستاني الحَبَّ "يزهر"؛ فالجملة كلها من فعلها وفاعلها المستتر اختيارا في
 تحويل بنية اسمية لها وظيفة المفعول به؛ أي في محل نصب مفعول به.
 يطيب لنا أن نشرح - قليلا- بعض منجزات النظرية التحويلية للنحو الكلي التي
 أتى بها تشومسكي والتي هي- في نظرنا - تخرج من مشكاة واحدة وتعتضد من نواة
 واحدة هي جهاز التحويل، الذي يبني على المنطق في أفانين التحويلات المختلفة: التقديم
 والتأخير أو الزيادة أو الاستبدال بأنواعه أو الحذف في كل اللغات والعربية، إذا ما وازينا
 وحاولنا عرض الإجراءات التحويلية على بنى التراكيب اللغوية، وإذا ما قسنا مدى تحقق
 هذه العمليات التحويلية التي توصلنا إلى النتائج الدلالية والبلاغية التي أردنا توجيه
 التفسير من أجلها- وجدنا إنها تنطبق - بشكل مختلف قليلا لاختلاف جذر اللغات
 ومنطقها، لكنها الأصول العامة تتشارك، وهذا ما يجعل من المنطقية في تصورنا قابلة
 لتحلل بها السر اللغوي الإنساني وعلاقة اللغة بالعقل الإنساني، إذ المفاهيم اللغوية واحدة
 ومستوياتها على مختلف الألسن البشرية والعقل الإنساني واحد، فإذا ما جئنا على المفعول
 به المحول بالحذف من الفعل أو الجملة الفعلية، وجدنا أن من معايير التغيير في نظرية
 النحو الكلي والتراكيب اللغوية "مبدأ الإسقاط من البنية السطحية الصوتية؛ فالحذف لغة
 عند "العلماء هو إسقاط جزء الكلام أو كَلِّه لدليل"⁽¹⁾، وهذا المبدأ هو إننا إذا تصور وجود
 عنصر في موقع معين، فإنه -حينئذ- في مكان ما في التمثيل التركيبي، إما بوصفه
 مقولة ظاهرة، يعبر عنها صوتيا، وإما بوصفه مقولة فارغة، لا يتحدد لها أي شكل صوتي
 له اتساق مع العنصر الآخر الموجود في البنية الكلية، وإن كان وجودها يؤثر على الشكل
 الصوتي، ويمكننا التمثيل لذلك في اللغة العربية "⁽²⁾، بالنموذجين الذين انتخبناهما:

(1) تنبيه: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة-حذف-.

(2) ينظر، حسام بهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، دراسات تطبيقية، ص23.

1- الطالبة التي "أكرمتها"؛ فالضمير العائد"ها في بنية المركب الفعلي يشغل محل المفعول به بوصفه ضميرا ظاهرا أي معبر عنه صوتيا بالنطق ويمكن أن نوسع القول فنقول له وظيفة صوتية في البنية السطحية التي تتحقق بالنطق وتدر النتيجة النحوية والبلاغية للبنية أكرمتها مع ما سبق إذ هي جملة صلة الموصول التي المتواشجة مع الاسم "الطالبة".

2- الطفل الذي "نصحت ج"؛ حيث يعبر الأثر ج، عن الموقع: مفعول به "مقولة فارغة، لا يعبر عنها صوتيا"، وليس هذا فحسب بل ما تطلب بعد الصوت أو عدمه من تحقق الوظيفة النحوية التي لها توجيهها الدلالي في الكلمة أو الفعل أو الجملة، فالصوت هو نطقيا صوت ولكنه حرف والحرف إذا جاء بعد الفعل بوصفه ضميرا شغل حتما الوظيفة مفعول به فنشرح تحويليا معنى فارغة أنها خالية من الاستمرار الصوتي ثم النحوي ثم الدلالي إلى الفهم، هذا ونمنح نموذجا عرض في المسألة الثانية من مسائل التحويل بالحذف: "وفيها يسجل حذف المفعول به إذا كان ضميرا في الوحدة الإسنادية الوظيفية قوامها الموصول الاسمي الواقعة في الفاصلة القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْدَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (الفرقان/41)؛ أي بعثه الله رسولا"⁽¹⁾. وفي هذا المثال القرآني الكريم تحققت المسألة الثانية في حذف المفعول به كما يرى رابح بومعزة بعد المسألة الأولى أي مجيئه محولا بالحذف بعد نفي العلم؛ حيث نجد آيات كثيرات تنتهي بالجملة الفعلية (يعلمون)، أو (لا تعلمون) دون أن يذكر للفعل واحد من مفعوليه"⁽²⁾، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن لَّبِثُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون/114)؛ أي لا تعلمون "كم لبثتم في القبور"⁽³⁾، أو أن مفعولا (يعلم)، أو (تعلمون) محولان بالحذف من البنية السطحية اللاحقة للفعل وهما في تقدير سياقي للآية

(1) ينظر، رابح بومعزة، نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، ص72.

(2) رابح بومعزة، تيسير تعليمية النحو، ص91.

(3) البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان البلخي، ج2، ص406.

السابقة واللاحقة وهما لا تعلمون لبيتمكم كم، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (المؤمنون/112)، قيل: يعنى في القبور. وقيل: هو سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا⁽¹⁾، و"أي لو كنتم تعلمون لعلمتم أنكم ما لبيتم إلا قليلا، فيقتضي الامتناع أنهم ما علموا أنهم لبثوا قليلا مع أن صريح جوابهم يقتضي أنهم علموا لبثا قليلا، فالجمع بين تعارض مقتضى جوابهم ومقتضى الرد عليهم إنما يكون باختلاف النسبة في قلة مدة المكث إذا نسبت إلى ما يراعى فيها، فهي إذا نسبت إلى شبهتهم في إحالة البعث كانت طويلة وقد وقع البعث بعدها فهذا خطأ منهم، وهي إذا نسبت إلى ما يترقبهم من مدة العذاب كانت مدة قليلة وهذا إرهاب لهم"⁽²⁾، وأظهر هذا الأمر بتعقيبه في الآية الموالية: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون/115)، "وهذا كله دليل على استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة"⁽³⁾.

وكما في قوله: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدثر/11)، وكما في قول الشاعر:
[ما الله موليكَ فضل فاحمدنه به *** فما لدى غيره نفعٌ ولا ضررٌ]⁽⁴⁾؛ إذ يكون شرط جواز - اختيار - حذف العائد "المنصوب"، أن يكون متصلا منصوبا بفعل تام أو بوصف نحو: جاء الذي ضربته، أو قرب الذي خشيته، والذي أنا معطيكه درهم⁽⁵⁾.

مما سبق يتعين علينا وقد أنعمنا النظر مليا في منطقية تغاير اللغات بتغاير أصواتها وحروفها وصورها النطقية، أنها تشترك في منطق وجود هذه البنى وتقارب الوظائف لديها، فلو أبدلنا ج المقولة الفارغة بحرف في لغة أخرى فرنسية أو إنجليزية أو إسبانية، صينية أو أية لغة أخرى بل حتى في بعض اللهجات لحل محل المقولة الفارغة

(1) القرطبي، تفسير القرطبي، ج12، ص155.

(2) طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص108.

(3) القرطبي، تفسير القرطبي، ج12، ص155.

(4) حسام البهنساوي، المرجع السابق، ص24 و ص25.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص271.

حتى ولو كان بنية أكثر من حرف أو حرفين؛ لأن مفهوم الحرف والأداة في اللغات مختلف ومتعدد وحتى في العربية ذاته، إذ نقول: "أ" و"هل" حرفا استفهام هما اسما استفهام، لكنهما معبر عنهما بأنهما حرفا الاستفهام فقط والباقي أدوات أو أسماء رغم أن "هل" في بنيته حرفين، لكن بالنظر إلى الإطلاق الكلي الذي يراد به الجزء والتداول في الإطلاق، والوظيفة التي يشغلها كما تشعل الحروف وأصل التسمية حرف من الناحيتين النحوية والصوتية ومن الصورة الشكلية والنطقية فهو حرف واحد، فأسماء الاستفهام كلها هي: الهمزة، وهل، وهما حرفان، و: ما- من- أي- كم- كيف- أين- متى- أيان- أنى. وهذه كلها يطلب بها التصور فقط دون التصديق ويليها المسؤول عنها⁽¹⁾.

ونحن في استخراجنا لنماذج عنصر المفعول به من البنى التركيبية التحويلية القرآنية في ريع مريم، سنشير من حين إلى حين إلى وظائف هذا المبدأ مطابقين هذه العملية مع عملية التوجيه الدلالي للبنى التركيبية التحويلية، وهناك بعض البلاغيين قالوا بأن لا يحذف العنصر النحوي إلا اقتضارا على وجود دليل يفهمه السامع والمتكلم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (القصص/62)؛ أي تزعمونهم شركائي⁽²⁾.

ثانيا- صور التحويل بحذف المفعول به في ريع مريم:

وبما أن المفعول به هو فضلة في الشكل وليس في المضمون، أي هو ليس من عنصري الإسناد الفعلي الفعل والفاعل، فبهما تتحقق عملية الإسناد للجملة الفعلية، إلا أن العلماء أسموه فضلة، ولا يمكن الاستغناء عنه إذا كان الفعل متعديا إلى واحد أو أكثر، وسنبيّن صورته الوارد عليها بعد أن "رأى بعضهم أن هذا المفعول به قد يعرض للتحويل

(1) ينظر: عزيز خليل محمود، المفضل في النحو والإعراب؛ إعداد بأسلوب سهل متطور مع الشواهد الإعرابية، الجزء الثالث، الحروف والظروف والأدوات، دار نوميديا للنشر والإشهار، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 1987، ص10-11.

(2) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، ص44.

بالحذف⁽¹⁾. وقد ورد في كامل الربع المدروس 248 مرّة، موزّعة على اثنتي عشرة (12) صورة:

الصّورة الأولى: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميرا للجمع المذكّر الغائب "هم": نحن نعلم أن الضمائر العائد حذفها أو إضمارها اختياري وليس إجباريا فييسر أن نقول: ممن حملناهم مع نوح، وممن هديناهم واجتبيناهم. وقد حسب وروده بخمس مرّات؛ وذلك في الشعراء 72 والقصص: 62، 76. وطه 79، والنور 58، ونقف على هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنِ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم/58)؛ إذ تقدير الكلام - في البنية العميقة - وممن حملناهم على السفينة مع نوح عليه السّلام؛ أي نجيناهم مع نوح، وكذلك وممن هديناهم واجتبيناهم، فالضمير هم المتكرر في بنية الغياب، والإضمار المقدر منطقيا في البنية العميقة الغائب عن البنية التحويلية أو السّطحية هو المفعول به في "حملنا، وهدينا واجتبينا"؛ أي حملناهم وهديناهم واجتبيناهم.

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (التور/19): يمكن أن يكون مفعولا الفعل يعلم وتعلمون محوّلين بالحذف إذا أنزلا منزلة الأفعال اللازمة؛ لأن ما نصب مفعولين من أفعال القلوب، جاز فيه حذف مفعوليه معا، وحذف أحدهما لدليل، فمن حذف أحدهما قول عنتره: [ولقد نزلت، فلا تظني غيره *** مني بمنزلة المحبّ المكرم]؛ أي فلا تظني غيره واقعا، ومن حذفهما معا قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

(1) رابع بومعزة، تيسير تعليمية النحو، ص 91.

(القصص/62)؛ أي تزعمونهم شركائي، ومن ذلك قولهم: "من يسمع يخلّ" من يسمع يخلّ ما يسمعه حقاً⁽¹⁾ قد وقع.

الصورة الثانية: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميراً للمفرد المذكر الغائب "ه":

فالتوجيه الدلالي لحذف المفعول به في الجمل التحويلية من القرآن الكريم، هو أن القيمة النحوية والوظيفية التي يحملها المفعول به بوصفه فضلة، أي إضافة على ركني الإسناد الفعلي له بلاغة وقيمة في الذكر، وله بلاغة وقيمة في الإخفاء أو الحذف، ولذلك قلنا في عنصر التحويل بالحذف إن له بلاغة غير بلاغة الذكر، ويجب أن يكون النظر للتلقي في القرآن الكريم عميقاً وأن يدرك القارئ للقرآن بعقله وبمنطقه المحذوفات، بل تعلمنا القرآن إذا دأب على اتخاذ شكل من التحويل بالحذف في الجمل، أن ندأب على استذكار هذا الشكل في كل آية مشابهة، فهو يشركنا في التلقي وصنّه العناصر المنطقية في السرد والوصف والتخييل، "فدلالة الحذف أنه يعوّل فيه على النفس في إدراك المعنى؛ وذلك بتصفية التركيب عن ألفاظ يفاد معناها دونها لدلالة القرائن عليها، فسياق النص القرآني في الآيات يفضي إلى هذا المحذوف.⁽²⁾

ويشير إليه بمنطق اللغة العربية واستكناه ظروف السياق الذي جاءت فيه الآية، ولعملية التحويل بحذف المفعول به توجيه دلالي؛ إنّ له أغراضاً وأسباباً يحذف من أجلها، ولا يظهر في البنية السطحية مع تحقق وجود في الواقع أو في الحقيقة.

وقد أحصينا وروده في الربع المدروس 114 مرة؛ ونعرض له كما يلي: في سورة طه 122، وفي الأنبياء ورد في الآيات: 100، 110، 112، 3، 18، 22، 100، 109، 111، 112، أمّا في سورة الحجّ فورد في الآيات: 10، 18، 18، 52، 53، 73، 2، 5، 47، 88، وفي سورة النور فكان في الآيات: 24، 26، 28، 29، 30، 53، 64، أمّا في

(1) الغلابيني، جامع الدروس العربية، ص7-8.

(2) ينظر: عاطف فضل، ظاهرة الحذف في اللغة العربية، ص300.

المؤمنون ففي الآيات: 23، 32، 36، 43، 97، 78، 80، 67، 78، 85، 91، 93، 92، 96، وورد في سورة النمل في الآيات: 24، 93، 90، 88، 74، 62، 59، 32، 25، 25، وورد في سورة الفرقان في الآية 14، أمّا في سورة الشعراء ففي الآيات: 43، 45، 75، 92، 112، 132، 169، 188، 206، 211، 216، 226، 227، وورد في القصص في الآيات: 6، 26، 57، 60، 69، 69، 73، 84، وفي العنكبوت في الآيات: 2، 7، 8، 13، 16، 40، 41، 54، 53، 30، 66، 55، وفي فاطر 14، 37، 12، 11، 8، أمّا في سورة سبأ فورد في الآيات: 43، 33، 25، وفي الأحزاب 26، وفي لقمان 15، 23، وفي السجدة في الآيات: 19، 17، 16، 5، وفي الزّوم في: 56، 46.

والمثال المشروح بالتحليل والاستفاضة هو في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الحج/10): وتقدير المفعول المحول بالحذف هو "الهاء" الضمير العائد على عمل الذي اقترف الذنوب، وتقدير ذلك بما قدّمته يداك، إذن فالضمير منصوب محلاً؛ لأنه مفعول به.⁽¹⁾

الصورة الثالثة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميراً للمفرد المتكلم (الياء/ي):

فقد ورد 33 مرّة في كامل الربع المدروس على النحو الآتي: في الأنبياء في الآيات: 37، 92، 25، 25، 92، وفي الشعراء في الآيات: 12، 11، 14، 62، 78، 79، 20، 81، 110، 108، 117، 226، 231، 244، 150، 163، 179، وفي سورة المؤمنون في الآيات: 52، 87، 98، 99، 108، 26، 39، وفي القصص في الآيتين: 33 و36، وفي العنكبوت في الآية 56.

كما في قوله عزّ من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/25): المفعول المقدر المحول بالحذف هو "ياء" المتكلم الذي

(1) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج7، ص293.

هو الله عز وجل فاعبدوني، وهو مبني على السكون في محل نصب مفعول به وحذف للوقع القرآني؛ إذ وقف عليه؛ أمّا إذا وصل الكلام فتلحق الياء بالفعل؛ ونلمس خصيصة بلاغية في القرآن الكريم في مثل هذه المواضع، فكأنّ المعلوم في العبادة الوحيد هو الله؛ فحين يقول: (فاعبدون) فمعناها فاعبدوني.

الصورة الرابعة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء مقدراً بلفظ الجلالة (الله):

وقد عدناه 14 مرّة وذلك بهذا الشكل في الآيات: 106، 124، 142، 161، 117 من سورة الشعراء. و 12 من لقمان. و 443، 113 من طه. و 84، 81، 106 من الأنبياء. و 36 من الحج. و 53 من النمل.

ومثاله في قوله عزّ وعلا: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه/44): المقدر الأقرب إلى مفهوم التفسير والمنطقي المفعولية هو لفظ الجلالة الله؛ إذ لا يخشى إلا الله. فالله مفعول به منصوب مقدر للفعل يخشى الذي يعود وقوعه المترجي بلعلّ؛ لأنه لن يخشى على فرعون.

الصورة الخامسة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميراً للمفرد المتكلم (الياء/ي): المثال

الصورة السادسة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة هو مقدّر من السياق أو بقرائن الكلام:

وقد ورد 73 مرّة على التوارد الآتي: طه في الآيات: 65، 74، 77، 80، 92، 116، 117، 123، 50، 46، 48، 61، 14، 88، 92، 99، 115. أمّا في الأنبياء فورد في: 20، 28، 31، 38، 66، 67، 68، 93، 8، 114، 21، 31، 46، 47، 59، 94، 61، 79، 84، 87، 97، 66، 67، 68، 93، 94. وفي سورة الحج في: 5، 16، 15، 24، 42، 52. وفي سورة النور في: 5، 19، 35، 51، 50، 52، 28، 29. وفي سورة

المؤمنون في: 29، 30، 36، 38، 47، 59، 62، 64، 67، 94، 106، 113. وفي النمل في: 55.

ويختلف التحويل من آية إلى أخرى، ومن بنية تركيبية محوِّلة غلى أخرى وهنا يحسن بنا التنبيه على أن الحذف ملمح من ملامح الإيجاز واختصار الكلام و اشتمال ما لا يمكن عدّه أو إحصاؤه، وهذا مظهر من مظاهر إعجاز اللغة في احتوائها على كلم كثير لا يمكن ذكره؛ إذ المقام لا يقدر عرضه في البنية السطحية للكلام، ففي الآية الكريمة التي تقدّمها مثالا اتّساع للمفعول به؛ إذ لا نقدر أن نعدّه مطلقا حسب الآية وهي قوله العليّ: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (طه/50)؛ أي هدى مفعوله محذوف لما تشير إليه القرائن السابقة التي قد نعطفها على أعطى كل شيء خلقه أو خلقه ثم هدى، وفي هذا الحذف إيجاز بلاغي كثيف؛ إذ لا يمكن تعداد كل المخلوقات وجبلاتها والصور التي هداها إليها في حياتها ومشربها ومأكلها وكيفية تناكحها وتوالدها، وفي التفسير "ثم هدى الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك"⁽¹⁾.

ونقدر أن نعربها "ثم هدى عطف على أعطى أي أعطى كل شيء صورته، أفرغه في مسلاخه الخليق بما نيظ به من خصائص ومنافع، وهدى كل مخلوق إلى ما خلق له، وكما أسلفنا في هي "ثم هدى" إيجاز طويل لأنه حذف جملا لا يقع عليها الحصر، لأنه ليس بالمتاح إحصاء المخلوقات الحية وغير الحية العاقلة وغير العاقلة التي خلقها الله، ولكل منها عمله الميسر له"⁽²⁾.

وهذا الإيجاز المُوعى به هو من أغراض الحذف في قواعد بناء الجملة الفعلية العربية وفيه بلاغة الإعجاز، فكيف يحتوي كلمة على جمل ليس لها حصر لا في البنية الظاهرة ولا البنية الباطنة، وهذا عين التحويل الذي هو احتواء العناصر الكثيرة والعديدة

(1) تفسير الجلالين، ص314.

(2) ينظر محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج16، ص686، 688.

بوصفها عنصرا واحدا كالمفعول به لفعل، ثم هدى في كلمة واحدة مقدرة في البنية العميقة للتركيب التحويلي الفعل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ (طه/56): فأبى مفعوله محول في بنية العمق بأنه مستبدل أي تقدير المفعول المحذوف أن يكون: أن يوحد الله تعالى أي أبى توحيد الله تعالى فتوحيد المحول بالاستبدال هو في محل نصب مفعول به محذوف في التركيب التحويلي الفعلي أي جملة الآية، أو فأبى الإيمان بها لفرط تجبره، وقيل فكذب الآيات والتي ذكرناها سابقا وهي الآيات التسع لموسى، والآيتان الأخريتان العصا ونزع اليد، ورفض قبول الحق.⁽¹⁾

وكما في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/25): أي غمنا.

وفيما سبق فإن الجمل التحويلية للآيات الكريمات: 23، 24، 25، من القصص لم يظهر المفعول، فوظيفة الخفاء له لها دلالة أن "التأكيد في الفعل ونسبته إلى الفاعل سيدنا موسى كما يقول الزمخشري"⁽²⁾، وهذا لتقل المعنى في سرد قصة موسى على الفاعل وهو البؤرة وهو النواة فلا يصرف المعنى إلى المفعول به والالتفات إليه إلا إلى الفاعل؛ لأنه مدار الأحداث والتركيز فيه هو من قبيل تبيان قيمة أفعاله المحمودة والإيجابية في القصة.

⁽¹⁾ ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، المرجع السابق، مج7، ص108.

⁽²⁾ ينظر: عاطف فضل، ظاهرة الحذف في اللغة العربية، ص291.

الصورة السابعة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميراً للمفرد الغائب المؤنث (ها/هـ):

أحصيناه 9 مرّات، و السور التي تحتوي هذا التحويل هي: الشعراء في الآية 19، والقصص في الآيتين 29 و 43، والرّوم في الآية 28، والنور في الآية 61، وفي النمل في الآيات 4، 7، 54.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَفَعَلَتْ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الشعراء/19)

وما نستدل به من تقدير المفعول به المحذوف من سياق الآية ما عقب به الله عز وجل؛ إذ قال: ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (القصص/20).

الصورة الثامنة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميراً للجمع المخاطب المذكر (كم):

وقد ورد في 30 من المؤمنون، و73 من الشعراء، و59 من النور؛ أي ثلاث مرات (3). ومثاله قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (المؤمنون/30)، أو في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (الشعراء/73).

الصورة التاسعة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميراً للمثنى الغائب (هما):

ورد في 47 من النور، وهي قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾.

الصورة العاشرة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء ضميراً للمخاطب المفرد (الكاف/ك): وهو في 28 من سبأ، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ وتقدير البنية التوليدية يعلمونك مرسلًا إليهم.

الصورة الحادية عشرة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة قد يكون شبه جملة، ظرف مكان (فيه):

وهو في سورة النمل في الآيتين: 48، 76، والمؤمنون في الآيتين: 103، 104، والشعراء في الآية: 152. ومثاله في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (النمل/48).

الصورة الثانية عشرة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة قد يكون شبه جملة (لنا) (لنا): ورد على الصورة الأولى في الآية 136 من الشعراء، وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (الشعراء/136) وهو مفعول به محوّل بالحذف لاسم الفاعل؛ لأنه يعمل عمل الفعل، وتقدير البنية التوليدية (من الواعظين لنا). أو يكون (عليه) هو المفعول به المحوّل بالحذف كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ (الأنبياء/61): فالمفعول المحول بالحذف هنا يكون، على الأرجح، " عليه بفعله ويشهدون عقوبته"⁽¹⁾، أي عقوبته هو المفعول به المنصوب. وفي الثانية في الآيتين: 80، 106 من سورة الأنبياء، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء/80)، له صنيعة وفضله المغدق عليهم، وقد يكون هو من باب المفعول به المحوّل بالحذف المقدّر من سياق الكلام فيكون (صنيعة أو فضله أو كرمه أو علمه).

(1) البلخي، التفسير، الجزء 2، ص 363.

4- التحويل بحذف الجملة الفعلية والدلالة التحويلية:

أ-منطق تحويل الجملة الفعلية العربية بالحذف:

إن الجملة الفعلية هي- في الأغلب- الفعل وفاعله، أو الفعل والاسم الذي ينوب عن الفاعل "نائب الفاعل" إذا كان الفعل لازماً أما إذا تعدّى الفعل فتحتاج بنية الجملة الفعلية إلى المفعول به، أو مفعولين أو أكثر مع بعض أفعال التحويل والتّصيير، وما إلى ذلك، أو قول مؤلف من مسند ومسند إليه، فهي والمركّب الإسناديّ شيء واحد مث: جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً⁽¹⁾ و"الفعلية ما تألفت من الفعل والفاعل مثل سبق السيف العذل"⁽²⁾، "قد تضم الجملة الفعلية مفعولاً به أو مضافاً أو غير ذلك من الكلمات مثل: يسود المرء في قومه بأدبه وتهذيبه"⁽³⁾.

والنوع الذي نستوضحه-بإذن الله تعالى- هو حذف الجملة الفعلية من اللغة في بنيتها الظاهرة، وكيف تصرف الدلالة الجمالية والسياقية التحويلية؛ ففي القرآن الكريم تعج السور الكريمات في "ربع مريم" بهذه الظاهرة التحويلية، وسنمثل لذلك باستخراج النماذج التركيبية التي تحوي صوراً عن الجمل الفعلية المحولة بالحذف، ونلمح إلى إشعاعات المعنى؟، وتأثير ذلك في السياق القرآني كله، وفي دلالة البنية اللغوية، وينطبق هذا النموذج من التحويل بالحذف، مثلاً على الآية الكريمة الجليلة ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (الأنبياء/3)، فهي جملة فعلية تحوي فعلين ماضيين، وهي مركبة محولة بالحذف الواقع على مكوّني الإسناد "الفعل والفاعل"، فبنيتهما العميقة "قالوا" فتصبح قالوا هل هذا إلا بشر مثلكم، وجملة الآية الكريمة جملة إسنادية اسمية، مؤكدة بالقصر الناهض على حرف النفي "هل" التي معناها

(1) ينظر: الغلاني، جامع الدروس العربية، ص284.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص284 .

(3) علي رضا، المختار في قواعد النحو والإعراب، كتاب وضع للمتقنين كافة، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان،

د ط، د ت، ص32.

"ما" والمبتدأ "هذا"، وأداة الحصر "إلا"، والخبر "بشر" والنعته "مثلكم"، وهذا في سياق الجملة المفسرة لمضمون الجملة التي قبلها "أسروا النجوى الذين ظلموا".⁽¹⁾

فإذا كان الفعل لازماً، أي لا يتجاوز إلى مفعول أو مفعولين يمكن أن تكون جملة فعلية في بنية خفية في الذهن مقدرة، والقرائن علائم على ذلك كما في قول أبي القاسم الشابي في البيت الآتي من قصيدة "صلوات في هيكل الحب":

عيشة للجمال، والفنّ، والإلهام *** والظهر، والسنى، والسجود⁽²⁾

فتقدير الكلام أعيش عيشة فهي أي عيشة مفعول مطلق مبتدأ به في ناصية البيت؛ أي مستهله، أعيش فعل مضارع مجرد من عوامل الجزم والنصب فهو مرفوع بضمة في آخره والفاعل ضمير مستتر وجوبا أو إلزاما تقديره أنا فبنية التركيب متكونة من جزء ظاهر له دلالة ظاهرية وجزء باطن وهو الفعل أعيش إضافة إلى فاعله الضمير المستتر.

أو في قول الشابي أيضا:

بسمة مرّة، كأني أستلّ *** من الشوك ذابلات الورود⁽³⁾

فتقدير الكلام أبتسم بسمة مرة وتخريج حذف الفعل والفاعل من التركيب المنبسط والظاهر والمقدر المحذوف بحكم القرائن فعل "أبتسم".

وللترسخ أكثر نسوق مثلا ثالثا أيضا من شعر الشابي في بيته:

متكّلا بالورد ينثر للورى *** أوراق ورد "اللذة" المنصور⁽⁴⁾

(1) ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم، ص 75-76.

(2) القصيدة مبتدأة بالبيت: عذبة أنت كالطفولة كالأحلام *** كاللحن كالصباح الجديد. ينظر: أبو القاسم الشابي، الديوان، قدم له وشرحه أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص62.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) أبو القاسم الشابي، الديوان، ص186.

وكلمة منضور من النضرة وهي الخضرة والإشراق والبهاء وتقدير الكلام يجيء متكلا أو يقدم أو يكون فمتكلا حال منصوبة قبلها فعل وفاعل محذوفان تبعا لاحتياج البيت الشعري ونفسه ومعناه ودلالات الحذف المنعكسة على التركيب والبنية. ننطلق من منطلق الأصل في بناء اللغة العربية والمنطق الذي يشمل المنطق الأصلي لمواقع اللفظة أو العناصر النحوية وظهورها وعدم ظهورها في التركيب اللغوي الفعلي أو الاسمي فنقول إن الأصل في الفعل: "أن يذكر ، وقد يحذف أو يحول بالحذف أو الإضمار إن دلت عليه القرينة؛ قال الله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ {36} رِجَالٌ ﴾ (النور/36-37)؛ أي على قراءة من قرأ بعرض سؤال بعد خبر التسبيح فقال من يسبح لله، أو من يسبح له، فقال: يسبحه رجال"⁽¹⁾، ثم يعدد أوصافهم لا تلهيهم الخ؛ أي الفعل المقدر دلت عليه قرينة وجود فعل مثله.

وهذا البناء التحويلي المقدر في نظام البنية في هذه السورة وغيرها إنما يثيره تعاور العوامل التداولية أو الاقتراحات التي تتداخل - في نظرنا - مع وجوبية تعدد القراءات للقرآن الكريم، بل وتغطي الحاجة إلى الفهم التواتي للمعنى الكامن في السورة، انطلاقا من استئثار قرائنها كلها واقتفاء بنية تركيبية تحويلية محولة بحذف الفعل الذي هو فرع لبنية سطحية تتشكل بهذه العملية التحويلية بنية عميقة.

ونحن نسعى إلى التوجيه الدلالي للبنية التركيبية الحاصل فيها عمليات التحويل بحذف الجملة في بنية الاستغناء أو الحذف، فنريد أن نعرض لمسألة الحذف بعد العطف، أي بعد أدوات العطف، إذ تحتل لغة القرآن ذلك بل تعج به وفي النظرية اللسانية النصية العطف وأدواته، بل والواو وأو وأم ولا وثم والفاء، أي الأحرف التسعة بمعانيها المختلفة، نعرض لأقوال العلماء فيها، ولا سيما أن اللسانيات النصية تعند على النظرة "الجشتالتية"

(1) ينظر: محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر، دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفق قرارات مجمع اللغة العربية، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، 1996، د ط، ص 64.

في علم النفس للبنية الكلام المشكل من جمل والقرآن مشكل من جمل يعضد بعضها البعض، وتتوافر على تداخلات وتناسقات سردية ووصفية تندمج بوساطة الحذف، والحذف عند العلماء حذف جملة القسم وجملة جواب الشرط وجملة أخرى، بل حذف أكثر من جملة وللمعنى الدلالي لعطف الجمل ظاهراً وخفية أو معا على بعضها، واجتناءاتها البلاغية، يقول ابن يعيش: "هو ربط بعضها ببعض واتصالها، وإيدان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى، والأخذ في الجملة الأخرى ليس من الأولى في شيء، وسبيل ذلك إنما يكون بالأداة؛ إذ الجملة الثانية أجنبية من الأولى غير ملتبسة بها فلم يكن بد من الأداة فربطها بها، ولو كانت ملتبسة بها ولو كانت صفة لها نحو - مررت برجل يؤذن، أو حالا نحو - رأيت زيدا يكتب لما احتاجت إلى الأداة لربطها بها"⁽¹⁾.

وسيبيويه يعترف بالعامل المحذوف الذي أقرّ به أبو عليّ الفارسي، ويقرّ دلالية التحقق البلاغي للجملة بعد الجملة الظاهرة والأداة المستوجبة في منطق الذهن الوجود التواشجي للجملتين إذا تشكلان معطوفتين بنية تركيبية تحويلية؛ لأن الحذف عنصر من عناصر تحقيق التحويلية، "فالعامل في المعطوف هو المحذوف عند أغلب النحاة الذين يقصون نسي سيبويه، مثال ذلك ضربت زيدا وعمرا فالمراد ضربت زيدا وضربت عمرا فحذفت الثانية لدلالة الأولى عليها، وبقي عمله على ماكان، وصنوه في الآية القرآنية الكريمة وهو كثير: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم/21)؛ إذ المراد في إعمال الأداة "و" على المعطوف المحذوف ولنجعله آية للناس، ولنجعله رحمة منّا، وهنا التمايز الدلالي المقترح للجملة الفعلية المعطوفة لمعنى اللفظة الدالة عليها فقط يكون المعطوف المحذوف يختلف عنه مطابقة، إلا أنه معطوف كما في لنجعله، أي لكي، أو لأن نجعله، أو لجعله، والثانية مادم اللفظة رحمة منّا، أي وجعلناه رحمة منّا لأن قدر الجعل كان منتظما ومحققا، والله قد أقر كتابه على

(1) ينظر: علي أبو المكارم الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 2008، ص223.

الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين زمنا وعلى كل الصعد، فناسب ذلك الماضوية لاقتراح ما هو مماثل بعد أداة العطف لكنه من قبيله ويفرق عليه في الزمن، وهذا تنوع في الحقائق الدلالية الخفية المنطقية والتي تعود إلى أصول اللغة العربية ومنطق نحوها وفيوض في الدلالة المقطوفة منها وهذا ما يتميز به القرآن الكريم أولا واللغة العربية ثانيا.

وفي الكتاب لسببويه حديث عامر بعلل الحذف في الجملة ومنها حذف الجملة كاملة لما يوافق قرائن البنية الظاهرة في الكلام "ويعلل ذلك بكثرة الاستعمال، وعلّة الرجوع إلى المعنى، وهي من العلل الدلالية، فإذا كانت كثرة الاستعمال يجعل الناطقين يختصرون في كلامهم فيحذفون فإن هذا الحذف يتم شريطة عدم انتقاض المعنى، ففي قول العرب: أخذته بدرهم فصاعدا، فأصل التركيب: أخذته بدرهم فزاد الثمن صاعدا، فأصل هذا الأسلوب الفعل لكثرة استعمالهم إياه و قد أمنوا عدم دخول الباء على قولهم صاعدا لأنها صفة لا تقع موقع الأسماء فلو دخلت عليها الباء لكان قبيحا في الكلام، والقبح-هنا- يعني ضعف الأسلوب، يقول سيبويه في باب ما ينصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي: وذلك قولك أخذته بدرهم فصاعدا، وأخذته بدرهم فزائدا، حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه، ولأنهم أمنوا أن يكون على الباء لو قلت: أخذته بصاعد كان قبيحا؛ لأنه صفة ولا تكون في موضع الاسم كأنه قال: أخذته بدرهم فزاد الثمن صاعدا، أو فذهب صاعدا"⁽¹⁾.

ب- التوجيه الدلالي صور الجملة الفعلية المحولة بالحذف في رُبع مريم:

صور الجملة المحولة بالحذف والمقدرة وصلا على معطوف لأداة كالواو أو ما ضارعها وتوجيهها الدلالي: ومن أمثله وهو كثير نحصر ذكرها في بعض الأمثلة المحللة والموجهة دلاليا: ومن أمثلة الجملة الفعلية التي تحتاج إلى عنصر هذه البنية التركيبية التوليدية التي تحتاج إلى مفعول به ثان للفعل " لنجعله":

(1) ينظر: شعبان عوض محمد العبيدي، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة فاز يونس، بنغازي- ليبيا،

المثال 1- ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم-21)، تتداخل التفسيرات وتأويلات الجمل الفعلية المقدره في البنية العميقة التي تنهض عليها بنية الآية السطحية، إذ يكون هناك جملة: ولنجعله بعد حرف الواو العاطفة وقبل رحمة وتقدير الكلام في تركيب الآية التحويلي ولنجعله آية للناس ولنجعله رحمة منا، ويقدر المعربون للقرآن الكريم جملة فعلنا ذلك تفسيراً للآية ولحدث جعله آية للناس، أو "هو معطوف على مضمرة؛ أي لنبيّن به قدرتنا"⁽¹⁾، وكذلك جملة "ليهدتوا بهداه؛" أو نعمة لمن تبعه على دينه"⁽²⁾؛ لأن السياق يتطلب ذلك، فالرحمة تستوجب الهداية حتى تتحقق من لدن الله عزّ وجلّ، ولمعالجة مقام إقناع مريم بفعل حملها بعيسى عليه السلام بعد ان تحسرت على هذا الحمل وخشيت قومها فيه، وإقناع المتتبع لقص السورة وقراءة القرآن الكريم قدر الجملة" فعلنا ذلك.

المثال 2: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه-73): الواو عاطفة، ف"ما" تعرب في محل نصب مفعول به للفعل "ليغفر" المحول بالحذف والذي استوجبته قرينة الفعل ليغفر إطلاقاً من الواو العاطفة، وهذا مذهب يقتضي مساواة عملية التحويل بالحذف عندنا، وهو كما قال صاحب التبيان في إعراب القرآن" قوله تعالى: ﴿وما أكرهتنا﴾ في ما وجهان؛ أحدهما هي بمعنى الذي معطوفة على الخطايا، والآخر هو أن البنية التركيبية "وما أكرهتنا" عليه من السحر مسقط وحطوط وغير مأتي"⁽³⁾؛ إذ يحتاج - لتكتمل جملته أتمّ الاكتمال- مفعولاً به للفعل يغفر المحول بالحذف المقدر هنا عندنا.

المثال 3: في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (النمل/12): تقدر جملة فعلية مكونة من

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم، مج16، ص584.

(2) البغوي، معالم التنزيل، الباب21، ج5، ص224.

(3) ينظر: العكبري، التبيان، ج2/898.

فعل الأمر "أذهب" والفاعل المستتر إجباراً "أنت" يعود على الذي تكلم معه الله وهو سيدنا موسى؛ لأنّ السّياق مع موسى؛ وهي أي الجملة محولة بالحذف من التركيب التحويلي الظاهرة وراسخة في الفضاء التقديري العميق له، وهي "أذهب" أي شبه الجملة "في تسع آيات" تركيباً متعلقاً بمحذوف، أي أذهب في تسع آيات، أو يضمّر فعل "افعل هذا في تسع آيات" كما قال صاحب كتاب "معاني القرآن" (1). في اقتضاب وحذف تقديره الفعل نمهد أو نسيّر ذلك لك في جملة أي مجموعة "تسع آيات"، وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والحجر.

وفي هذين الأخيرين اختلاف والمعنى تجيء بهن إلى فرعون وقومه، ويحسن أن يضمّر الفعل في الكلام قرأنا كريماً كان أو شعراً أو غيرهما... لمعرفة السامع أو المتلقي، هذا الفعل من القرائن الموجودة في لغة الخطاب الظاهرة وتركيبه، مثال ذلك ما ألمع إليه الفراء إذ قال: "ثم قال ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾، ولم يقل: مرسل ولا مبعوث؛ لأنّ شأنه معروف أنه مبعوث إلى فرعون. وقد قال الشاعر: رأيتني بحبليها فصدت مخافة*** وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق «3». أراد: رأيتني أقبلت بحبليها: بحبلى النّاقة فأضمر فعلاً، كأنه قال: رأيتني مقبلاً، وقوله: ﴿وَالِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ نصب بإضمار (أرسلنا)؛ وتقدير البنية المضمرة وهي العامل في نصب "ثمود" أرسلنا ثمود أخاهم.

والحقيقة أن كل هذه الأنواع من الأفعال المقدرّة تخدم المعنى وتتحقق في دلالة الجملة وسياق السرد في الآية، فافعل تتحقق بفعل ما طلب الله من موسى أن يفعل في قومه.

قبل أن نعرض الصور ونوجّهها دلاليًا، نستحب الإشارة إلى أن الجملة الفعلية التي نقصده محوّلة بالحذف هي الفعل والفاعل والمفعول إن كان متعدياً، ولا نقصد تحقّق

(1) ينظر: الفراء (ت207هـ)، معاني القرآن، ج2، ص283.

التحويل بحذف الفعل فقط فهو يغزر في الربع المبحوث، وقد يكون المحوّل بالحذف هو جملتين اثنتين وسنعرض مثالا لكلّ هذه الصور حتّى نجلّي الأمر.

الصورة الأولى: البنية التركيبية للجملة الفعلية الماضية:

1- الماضية المثبتة: وأحصيت 41 مرة، ومثاله في (الفرقان/31) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ و" كفى بربك نصيرا" عطا على "وكفى بربك نصيرا"، والتقدير العميق لهذه الجملة المحولة : كفى ربك، وتحوّل إلى كاف ربك هاديا ونصيرا.

وكما في (القصص/13) وهو قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أو في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكَلِينَ﴾ (المؤمنون/20): والجملة الفعلية المحولة بالحذف مقدره بـ"وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ أَيضًا" (1) شجرة، أو " وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ" (2) شجرة وهي الزيتون، وهذا من منطقية معايير التحويل أن يراعى سياق المقال اللغوي السابق واللاحق، حتّى يتسنى لنا توضع العنصر المحذوف والفعل أو الجملة الفعلية، أو كل عناصر الإسناد التي تتم في توجيه دلالة التركيب اللغوي للآيات، وغيرها ظاهرة ومقدرة، ونعرف أن الجملة حصل فيها تحويل من بنية التوليد، أي الأصلية المحضة حسب قاعدة اللغة إلى بنية التحويل التي هي بنية سطحية تحال إلى البنية الأولى.

2- الماضية المنفية: وردت في سياق القصر أي منفية بـ"ما" وتعقبها "إلا" وهي ورود واحد في قول الله تعالى: وما أرسلنا من قبلك" (الحج/52)، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي

(1) الطبري (224-310)، جامع البيان في تفسير القرآن، مج12، ج17، ص28.

(2) البغوي (ت510هـ)، معالم التنزيل، ج5، ص414.

الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ: عطا على مستهل الآية تم تقدير البنية التوليدية التركيبية الماضوية المنفية وهي و"ما أرسلنا من قبلك من نبي".

الصورة الثانية: البنية التركيبية للجملة الفعلية المضارعية.

1- المبنية للفاعل (المعلوم):

- المضارعية المثبتة: وردت 43 مرة، ومثاله (الأنبياء/90) وهو قوله تقدست أسماؤه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾: يدعوننا رغبا ويدعوننا رهبا.

وفي قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ (الأنبياء/36): وتقدير البناء اللغوي التوليدي للآية الكريمة بالتحويل بذكر الجملة" ويقولون أو قالوا": أهذا الذي يذكر آلهتكم؛ إذ نرجح"، وإذا رآك الذين كفروا يقولون: أهذا الذي، وتكون الجملة المنفية معترضة بين الشرط وبين جوابه المقدر⁽¹⁾ في البنية العميقة للتركيب التحويلي .

- المضارعية المنفية: وردت ثلاث مرات في الآيات الآتية: 73 من الفرقان، و 15 من الحج، و 39 من الأنبياء، ونظيره في قوله تعالى (الحج/15): ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ آمَنُوا فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾: ينصره الله في الدنيا وينصره الله في الآخرة فالجملة الفعلية "ينصره الله" هي التي في تأويل المقدر المحذوف. أو في قوله تعالى: ﴿حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الأنبياء/39): وهنا حذف المقدر الذي هو "يكفون" أي ولا يكفون عن ظهورهم لأن الواو عاطفة فأصل الجملة قبل التحويل حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا يكفون عن ظهورهم المنار إذ مقدر المفعول به في الجملة الثانية وهو النار عطا على البنية التحويلية السابقة التي تظهر فيها النار مفعولا به ظاهرا.

(1) السمين الحلبي، تفسير "الدر المصون في علم الكتاب المكنون"، الباب 36، الجزء 1، ص 3385.

- المضارعية الاستفهامية: كان تقديرها في الآية 42 من الأنبياء، و40 من الفرقان، وفي 17 من الأحزاب، ومثاله قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَكُلُّكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء/42): وهنا فعل محول بالحذف مفهوم تقديره من السياق لأن قرينة العطف تدل عليه وهو "يكلؤكم" أو قل من يكلؤكم بالنهار؛ أي من يكلؤكم بالليل ومن يكلؤكم بالنهار".

2- المبنية للمفعول (لما لم يسم فاعله):

وردت الآية 23 من الحج على هذه الصورة، في قول الله تعالى وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

ملحوظة 1: قد جاء في الآية 67 من الأنبياء الفعل محوّلًا بأنه اسم فعل مضارع بمعنى: أتضجّر وهذا عددناه تحويلا صرفيا؛ لأنّ هذه البنية فهي تحويلية وليست توليدية وهي من "أف" إلى البنية العميقة لها الفعل المضارع "أتضجّر"، وهو قوله تعالى: ﴿وتنزّه أفّ لكم ولما تعبّدون من دون الله أفلا تعقلون﴾، هنا بنية تحويلية داخل بنية تحويلية مقدرة في اسم فعل الأمر أف الذي بمعنى أتضجر والعاطفة الواو هي التي حققت تقديرها في البنية العميقة وتقدير الكلام أتضجر لكم وأتضجر لما تعبدون.

ملحوظة 2: أدرجنا البنية التركيبية التحويلية للآية الكريمة 15 من الروم وهي قوله جلّ وعز: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾.

ضمن نوع من التحويلات جديد دعوانه بالتحويل التبادلي أو التبدلي وهو مفارق عن التحويل بالاستبدال، أو ما كان تحويلين في بنية واحدة وندعوه بالتحويل المزدوج أو الثنائي، فأما التحويل التبدلي أو التّعوضي أو التعويضي، فهو حاصل في بنية صوتية سطحية محوّلة من بنية عميقة لها، وهي ويوم تقوم الساعة التي تضارع، أو تكافئ بنية يومئذ أي التنوين المحوّل بالزيادة في النطق هو عوض على جملة كاملة وهي (تقوم

الساعة)، وهذا التحويل أبصرنا فيه ثلاث أنواع من التحويل بدورها، وهي في الأول "تحويل الإحالة" في إحالة النون المنتحقة بنذ إلى الجملة المحولة بالتعويض، والشكل الثاني هو التحويل بالحذف الكامن في الجملة وهو بابنا هنا، والشكل الثالث وهو "تحويل الزيادة" زيادة بنية النون صوتا أو نطقا وضمة على حرف "الذال-ذ" وهي حرف هو لبّ التعويض، ونضمّنه ضمن التحويل الصوتي، فهذا شكل سنفتح باب الدراسة والتبحث فيه في شق لوحده.

الصورة الثالثة: البنية التركيبية للجملة الفعلية الأمرية (فعل الأمر): وقع وروده في 18 آية من الربع المدروس وقسمناه قسمين:

1- الجملة الفعلية المحولة بالحذف "اذكر + الفاعل": وأحصيناها 10 مرات وهي في الآيات الآتية: 85، 87 من الأنبياء. و37، 38 من الفرقان. و36، 39، 55 من العنكبوت، ونشرح المثال الآتي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت/55):

2- الجملة المحولة بالحذف "أفعال مقدرة تتساقق وسياق البنى السطحية": وقدّرتنا الأفعال الآتية: قل، أطمعوا، ناطقوه أو أسألوه أو كلموه، وسبّحوه، اصنع، ووردت 8 مرات، وهي في الآيات الآتية: 29 من مريم. و 63 من الحج. و 27، 30، 31 من النور. و 17، 42 من الأحزاب، والمثال المعروض هو في الآية (مريم/29)، وهي قوله تعالى وعزّ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: أي أسألوه أو كلموه أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه⁽¹⁾، وهي في تقدير استتباع لجملة فأشارت إليه وهي محولة بالحذف، في محل نصب مفعول به؛ لأنها جملة مقول القول من أشارت. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (المؤمنون/46): "وقلنا، أو فقلنا: اذهبا" إلى فرعون وملئه.. عطا على التتابع السردى الزمني الماضوي، وترابطا مع

(1) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج7، ص24.

معنى الآية أن الله قال "ثم أرسلنا" أي قال لموسى: اذهب رسولا أنت وأخوك هارون إلى قومكما، فتحقق تقدير الفعل اذهب، وهذا مصداقه ما جاء في الآية الكريمة رقم 36 من سورة الأنبياء.

المستخلص هو أن منطق التحويل بالحذف لم يقع على الفعل أو الفاعل أو المفعول به وإنما وقع على الجملة الفعلية الموجهة دلاليا انطلاقا من سياق الآيات السطحية؛ وهذا يؤكد العلاقة المنطقية بين البنية التوليدية والتحويلية لها وأن كلا منهما يدل على الآخر ويحيل عليه، والبنى التركيبية التحويلية هي بنى فعلية مضارعية وماضوية وأمرية أو طلبية إن كانت من الأنبياء أو الشخصيات المذكورة في القرآن في السرد والقصص القرآنيين وليست من الله فتتوعدت صور التحويل بحذف الجملة الفعلية.

خلاصة الفصل: نعتقد أن هذه الأمثلة التي بسطناها وعرضناها في مضمار النمطين الواردين في خصوص التحويل التركيبي لبنية الجملة الفعلية المحولة بالحذف أي الفعل والفاعل المقدران في إطار غير منظور، تقول اللسانيات التحويلية إنهما في البنية العميقة وليست السطحية، وباقي الآيات في ربع مريم إما أن تكون قد حدث فيها تحويل من النمط الأول أو من النمط الثاني، وأما الجمل التي بناؤها لما لم بسم فاعله فقلية في الربع كاملاً؛ ذلك نفسه بأنها فرع والأصل الأفعال المبنية للمعلوم والدلالة الموجهة لهذا التوارد القليل إن هي إلا قاضية بأن التطلب السردى والقصى في القرآن الكريم لاسيما في قصص الأنبياء والإخبار بأحداث الخلق والأحداث التاريخية التي للعبر والعظات فهي تحتاج الجملة النقدة المبنية للمعلوم.

وما هو مجردة أن نذكره هو أن التقدير الذي نستكنه ونقره في مساحات البنى العميقة غير الظاهرة في البنى التركيبية التحويلية الفعلية قد يكون متصلاً بجمل الآيات السابقة وهذا تتاسق نصي في نظرنا إذا الإحالات النصية ليست ظاهرة فحسب وإنما باطنة فيمكن أن نشير إلى دراسة لسانية تحويلية نصية في القرآن الكريم وليس يضيرنا ذلك من منطلق التداخل المعنوي والحقيقي بين آياته منطقياً وتاريخياً وبلاغياً ولغوياً ونحوياً.

الفصل الرابع:

صور التحويل بالاستبدال

ودلالة الغرض

أولاً: التوجيه الدلالي للتحويل بالاستبدال بما لم يسم فاعله "أو نائب الفاعل":
 قال سيبويه: "إنه بمنزلة الفاعل"⁽¹⁾، ويسمى الاسم المرفوع الذي لم يذكر معه فاعله"⁽²⁾، أو نائب الفاعل هو عنصر- في بنيته العميقة- مفعول به ناب في الحكم والوظيفة عن الفاعل، أو غيره، وقد "حذف الفاعل وتغير عنه لغرض أو لدلالة إما لفظية كالإيجاز، وإما معنوي، كالعلم به والإبهام والتعظيم والجهل والتحقير و الخوف منه أو عليه"⁽³⁾، وهو على قسمين ظاهر أي متحقق في البنية السطحية وأقسامه كثيرة تبلغ أربعين صورة، سنشرح بعضها، ومضمر أي مستتر"⁽⁴⁾.

ورد نائب الفاعل في الربع المدروس 167 مرة؛ وذلك حسب الترتيب الآتي أي ترتيب الآيات في السور لا ترتيب الكثيرة والفتوى في الربع القرآني الكريم؛ أي جاءت الآيات على هذا النحو: مريم في: 40، 58، 73، 75، 66، 66، 77، وفي طه في: 11، 15، 13، 70، 38، 97، 126، 48، 66، 102، 114، 36، 87، 90، وفي الأنبياء في: 23، 13، 41، 60، 5، 96، 96، 23، 35، 4، 43، 45، 65، 109، وفي الحج في: 5، 5، 30، 60، 4، 39، 60، 19، 19، 20، 30، 35، 40، 40، 40، 40، 40، 72، 76، 22، 23، 24، 24، 40، 58، وفي المؤمنون: 83، 60، 105، 101، 88، 22، 65، 83، 89، 89، 89، 100، 115، وفي النور في: 35، 36، 54، 3، 36، 48، 54، 56، 31، وفي الفرقان في: 8، 15، 21، 25، 69، 34، 75، وفي الشعراء في: 38، 90، 91، 94، 94، 39، 94، 206، وفي سورة النمل في: 17، 91، 91، 8، 23، 29، 90، وفي القصص في: 5، 54، 60، 78، 80، 88، 48، 78، 79، 80، 48، 53، 57، 58، وفي سورة العنكبوت في: 2، 61، 51، 45، 67، وفي سورة الروم في: 19، 55، 56، 57، 2، وفي سورة السجدة في: 22، 20، وفي سورة الأحزاب في: 14، 15، 29، 17، 66، 16، 53، 59، 59، 61، 61، 53

(1) ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص42.

(2) ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم(1316-1396هـ)، حاشية الأجرومية، ط1، 1988، ص64.

(3) ينظر: محمد محي الدين عبد الحميد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، والمسّمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مصر، ج2، ط2، 1949، ص208.

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص65.

34، وفي سورة سبأ في: 25، 43، 43، 33، 33، 34، 51، 6، 7، 25، 23، 54،
وفي سورة لقمان في: 7، 21، 36، 36، وفي سورة فاطر في: 8، 33، 33.

- صور نائب الفاعل المحوّل بالاستبدال:

نقدّم إشارة وجيزة بأن الصور عرضناها بناءً على الأكثرية في الورد والشيوخ والاستعمالات في ربع مريم:

الصورة الأولى: نائب الفاعل ضمير متصل: وأحصي 67 وروداً.

أ- متصل بفعل مضارع: تكرر 36 وكان على ضمير واحد وهو الواو (و) لجماعة المذكّر السالم، ونقف على صورة له في الآية الكريمة (المؤمنون/89) في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: فنائب الفاعل المحوّل عن الفاعل هو الواو في البنية التركيبية للفعل المضارع المبني لما لم يسمّ فاعله تُسْحَرُونَ؛ إذ "الواو في محل رفع نائب فاعل بمعنى كيف تخدعون عن توحيده وطاعته، والخادع هو الشيطان بسحره"⁽¹⁾.

ب- متصل بفعل ماضٍ: تكرر 30 مرّة:

- الواو (و) للجمع: 19 مرة.

- التاء (ت) للمتكلّم المفرد، وأحصيناها 4 مرّات كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (النمل/91).

- (نا) للمتكلّمين الجماعة، وكان 3 مرّات كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون/83)، وهذا التحويل إجباري لأنه للمتكلّم والنون "نا: ضمير مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل.

- النون (ن) نون الإناث أو النسوة وجاء مرتين (2)، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الأحزاب/59).

- ضمير التاء والميم للمخاطبين الجماعة (تم) وورد 6 مرّات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه/90).

(1) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج7، ص420.

الصورة الثانية: نائب الفاعل اسم ظاهر: وعُدَّ 47 مرة، ونعرض له مثالين يعربان على طريقة الاشتغال:

أ. قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (العنكبوت/45).

ب. قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/17).

ج. قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ (مريم/73): فالبنية الأصلية التوليدية هي وإذا المزيدة لمعنى الشرط، وأحد يتلو عليهم آياتنا بيِّناتٍ، لكنها حوّلت بنصبها أي جعلها على صيغة المبنية للمفعول، وفي ذلك دلالة مختلفة عن ذكر الفاعل في سياق الآية الكريمة، فالسر البلاغي في إثارتها على الاسم الصريح، ما فيها من خصوصية الدلالة على المعجزات الباهرة، وأوثر حرف الجر على على حرف اللام فقال عليهم لعلو شأن الآية⁽¹⁾ ورفعها، والفعل المبني للمفعول يشتمل على تلاوة الله للآيات، ومحمد صلى الله عليه وسلم، والملائكة، والأنبياء، والناس جميعا، فلذلك حمل على هذه الصيغة.

د. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ سَوَاعِقُ وَإِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج/40).

الصورة الثالثة: نائب الفاعل ضمير مستتر:

1- التحويل بالاستتار الاختياري: 28 مرة.

أ- مع الضمير المفرد الغائب المذكر (هو): 11 مرة ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (سبأ/43).

(1) ينظر: علي بن نايف الشحود، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ج1، ص23.

ب- مع الضمير المفرد الغائب المؤنث (هي): 8 مرّات ومثاله في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنَكِّصُونَ﴾ (المؤمنون/66)، والآيات "يعني القرآن" (1) الكريم عنه، والبنية التحويلية لنائب الفاعل محوّلة بالاستتار أو بالخذف من البنية السطحية لجملة الآية الكريمة، فالضمير "هي" المستتر اختياراً هو في محل رفع نائب فاعل، وللحديث عنه وتلافي التكرار لم يذكر وحمل بنوياً أن يخفي فقد قال الله تعالى: قد كانت آياتي، ثم ذكر الفعل الحامل لنائب الفاعل الذي يعود على القرينة المتكلم بها سابقاً وهي الآيات.

2- التحويل بالاستتار الإجماري:

أ- مع الضمير المتكلم المفرد (أنا): جاء مرّتين في 66 و 77 من مريم، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَأِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (مريم/66).

ب- مع الضمير المتكلم الجمع (نحن): جاء مرّتين في 57 من القصص، و 25 من سبأ. مثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطُّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص/57).

ج - مع الضمير المخاطب المفرد المذكر (أنت): جاء مرّتين في 97 و 126 من طه. مثاله قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه/97)، فالأصل التوليدي للبنية التركيبية الفعلية "موعداً لن نخلفك إياه"، فالضمير المستتر إجباراً للمخاطب هو أنت والكلام واقع على سيدنا موسى عليه السلام، وتوجّهنا التاء في الفعل أي الحرف المزيد على يخلف والتاء هي دلالة على الضمير أنت.

الصورة الرابعة: نائب الفاعل شبه جملة أو وحدة إسنادية.

أ- جار ومجرور: 14 مرّة؛ وذلك في 102 من طه، و 41 من الأنبياء، و 4، 20، 39، 60 من الحج، و 101 من المؤمنون، و 22 من السجدة، و 34، 53 من الأحزاب، و 23 من سبأ، و 36، 36 من فاطر، وفي هذه الصور إن كان حرف الجار زائد كان نائب

(1) الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت- لبنان، د ط، د ت، ج 4، ص 161.

الفاعل هو المجرور وحده، مثل ما صودر من شيء، وتعلق الحرف يعني أنه إذا حذف تماماً من البنية يكون لما أصله مجرور بحرف الجر الزائد معنى تابع لسياق الكلام أو وظيفة، فلما نحذف من في "ما صودر من شيء" فنحوّل كلمة شيء إلى ما صودر شيء فيكون نائب فاعل هو شيء، أما إن كان حرف الجر أصلي وليس زائداً، فالأصح جماعهما معا هو في تأويل نائب الفاعل أو متعلقان بمحذوف نائب الفاعل مقدر في السياق، ومنهم من قال المجرور وحده كمثال: قُعدَ في الحديقة الناضرة، ولا مانعاً من قبوله تيسيراً وتخفيفاً⁽¹⁾.

ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزِئْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنبياء/41).

ب- ظرف مكان: 5 مرّات وهو في الآية 13 من الأنبياء و30 و60 من الحج و88 من المؤمنون و54 من سبأ.

ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ﴾ (سبأ/54).

الصورة الخامسة: نائب الفاعل محوّل بالاستبدال بالمصدر المؤوّل بالصريح (نيابة المصدر المؤوّل)⁽²⁾: لا بدّ لهذا التحويل أن يتحقق له وجود أنّ ومعموليهما حتى تتعقد عمليته، وذلك كالآتي:

أ- أنّ ومعمولاها: ورد مرّتين في الآيتين الكريميتين: 48 و66 من طه، ومثاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (طه/48)، فالأصل التوليدي للبنية أوحى إلينا أمر العذاب على من كذب وتولى، فالتحويل حصل لنائب الفاعل إذ ورد بنية متكونة من "أنّ" ومعموليهما؛ وهما اسم أنّ وهو "العذاب" وخبرها وهو "موجود" أو مستقر أو حاصل أو واقع على من كذب وتولى، وإعرابها التحويلي هو "أوحى" مضارع مبني للمجهول والجملة خبر إن «إِلَيْنَا» متعلقان بأوحى «أَنَّ الْعَذَابَ» أنّ واسمها «عَلَىٰ

(1) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص117-118.

(2) أبو بكر علي عبد العليم، دروس في الإعراب للطلاب والمعلمين في مختلف المراحل التعليمية، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2002، ص70.

من» حرف الجر واسم الموصول متعلقان بالخبر المحوّل بالحذف⁽¹⁾. ولم يرد بأن والفعل المضارع.

الصورة السادسة: نائب الفاعل محوّل بالاستبدال بالجملة الموصولة: ورد في سورة التور في الآية:31، في قوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضُرِّنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: والبنية التوليدية ها هي ليعلم المخفي من زينتهن، أو ليعلم المخفي من زينتهن" إذ التركيب محوّل بوجود اسم الموصول"ما" التي في الأغلب لغير العاقل، ولكن حضور الفعل نوجهه دلاليا وتداوليا، فورود بنية "ما"، والفعل المضارع المسند إلى نون النسوة، يتصاقب مع دلالة التجدد والحدثة للفعل وتكرر الفعل لدلالة زمن المضارع، ف"يخفين" صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، والتقدير، أيضا، "ما يخفينه"⁽²⁾، وفي التوجيه الدلالي أنه جاء على هذه الصيغة لملاءمة الإخفاء الحاصل منهن للمطلوب أن يخفى ولا يظهر بشرع الله، إذ "قَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ زِينَةٌ لَا يَسْتَلْزِمُ النَّظْرَ إِلَيْهَا رُؤْيَا شَيْءٍ مِنْ بَدَنِ الْمَرْأَةِ كَظَاهِرِ النَّيَابِنِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ زِينَةٌ يَسْتَلْزِمُ النَّظْرَ"⁽³⁾، فالبناء للمفعول هو أدقّ في هذا السياق لأن الفاعل تحوّل إلى مفعول، وعقيب ذلك أن الله استكف أن يذكر نوع هذا الزينة فأخفاها وأوردها بصيغة ما لم يسمّ فاعله.

الصورة السابعة: نائب الفاعل محوّل بالاستبدال بالجملة الفعلية: ورد ثلاث (3) مرّات وهو في الآيات الجليلات الآيات:39 من الشعراء، و21 من لقمان، و20 من السجدة، ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان/21): البنية التوليدية للجملة أن يكون نائب الفاعل اسما صريحا فيكون قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، فنائب الفاعل محوّل بأنه ورد جملة فعلية طلبية: "فعل أمر: اتبعوا"، فهذا تنوع وتفرع في صور نائب الفاعل

(1) ينظر: دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص260.

(2) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرثّل، مج8، ص40.

(3) الشنقيطي (ت1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج5، ص516.

المحول أصلاً من أنه مفعول به أو "غير مفعول به كالمصدر أو الظرف أو الجار مع مجروره"⁽¹⁾، فأخذ مكان الفاعل، وناب عليه كما في البيت ابن مالك:

ينوب مفعول به عن فاعل *** فيما له كنيلاً خير نائل

وأصل الكلام نال المستحق خير نائل أي خير عطاء"⁽²⁾.

خلاصة المبحث: ممّا نجنيه من تطرقنا بعرض صور نائب الفاعل في الجمل العربية، وفي القرآن الكريم في الربع المدروس، أن القرآن الكريم يحتوي كل الصور التحويلية التي يجيء عليها نائب الفاعل بقسميه الكبيرين الظاهر والمضمر، ويتمثل في ضمائر الغائب والمتكلم والمخاطب أي على النوعين التحويل الإجمالي والاختياري، وهذا من سمات القرنين الكريم، ونلاحظ سرا في نيابة المفعول الأصلي لبنية أخرى هي الفاعل، أو ما أصله مصدر صريح أو مؤول أو ظرف أو جار ومجرور، وهذا كله لتغطية أحوال الكلام، والإحاطة بها خبراً. والتحويل بالاستبدال لنائب الفاعل هو حادث في الربع المدروس.

(1) عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص97.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص98.

ثانيا: التوجيه الدلالي للتحويل بالاستبدال بالمصدر المؤول بالصریح:

نعرف المصدر المؤول في نظر النحاة بأنه: "ذلك التركيب الإسنادي المؤلف من أحد الأحرف المصدرية ومدلولاتها من الأفعال والأسماء، وإن المراد بالاسم المؤول بالصریح المصدر المنسبك من الفعل والحرف المصدری، سواء أكان الحرف السابق هو(ما) المصدرية(...) أم كان الحرف المصدری هو (أن)، وقد يكون مؤولا من أن ومعمولها معاً، (...) أم كان الحرف المصدری هو همزة التسوية بعد لفظ (سواء)، أو الحرف (لو)"⁽¹⁾.

يجيء هذا النوع من التحويل بالاستبدال بالمصدر المؤول بالصریح متنوعا في دلالاته المقصودة ومتعددا في وظائفه النحوية؛ أي أنه في البنى العميقة التوليدية للبنى الظاهرة التي جاء عليها كان مختلفا بوصفه عناصر نحوية إسنادية أو غير إسنادية، وذلك متعلقا بالوحدة الإسنادية المتطلبة لعناصر نحوية أخرى، حتى يتأسس البناء التحويلي الكامل، أو ينعقد المعنى بشكل نهائي تام، ومن ذلك أن يكون "كونه" مضافا إليه، فهو ليس عنصرا يكمل العنصر الناقص للإسناد الاسمي أو الفعلي، وإنما لتكميل ما نقص من المعنى الإضافي للبنى التركيبية، أو يكون بدلا من أي تابع، والتابع له حكم المتبوع سواء كان توكيدا، أو تابعا لمفعول من المفاعيل، أو غير ذلك.

نحن لا نركز كثيرا في مناقشتنا للعناصر التي تخرج عن دائرة الإسناد؛ ذلك لأن التحويل الذي نحفر في أسراره ونبحث فيه هو التحويل للبنى التركيبية؛ أي الإسنادية البحتة، ولا ضير في أن نسوق بحثنا باشمال، وأن نشير قليلا لمجمل العناصر في عجلة، ودون تدقيق وتمثيل إلا ما ندر في ذلك، ونحن على مدبّ الذين ساروا في هذا النحو من العارضين لمفاهيم النحو التوليدي التحويلي الحديث، دون أن ينسوا المفاهيم المؤصلة عند سيبويه وغيره، من أئمة اللغة العربية ونحوها، ويذكر كثير من العلماء الفرق

⁽¹⁾ رابع بومعزة، تصنيف لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية وتسيير تعلمها في المرحلة الثانوية، من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري، مخطوط دكتوراه، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 565.

بين المصدر الصريح والمصدر المؤول بالصريح في دلالاتهما؛ إذ منهم من يقول: "والحق أن مثل هذه الوحدة الإسنادية (المصدر المؤول) وضعت للدلالة على معنى نحوي يفترق عن ما يدل عليه المصدر الصريح.

فقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 184) يلاحظ أن الوحدة الإسنادية المضارعية (وأن تصوموا خير لكم) تفترق في الدلالة عن المصدر المؤولة به (صومكم)⁽¹⁾، ويمكن فهم رؤية الاختلاف في ظل الدراسة اللسانية الحديثة فكل شكل لغوي له دلالاته ووظائفه خطأ وكتابة، وهذا مبدؤه من الصوت ونطقه في صورته النطقية المختلفة إلى الكلمة التي يبنى عليها الدلالة والمعنى، وهذا حسب ما تقوله الفونولوجيا (Transformations Phonologiques) التحويلية، إذ تذكر حتى التبادل الموقعي للكلمات والأصوات، والترتيبات المتنوعة التي ينتج عنها ما يسمّى: "بالتعارض والتتوع الحر"⁽²⁾، وغيرهما من الظواهر الفونولوجية، وما نلمحه من العملية الاستبدالية هنا هو أن بنية تركيبية تستبدل ببنية تركيبية فواحدة فعلية والأخرى اسمية، "وعلى الرغم من أكثر الناس تعريفات غزيرة للاسم من وجهة نظر الشكل ومن وجهة نظر الدلالة، فيندر وجود تعريف يجمع الشكل بالدلالة لاستكشاف فوائد التحويل بالاستبدال، فصاحب النحو الوافي حين قال المصدر الصريح الأصلي أي غير المؤول وغير الميمي والصناعي هو الاسم الذي يدل - في الغالب - على الحدث المجرد (...). فأما من ناحية دلالاته المعنوية فإنه يدل - في الغالب - على مجرد الحدث؛ أي يدل على أمر معنوي محض، لا صلة له بزمان أو مكان، أو بتذكير أو بتأنيث، ولا بإفراد أو جمع أو غيره إلا إذا كان دالا على

(1) رابح بومعزة، تصنيف لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية وتسيير تعلمها في المرحلة الثانوية، من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري، ص 564.

(2) هاري فان درهالست، نورفال سميث، الفونولوجيا التوليدية الحديثة، ترجمة مبارك حنون وأحمد العلوي، منشورات "دراسات سيميائية أدبية لسانية، دراسات سال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، ط1، 1992، ص6.

مرة أو هيئة، وأما من ناحية تكوينه اللفظي فلا بد أن يكون جامدا مشتقلا على حروف فعله الماضي جميعا أو يزيد عنها، ولا يمكن أن ينقص عنه في الحروف.⁽¹⁾

كانت صور التحويل بالاستبدال بالمصدر المؤول بالصريح في الربع الثالث على هذا النحو:

1- الاسم المجرور: 32 مرة، وهو في الآيات الآتية: 97 من مريم، و15، 23، 39، 40، 57، 73، 131 من طه. و80 من الأنبياء. و34، 37، 78 من الحج. و34، 39 من الروم. 15 من لقمان. و8، 24، 49، 50، 73 من الأحزاب. 4 من سبأ. و30 من فاطر. ومثاله قوله تعالى وعلا: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم/39): جملة "وما آتيتم" مستأنفة، و"ما" شرطية مفعول به، والجار متعلق بنعت لـ "ما"، والمصدر المؤول المحول هو الوحدة الإسنادية المتشكلة من اللام وكي المضمر بعد لام التعليل والوحدة الإسنادية والبنية العميقة لها "وما آتيتم من ربا ليربوه في أموال الناس"، أو الجملة الفعلية يربو فهي العنصر المجرور المتعلق بـ"آتيتم"، وجملة "فلا يربو" خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو لا يربو، والجملة الاسمية "فهو لا يربو" جواب الشرط، وجملة "تريدون" حال من فاعل "آتيتم"، وجملة "وما آتيتم من زكاة" كنظيرتها.

وأيا في قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الروم/34): المصدر المؤول "ليكفروا" مجرور متعلق بـ{يُشْرِكُونَ}، واللام للعاقبة، وجملة "فتمتعوا" مستأنفة، وجملة "فسوف تعلمون" معطوفة على جملة "تمتعوا". والمصدر المؤول المحول من البنية السطحية تقديره لكي يكفروا فكي في خفاء، فهي محذوفة، أو لأن يكفروا فهو منصوب بكي التعليلية وبعد تحويل الصيغة المكونة لام وكي المقدر والجملة أو الوحدة الإسنادية المضارعية، ينتج لنا جماع ذلك كله لكفرهم مصدر مؤول في حكم المفرد

(1) راجع بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص63.

مجرور باللام، وأيضا في سورة مريم، في قوله تعالى: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (مريم/91): هي مخ "أَنْ" هنا بنيتها العميقة "أنهم" محول اسمها بالحذف "إجباريا"، فجماع "أَنْ" المخففة ومعمولها اسمها المحذوف مؤولان بمصدر صريح هو "داعون للرحمن ولدا"، وتوجيهه الدلالي إنه إنما جاء بالتخفيف والحذف، لأن الفعل مرتبط بزمن ليضعنا في حالة دعائهم للرحمن ولدا، ثم إن الفعل أقعد في مساحة الحركة وهو ملائم لتأكيد الدعوة وثبوتها عليهم.

2- المفعول به: 31 مرة، وورد في الآيات: 45 فيها مرتين، و63، 77، 86، 94 من طه، 17 من الأنبياء، 24 من المؤمنون، و50، 63، 19، 91 ورد فيها ثلاث مرات حسب سياقه القرآني وكل هذا في سورة النور، و 26 من الحج، 51، 52، 63، 82 من الشعراء.

ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (طه/45):

المصدر المؤول المحول بالاستبدال هو إفراطه، أي نخاف إفراطه عليما وطغيانه، فهما في تأويل مفعولين منصوبين، أو قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (النمل/92): والواو عاطفة، و"أَنْ وَأَتْلُو" في تأويل مصدر مؤول محول بالاستبدال من البنية التوليدية على البنية التحويلية في موضعية المفعول به الثاني وأمرت تلاوة القرآن أو منصوب بنزع الخافض أمرت بتلاوة القرآن، وكذلك: ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى﴾/63: يريدان إخراجكم من أرضكم أي المصدر مؤول وهو محول من أن ومعمولاتها في محل نصب مفعول به للفعل يريدان، وفي قوله أيضا: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾/50: "أم يخافون حيف الله عليهم".

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾/91: أي أمرت عبادة ربّ هذه البلدة، وهو في تقدير موضع مفعول به مع الضمير المستتر إجباراً وهو أنا، الوظيفة النحوية للتحويل هي مفعول به ثان للفعل أمرت الذي لم يسمى فاعله.

وكذلك في الآية الكريمة من سورة مريم: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (مريم/45): وهنا يمكن تأويل الجملة المحتواة على أن، والجملة الفعلية "يمسك" بمصدر مفرد هو في حكم المنصوبية أو نصب المفعول به و«عامله أخاف»⁽¹⁾؛ إذ نقول - في تقدير البنية الباطنية المحوّلة لتطلب المعنى المقصود والمرام المنشود-: يا أبتِ إنّي أخاف مسّ عذاب من الرحمن لك، أو أخاف مسك؛ ف(أن ومعمولها الفعل) مؤولان بمصدر هو في حكم المفعول به المنصوب للفعل أخاف، واستكمال المعنى أن سيدنا إبراهيم وهو يحتاج أباه أزر فقد قال له يا أبتِ إنّي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن إن لم تتب فتكون للشيطان ولياً أي ناصراً وقريناً.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم/83): إذن، فهنا ضبط مصدراً مؤولاً متكون من الوحدة "أنا" وتقديرها "أنا" مع الوحدة الإسنادية الماضية التي هي الجملة الفعلية "أرسلنا"، وهذا المصدر يسدّ مسدّ مفعولي رأى المجزومة بحرف الجزم المسبوق بهمزة "حرف الاستفهام أ"، وهو أي حرف الجزم لم فنقدير البنية العميقة بعد التأويل: ألم تر إرسالنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، هي "تأكيد إرسالنا"، والوحدة الإسنادية المضارعية (الجملة الفعلية) تؤزهم في تأويل بنيتها حال؛ أي: ألم تر إرسالنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، هذا هو الشكل التركيبي التوليدي المراد من البناء الظاهر التحويلي الظاهر للآية الكريمة.

(1) الصافي، الجدول في إعراب القرآن، مج8، ج16، ص305.

3- اسم "كان": ووظف في الآيات الكريمت الآيات: 35 من مريم، و 29 من العنكبوت، و 10 من الروم، ومثاله: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾/35؛ فتقدير الكلام أن يتخذ؛ أي "أن" الناصبة المصدرية، والفعل المضارع يتخذ والفاعل تقدير عوده على "الله" و"ما كان لله" كل هذا في تقدير مصدر اسم "كان" وحكمه الرفع، وجاء بالتعبير بالمصدر المؤول ولم يأت بالمصدر الصريح، ليبين أنه لم يتم تحقق اسم كان مطلقا وحاشا على الله ولن يتوقع في المستقبل مطلقا، أما خبر كان فحكمه النصب إذ عملية التحويل في هذه الجملة قائمة على المصدر المؤول بالصريح، وتقدير الكلام وما كان لله اتخاذ، الجار لله متعلق بخبر كان، ونقدّر المفعول الأول لفعل يتخذ أو المصدر اتخاذ ب"أحدا".

وفي قوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾/10: جملة "ثم كان عاقبة..." معطوفة على جملة "ما كان الله ليظلمهم"، "السوءى" اسم كان، "أن" مصدرية، والمصدر المؤول "أن كذبوا" على نزع الخافض اللام، الجار "بها" متعلق بـ "يستهزئون"، فتقدير الكلام أن المصدر المؤول في محل نصب كان عاقبة اسم كان تكذيبهم وهو منصوب على حكم نصب اسم كان، وجاء على شاكلة المصدر المؤول المكون من أن والفعل الماضي "كذبوا" لدلالة تحقق فعل التكذيب فيما سبق، وهذا عمل تحويلي من بنية ظاهرة إلى بنية مقدره مفهومة ومغترقة من السياق وتطلبا لحاجة المعنى والدلالة بعد توجيهها.

4- عسى: 3 في سورة القصص الكريمة في الآيتين: 9 مرتين و 67 منها.

5- الخبر: 5، 10 من مريم، و 59 طه، و 20، 21، 25 من الروم، و 22 من القصص، وفي هذا ورد خبر لعسى. ومثاله: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ (مريم/10): وإعرابها "مبتدأ وخبره"أن" وصلتها "تكلم" نصب بـ "أن"؛ لأن "لا" غير حائلة، وأجاز الكسائي والفراء أن لا تكلم الناس بالرفع أي أنك لا تكلم الناس، وهذا

كما قال: ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ***كبرت وألا يشهد الله أمثالي⁽¹⁾، وهنا تحويل في بنية الجملة التي تلت القول أو فعل الأمر قال ومبتدؤها آيتك، فهو مسند إليه أو مبتدأ مضموم بكاف المخاطب المفرد، وهو يخاطب سيدنا زكريا عليه وعلى الأنبياء السلام، والخبر أو المسند جاء محوّلًا بعنصرين نحويين، إذ إنه يؤول حتى يصبح مفردا مرفوعا، وما ذلك إلا بتقديره فنقول ألا متكونة من أن المصدرية الناصبة المستقبلية مدعّمة في لا النافية، فأضحت ألا والفعل المضارع، وهو وحدة إسنادية جملة فعلية متكونة من فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة، وتقدير بنية الكلام الأولى آيتك عدم تكليم الناس، فعدم خبر مرفوع وتكليم مضاف إليه.

وفي سورة طه: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه/59): أي موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس ضحى أو هو مؤول بـ "موعدكم يوم الزينة وموعدكم حشر الناس ضحى، فأن" والفعل "يحشر" في بنية عميقة هي المصدر المؤول المحول بالاستبدال، إما في موقعية الرفع على الخبرية لموعدكم وإما في موقعية الجر على يوم الزينة.

وأیضا قوله تعالى وعظم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (الروم/25): الجار "بأمره" متعلق بحال من السماء والأرض، وجملة "ومن آياته قيام" معطوفة على الجملة الفعلية { يُرِيكُمْ } المتقدمة، وجملة الشرط معطوفة على المصدر المؤول "أن تقوم"، فيكون قد عطف جملة على مفرد، وجملة "إذا أنتم تخرجون" جواب الشرط، و "إذا" هذه فجائية، وقوله "دعوة": مفعول مطلق، والجار "من الأرض" متعلق بـ "دعاكم" وأنها لم تتحقق بعد وإنما هي ستقوم، وجاء المبتدأ على شكل المصدر المؤول مع توظيف الفعل المضارع أن واقع حتما فعلا لا قولاً.

(1) النحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت338هـ))، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة- مصر، ط2، 1985، ج3، ص281-282.

وفي قوله أيضا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (الروم/20)، أن مصدرية، والمصدر المؤول "في محل رفع مبتدأ/مسند إليه"، وتقدير البنية العميقة المحولة في ظاهر الآية ومن آياته خلقكم من تراب، والجار من آياته متعلق بالخبر، ووظف مجيء المبتدأ بالمصدر المؤول مع توظيف الفعل الماضي أن دلالة الماضي، تعني التحقق بقرائن مختلفة تحيط بالمعنى فهو قد أكد بهذه الصيغة نسبة الفعل "الخلق" إلى الله وتأكيد فعل الخلق وتأكيد تحقق هذا الفعل في ماضي البشرية والمخلوقات.

وقد نعرب "أن لا تكلم" عدم تكليمك مبتدأ مؤخر بالاختيار انطلاقاً من قاعدة أن تأويل "أن" والفعل المضارع "تكلم" في تحويل مبتدأ نكرة، وجاء الخبر مقدماً وهو "آيتك"، قدّم للاهتمام به ولكن ارتكاز المعنى في ما قدّم "آيتك"؛ لأن زكرياء عليه السلام قال: "قال رب اجعل لي آية".

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم/21)، فالمصدر المؤول متكون من أن المصدرية ومعمولها الفعل "خلق" الماضي هو في محل مبتدأ مؤخر، والمصدر المؤول الثاني "لتسكنوا" مجرور متعلق بـ"خلق"، وتقدير المصدر السالف لأن تسكنوا، فالفعل منصوب بأن المضمر بعد اللام السببية.

6-المضاف إليه: 6، 114، 134 من طه، 57 من الأنبياء، 39، 40 من النمل، 49 من الشعراء. كمثل الآيات الآتية من سورة النمل قوله تعالى: ﴿قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾/39: أي قبل قيامك من مقامك هذه هي البنية العميقة لجملة الآية الكريمة، وجاء على هذا النحو المضاف إليه معبراً عنه بالمصدر المؤول، لأن الفعل المضارع ملائم للسرد، وهو يقص قصة الهدد مع سليمان عليه السلام، وأن المضارع من دلالاته يفيد الاستقبال أيضاً.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾/40: أي قبل ارتداد طرفك إليك.

7- البديل: 10 كان في: 60، 61 من النور، وفي 65 من الحج، وبديل عن الخبر في 22 من الشعراء، وبديل خبر كان 197 من الشعراء، و52، 59 من الأحزاب، 46 من سبأ، و41 من فاطر. ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج/65).

8- الفاعل: وصيغ ورود الفاعل في الجملة الفعلية العربية كثيرة منها أن يجيء صريحا تعالى الله، ضميرا منفصلا نحو ما جاء إلا أنا، ويرد ضميرا متصلا مثل قرأت القرآن مع القارئ، وضميرا مستترا قام لله عز وجل وهو جوازي الاستتار وإجباري الاستتار، نحو: أكتب قصائد في حب الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجيء مؤولا بالصريح وهو محور الدراسة التحويلية في هذا النموذج؛ "وهو أن يأتي الفعل، ويكون فاعله مصدرا مفهوما من الفعل بعده، نحو: يكفي "أن تدرسوا"، وهذه الجملة تُؤوّل بالمصدر (درسكم أو دراستكم) وهو الفاعل، ويتؤوّل الفعل بالمصدر بعد خمسة أحرف⁽¹⁾، وتسمى: (حروف السبك)⁽²⁾، إذ يكون الفاعل "مؤولا إذا وقع مصدرا منسبكا مع حرف مصدري وصلته"⁽³⁾؛ أي بنية الصلة التابعة للموصول.

(1) هي: أن وأنّ وكي ما ولو المصدريتين، بعد أن نحو: يبهجني أن تفهم القرآن الكريم؛ أي فهمك، وبعد أن نحو: علمت أنك شاعر بجمال العربية؛ أي شعورك، وبعد كي نحو: أتيت كي أعلمك، أي لتعليمك، وكي لا يتؤوّل الفعل بعدها إلا بمصدر مجرور باللام وبعد ما نحو أعجبتني ما تكتب؛ أي كتابتك، بعد لو نحو أحببت لو تأتي، إتيانك، بعد لو يتأوّل الفعل بالمفعول وليس بالفاعل. ينظر: حسن نور الدين، الدليل إلى قواعد اللغة العربية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط1، 1996، ص70.

(2) عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص65.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وقد ورد فاعلا في الآيات الكريمات: 92، 3، 66 من طه، 17 من النور، ومثاله قوله في سورة مريم: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (مريم/92): وهنا نستكنه بنية هذه الآية الكريمة أن ولدا منصوب على المصدر المؤول من (أن والوحدة الإسنادية يتَّخِذُ)، فتقدير البنية العميقة وما ينبغي للرحمن اتَّخَذَهُ ولدا فاتَّخَذَهُ فاعل للفعل ينبغي بعد شبه الجملة الجار والمرور للنسبة، أي نسبة الاتخاذ للرحمن وهو مصدر عامل عمل الفعل فنصب ولدا، أو التقدير وما ينبغي اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا له، أو كما يزعم الكافرون والجهلة، والجملة وما ينبغي جملة مستأنفة والمصدر المؤول فاعل ينبغي، والفعل ينبغي يتعدى باللام؛ فأساليب التعدية كثيرة ووسائلها جميمة، فمنها التعدية بالحرف أو بتغيير الصيغة الصرفية وغيرهما كالصيغة أفعال من خرج وأخرج، وفعلت من كتَّبت نحو كتَّبت محمدا قصيدةً.

وفي قوله عز من قائل: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور/16-17): ما يكون لنا التكلم بهذا أي جاء المصدر المؤول المحول بالاستبدال، من أن والجملة الفعلية "نتكلم" في موضع الفاعل للفعل يكون لنا، وتقدير البنية التوليدية له ما يكون لنا تكلمنا بهذا.

9- التمييز: 1 ورد في سورة الأحزاب في الآية الجليلة 37، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

10- المستثنى: 2 وهو في 56 من النمل وفي 53 من الأحزاب، ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ﴾ (الأحزاب/56): أي إلا قولهم.

11- المبتدأ: 1 في الآية 60 من النور، قوله: ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، والبنية التوليدية للآية الكريمة هي: "تقديرًا واستغافهنَّ خيرٌ لهنَّ"⁽¹⁾، وهي آيلة إلى بنية عميقة تشكل جملة اسمية مبتدأ وخبر، فالمبتدأ هو: استغافهنَّ والخبر هو خير، وبنية الجار والمجرور متعلقة بالخبر "خير"، ونلاحظ عمل "أن" بوصفها بنية إسنادية مع الفعل أن جاءت في هذه الحالة: حرفًا مصدرًا ناصبًا للفعل المضارع وقد وقعت معه في موقع المبتدأ"⁽²⁾.

12- المفعول لأجله: 2 في القصص الآية 13، وذلك نظيره في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم/97): المصدر المؤول في الوحدة الإسنادية المتكونة من حرف السبب "لام" السببية زائد أن المحذوفة المضمره وجوبا لنصب الفعل أو الجملة الفعلية "تبشر"، فتقدير الكلام أولاً تبيان علة نصب الفعل فهي بعد أن المضمره للتعليل ولام سبب الفعل، وتقدير البنية العميقة لهذه الجملة القرآنية، فإنما يسرناه بلسانك؛ لأن تبشر به المتقين وتندر به قوماً لداً أي قوما أعداء من الكفار، وجملة "فإنما يسرناه" مستأنفة، والمصدر المجرور أي هو في محل جرّ في عمق التركيب الإسنادي التحويلي، لتبشر متعلق بيسرناه، وخلصنا إلى أن الصيغة المحولة من هذه البنية التركيبية التحويلية هي، فإنما يسرناه بلسانك لتبشرك به المتقين أو تبشرك المتقين به.

وشبيهه الآيات الكريّمات من سورة طه: قال تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (طه/2)، نلمح أنّ جملة لتشقى؛ لام التعليل أي تعليل الفعل والفعل المضارع المنصوب المقدّرة حركة النصب عليه على الألف المقصورة التي منع من ظهورها التعذر، لأنّ المضمره المخفأة بعد لا التعليل والفاعل المستتر في بنية التقدير الوجداني أنت كلها

(1) ثامر إبراهيم المصاورة، مقصودات نحوية وصرفية، طبعة جديدة ومنقحة، 2006-2007، ج1، ص60.

(2) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص223.

في تأويل بنية مصدر مؤول بـ "لشقائقك"؛ أي ما أنزلنا عليك القرآن لشقائقك فهذه بنية محولة من ثلاث أدوات اللام التعليلية، وأن المضمرة بعدها والفعل المضارع.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾

(طه/15): أن المضمرة والفعل في تأويل مصدر في محل جر اسم مجرور وهو "لمجازة"

كل نفس بما تسعى، إذن التحويل باستبدال أن المضمرة والفعل بالمصدر المؤول.

وفي قوله تعالى: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ (طه/ 23)؛ لإراءتنا إياك، أو إراءة منّا

لك من آياتنا الكبرى، والتحويل بأن المضمرة بعد لام التعليل والفعل نريك، " وأن المضمرة

وما تلاها في تأويل مصدر مجرور باللام والجار والمجرور متعلق بفعل محول بالحذف

تقديره خذ"⁽¹⁾، والتعلق بفعل محول بالحذف هو من أنواع التحويل في بنية الجملة الفعلية

الذي له صورته المختلفة ونماذجه المتعددة.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (طه/39): أي لصنعي إياك على عيني

أو لصنعك على عيني؛ لأن الفعل مبني لما لم يسم فاعله؛ أو صناعةً منّي لك على

عيني، أي لكي تصنع على عيني فهو محول بالاستبدال إلى المصدر الذي موقعه الجر،

واللام هنا لام كي والفعل المضارع بعدها منصوب بأن المضمرة جوازا؛ لأن اللام لام

كي، وهو "ما ينصب المضارع بإضمار" أن" بعده"⁽²⁾، وهذه إمكانية تحويلية فيها مشابهة

بين البنية العميقة، وهي "لصنعك على عيني" أو لصناعتك على عيني" وبين البنية

السطحية أو الظاهرية لبنية تركيب الآية الكريمة.

(1) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج7، ص8.

(2) ينظر: المنصوبات بأن المضمرة جوازا خمسة: 1- "لام كي": نحو "وأمرنا لنسلم لرب العالمين"، والواو، والفاء وثم وأو العاطفات على اسم خالص؛ أي ليس في تأويل الفعل نحو قول الشاعر: ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف، وقوله لولا توقّع معتز فأرضيه، وقوله إني وقتلي سليكا ثم أعقله، وقوله تعالى "أو يرسل رسولا: ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد الرعينب المالكي الشهير بالحطّاب (ت945هـ) متممة متن الأجرومية في علم العربية، اعتنى بها علي بن عبد الله السلوم، دار الصّميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2013، ص76.

وفي الآية الكريمة: ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (طه/40): أي الفعل تقرر منصوب بأن المضمره بعد كي وهي والفعل في تأويل مصدر مؤول محول بالاستبدال، ولا تحزن تعرب إعرابها وتعالج المعالجة التحويلية عينها؛ لأنها معطوفة عليها وتابعة لها، أو في قوله: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾ /57: أي قال أجئتنا لإخراجنا من أرضنا؛ فالفعل منصوب بأن المضمره بعد لام التعليل وأن المضمره والفعل، أو الجملة الفعلية الملتحقة بها في تأويل مصدر مؤول ومحول بالاستبدال في موقعية الجر أو في وظيفته، والجار والمجرور متعلق بجئتنا الجملة الفعلية والتعلق غير التعليق، وهو التأليف أو النظم عند الجرجاني، وله باب للمقاربة في بحثنا إن شاء الله.

خلاصة الفصل:

ورد التحويل بالاستبدال بالمصدر المؤول بالصريح في ربع "مريم" في اثنتي عشرة صورة، لكن الذي أوليناه أهمية هو أن يكون عنصر إسناد فقط، أي مبتدأ أو خبر أو فعل أو فاعل، وقد ورد في صور أخرى هي: اسم مجرور، مفعول به، مستثنى، اسم ناسخ كان، مضاف، تمييز، مفعول لأجله، بدل، اسم عسى.

ما يهّمنا هنا - هو صورة الفاعل بوصفه المسند إليه في الجملة الفعلية، والمبتدأ والخبر بوصفهما المسند والمسند إليه في الجملة الاسمية، أما الصور الأخرى فهي فضلات أو متعلقات بالجملتين الاسمية والفعلية وهي إضافة على البنى التركيب التحويلي (البنية السطحية) الذي له أصله التوليدي (البنية العميقة).

خلاصة الباب: تناول الباب الأول العمليات التحويلية التي مسّت الجمل الفعلية القرآنية في الربع الثالث؛ من حيث التحويل بالزيادة والحذف والتقديم والتأخير والاستبدال، وقد تحقّق هذا التحويل في كل قواعده، بصور مختلفة تعاورت وتداورت على الآي الكريمات، واكتشف أن دلالات هذا التحويل مختلفة عن دلالة البنى التركيبية قبل هذا التحويل؛ وذلك بإصابة غرض من الأغراض البلاغية المختلفة توكيدا أو قصرا أو تحضيضا أو اجتنابا أو سوى ذلك.

الباب الثاني:

التوجيه الدلالي للتحويل في صور التراكيب

التي يكون المسند فيها اسما أو جملة محولة

في ربيع (مريم)

الفصل الأول:

صور التحويل بالزيادة

ودلالة الغرض

- عناصر الإسناد:

- **المبتدأ/المسند إليه:** "المبتدأ هو الاسم الصريح أو المؤول بالصريح مجرداً عن العوامل اللفظية غير الزائدة، مخبراً عنه أو وصفاً رافعاً لمكتف به، وقد فهم من هذا الحد؛ أي التعريف أن المبتدأ على قسمين، ذو خبر ووصف رافع لما يغني عن الخبر، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله في ألفيته:

مبتدأ زيد وعاذرُ خبرٌ * إن قلت: زيدُ عاذرُ من اعتذرُ**

فكلمة "مبتدأ" خبر مقدّم، وزيدُ مبتدأ مؤخر، وعاذرُ مبتدأ و"خبر" خبر عنه، وإن قلت شرط، وزيدُ عاذرُ مبتدأ وخبر، ومن اعتذرُ مفعول بعاذرُ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو قال: إن قلت: زيد عاذر من اعتذر فالمبتدأ زيد وعاذر خبر⁽¹⁾.
"الخبر أو الحكم - المخبر به - المسند، فهو المتحدّث به في الجملة الاسمية، وقد يكون:
1- اسماً مفرداً:

- مثل: ذلك الدين النّصيحة.

- ما في قوة الاسم الصريح، كما في جملة: شعار العلم لا إله إلا الله.

- المصدر المؤول مثل: (حسن الأدب) (أن تتصت لمحدّثك)، نجاح الصلاة أن نخلص النية لله، مبتدأ المصدر المؤول/خبر.

2- أن يكون جملة:

- اسمية: مثل الجهل مرتعه وخيم، أو القرآن الكريم فائدته عظيمة.

- فعلية: الصوم يطهر النفوس، الأزهار تعطر الأمكنة، أو كما هو في الآية الكريمة:
﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى/15).

3- أن يكون الخبر شبه جملة:

- الظرف: الوردة بين كتبك، أو الحب بين خفقات قلبي.

(1) ينظر: رابع بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص 29.

- الجار والمجرور؛ مثل: السلام عليكم، الأمان لكم. ملحوظة: يمكن أن يعمل المسند في المركبات الإسنادية مثل: الفعل اسم الفعل، خبر المبتدأ، خبر الفعل الناقص، خبر (إن) وأخواتها، خبر الأحرف التي تعمل عمل (ليس)⁽¹⁾.

تبعاً لتقسيم الأصلية والفرعية فإنّ هناك:

أ- **المبتدأ الأصلي**: وهو الذي لم يتحول عن عنصر آخر، ويقع في تركيب واحد، وهو (مبتدأ+خبر) نظير خالد بطل، كما في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ (الأنبياء/56).

ب- **المبتدأ المحوّل**: وهو الذي يدل التحليل النحوي على أنّ له صورةً أخرى لم يكن فيها مبتدأ، ويقع في تركيبين:

- مبتدأ+ (مبتدأ وخبر) نظير: الصدق عاقبته محمودة، أو: المصليّ قلبه مطمئنّ بذكر الله.

- مبتدأ+ (فعل وفاعل أو نائب فاعل) نظير: المجدّ يدرك غايته.

لقد حكم على المبتدأ في التراكيب الأربعة المتقدمة بوصفه "محوّلاً"؛ لأنّ الأمثلة مؤوّلّة بالتحويل إلى هذا الشكل: عاقبة الصدق محمودة، يدرك المجدّ غايته، قلب المصليّ مطمئنّ بذكر الله، يدرك المجدّ غايته، يجمع الله بيننا، فلا يكون (الصدق) و(قلب) و(المجدّ) و(الله) عند ذاك مبتدئات⁽²⁾.

(1) سليمان فياض، النحو العصري، مركز الأهرام، ط1، ج1، 1995، ص95.

(2) ينظر: محمد الطاهر الحمصي، الجملة بين النحو والمعاني، إشراف: مازن المبارك، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 1410هـ-1989، ص29-30، ويستحب العودة إلى ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، بيروت، لبنات، ط2، 1986.

أولاً- صور الجملة الاسمية المحولة بالزيادة التي لغرض النفي وتوجيهها الدلالي:

نشير إلى أن الكلام المنفي هو " تركيب مشتقّ من الكلام الأساس المثبت الإيجابي فالتغيير الجوهرى الذي يطرأ على التركيب الأساس هو إضافة الأداة اللغوية المحققة لوظيفة (النفي)"⁽¹⁾، ويجمل بنا أن نسوق قولاً لابن يعيش في هذا الصدد أنه قال: "اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب؛ لأنه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أن أحدهما نفي والآخر أيجاب"⁽⁴⁾.

في الجملة الاسمية غير المحضة أي الجملة الاسمية المنسوخة المحولة تحويلاً جذرياً؛ أي من ما محلّه مبتدأ وخبر إلى جملة فيها (كان أو أخواتها) في مريم، نبين في التحويل المحلّي أي أن قاعدة التحويل لا تغير الجملة جذرياً فتكون اسمية تصبح فعلية وإنما تتغير شكلياً؛ فحقيق بالأفعال الناقصة؛ أي (كان وأخواتها) تبدّل نحو بنية العبارة، كما يقول تشومسكي: (Phrase structure grammar)⁽⁵⁾ (وتحوّل بنية التركيب شكلياً)؛ لأن الأفعال الناقصة تحتوي على زمن ولا تحتوي على حدث، والفعل يتم معناه باقترانها معاً فيه فالفعل (خَلَقَ اللهُ البَشَرَ) يحتوي - في منطق بنائه- على زمن الخلق، وهو الماضي، وحدث الخلق المشتق من جذره الفعلُ وبنيته.

أمّا الأفعال الناقصة فهي تدخل على الجملة الاسمية فتحوّل بنيتها بإضافة الزمن عليها ثم تلحق الأدوات التي قد تحوّل هذه البنية بدورها إلى بنية تركيبية تحويلية أخرى لها بنيتها العميقة في الداخل، ولها ظاهر الشكل اللغوي في القرآن الكريم وفي الكلام أجمعه، وقد قصد بالأدوات في النحو العربي الحروف التي تنزاد إلى الجمل لتحويل معناها وصرفه.

(1) عبد الحلیم عیسی، البنية التركيبية للتركيب اللساني، ص 113-114.

(4) شرح المفصل، 107/8.

(5) ينظر: جون ليونز، تشومسكي، ترجمة: محمد زياد كبة، ص 45 .

وأما السيوطي فقال: "أعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف، وفي هذا اتساع لمصطلح الأدوات لتشمل الحروف وما يشبهها من أفعال وأسماء وظروف"⁽¹⁾، على خلاف بعض العلماء القائلين: بمجانبة الصواب إذا أطلقنا مصطلح (أداة) على حرفي الاستفهام مثلا: هل أو الهمزة أو حروف أخرى، فكان عبده الراجحي من المشددين في هذه المسألة فقال: " يخطئ كثير من الدراسين حين يستعمل في دراسة النحو كلمة (أداة)، فيقول: أداة استفهام أو أداة نفي، أو أداة شرط، وذلك كله خطأ؛ لأن الكلمة العربية- كما حددها النحاة- ليس فيها أداة وإنما هي اسم أو فعل أو حرف ليس غير، ولو أنك أعربت الأمثلة الأخيرة وقلت عن: (هل - متى - من) إنها أداة استفهام، لما أعانك ذلك على معرفة موقعها الإعرابي، ولا ارتباطها بما يتلوها من كلمات"⁽²⁾.

ونحب أن نوضح عمل الأفعال الناقصة ودورها في تحويل البنى الاسمية إلى دلالة قابلة لتجدد عمل القواعد التحويلية عليها مرة أخرى، فهي "تدخل على التركيب الأساسي لإفادة وظيفة مخصوصة حددها سيبويه في قوله: تقول: كان عبد الله أخاك، وإنما أردت أن تخبر عن الإخوة، وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى، ف(كان) أفادت في التركيب الاسمي عبد الله أخوك أي العميق للتركيب المحوّل، ارتباطه بزمن معين؛ حيث إن الجملة الاسمية في اللغة العربية لا تشتمل على معنى الزمن، فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند ولا تشير إلى حدث، ولا إلى زمن، فإذا أردنا أن نضيف عنصرا زمنيا طارئا إلى معنى هذه الجملة جننا بالأدوات المنقولة عن الأفعال (كان وأخواتها) أي الأفعال الناقصة فأدخلناها على الجملة الاسمية، فيصبح وصف المسند إليه بالمسند منظورا إليه من وجهة زمنية معينة"⁽³⁾، وما نجعله نфия في البنى التركيبية التحويلية في بحثنا هذا هو

⁽¹⁾ ينظر: محمد أحمد خضير، الأدوات النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم، مكتبة الإنجلو المصرية، ص7.

⁽²⁾ عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 2000، ص15.

⁽³⁾ ينظر: عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للتركيب اللساني، ص112.

ما يسميه فاضل الصالح السامرائي نفي العمدة، وأورد له فصلا لدراسة دلالاته وهو لنفي العنصر المضمّن في شكل لغوي المراد تحويله إلى عنصر في شكل لغويٍّ آخر، وهو الذي يدخل في تكون عماد الإسناد الفعلي أو الاسمي فقال: "قد تنفى العمدة، وهي المسند أو المسند إليه، فمن نفي المسند، قولك: ما حضر خالد بل سافر. وقولك: ما مسافر أخوك، فقد نفيت الحضور في الأولى، والسفر في الثانية، وهما مسندان"⁽¹⁾.

1- صور الجملة الاسمية المحوطة بالزيادة لغرض النفي:

نعائد الإشارة إلى المفهوم النحوي واللساني لمصطلح التحويل بالزيادة؛ إذ تعني إضافة أي نواة نحوية على ما كان بناءً توليدياً أساساً فتنسق مع بنية الإسناد، وتوجه الدلالة إلى غرض بلاغي معين يقتضيه المتكلم ويفهمه السامع أو القارئ، ففضلا عن أن أفعال الشروع والمقاربة والنواسخ هي عناصر للتحويل بالزيادة، فمن عناصرها-أيضا- "أدوات النفي التي تدخل على هذه التراكيب الإسنادية فتنتفي الحكم"⁽²⁾؛ أي الحكم المثبت في التركيب التوليدي قبل أن يصبح بالزيادة محولا لغرض النفي.

1-1- صور الجملة الاسمية المحوطة بزيادة "ما" النافية، وتوجيهها الدلالي:

ملحوظة: المنطق الواقعي واللغوي يقول بأن النفي يختلف عن الإثبات فمعنى النفي ضد معنى الإثبات ومنه فالجملة الاسمية أو الفعلية المثبتة هي مناددة للجملة الاسمية أو الفعلية المنفية، وكما للإثبات أدوات تدخل في معنى التوكيد؛ أي توكيد الخبر مثلا فإن للجملة الفعلية أو الاسمية أدوات تنسخ مفهوم الإثبات بالتحقق وتحمل مدلولها إلى اللامّثبت واللامّتحقق في واقع الطبيعة أو المخبر عنه في واقع اللغة، ومن منطلق مبدأ مطابقة الخبر للواقع الخارجي مادما في الجملة الاسمية، وعدم مطابقته أيضا، ونحن لا نحتاج إلى الخروج بتأويلات لعمل أدوات النفي مثلا من المنطق التي قاسوها عليه العلماء العرب، إلا ما تعددت أغراض العمل في بعض حروف النفي واشتملت على

(1) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج3، 185 .

(2) ينظر: رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم- صورها وتوجيهها البياني، ص39.

وظائف أخرى وهذا في باب أصول النحو يسمّى أحكام القياس؛ إذ "في النحو كذلك تعتبر القاعدة حكماً من أحكام القياس يجب أن يخضع لها كلّ الأمثلة، فيقال مثلاً: حقّ الحرف المشترك الإهمال وحقّ المختصّ بقبيل أن يعمل العمل الخاصّ بذلك القبيل؛ فهذا قياس يجب أن ينطبق عليه كلّ الحروف، وما خرج عن ذلك فهو في حاجة إلى وجوه من التأويل كما يقول الأشموني بعد أن أورد القياس السابق مباشرة: وإتّما عملت (ما) و(لا) وإنّ" التّافيات مع عدم الاختصاص لعارض الحمل على (ليس)، على أنّ من العرب من يهملنّ على الأصل"⁽¹⁾.

تأتي وقفات عدّة وقفها الرازي أمام تركيبات خبرية معينة، فهو - مثلاً - يقرر أن تصور النفي متأخر عن تصور الإثبات، بمعنى أن: زيد منطلق، هو أصل سابق للتركيب: ليس زيد منطلقاً، وهو يعلل ذلك بقوله: "علم أن الجملة الإثباتية قبل الجملة الانتقائية؛ ولهذا استغنوا عن حرف يدل على الإثبات، فإذا قالوا: زيد منطلق، فهم منه إرادة إثبات الانطلاق لزيد، والانتقائية لما كانت بعد المثبتة زيد فيها حرف غيرها عن الأصل، وهو الإثبات، فقيل: ليس زيد منطلقاً، فصار: ليس زيد منطلقاً، بعد قول القائل: زيد منطلق"⁽²⁾.

وهذا إنما تحليته اللساني الحديث، أن هناك أصلية لجملة اسمية وفرعية متأتية منها، ومتفرعة عنها تداولياً وسياقياً، وهذا في مخزن اللغة موجود لأن الأدوات موجودة على سياق يلائم المزيد والمزاد في الجملة والتحويل، إنما زيادة للأدوات من الإثبات إلى التوجيه الانتقائي كما يقول الرازي، وهذا قد لا ينطبق على النفي والإثبات فقط، وإنما يتجاوزهما إلى الاستفهام والتعجب والنهي والطلب والأمر، وكل الأساليب الأخرى التي تقاس بهذا المنحى التحويلي، ثم "يقدم على ذلك استدلالاً آخر، وهو أن قول القائل: زيد

(1) ينظر: محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ط4، 1989، ص68.

(2) ينظر: محي الدين محسّب، علم الدلالة عند العرب، فخر الدين الرازي نموذجاً، ص206.

منطلق. أصل، لأن المثبتات هي المحاجبة إلى الإخبار عنها، فإن التغيير في ذلك، وأما العدميات فعلى أصولها مستمرة، والنتيجة إذن أنك تتصور الوجود أولاً، استحال أن تتصور العدم، فإنك لا تتصور من العدم إلا ارتفاع الوجود، فتصور الوجود غني عن تصور العدم، وتصور العدم مسبق بتصور الوجود"⁽¹⁾.

وهذه نظرة منطقية لواقع اللغة والحياة والعالم والأشياء وهنا نتدخل لنبين أن مصطلح (كفاءة) لتشومسكي قاض بهذا المفهوم والتدريج في إذايته في مصطلح الأداء اللغوي وعمليته الفعلية عند الإنسان؛ وهذا لإقامة "القواعد التركيبية التي لها علاقة وطيدة بمعرفة اكتساب الأطفال لقواعدهم"⁽²⁾ اللغوية، ولذلك فلم الطفل لا يقدر أن يزيد الصحيح على الجمل الاسمية والفعلية في وقت ما حتى تدخل الأدوات حيز الوجود اللغوي والذهني عنده، ويعرف عمليات الربط بين الأدوات والعناصر فيعرف الربط في أي لغة كانت بين نفي الكرم عن محمد في جملة ما محمد كريم، وليست السيارة جائية اللحظة، وما شائي النجاح بكسول.

نرتب الأنماط على حسب كثرة تواردها بوصفها نماذج متكررة في ريع مريم، ففي هذا الورود الجميم بلاغة وفائدة وظيفيتين، كان علينا حتم الوقوف عليهما ودمجها في التوجيهات الدلالية للبنى التركيبية الفعلية والاسمية الواقعة فيها؛ لأنّ (ما) تنفي الجمل الاسمية والفعلية، على عكس ليس مثلا المختصة بنفي الجمل الاسمية، فإذا دخلت (ما) على الجمل الاسمية كان نفيها للحال عند الإطلاق، وإذا قيّدت كانت بحسب القيد، تقول: ما هو مسافرا. أي الآن، وتقول: ما هو مسافرا غدا"⁽³⁾.

ونعرض مثلا من المدونة المبحوثة للتمثيل على ذلك؛ أي لنفي الاستقبال بقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ

(1) محي الدين محسّب، المرجع السابق، ص 207 .

(2) رشيدة العلوي كمال، النحو التوليدي بعض الأسس النظرية والمنهجية، ص 36 .

(3) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج 3، ص 163 .

خَطَايَاهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (العنكبوت/12)؛ أي ليسوا هم حاملين في زمن الاستقبال من خطاياهم من شيء.

الصورة الأولى: التحويل بزيادة "ما" النافية على الضمائر المختلفة:

وأحصيناها إحدى عشرة مرة¹¹؛ وذلك كالاتي:

1- "ما" + الضمير "أنت" للمخاطب المفرد المذكر + شبه جملة (جار ومجرور) في محل خبر ما التي في معنى "ليس"، أو العاملة عملها:

"ما، وإن، ولا، ولات، المشبهات بليس"⁽¹⁾، كلها أربعة حروف فائدتها النفي، "وتعمل عمل ليس؛ إذ ترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتتصب الخبر ويسمى خبرها"، والحجازيون يعملونها عمل (ليس) كما تعلم، ومنه في القرآن الكريم (ما هذا بشرا)، وبنو تميم يهملونها ويرفعون جزئي الجملة بعدها؛ فيقول النحاة: إن لغة تميم أقيس لأن (ما) لا تختص بالدخول على الاسم فليس من قياسها أن تكون عاملة فيه⁽²⁾، لكن على العموم هي إن كان لها من وظيفة فوظيفتها تساوي في الاستعمال النحوي عمل (ليس) كما قلنا، ولذلك شبهت بليس ولكل منها أحكام⁽³⁾، سنراها في عرض صور التحويل بالزيادة في آنها.

(1) شروط عملها هي: 1- أن يكون اسمها مقدما على خبرها والنفي ليس منسوخا في حكمه بـ"إلا" أو غير منتقض بها ومثاله "ما الروح مثقلة بحبك في الهوى *** فالروح بعدك في خلق دائم --- فالحب كاليم الكبير وروحنا *** كغريق شوق في المحبة عائم"، 2- يشترط في عمل "لا" بعد الشرط الأول أن يكون اسمها وخبرها نكرتين ومثاله: لا عاشق صبا يهيم بحبه *** إلا وأنت في الجنان غرامه --- لا عاطش ظمنا يلاقي حبيبه *** إلا ورسخ في نداء خيامه، لات هي لا حوت بزيادة تاء التأنيث المفتوحة عليها، والكثير في لسان العرب حذف اسمها وبقاء خبرها، ومثاله المعروف "ولات ساعة مندم، ونضرب مثلا لها ببيننا الشعريين لإجلاء المسألة أكثر، وهما: عشق الفؤاد ولات عشق غزالة *** لكنها بشر يسوح بخافقي --- سبحان من خلق الحياة عجيبة *** واعجب لأمر المستهام العاشق.

ينظر: فؤاد نعمة، ملخص قواعد اللغة العربية، ص62.

ملحوظة: كل الآيات التي مثلنا بها هي من تأليف الباحث للتعليل العلمي وارتجلت لتتويع الشواهد وتكثيرها دون أن يتقيد الباحث بالأمثلة المعروفة المكرورة أو التي جاءت في الكتب فقط، وهي مرتجلة في محرم 1437هـ الموافق لـ 4 نوفمبر 2015م في الساعة الثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة صباحا ببسكرة، وهي من بحر الكامل كلها.

(2) ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ج1، ص29.

(3) محمود محمود حسني مغالسة، النحو الشافي، ص208.

هذا الشكل ورد ثلاث (3) مرّات، في الآية: 81 من سورة النمل، وفي 53 من سورة الروم، وفي 22 من سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾؛ ومعنى الجملة المنفية، أي "الكفار شبههم بالموتى فيجيبون"⁽¹⁾ إن سئلوا، "ما: حرف ناسخ يعمل عمل ليس هنا، وأنت: ضمير مبني على الفتح في محل رفع خبر ما، الباء: حرف جرّ زائد، مسمع: خبر مجرور لفظاً منصوب محلاً (الكسرة)، مَن: اسم موصول بمعنى الذي، مبني على السكون في محل نصب مفعول به لاسم الفاعل (مُسمِع)، في: حرف جرّ، القبور: اسم مجرور بفي وعلامة الجرّ الكسرة الظاهرة في آخره"⁽²⁾؛ "فيجوز أن يقع خبر ما مسبوقة بالباء الزائدة"⁽³⁾، وهي عنصر التحويل بالزيادة، ونستكف أن نقول: يكون الخبر مجروراً لفظاً منصوباً محلاً على الأعراب الشائع، وإنما نقول: خبر "ما" منصوب بالفتحة المقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجرّ الزائد وهو (الباء)، وهذا الأقرب إلى العربية في نظرنا.

وأصل البنية التركيبية التوليدية للآية الكريمة أنّ حرف النفي ما العامل عمل ليس ابتنى به تركيب تحويلي آخر مَروم منه عدم إثبات ما كان قبل النفي وهو نفي على الضمير (أنت) إسماع من في القبور أو الموتى، بخصيصة التركيب المنطقية وأصل البنية العميقة لها: (أنت مسمع من في القبور)، ونلمح دخولا منتسقا لأداتين هما (ما) مع دخول الباء لتأكيد ما نفته وترسيخه، فلو قال الله تعالى: ما مسمع أنت من في القبور، لم يكن المعنى المقصود بدرجة تأكيده فضلا مع خلوه من الباء التي أفادت التأكيد من جانب وتحويل سطحية اسم الفاعل ومباشريته إلى عمق يتطابق مع معنى عدم إسماع الضمير أنت لمن في القبور.

(1) جلال الدّين المحلي وجمال الدّين السيوطي، تفسير الجلالين، ص437.

(2) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص871.

(3) محمود حسني مغالسة، النّحو الشّافي، ص210.

2- "ما" + الضمير "أنت" للمخاطب المفرد المذكور + "إلا" للاستثناء المفيد التوكيد بالحصر:

ورد مرتين (2) في الآيتين: 154 و 186 من سورة الشعراء، كقول الله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (154)؛ ما للنفي، وأنت: ضمير اسم ما، إلا: "حرف حصر" (1) أو "أداة حصر" (2)؛ أي حصر - بلاغيا - الضمير أنت في جنس البشر، والتناسق الدلالي الذي جُني من الآية والآي المماثل لها، لم يتم تحويلها إلا بعد تناظر الأدوات ما و حرف الحصر إلا فتحقق المعنى المحول بالزيادة بما النافية التي تحمل -حسب رأينا- معنى ضمنا في تركيب الآية: وهو التوكيد أيضا.

3- "ما" + الضمير "نحن" للمتكلم الجمع + شبه جملة جار ومجرور في محل خبر "ما" (التي لها عمل ليس):

والمعرب شبه جملة جار ومجرور لفظا وخبر ما محلا، هذا الشكل ورد مرتين (2) في الآية: 138 من سورة الشعراء، وفي الآية: 35 من سبأ في قوله جلّ وعلا: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾، نلاحظ أن المنفي (بمعذبين) لحقته الباء الزائدة، وكثيرا ما تتطلب (ما) النافية دخول العنصر (الباء) حرف الجرّ الزائد على العنصر المنفي، وقال العلماء إنها تقتضي التوكيد حتما، ونقول: "الواو: عاطفة و(ما) الحجازية" (3) تعمل عمل ليس، (نحن): ضمير في محلّ رفع اسم ما، والجملة معطوفة، بمعذبين (4)؛ الباء: حرف جرّ زائد، ومعذبين: منصوب محلاً خبر ما النافية، أو أنه منصوب على نزع الخافض؛ فالبنية العميقة لهذه الآية الكريمة هي (نحن معذبون) أي الواو عاطفة كما

(1) الجلالان، التفسير، ص 747.

(2) عزيز خليل محمود، المفصل في النحو والإعراب، إعداد بأسلوب سهل متطور مع الشواهد الإعرابية، الجزء الثالث، الحروف والظروف والأدوات، دار نوميديا للنشر والإشهار، عين مليلة، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 1987، د ط، ص 171.

(3) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج 8، ص 101.

(4) دغاس، إعراب القرآن الكريم، الجزء 3، ص 71.

أعقبنا القول، وحذفنا العنصر النافي "ما" من التركيب المحوّل للآية الجليلة، وحذفنا الباء الزائدة التي أصلها محذوفة. ويظهر المنصوب متأثراً بـ (ما) التي تنفي فيكون معذبين المزيد بالباء منصوباً محوّلاً بدل أن كان أصله الرفع، فدلالة زيادة ما في الآية الكريمة دلالة صارفة للنفي، ونلمح دلالة التوكيد الخفية بزيادة الباء الزائدة على معذبين، ونستحبّ إعراب بمعذبين على هذا النحو: الباء حرف جرّ زائد، معذبين: اسم ما العاملة عمل ليس منصوب، وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الجر الشبيه بالزائد.

4- "ما" + الضمير "أنا" للمتكلم المفرد+شبه جملة جار ومجرور في محل خبر "ما" التي في مدلول "ليس":

هذا الشكل جاء مرّة واحدة في سورة الشعراء في الآية الكريمة 114 في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. نلاحظ أن المنفي بعد ما النافية هو الضمير (أنا) ودخول الباء أيضاً على (بطارد)، و"قرئ: وما أنا بطاردٍ الذين آمنوا، بالتثوين على الأصل"⁽¹⁾؛ أي في البنية التوليدية لتركيب الآية الكريمة، وفي أصل القاعدة النحوية، والبنية العميقة لها أنّه لم ينف الضمير وإنما نُفِيَ بـ(ما) قيام الطرد من الضمير (أنا)، ف(ما) عملت عمل ليس؛ أي "لستُ بطاردكم، فهذا لا يكون مني، لقد آمنوا وأمرهم- بعد ذلك- إلى الله لا لي"⁽²⁾؛ فبنية التركيب العميقة التوليدية قبل تحويل بزيادة ما والباء الزائدة على طارد هي: أنا طاردكم، أو أنا طارد لكم؛ إذ انتزعت(ما)، والباء وهذا مثال مضارع لأمثلة سابقة مع اختلاف الضمائر فقط.

(1) الزمخشري، الكشاف، الجزء 2، ص 390 .

(2) سيّد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج 4، ص 1874.

5- "ما" + الضمير "هم" للغائب الجمع المذكور+ شبه جملة جار ومجرور في محل خبر
"ما" التي لها دلالة "ليس":

هذا الشكل ووجدناه مرتين في الحج في الآية:2، وفي العنكبوت الآية:12، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج/2).
فبنية التركيب التوليدية للآية هي (هم سكارى)؛ لأن التحويل بالزيادة ظهر في إضافة عنصرين هما الأداة النافية (ما) وزيادة الباء على سكارى فمن بنية الإثبات إلى بنية النفي الذي هو مشفوع بالتوكيد الذي تحمله وظيفة الباء، وهي حرف جرّ زائد وإعرابه ذاته هو إعراب نظائره من النماذج القرآنية السابقة، و"قرئ (وترى) بالضم تقول أريتك قائماً أو رأيتك قائماً والناس بالنصب والرفع، أما النصب فظاهر، وأما الرفع؛ فلأنه جعل الناس اسم ما لم يسم فاعله وأنه على تأويل الجماعة، وقرئ (سكرى) و(سكارى)، وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان، سكارى وسكارى نحو كسالى وعجالي، وعن الأعمش: سكرى وسكرى بالضم وهو غريب"⁽¹⁾، وكذلك "قرأ حمزة والكسائي سكرى وما هم بسكرى، قال البغويّ هما لغتان لجمع السّكران، قال البيضاويّ وقرأ سكرى كعطشى إجراءً للسّكر مجرى العلل؛ أفرد الضمير في ترى الناس بعد جمعه في ترونها؛ لأنّ السّاعة يراها الجميع"⁽²⁾.

وهنا تداخل معنى النفي مع تحقّق التشبيه إذا في الآية: صورة استعارية وتشبيهية هي أنهم مشبهون بالسكارى من الشراب ولكنهم سكارى من الوجل؛ إذ المعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق، ولكن ما أرهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم، وقال ابن عباس والحسن ونراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب، فإن قلت لم قيل أولاً (ترون) ثم قيل (ترى) على

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب، ج 23، ص 201.

(2) المظهري (محمّد ثناء الله العثماني (القرن 13))، تفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي تونسلي، دار رشدية، باكستان، دار إحياء التّراث العربي، بيروت- لبنان، 1412هـ-2004/1425، الجزء 1، ص 2469.

الإفراد؟ قلنا: لأن الرؤية- أولاً- علقت بالزلزلة، فجعل الناس جميعاً راثين لها، وهي معلقة آخرها يكون الناس على حال من السكر، فلا بد وأن يجعل كل واحد منهم راثياً لسائرهم⁽¹⁾؛ أي لجمعهم.

6- "ما" + الضمير "أنتم" للمخاطب الجمع المذكر + شبه جملة جار ومجرور في محل خبر "ما" التي في معنى "ليس":

هذا الشكل، وعثرنا عليه في (العنكبوت/22) وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وأصل البنية العميقة لهذا التركيب هو "أنتم معجزون"؛ إذ أدخل عليه "ما" النافية، وحرف الباء "ب" أي "حرف الجر الزائد"⁽²⁾، وهو له دلالة التوكيد أيضاً فغير وظيفة "معجزون" شكلياً أما حقيقة فنقول: معجزين اسم ما منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجر الزائد "الباء".

الصورة الثانية: التحويل بزيادة "ما" النافية على أسماء الإشارة المختلفة: وألفيناها خمس 5 مرات، وذلك كالاتي:

1- "ما" + هذا للمفرد المذكر + "إلا" للاستثناء القاصي بالحصص لغرض التوكيد مع أداة النفي "ما":

وألفيناها في الآية: 68 من سورة النمل، وفي 43 من سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي كذب مختلق من عندهم، و"الجملة معطوفة (ما) نافية (هذا) اسم إشارة مبتدأ (إلا) أداة حصر (إفك) خبر (مفتري) صفة مرفوعة"⁽³⁾، وعلامتها الضمة الظاهرة في آخرها، وبنيتها

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب، الجزء 23، ص 201.

(2) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 794.

(3) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج 3، ص 73.

التوليدية (هو إفك مفترى) فالتحويل هنا بزيادة ما النافية وبنية اسم الإشارة مع الهاء للتنبيه، والأصل مبتدأ وخبر هما (هو إفك) والوصف (مفترى).

2- ما + اسم الإشارة "أولئك" لجمع المذكر الغائب + شبه جملة "ظرف مكان":

كالذي في الآية 17 من فاطر: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، ومع شبه جملة جار ومجرور كما في الآية 47 من سورة النور: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أداة النفي (ما) دخلت بعملية الزيادة لتوجيه المعنى فنفت صفة العزة عن اسم الإشارة؛ ذلك وشبه جملة جار ومجرور، أو الظرف متعلقان بـ (بعزيز) أي ما أصله في التركيب التوليدي قبل النفي خبر مرفوع لاسم الإشارة ذلك، والباء هي لتوكيد النفي، وهي من أشهر الحروف المؤكدة للنفي في اللغة العربي وهي " (من) و (إن) و (لا)"⁽¹⁾. وكذلك في (وما أولئك بالمؤمنين)؛ "أي: بمصدقين لك"⁽²⁾، والبنيان التوليديتان المحولتان بالزيادة التي لغرض النفي المؤكد هما (ذلك عزيز على الله)، و (أولئك مؤمنون)؛ فالتحويل حصل بزيادة "ما" في كل من الآيتين الكريمتين، وبالتأخير في اسم ما المزيد بالباء الزائدة في الأولى، وبزيادة الباء الزائدة في الآية: الثانية.

3- "ما" + اسم الإشارة "هؤلاء" الذي للجمع المذكر مع "جملة مضارعية": كما في الآية 65 من سورة الأنبياء: ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

الصورة الثالثة: التحويل بزيادة ما النافية على شبه جملة "جار ومجرور": وألفيناها ثماني مرّات، وذلك كالآتي:

(1) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، المجلد الثالث، ص 198.

(2) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (426هـ/489هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، د ط، 1997، ج 2، ص 40.

1- "ما" + حرف الجرّ "اللّام" ضمير "هم" أو "له" أو "لكم" أو "لنا" أو شبه جملة "جار ومجرور" + شبه جملة "ظرف مكان" أو "ظرف زمان":

كما في الآية: 29 من سورة الروم، والآية: 22 من سورة سبأ، والآية: 100 من سورة الشعراء، و 20 و 24 من العنكبوت، و 54 من التّور، و 18 من الحج في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور/54): إن تركيب الآية الكريمة تركيب تحويلي؛ ذلك لأنه اعتمل فيه تحويلات مختلفة أولها تحويل بزيادة الفاء الداخلة على جواب الشرط، والزيادة التي نتطلع إلى دراستها وهي زيادة حرف (ما) النافية على شبه الجملة (له)، ثم زيادة (من) على مكرم والأصل التوليدي من دون (لا)؛ لأن البنية التوليدية له هي (له مكرم) فصرفت ما المعنى من الإثبات إلى النفي بوصفها عملت عمل ليس، ونعرب (مكرم) بما يلي اسم ما مؤخر لصدارة الجار والمجرور عليه (له)، وهو مرفوع وعلامته الضمة المقدرة على آخره متع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حر الجرّ الزائد (من).

ويمكن أعرابها بصورة أخرى فالجملة: "جواب شرط غير جازم مسبوق بنفي مقترن بالفاء في محل جزم، الفاء: رابطة لجواب الشرط، ما: نافية لا عمل لها، له: جار وممرور متعلق بخبر مقدّم، من: حرف جرّ زائد توجيهه الدلالي لتأكيد معنى النقي، مكرم: اسم مجرور لفظا مرفوع محلاً على أنّه مبتدأ مؤخر، بمعنى ماله من مكرم يكرمه بالسعادة"⁽¹⁾ والفلاح، "وقرأ ابن أبي عبله «مكرم» بفتح الراء على أنه مصدر ميمي كما في القاموس أي مما له إكرام، وقيل اسم مفعول بمعنى المصدر ولا حاجة إلى التزامه، وقيل يجوز أن يكون باقيا على ما هو الشائع في هذه الصيغة من كونه اسم مفعول، والمعنى ما له من يكرم ويشفع فيه ليخلص من الإهانة"⁽²⁾.

(1) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرثّل، ص 296.

(2) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوّسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نسخة محققة، د ط، 1415هـ، ج 9، ص 127.

الصورة الرابعة: التحويل بزيادة "ما" النافية على المصادر والجموع: وأفيناها مرتين، وذلك كالآتي:

1- "ما" + مصدر مرفوع:

كما هو في الآية 28 من سورة لقمان في قوله: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾: ودلالة التركيب هي "أي كخلق نفس واحدة"⁽¹⁾، و"إلا كبعث نفس واحدة"⁽²⁾. وهنا نشهد التركيب التحويلي للآية الكريمة بزيادة حرف النفي ما على مصدر، وهو ليس عند حدود النفي فقط بل النفي مع أداة القصر إلا شكل لنا حصر معنى وقصره، فلم ينف الله عز وجل الخلق ولا البعث تماما، وإنما جعله محصورا ضمن صيغة واحدة وهي أن هذا الخلق والبعث له وجه واحد وهو كخلق نفس واحدة وبعثها تماما، لأن الأداة إلا تفيد ذلك مع النفي فهذا توجيهه الدلالي، وبنية الآية الكريمة التوليدية هي: خلقكم وبعثكم هما كخلق نفس واحدة وبعثها.

ف"ما): نافية لا عمل لها، خلقكم: مبتدأ مرفوع وعلامته الضمة الظاهرة في آخره، الكاف: ضمير متصل ضمير المخاطبين، مبني على الضم في محل جر بالإضافة، والميم: علامة جمع الذكور، ولا بعثكم: الواو عاطفة، لا: زائدة توجيهها الدلالي لتأكيد النفي، بعثكم: معطوفة على (خلقكم) وتعرب إعرابها بمعنى ما خلقم من عدم ولا بعثكم يوم الصيحة من قبوركم، إلا كنفس واحدة. إلا: أداة حصر لا عمل لها، كنفس: الكاف اسم بمعنى مثل يفيد التشبيه، مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ، نفس: مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جرّه الكسرة، بمعنى إلا كخلق نفس واحدة، وبعثها أي سواء في قدرته، وقد حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، واحدة: صفة، نعت مجرورة وعلامة جرّها الكسرة"⁽³⁾.

(1) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص421.

(2) الفراء، معاني القرآن، ج1، ص15.

(3) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ج9، ص173.

2- "ما" + اسم "جمع تكسير" + حرف جر واسم مجرور: كما في الآية 37 من سورة سبأ، وهو في قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾. وتركيب الآية الكريمة التحويلي كتركيب نظيرتها السابقة؛ إذ ما تلاها اسمان معطوفان على بعضهما، وهما أموالكم ولا الزائدة التي لها علاقة بما النافية ثم أولادكم، إنما هي معطوفة بالواو على "ما"، لكن في شقها الثاني هناك اختلاف في بنية التركيب التحويلي إذ زيدت الباء على اسم الموصول (التي) وصلتها التي لا محل لها من الإعراب (تقريبكم عندنا زلفى) والأصل التوليدي للتركيب هو أموالكم وأولادكم الأشياء التي تقريبكم عندنا زلفى.

2- صور الجملة الاسمية غير المحضة المحولة بالزيادة لغرض النفي:

2-1- صور الجملة الاسمية المحولة بزيادة "ما" النافية على الفعل الماضي الناقص

فعل النسخ كان"، وتوجيهها الدلالي:

2-1-1- زيادة "ما"، أو "فما" على كان + اسم كان وخبرها:

أُحصِيَ ورودها تسع مرّات في الآيتين: 35 و 64 من سورة مريم، والآيات: 8 و67 و121 و158 من سورة الشعراء، والآية: 24 من العنكبوت، بتقديم الخبر على الاسم، ويكون الاسم بعد إلاّ وأنّ ومعمولها محولة بالاستبدال في تأويل مصدر، والآية: 40 من العنكبوت، والآية: 40 من سورة الأحزاب، كما في قوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت/40). أو كما في قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت/24)؛ وهنا أسلوب حصر محوّل بالزيادة التي تكمن في زيادة (ما) النافية على الأداة الناسخة المزيدة وهي كان، من جهة وزيادة أداة الحصر إلاّ

لتوكيد المنفي وحصره؛ إذ المعنى: جوابُ قومه قولهم: اقتلوه، فشهدنا زيادة الفاء و (ما) وكان وإلاّ وكلها لتوجيه تأكيد الحصر بعنصريه ما وإلاّ، "والإعراب: «فَمَا» الفاء حرف عطف وما نافية «كَانَ» ماض ناقص «جَوَابَ قَوْمِهِ» خبر كان المقدم ومضاف إلى قومه «إِلَّا» حرف حصر «أَنَّ» حرف مصدري ونصب «قَالُوا» ماض وفاعله والمصدر المؤول من أن والفعل اسم كان المؤخر، وجملة "فما كان" معطوفة على ما قبلها"⁽¹⁾.

2-1-2- زيادة "ما" على الفعل "كان": المتغاير الملحوم بضمائر مختلفة؛ كضمائر الغائب "هم" الجمع والمنتكلم المفرد "كنت" و الجمع "نحن"، على شبه جملة جار ومجرور أو ظرف مكان، وما+ فعل يكون للمضارع:

وردت هذه الأشكال ستّ (6) مرّات في الآية: 56 من النمل، و 29 من العنكبوت، و 36 و 38 و 15 من الأحزاب، و 21 من سبأ، فشكل زيادة ما+ كان+ شبه جملة/ظرف مكان؛ فشكل زيادة ما+ كان+ شبه جملة/ظرف مكان، قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرْجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (الأحزاب/38).

2-1-3- زيادة "ما" على الفعل "كان" + جملة فعلية مضارعية:

مثل (ينبغي)، محوّل مؤوّل في بنيتها العميقة ب: "انبغاء" على الرفع؛ لأنه في تأويل اسم كان، ومثاله في الآية: 18 من سورة الفرقان، وهي مرّة واحدة في قوله: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾، لو جردنا التّركيب القرآني من عناصر الزيادة التي حوّل بها لقلنا: إنّ (ما) النافية زائدة و(كان) التامة، فالفعل (ينبغي) في محلّ رفع اسم كان، والأصل التوليدي للتّركيب انبغاءً لنا اتّخذنا أولياءً من دونك، "وما نافية لا عمل لها، كان: فعل ماض تام مبني على الفتح بمعنى: ما كان يصحّ لنا ولا يستقيم لنا، ينبغي: فعل مضارع

(1) دغاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص451.

مرفوع لتجرده من أي ناصب أو جازم وعلامته ضمة مقدرة على الياء للنقل، لنا: جار ومجرور متعلق ب: ينبغي، وجملة: (ما كان ينبغي لنا وما بعدها) في محل نصب مفعول به - مقول القول -؛ أي ثم قالوا: (أن نتخذ من دونك من أولياء)، أن: حرف مصدري وناصب، نتخذ: فعل مضارع منصوب بأن وعلامته الفتحة الظاهرة في آخره والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره نحن، من دونك: جار ومجرور متعلقان ب"نتخذ" والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة نتخذ من دونك جملة صلة ل (أن) المصدرية لا محل لها من الإعراب، وأن وما بعدها بتأويل مصدر أي هما محولان بالاستبدال بالمصدر المؤول بالصريح وهو في محل رفع فاعل (ينبغي) وفاعل كان ضمير مستتر أو اسم محوّل بالحذف وتقديره ما كان الأمر⁽¹⁾، وإن لهذه الآية وجه آخر في إعرابها، وهو كون (كان) فعلا ماضيا ناقصا، واسمها هو المصدر المؤول من (أن نتخذ من دونك)، وخبره الجملة الفعلية (ينبغي لنا) في محل نصب⁽²⁾.

2-2- زيادة "لا" النافية على الجملة الاسمية:

أ- دخول "لا" على الجملة الاسمية المحضة المحولة - محليا - بالزيادة لغرض النفي:

(لا) هي من الحروف الناسخة للابتداء وعمل النسخ ليس إلا شكلا من أشكال التحويل الذي ندرسه ونبحث توجيهه الدلالي، ونقصد وظيفتها للتخصيص على استغراق النفي للجنس كـ^(*)، وهي تعمل عمل إن فتتصب المبتدأ اسما لها وترفع الخبر خبرا لها، ولا فرق في هذا العمل بين المفردة - وهي التي لم تتكرر - نحو: لا غلام رجل قائم، وبين المكررة نحو "لا حول ولا قوة إلا بالله"⁽³⁾، و(لا) هي أقعد في مساحة الجملة الاسمية منها

(1) ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، ص 108.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(*) استعملنا التخصيص لنحترز من التي يأتي الاسم بعدها مرفوعا مثل: لا مؤمن حاقدا؛ إذ هي ليست نصا في نفي الجنس؛ إذ يحتمل نفي الواحد ونفي الجنس؛ فبتقدير نفي إرادة الجنس لا يجوز "لا رجل قائم بل رجلان"، وأما "لا" هذه فهي لنفي الجنس ليس إلا؛ فلا يجوز "لا رجل قائم بل رجلان". ينظر: شرح ابن عقيل، ج2/ص5.

(3) شرح ابن عقيل للألفية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء2، ص5.

إلى الفعلية، وهذا نص سيبويه في شرح ذلك وتعليقه: "واعلم أن لا وما عملت فيه في موضع ابتداء كما أنك إذا قلت هل من رجل، فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ، وكذلك ما من رجل وما من شيء والذي يبنى عليه في زمان أو في مكان، ولكنك تضمه وإن شئت أظهرته، وكذلك لا رجل ولا شيء إنما تريد لا رجل في مكان ولا شيء في زمان، والدليل على أن لا رجل في موضع اسم مبتدأ، وما من رجل في موضع اسم مبتدأ في لغة بنى تميم، قول العرب من أهل الحجاز لا رجل أفضل منك، وأخبرنا يونس أن من العرب من يقول ما من رجل أفضل منك وهل من رجل خير منك، كأنه قال: ما رجل أفضل منك، وهل رجل خير منك. واعلم أنك لا تفصل بين ولا بين المنفى، كما لا تفضل بين من وبين ما تعمل فيه، وذلك أنه لا يجوز لك أن تقول لا فيها رجل، كما أنه لا يجوز لك أن تقول في الذي هو جوابه هل من فيها رجل، ومع ذلك أنهم جعلوا لا وما بعدها بمنزلة خمسة عشر فقبح أن يفصلوا بينهما عندهم، كما لا يجوز أن يفصلوا بين خمسة وعشر بشيء من الكلام؛ لأنها مشبهة بها"⁽¹⁾.

و(لا) حرف نفي قديم في العربية، وهو إما عامل فيدخل على الأسماء والأفعال، وإما مشبه ب(ليس) فلا عمل له، وإما داخل بوصفه عاطفاً أو داخلاً على النعت والحال والخبر، ولم يكن لحروف النفي حظوة هذه الوظيفة إلا ل(لا)؛ لا نقدر أن نقول قاطمة ما آتية، أو مات زيد ما كريم، ومرادنا من دراسة النفي بلا هنا هو دخولها وعملها للنفي على الجمل الاسمية وتأثير هذا الدخول على بنية التركيب الاسمي البلاغي والدلالية في ربع مريم، ومعينة فؤائد مجيئها، و(لا) لا يكون دخولها إلا على النكرات؛ فقد قال سيبويه واعلم أن المعارف لا تجرى مجرى النكرة في هذا الباب؛ لأن (لا) لا تعمل في معرفة أبدأ، فأما قول الشاعر: (لا هيثم الليلة للمطي)، فإنه جعله نكرة كأنه قال: (لا هيثم من الهيثمين)⁽²⁾، بحيث لا يتم وقوعها على معارف مثلاً: لا قدمت بلا القلم، "أما (غير)

(1) سيبويه، الكتاب، ج2/ص276.

(2) المصدر نفسه، ج2/296.

فتدخل على المعارف والنكرات، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (فصلت/15)⁽¹⁾، يحسن بنا أن ننوّه إلى أننا سندرس - تحويليا - دخول لا على الجمل الاسمية أي التي المسند إليه فيها اسم، وبذلك فنحن نستقصي عمل لا النافية للجنس العاملة عمل إنّ والتي فيها درجة توكيد النفي كما في إن الناسخ الحرفي للجمل الاسمية ونستحب أن نعرض - باختصار - شروط عمل لا عمل إنّ:

- أن تكون نافية للجنس نسا لا احتمالا، أي "التي قصد بها التصييص على استغراق النفي لأفراد الجنس كله من غير ترك أحد"⁽²⁾.

- أن يكون المنفي الجنس بأجمعه، بحيث لا يبقى فرد من أفرادها - أن يكون اسمها وخبرها نكرتين.

- أن يكون اسمها متصلا بها، ويلزمه تأخير الخبر عنه - عدم تقدم خبرها عليها - عدم دخول حرف جرّ عليها⁽³⁾.

الصورة الأولى: زيادة "لا" النافية على "اسم نكرة"، وذلك كالاتي:

إنّ لحكم (لا) النافية للجنس نوعين؛ فالأول أن يكون اسمها مبني على الفتح في محل نصب اسم لا، وهذا حينما يكون مفردا وغير مضاف، أما إذا كان مضافا أو مشبها بالمضاف فيكون منصوبا بلا وعلامة نصبه الفتح الظاهر، "وتسمّى لا التبرئة لأنها تنفي حكم الخبر عن الجنس، وتدلّ على تبرئة جنس اسمها من معنى الخبر"⁽⁴⁾.

بعد تفحصنا المدونة القرآنية التي أخرجنا منها صور التحويل بزيادة (لا) للنفي على الجمل الاسمية عثرنا على وجود لها ثلاثا وعشرين مرة 23، والتمحنا وظيفتها

(1) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص178 .

(2) عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ط3، ص686-687.

(3) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، 127.

(4) ينظر: محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، نشر مكتبة ابن تيمية وتوزيعها، القاهرة-

مصر، ط1، 2003، ج1، ص306.

النحوية ظاهرة ومؤولة بقرائن التأويل المتاحة في اللغة العربية بالخصوص في النص القرآني الجليل، ويبين الأمر فور وصولنا إليه إن شاء الله تعالى.

1- زيادة "لا" النافية للجنس على اسم نكرة+ "إلا" التي للحصر، وعرضها توكيد المحصور المنفي بـ"لا":

كان ذلك أربع مرات 4 في كل من الآيتين 8 و 98 من طه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (98)، نموذج إنما الذي قدرنا تحويله وبنيته العميقة ورد معنا، ثم الشكل الخاص بالقرآن الكريم في النفي في بناء التركيب "لا إله إلا الله". و 87 من الأنبياء، و 26 من النمل في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾؛ هنا "لا النافية" المزيد عملت عمل "إن"؛ لأن لها وظيفة "نفي الخبر على أفراد الجنس جميعهم على سبيل التنقيص لا على الاحتمال"؛ فليس محتملا دخول بعض أفراد الجنس المنفي في الآية:ضمن اللا منفي، إنما ما نص فهو قاطع النفي تام تماما كاملا فبهذا المعنى لا يحتمل بعد إلا وجود إله آخر غير الله الموصوف بأنه "هو ربّ العرش العظيم" وتقدير بنية التركيب العميقة لا إله موجود على الإطلاق؛ أي الخبر محوّل بالحذف/محذوف" مقدر بقريئة منطقية البنية التحويلية العربية، إلا الله عز وجل وهو رب العرش العظيم، وعملية الحصر لإثبات أن الله موجود وهو الإله الأوحد الذي لا شريك له مطلقا أولاً وأبداً، و "إله اسم لا منصوب" وعلامته الفتحة⁽¹⁾. ومغزى الآية: سياقيا جاء بوصفه جملة استثنائية وهو "ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم"⁽²⁾ وفارق.

2- زيادة "لا" النافية للجنس على اسم نكرة+ شبه جملة جار ومجرور، متعلقان بخبرها أو شبه جملة ظرف مكان أو زمان:

وجدت هذه الصور في الآيات الآتية:

(1) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 755.

(2) الجلالان، التفسير، ص 379.

- نمط شبه الجملة جار ومجرور: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه/108): حدث التحويل بزيادة " (لا) النافية للجنس" (1) لنفي للمصدر عوج، و"الجملة (لا عوج له) في محلّ نصب حال من الداعي، ولا النافية للجنس وعوج اسم لا مبني على الفتح في محلّ نصب وخبرها محوّل بالحذف، له: جار ومجرور متعلّق بخبر (لا) بمعنى لا يعوج له مدعوّ بل يستوون إليه بغير انحراف؛ أي لا يقدر أحد أن يعرض عن اتّباعه" (2)، ثم التحويل بالنفي بلا بعد الفاء الفصيحة، والفعل تسمع إلا همسا والتي هي لفائدة القصر ودلالة توكيد فعل سماع الهمس، وهذا التحويل بزيادة "لا" على التركيب الفعلي.

وفي 97 من طه أيضا: ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ أولا نفي المصدر "مساس" وثانيا النفي بـ "لن" تخلفه أي الفعل الذي بني لما لم يسمّ فاعله؛ أي للمجهول. و94 من سورة الأنبياء، والآية: 37 من النمل، و50 من الشعراء، و30، 43 من الروم، و13 من الأحزاب، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب/13)، أو نمط مكثف بتقدير الخبر المحذوف "موجود" فقط، كقول الله تعالى في الآية 51 من سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، ومع شبه الجملة جار ومجرور، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (فاطر/2).

(1) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص636.

(2) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل، مج7، ص156.

- نمط شبه الجملة؛ ظرف مكان:

في الآية:2 من السجدة وهو قوله جلّ من قائل: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، والآية:55 من الأحزاب التي احتوت على شكل بعد الاسم المنفي كان "ما الموصولة" بمعنى "الذي"، والتي في تقدير: في الذي ملكت أيمانهن، أي في حكم جرّ اسم مجرور بفي التي تقدر سحبها قبل "ما" عطفاً على "في آبائهن"، وتقدير قرينة النفي على المحذوف المفهوم من سياق الآية في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا{55}﴾: فالتقدير العميق - للتركيب القرآني الكريم - ولا جناح عليهن في آبائهن، ولا جناح عليهن في أبنائهن، ولا جناح عليهن في أبناء إخوانهن ولا جناح عليهن في أبناء أخواتهن، ولا جناح عليهن في نسائهن، ولا جناح عليهن فيما ملكت أيمانهن، وتقدير الخبر محذوف قسراً من السياق لمنطق النفي بـ"لا" في العربية، وأصله موجود أي لا جناح موجود عليهن، وهذه صور للتحويلات بالحذف الإلزامي وبناء مساحات التقدير في العربية من الوجهة التحويلية للنظرية اللسانية واللغوية العربية.

ومع ظرف الزمان في الآية:22 من الفرقان وهو قوله العظيم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾.

ب- دخول "لا" على الجملة الاسمية غير المحضة المحولة - محلياً - بالزيادة لغرض النفي:

ورودها الإجمالي كان ستّ مرّات6، ونصنفها إلى صور على الشاكلة الآتية:

الصورة الأولى: زيادة "لا" على فعل ماض ناقص: وكان مرة واحدة، الفعل الناسخ المضارع وذلك كآلتي: جميل أن نشير إلى أن فخر الدين الرازي له رأي متفرد به في دلالة كان عندما تدخل على الجملة الاسمية وهو - في رأينا - من وجهة نظر اللسانيات

التحويلية النصية (رأي صحيح إلى حد بعيد منطقياً وعقلياً ولغوياً، وهو يعرض رأيه على هذه الشاكلة) أن لفظة (كان) أو الناسخة تامة مطلقاً إلا أن الاسم الذي يسند عليه لفظ "كان" قد يكون ماهية مستقلة بنفسها مثل قولنا: (كان الشيء) بمعنى حدث وحصل، وقد تكون تلك الماهية عبارة عن موصوفية شيء لشيء آخر مثل قولنا: (كان زيد منطلقاً)، فإن معناه: حدوث موصوفية زيد بالانطلاق، فلفظ(كان) هاهنا معناه الحدوث والوقوع، إلا أن هذه الماهية لما كانت من باب النسب، والنسبة يمتنع ذكرها إلا بعد ذكر المنتسبين، لا جرم وجب ذكرهما هاهنا، فكما تقول: (كان زيد) معناه أنه حصل ووجد، فكذا قولنا: كان زيد منطلقاً، معناه أنه حصلت موصوفية زيد بالانطلاق، وهذا بحث عميق عجيب دقيق غفل عنه الأولون⁽¹⁾.

إذ ألفيناها مرة مع الفعل (كان) في الآية:53 من سورة الأحزاب في قوله تعالى جده وتبارك: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾، وجاء بتتويجات مختلفة مع الفعل الناسخ "زال" بالمضارع في الآية:55 من الحج وهي قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾، وجاء مع يكون مسندا لضمير المتكلم المفرد (أنا) في الآية:48 من سورة مريم، وهي قوله: ﴿وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾، ومرتين مع "يكون" مسندا إلى الغائب المفرد المذكر في الآيتين 37 و50 من الأحزاب، وهو قوله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا {37}﴾، وفي قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

(1) محي الدين محسب، علم الدلالة عند العرب، ص222.

رَجِيمًا {50}». ومرة واحدة مع (يكون) ولكن مسندا إلى ضمير الجمع المذكر الغائب المنصوب بحذف النون بعد "أَنْ" المدغمة في "لا" (ألا يكونوا) وضحا في الآية: 3 من سورة الشعراء في قوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

أما الشكلان التحويليان المنعقدان على زيادة (لا) النافية على مصدر (خلقكم)، ولا بعنكم فهما في متن الآية الكريمة 28 من سورة لقمان وهي قوله: ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، والمتبوعة بـ(إلا) للحصر، و(لا) مولود له هو جاز عن والده في 33 من لقمان وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾؛ فهذا نعه في باب عمل لا عمل ليس المشبهة بالفعل فلا التي عطف على ما خلقكم لم تعمل كإن فتصب الاسم وإنما كان المصدر (بعنكم) مرفوعا على الاسمىة للا المقدرة بليس وكنفس واحدة بعد إلا في محل نصب خبرها، والاسم المفرد؛ - أي لا هنا "للوحدة كما يسميها علماء النحو واللغة - مولود مرفوع على تقدير (لا) ب: "ليس" والتركيب "هو جاز" تركيب اسمي فعلي محول باستبداله إلى جملة اسمية في تقدير البنية: جازيا عن والده شيئا، أي التركيب في محل نصب خبر "لا" التي شغلت شغل "ليس"، ولم تتصب اسمها، ولم تكن نافية للجنس.

وأما "لا" التي للعطف فكانت في الآية: 35 من سورة النور، وفي تركيبى الآية الجلية 61 من سورة النور، وهما "ولا على المريض حرج" "ولا على أنفسكم"، من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى

أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾.

2-3- زيادة "لم" النافية:

دخولها على الجملة الاسمية غير المحضة أي التي حولت في بنيتها بدخول ناسخة من مثل كان وأخواتها أو فعل ناسخ مثل كاد وأخواتها، وهي محولة محليا بالزيادة التي لغرض النفي.

نودّ الإلماح إلى أداة الجزم التحويلية "لم) التي للنفي"⁽¹⁾ تدخل على الفعل مضارع فتقلب زمنه إلى الماضي، لكن إنها لمجردة أن أضم رأي إلى رأي فاضل الصالح السامرائي مما رآه من أن دخول (لم) على المضارع "دلّ على انتفاء الحدث في الماضي لكن بصيغة التجدد والاستمرار"⁽²⁾، التوجيه الدلالي وتحليل ما قاله السامرائي أن التوجيه الدلالي لما تصرفه لم من نفي الأحداث على الفعل المضارع أكد في انتفائها مدّة وسيعة، ومع طول المدة لم يحدث هذا الفعل وهذا - في اعتقادنا- في الجهاز اللغوي الذي رُكّب في لم الداخلة المضارع القالبة لزمنه ماضيا وفي المنحى التداولي لها ففي القرآن الكريم الحقل دقيق الاستعمال؛ لأنه يصدر من حقيقة أبدية وأزلية اسمها الله وعلى لسان شخصيات سروده القرآنية، وأبطال قصصه من أنبياء وصالحين وغير ذلك، فكل القص هي حقائق فاستعمال (لم) في القرآن الكريم كله قمين بأن يمنحها الشكل الأصح والأكمل، فنسحبه على استعمالنا الوظيفي والتداولي العادي وحتىّ الشعري البلاغي.

ورد استعمال التحويل بزيادة (لم) للنفي في ريع مريم تسع 9 مرات، كلها على الجملة المحولة قبلا من الاسمية المحضة إلى غير المحضة، والتي التحق بها فعل ناسخ ثماني جمل لحقها مضارع كان والفعل مجزوم طبعا بلم وعلامة الجزم مختلفة حسب إسنادات الفعل إلى الضمائر الفاعلة والقائمة به، وجاء في جملة واحدة (لم) دخلت على فعل من أفعال المقاربة وهو (يكذ) وما بعده جملة فعلية (يراه)، وهي في الآية: 40 من سورة النور: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

(1) رضي الدين محمد بن الحسن الإسترابادي، شرح الرضي عن الكافية، ج2، ص44.

(2) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص167.

الصورة الأولى: لم+يكن: أي الموكول إلى ضمير الغائب المفرد المذكر "هو": ووردت أربع مرات، 4، وذلك في الآيات 14 من مريم، و13 من الروم، و2 من الفرقان، و6 من النور، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ {6}﴾:

الصورة الثانية: لم+ "يكونوا": قد وردت مرة واحدة في الآية: 40 من الفرقان، منسوبة إلى ضمير الجمع المذكر الغائب، وقد سبق حرف النفي فاء وقبلها همزة الاستفهام فالتحويل تحويلان بالزيادة على الجملة المنسوخة بـ"كان"، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

الصورة الثالثة: لم+ "أكن" و "أك" أي للمتكلم المفرد "أنا": وجاء في الآيتين الجليلتين 4 و20 من مريم، وهما: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا {4}﴾ و ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ بِغِيًّا {20}﴾.

الصورة الرابعة: لم+ تك: أي مسند للمخاطب المفرد المذكر "أنت": وهو مرة فريدة في 9 من مريم قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾، وأصلها التوليدي تكون شيئاً فحذفت الواو من تكون للجزم أي لعامل لم وحذفت النون للتخفيف وهذا بعد تحويل البنية بزيادة "لم" عليها وغرضها البلاغي روم النفي أي نفي معنى أن تكون أو كونك شيئاً.

2-4- زيادة "إن" التي بمعنى "ليس" أو "ما":

الحرف (إن) من حروف النفي وهي "ما ولا ولم ولما ولن"⁽¹⁾، ونرى بأن (إن) "أقوى توكيدا من ما، وهي إذا دخلت على الجملة الاسمية كانت لنفي الحال"⁽²⁾، وإذا التحقت بالبنية قرينة تدل على الاستقبال في الزمن دلت على الاستقبال كما في الآيتين 71، و93 من سورة مريم: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا {71}﴾ و ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي

(1) الرّمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ج1، ص405.

(2) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص167.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا {93}»، وأصل هذه البنية التركيبية هو كلٌّ من في السموات والأرض آتَى الرحمن عبداً؛ إذ نشهد عنصرى زيادة يؤديان وظيفة مشتركة هي التوكيد باجتماعهما معاً، وهما أن التي بمعنى ليس و إلا التي للحصر، ووظيفتين مختلفتين بلاغياً فالأولى نافية وهي - في نظرنا- من بين ما يكثر من أدوات النفي في القرآن الكريم وإلا وهي للاستثناء وحوّلت البنية التركيبية إلى ما هي عليه ولعنا نلاحظ الخيط الخفي الذي يوشج وظيفتيهما دلالياً في البنية، فهما يستجلبان بعضهما، ومن عرى اللسانيات النصية أن تكشف العلاقة بين الأدوات المزيدة للربط أو النفي أو النفي والاستثناء في فصوص الجمل، وبين البنى النحوية والتركيبية وتحلل العلاقة المنطقية في اللغة بينهما، ثم العلاقة النصية والجمالية بينهما وقد تحققت الزيادة.

وقد تدل على المضي أي بؤرة المعنى في القرينة المشعة بالحدث في المضي كما في الآية: 24 من فاطر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾، والأغلب الأعم تأتي للتوكيد وفوق ما كما أسلفنا في وظيفتها التأكيدية في اللغة العربية والقرآن الكريم، ومن حالاتها للتوكيد الآية: 23 من فاطر: ﴿إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾، الأصل "أنت نذير" دون المزيدتين "إن" و"إلا" والمحصور "أنت" فتدخل إن وإلا على ضمير المخاطب المفرد وهذا تنوع من تنوعات دخولها.

الصورة الأولى: إن+اسم معرب على التقدير أو بالظهور+إلا: وردت هذه الصورة خمس 5 مرات في الشعراء: 24، 109، 127، 145، 180، ومثاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ {24}﴾. وقوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {109}﴾

الصورة الثانية: إن+ضمير+إلا: جاءت هذه الصورة ثلاث 3 مرّات:

1- مع ضمير المخاطب المفرد المذكر "أنت": في قوله تعالى: ﴿إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (فاطر/23).

2- مع ضمير المخاطب الجمع المذكر "أنتم": في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ﴾ (الروم/58).

3- مع ضمير المتكلم المفرد المذكر "أنا": في قوله تعالى: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الشعراء/115).

الصورة الثالثة: إن+ اسم إشارة+ إلا: وفيها صورة واحدة، وردت ثلاث مرات في الربع المبحوث؛ وهو: إن+ هذا للمشار إليه المفرد المذكر العاقل أو غير العاقل + إلا: وجاء في قوله تعالى وتعظم: ﴿إِن هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء/137)، وفي قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (الفرقان/4)، وفي قوله: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (النمل/68). وتحليل البنية ينعقد على حذف المزيادات وإرجاع البنية إلى منطقتها الأصلي وشكلها الأول "وهو هذا أساطير الأولين"، "وهذا إفك افتراه"، ولو قارنا بين الشكلين أي قبل الزيادة وبعد الزيادة لاتضح أن التحويل يفارق المعنى، ويصيِّره له أبعاد أخرى، فدون زيادة هو بنية إخبارية فقط، وبعد الزيادة إخبارية وتوكيدية وهذا متصل بسياق الآية: لحساب درجة ملائمة التوكيد لها.

الصورة الرابعة: إن+ شبه جملة؛ حرف جر واسم مجرور+ إلا: جاءت مرتين مع الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا {71}﴾، والآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ {24}﴾.

2-5- زيادة الناسخة النافية "ليس": وردت في الربع المدروس ثماني 8 مرات، في الآيات الآتية: 10، 68 من العنكبوت، و 29، 15، 58، 60، 61 مرتين من النور. ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (10/).

الصورة الأولى: مسبوقة بواو+همزة الاستفهام الإنكاري+ليس+اسمها+خبرها "مؤولا محلا وهو شبه جملة جار ومرور لفظا":

ونجده في 10 من العنكبوت في قول الله الجليل: ﴿مَنْ رَبُّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ الزيادة تعددت على صدر هذه الجملة التي بنيتها العميقة قبل عملية التحويل الله أعلم بما في صدور العالمين، فأصل البناء مبتدأ وهو لفظ الجلالة الله وخبره وهو الوصف أعلم، ولكن لدخول التحويل بزيادة الحرفان همزة والواو، وليس تغير نظام البنية وأصبح اسم ليس المبتدأ الله وخبره بأعلم بتعلق الباء الزائدة على مستهله، وحقيقة المعنى المستنبط من الآية الكريمة في البنية الأعمق من البنية العميقة التوليدية هي: الله يعلم أن هؤلاء المنافقين يظهرون ما لا يخفونه من النفاق وفي صدورهم التكذيب بالله عز وجل وبرسوله الكريم، أو " يقصد: الله أعلم بما في صدورهم منهم بأنفسهم وقال مجاهد : نزلت في ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال الضحاك"⁽¹⁾.

أما توجيهها الإعرابي فهو "الهمزة للاستفهام التقريري التوبيخي والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، وليس فعل ماض ناقص والله اسمها، والباء حرف جر زائد، وأعلم مجرور لفظا منصوب محلا على أنه خبر ليس، وبما متعلقان بأعلم، وفي صدور العالمين صلة ما. (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) الواو عاطفة، واللام موطئة للقسم، ويعلمن فعل مضارع مبني على الفتح، والله فاعل، والذين مفعول به، وجملة آمنوا صلة، (وليعلمن المنافقين عطف على وليعلمن الذين آمنوا)"⁽²⁾.

الصورة الثانية: مسبوقة بهمزة الاستفهام الإنكاري+ ليس+ شبه جملة جار ومجرور أو ظرف مكان أو ظرف زمان: كما في بنية الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت671هـ)، تحقيق سمير البخاري، الجامع لأحكام القرآن؛ تفسير القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، د ط، 2003، الجزء 13، ص330.

(2) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج20، ص676.

كذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (العنكبوت/68)، وفي هذه البنية زيادة الهمزة حرف الاستفهام التي كثيرا ما تسبق ليس للاستفهام الذي يغررض للتوبيخ، ثم أعقبها شبه جملة "في جهنم" المتعلقة بخبر منصوب محذوف مقدر في البنية العميقة لسياق الآية: تقديره كائنا أو موجودا لان مَثْوًى اسم ليس مؤخر لما محله الصدارة وهو "في جهنم".

الصورة الثالثة: مسبوقة بـ"ما" الموصولية+ ليس+ جار ومجرور: وذلك في الآية 15 من النور: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، جاءت ليس في هذه الآية: قبلها ما الموصولية، والتي في محل نصب للفعل المسند وتقولون أي "الذي" المعادلة لـ"ما" المستعملة "ليس"؛ أي: الذي ليس لكم.

الصورة الرابعة: ليس+ شبه جملة / ظرف مكان: وكان مجيئها على هذا النحو خمس 5 مرات في الربع المدروس، وذلك في الآيات الآتية: 29، 58، 60، 61، 61 من سورة النور، مثال للتحليل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (29/): "هنا ثلاثة تحويلات ظاهرة في قاعدة الزيادة وهي زيادة ليس على بنية الآية الكريمة "عليكم جناح" وتحويل بتأخير اسم ليس بعد "شبه الجملة الظرف" عليكم "وتحويل بالاستبدال في ماحقه مفعول به مفرد هو "دخولكم" إذ البنية "أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة" مؤول ومستبدل بتحويله في البنية العميقة التوليدية له بـ "ليس" عليكم جناح دخولكم بيوتا غير مسكونة" وليس هنا تفيد النفي كما هو مدووب عليه لوظيفتها.

2-6- زيادة "لن" النافية: تنفي الفعل المضارع نفي تأكيد، وتخلصه للاستقبال كقولك: "لن أحاورها بعد الآن"، وهي لا تفيد التأييد أي النفي السرمدي الأبدي، وهذا مصداقه قول الله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم/26) فقريئة الوقت "يوم" نفت التأييد⁽¹⁾ يعني أبدية المعنى.

(1) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج3، ص163.

وظّفت "لن" توظيفا واحدا؛ ففي سورة طه في الآية: 91، في قول الأجل الأعلى: ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾: نمط التحويل بالزيادة بأداة النفي لن التي يواليها الفعل المضارع "نبرح". ونبرح مضارع الناسخة الفعلية التي من أخوات كان ما برح؛ إذن فدخل لن التي للنفي الفعل المضارع حول مفهوم الجملة من نبرح عليه عاكفين إلى المعنى المنفي لها، فالجملة أصلها اسمية ونسخت بالناسخة نبرح، فهي غير محضة أي جملة اسمية منسوخة ولجت عليها لن النافية فتحقق التحويل بزيادة النافية (لن).

2-7- زيادة "دون" أو "من دون": جاءت مرة واحدة في الربع القرآني المدروس، في الآية: 17 من الفرقان قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾، تقتضي دون معنى من معاني النفي وتتضارع مع غير ومن دون الله معناه من غير الله فالمزيد على البنية التركيبية هو "من دون" و"أتى بما دون من لأن من المعبودين عقلاء، وقيل إن كلمة ما موضوعة للكل أو يريد الأصنام لأنها تتكلم بلسان الحال منا قيل في شهادة الأيدي والأرجل"⁽¹⁾.

2-8- زيادة "غير" بمعنى "دون" والتي ترمي إلى غرضية النفي كالنفي المفهوم من "لا": واستعملت مرة واحد على أساس أنها اسم مجرور للباء "بغير"، وذلك في الآية: 58 من سورة الأحزاب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

إشارة: لم نعثر استعمال التحويل بزيادة حرف النفي "لما" على البنى التركيبية الاسمية التحويلية و"لما" وظيفتها "تنفي الفعل المضارع، وتجزمه فينجزم، وتقلب زمنه إلى الماضي المتصل بالحال، وذلك نحو "لما ينضج الثمر بعد"؛ أي لم ينضج إلى وقت المتكلم، وهي لنفي "قد فعل"؛ فإذا قلت: "قد دنى"؛ فإن نفيه لما يدن⁽²⁾، ولها القرينة التي تصرف اتجاه الزمن في البنية الجمالية؛ وهذا له توجيهه الدلالي وبغيته وعدم الورد له

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، الجزء 18، ص 340.

(2) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج 3، ص 162.

أسبابه في الأسلوب القرآني في ريع مريم بالأخص. كما لم يكن ورود لحرف النفي "لات" أيضا كما في قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلاتَ حِينٍ مَّناصٍ﴾ (ص/3).

ثانيا- صور الجملة الاسمية المحولة بالزيادة التي لغرض الاستفهام وتوجيهها الدلالي:

- الاستفهام حده "طلب ذكر ماهية الشيء، ويعبر عنه بصيغ الاستفهام المعروفة (...)، ولكل صيغة من الصيغ دلالتها الأصلية الخاصة"⁽¹⁾ و أدوات الاستفهام هي: " ثلاثة أحرف (أ) الهمزة و(أم) و(هل) وما عدا هذه الثلاثة فأسماء وظروف أقيمت مقامها، فالأسماء: (من) و(ما) و(كم) و(كيف)، والظروف: (أين) و(أنى) و(متى) و(أي) حين و(أيان)، و(أي) يحكم عليها بما تضاف إليه، فأما الهمزة و(أم) فقد بينها في باب العطف، وأما (هل) فتكون استفهاما وتكون بمعنى قد قال الله عز و جل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ (الإنسان/1)، أي قد أتى، وقال الشاعر: سائل فوارس يربوع بشدتنا *** أهل رأونا بسفح القف ذي الأكم؛ أي قد رأونا ولا يجوز أن تجعل "هل" استفهاما، لأن الهمزة للاستفهام وحرف الاستفهام لا يدخل على حرف الاستفهام"⁽²⁾.

وكما أن أدوات الاستفهام كثيرة ومتعددة مستخدمة وظيفيا في القرآن الكريم، وتضاف للجملة الفعلية، تضاف أيضا للبنى التركيبية الاسمية وتحو معانيها وتوجهها إلى دلالات منشودة لم تكن لو لم تكن هذه القاعدة التحويلية الزيادة، وتدارج مجيء أدوات الاستفهام لتحويل البنية شكليا ونحويا وبلاغيا في الشقين الجملة الاسمية المحضة والجملة الاسمية غير المحضة، والتحويل المحلي؛ أي يستجم تعداد هذه الأدوات منها حرفا الاستفهام الهمزة التي للتعين وهل التي للتصديق ومنها الأدوات الأخرى للاستقصاء

(1) موسى بن مصطفى العبيدان، دلالة تركيب الجمل عند الأصوليين، ص 107.

(2) عبد الرحمن بن عبد الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد أبو بركات الأنباري، أسرار العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1995، ج1، ص332.

والسؤال الحقيقي عن المكان والزمان والكيفية وغيرها من أنواع الاستفهام وأشكاله، ونستشف من استقصائنا لهذه الزيادات على البنى الاسمية أن هناك منطقيّة لسانية ولغوية في التحويلات بالزيادة، التي تبتغي الاستفهام والتوكيد والنفي وغيرها من الأغراض البلاغية التي تتركب في أساليب الإنشاء في القرآن الكريم، وبين البنى التركيبية التحويلية الفعلية أي التي يكون المسند فيها فعلاً أو اسماً على السواء، وهذا راجع في نظرنا إلى أن الاحتياج التداولي للقارئ منتشر بين تلقي البنية التركيبية الفعلية والاسمية، وهذا له منطوق عقلي يكمن في اللغة معنصرة وظيفياً؛ فالكلام الفعلي له وظيفته في الأساليب الإنشائية المختلفة كما أن للكلام الاسمي وظيفته التي تجفو الأولى وتختلف عنها، إنما يتفقان في حمل المعنى وإرساء المغزى وإيفاء الدلالة للمتكلم، وفرضيتنا أن النظرية التحويلية عممت هذا المفهوم، ففي اللغات كلها تتوافر على بنى تركيبية فعلية واسمية، وعلى هذه الأدوات التي تحول بناها حسب منشودات المتكلمين وأغراضهم وحسب تواضعات المتلقين ومفهوميتهم، والمشتركات العقلية والتداولية اللغوية بينهم جميعاً.

توسّطت عمليات التحويل بزيادة أدوات الاستفهام وبعض الحروف التي استتبعتها، بين درجة التحويل بزيادة أدوات النفي على البنى التركيبية الاسمية وبين أدوات التوكيد، وتعاورت على الآيات الكريمة حروف وأدوات استفهام مختلفة، وهي: حرف الهمزة ورد بدرجة أولى بـ 33 مرّة في ربيع مريم كله، وجاءت بعده - من حيث كثرة المجيء - الأداة (كيف) بدرجة ثانية وتكررت 7 مرات، وهي للسؤال عن الحال سواء في الاستفهام المقصود به حقاً الفهم والإجابة، أو الاستفهام الاستنكاري الذي له أغراض جميمة، ودلالات يخرج إليها حسب سياق الآيات والسور، ثم (من) ونظيرتها (ما) بستّ مرات، وبعدهما (هل) بخمس مرات، ثم (متى) و(أتى) و(أين) وتكررت هذه الأدوات ثلاث مرات لكل واحدة، وأي مرتين فقط، أما (أيان) فجاءت مرة واحدة والسؤال بهام ستكنه فقط من عمق البناء وليس له قرينة ظاهرية، وذلك لأن (أيان) للسؤال، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

(النمل/65)، وهي هنا بمعنى "متى" يبعثون، لأن الله على سبيل الإخبار وليس المخاطبة المباشرة التي تتطلب مساءلة، أو سؤال استنكاري، أو سؤال للتنبية، أو التوبيخ، أو غيرهما من الأغراض البلاغية المختلفة، أو تخرج بهذا السؤال إلى التعجب، أو الإخبار، أو غيرهما من الأساليب الإنشائية وغير الإنشائية الأخرى.

1-زيادة حرف"همزة الاستفهام":

الصورة الأولى: الهمزة+ اسم موصول+ جملة فعلية مضارعية أو ماضوية، أو جملة منسوخة بفعل ماضي ناقص:

وجاء هذه الصورة 8 مرات، في الآيات: 60، 61، 62، 63، 64 من سورة النمل، و 18 من السجدة و 61 من القصص، و 8 من فاطر.

ملحوظة: دخلت الفاء بين الهمزة و الاسم الموصول "من"، وغالبا المعنى الوظيفي لها هو الزيادة في توكيد المسؤول عنه في المعنى، وكانت في ثلاث آيات هي 18 من السجدة و 61 من القصص و 8 من فاطر.

مثال 1: الهمزة+ فاء + اسم موصول "من" +كان: كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ{18}﴾، والمعنى"أي ليس المؤمن كالفاسق"⁽¹⁾، والتحويل هنا بزيادة الهمزة للتساؤل والفاء المتوسطة بينها وبين من ومن الموصوليّة بمعنى الذي ومن هي للعاقل يعنى بنية العمق تتطلب المعنى على صياغة السؤال غير الحقيقي: أفالذي كان مؤمنا، والدلالة المقتضاة والمحمولة في (من) لا تحملها الذي؛ فلو كانت (الذي) لوجهت العدد والجنس، وإنما تشمل العاقلين كلهم، والمقام يلامسهم كلهم في هذا السياق.

مثال 2: الهمزة + اسم موصول"من"+جملة فعلية ماضوية: كقوله: ﴿أَمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلَا مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ {60}﴾، و﴿أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا

(1) القرطبي(ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص104.

أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلهُ مَعَ اللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {61}». أما بزيادة جملة فعلية مضارعية فكما في قوله: «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلهُ مَعَ اللّهِ تَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {63}»، و«أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلهُ مَعَ اللّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {64}» أصل البنية قبل التحول من يبدأ الخلق ثم يعيده، ودخلت أم على من وأدغمتا إدغام المتشابهين أو المتماثلين فأضحتا ميمًا واحدة أمَّن يبدأ الخلق التعجيز. الصورة الثانية: همزة استفهام + مبتدأ + خبر:

مثال 1: زيادة همزة الاستفهام على جملة اسمية متكونة من مبتدأ وخبر: مثل قوله في سورة النمل: «قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آلِلّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ {59}»، الهمزة مزيدة على التركيب التحويلي وسعت بالمد، لأنها أضيفت إلى لفظ الجلالة الله علا شأوه، فأضحت الله خير يعني أخير، فهي دخلت على جملة أصلها التوليدي الله خير، لكن الجملة الثانية هي التي اقتضت بالضرورة انبناء المعنى معها لوجود "أم" للتخيير والمخايرة، فهي زيدت على جملة اسمية "الله خير".

مثال 2: زيادة همزة استفهام + مبتدأ + شبه جملة جار ومجرور: كما في قوله في الآيات: 60، 61، 62، 63، 64 من سورة النمل، مثل قوله: «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَلِلهُ مَعَ اللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ {60}» وقوله: «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلهُ مَعَ اللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {61}»، وقوله: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلهُ مَعَ اللّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {62}»، وقوله تعالى: «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلهُ مَعَ اللّهِ تَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {63}»، وقوله تقدّس وتعظّم: «أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلهُ مَعَ

اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {64}»، نشهد بنية "أمن" وهي أم + من + الجملة الفعلية "يبدأ الخلق".

الصورة الثالثة: همزة استفهام + حرف الفاء أو الواو + حرف نفي "لم" + فعل كان للماضي أو يكون للمضارع مع المفرد أو الجمع، ومع الفعل الناسخ "ليس" ومعموليه: وجاءت هذه البنية أربع مرات في الآية: 197 من الشعراء، و 40 من الفرقان، و 10 و 68 من العنكبوت:

مثال 1: الهمزة + الواو + لم + يكن: في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ {197}﴾، أو كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلًا كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا {40}﴾.

مثال 2: الهمزة + الواو + ليس: في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ {10}﴾، وفي قوله أيضا من دون الواو: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ {68}﴾.

الصورة الرابعة: زيادة همزة استفهام + إن الناسخة المؤكدة + ضمير "اسم" إن + لام توكيد + جملة فعلية مضارعية:

مثال 1: كما في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿أَتُنْكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {55}﴾، وجملة " (إنكم لتأتون) مستأنفة في حيز القول" (1)، وبنية (أنكم) مركبة صوتيا مما يسميه علماء أحكام التجويد "الهمز المزدوج في الكلمة الواحدة، وهو من النوع الثالث الهمزة الأولى للاستفهام مفتوحة والثانية مكسورة؛ إذ لا يكون هذا الهمز إلا بعد همزة الاستفهام" (2)، ويفهم السؤال من المعنى بقرائن منطقية؛ إذ التعجب

(1) أحمد بن محمد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم، ج 1، ص 188.

(2) ينظر: عبد الكريم مقيدش، مذكرة في أحكام التجويد؛ برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، تقديم كريم راجح، مكتبة اقرأ، قسنطينة- الجزائر، 2008، الطبعة الأولى، ص 66.

ليس باديا من أسلوبه والهمزة التي سبقت الناسخة إن ومعموليتها، بل ويغرض إلى التساؤل أو أن التعجب كان بطريق التساؤل الذي استخدم حرف الاستفهام/ أداة ظاهرة في البنية السطحية، وإنما مستشف أيضا من النبر المائل إلى لهجة التساؤل والتعجب بما يخدم معنى الذي يحتاج به النبي قوم لوط، وهذا النوع من الاستفهام دخل على جملة اسمية منسوخة بأن التي للتوكيد، وأصل البنية كان جملة تحوي مبتدأ وخبرا، ثم حولت بالنسخ أي بزيادة الناسخة فصيرت المعنى إلى التأكيد ثم نفي التأكيد بالاستفهام عن المعنى الذي يحمله؛ أي هل هم يفعلون هذه المساءة الشنيعة وهي إتيان الرجال شهوة من دون النساء؟ فالتعجب يمتزج بالتساؤل وكلاهما يخدمان بعضهما في التعبير عن هذا الموقف، ونلاحظ منطقية مجيء إنّ واسمها الضمير "كم" بعد الهمزة مباشرة لتحقيق معنى التعجب والتساؤل عن أنهم هم من يفعلون الفعل، وليس غيرهم، وليس التعجب وقع على الفعل في حد ذاته، فهناك أفعال أكثر شناعة ومتعجب منها أيضا في مواقف أخرى، فلو كان كذلك لقال الله تعالى على لسان نبيه الكريم أتأتون الرجال شهوة من دون النساء أنتم؟ أي الاستفهام والتعجب واقعان على الفعل "الإتيان".

وهذا التحليل المنطقي في نظام رتبة العناصر النحوية الإسنادية في اللغة العربية والتي تؤيدها اللسانيات التحويلية في اللغة البشرية، فليس تركيب البنية التحويلية يأتي عرضا وعابرا إنما لدلالة توجهه وهي دلالات الاستفهام والتعجب والإنكار والطلب والحصص والتقي، وغير ذلك من المعين الأدوات التي تحمله كل لغات البشر واللغة العربية منها، فهذه الجملة لو حللناها لسانيا متبعين المراحل التحويلية التي تبعتها حتى استوت على شكلها النهائي الوظيفي الذي ضمن في القرآن الكريم، لقلنا تبتدئ إن الجملة كانت اسمية تبتدئ بضمير "أنتم"، ثم يأتي فعلها (تأتون) وما لحقه من عناصر نحوية إسنادية أخرى: المفعول به الأول الرجال، والمفعول به الثاني (شهوة) و(من) حرف الجر ودون اسم مجرور وهو مضاف و(النساء) المضاف إليه المجرور، ثم العمل المنطقي اللغوي النحوي والبلاغي لـ"إن" الناسخة، فكان التحويل اللغوي الشكلي والصرفي والنحوي

من (إنَّ أنتم) إلى (أنكم) بعد دخول الهمزة القاضية، بتفريغ التساؤل والتعجب على المعنى المحمول والمحول في وحدات هذه الجملة، ثم التأكيد بدخول اللام التوكيدية التي التصقت بالفعل تأتون أي التعجب والاستفهام من شيء حاصل ومؤكد وهذا ما فجر شرعية التساؤل، وهي زيادة حاصلة لتحويل محلي وليس جذريا؛ لأن الجملة بقيت اسمية بعد دخول الناسخة عليها والأدوات التحويلية الأخرى، وجاءت للحملة الشكلية الموائمة لشكل اللغة العربية في الكتابة والخط، والرسم القرآني الكريم بين إدغام همزة السؤال مع همزة إنَّ فأضحت أننكم كهزتين تبتدئ بهما كلمة أئمة ولكنهما أصليتان في الكلمة أما في أننكم فليست الهمزة الأولى أصلية وإنما مزيدة على بنية الآية الجليلة والهمزة الثانية هي الحرف الأول من الأداة "إنَّ".

وقوله في سورة العنكبوت: ﴿أَننَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ {29}.

مثال 2: وجاءت بنيتها همزة استفهام + إنَّ + شبه جملة جار ومجرور بمحلية إعرابه خبر مقدر للرفع مقدم لأنه شبه جملة + لام توكيد + اسم إنَّ مؤخر مؤكّد:

كما في قوله جلّ في علاه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لِأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الشعراء/41):

مثال 3: نهضت بنيتها التركيبية الاسمية على التحويل بزيادة همزة الاستفهام + إنَّ ملحومة بضمير الجمع المتكلم "نا" + لام التوكيد + خبر إنَّ المرفوع: كما في قوله تعالى وتعاضم: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (المؤمنون/82):

الصورة الخامسة: همزة استفهام + اسم إشارة في محل رفع مبتدأ + خبر قد يكون اسما موصولا مثل الذي أو مفعولا به مقدما للخبر "الجملة الفعلية" لكان "كانوا، مثل "إياكم"، جاء هذه الصورة ثلاث مرات:

مثال 1: الهمزة + اسم إشارة للمفرد المذكر "هذا" + اسم موصل "الذي" هو وصلته بمعنى الخبر: وذلك في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (الأنبياء/36)؛ أصل بنية الكلام التوليدية "هذا الذي يذكر آلهتكم" فمنطقها العميق على الإخبار وأداة الاستفهام نسخت هذا المعنى فأضحى للاستفهام الذي منشوده الاحتقار؛ إذ تفسير الآية: "هذا المحتقر بزعمهم، الذي يسب آلهتكم ويذمها، ويقع فيها، أي: فلا تبالوا به، ولا تحتفلوا به"⁽¹⁾؛ لأن استعمال يذكر بمعنى يسب ويشتم.

مثال 2: الهمزة + اسم إشارة دخلت عليها الكاف للحالة ووصف الوضعي في محل خبر مقدم للصدارة + خبر: وذلك ملموح في الآية الجليلة: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ (النمل/42)، فدخلت الهمزة على هكذا عرشك فطلبت الاستفهام التصديقي، وحولت بنية التركيب من الإخبار إلى الاستفهام.

مثال 3: الهمزة + اسم إشارة "هؤلاء" + مفعول به مقدم إجباراً "إياكم" للجملة الفعلية "خبر" اسم كان "كانوا": وذلك مشهود في بنية تركيب الآية الكريمة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (سبأ/40): في هذه الآية: وقع التحويل بزيادة الهمزة على بنية أخرى وهي الضمير "هؤلاء" مع وجود عملية تحويل ثانية، وهي بالتقديم الذي على نية التأخير أي المحلي أي الذي معه قدرة تغيير المواضع للعناصر النحوية، إذ قدم إياكم على الفعلين كانوا يعبدون، وهذا لموائمة المعنى الذي دخلت به الهمزة، فلو قال أهؤلاء كانوا يعبدون إياكم لم المعنى الحاصل في الآية: بشكلها، فالتحويلات إن تعددت خدمت بعضها بل من الإجبار في بعض التراكيب أن يتطلب تحويل بزيادة أداة تحويلاً آخر بالاستبدال أو بالتقديم والتأخير أو بالحذف، وهذا في منطق اللغة العربية

(1) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ تفسير السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000، الجزء 1، ص 523.

وأصل النحو العربي، ولكن من المعلوم أن إياك ضمير يشغل وظيفة المفعول به المقدم بالإيجاب فهذا منطوق العربية في تحويل الجملة والمعنى.

الصورة السادسة: الهمزة + ضمير + جملة فعلية ماضوية:

وتمثله الآيتان الكريمتان: 17 من سورة الفرقان، و32 من سبأ.

مثال 1: الهمزة + ضمير الجمع المذكر المخاطب "أنتم" + جملة فعلية ماضوية: في قوله:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا

السَّبِيلِ {17}﴾.

مثال 2: الهمزة + ضمير "نحن" المتكلم الجمع أو المفرد + جملة فعلية ماضوية: في قوله:

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحُنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ

مُجْرِمِينَ {32}﴾.

الصورة السابعة: الهمزة + حرف جرّ واسم مجرور + مبتدأ مؤخر: ومثاله الوحيد محتوى

في قوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ

هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ (النور/50).

الصورة الثامنة: الهمزة + واو + لو + كان وجملتها: ومثاله الفريد وهو في قول الله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان/21).

الصورة التاسعة: الهمزة + أداة الاستفهام "ماذا" + كنتم: ومثاله الوحيد وهو في الآية

العظيمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(النمل/84): وأمّاذا هي - بعد التفكيك - أم + ماذا؟ تداخلتا بإدغام "ميم" "أم" مع "ميم"

"من" فهناك "ماذا" بتشديد الميم وتضعيفها وبقيت بنية "الهمزة" كأنها لوحدها أي كأنها أمّاذا

شكلا لكنها في البنية العميقة الصرفية أم + ماذا وكل البنية للتقديم وكنتم كلها مؤخّرة

فهناك تقديم وتأخير على البنية لإقامة السؤال؛ فلا يصح شكلا ومنطقا "كنتم أمآذا تعملون، أو كنتم تعملون أمآذا".

الصورة العاشرة: الهمزة+إن التوكيدية.

2- صور الجملة الاسمية المحولة بزيادة "كيف" للاستفهام عن الحال، وتوجيهها

الدلالي: تكررت تحويلات زيادة كيف ثماني مرات في ربع مريم الكريم، وذلك في الآيات

الآتية: 44 من سورة الحج، و44، 51، 69 من سورة النمل، و40 في القصص، و42

من الروم، و45 من سبأ، و26 من فاطر، وكانت كلها يعقبها فعل ماضي ناقص: "كان"

ومعمولاه، وجاءت قبلها "الفاء" في سورة الحج في الآية:44.

- الفاء+ كيف+ كان: في قوله تعالى اسمه وتقدس صفاته: ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ

مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: الجملة الاسمية المنسوخة بدخول

أداة النسخ الفعلي (كان) هي التي حولت بزيادة الاستفهام عليها، فنسخت الدلالة من

دلالة الإخبار والإثبات إلى الاستفهام بـ(كيف) التي هي للسؤال عن الحال، وهذا التحويل

يروم الاستفهام غير الحقيقي، وإنما تتوجه دلالته إلى التنبيه والاستحاث على التذكر بأن

الأقوام التي كذبت رسلها معادها إلى جهنم، وأن عملها منكر وساء مصيرا، فكيف دخلت

على بنية تركيبية تحويلية أصلها التوليدي هو نكير أي مبتدأ وخبر قبل تحويلهما بنسخهما

بـ"كان" فأصبحا كان نكير، فالتحويل بزيادة الاستفهام على جملة الآية الكريمة كان على

جملة غير محضة؛ أي لا تتمحض بالاسمية، وإنما هي غير محضة والتحويل محلي.

وجاءت بصيغة: كيف+ كان: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا هُوْدَهُ فَجَعَلْنَاهُ سِمَكًا فَجَلَّ صُلْحًا فَمَا كَانَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾

اليمّ فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين {40}: "كيف" للتساؤل عن الحال، والناسخة "كان"

فعل ماض ناقص، وكيف لها التقدّم؛ أي كان كيف ولكن لا تستقيم على منطوق العربية

منطقا وشكلا ودلالة؛ ثم يأتي متعلّقا كان وهما اسمها وخبرها.

3- زيادة "مَنْ": شهدناها في ست آيات هي: 49 من الأنبياء، و86، و88 من المؤمنون، و50 من القصص، و68 من العنكبوت، و22 من السجدة، وجاءت على ثلاث صور:

الصورة الأولى: مَنْ + خبر: في الآيات الآتية: 49 من الأنبياء، و86 من المؤمنون، ومثاله للتحليل: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86}﴾، وقوله جل وعلا: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى {49}﴾، نمطه التحويل بزيادة الفاء على من للعاقل "فمن" على "ربكما".

الصورة الثانية: مَنْ + شبه جملة: كما في قوله: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون/88): والجملة المبتدأة ب"من" هي في محل نصب مقول القول، ومن للسؤال عن الذات وصلة الموصول "من" بيده، وتقدير البنية العميقة لأصل التركيب ملكوت كل شيء موجود بيده؛ لأن "بيده" متعلقان بالخبر المحذوف المقدر.

الصورة الثالثة: مَنْ + خبر هو اسم تفضيل على وزن "أفعل" + مَمَّن التي هي في بنيتها من مدغمة مع من، فالأولى من بالكسر والثانية من بالفتح أي للاستفهام بها للعاقل وهي موصولية؛ أي بمعنى الذي فتكون مَمَّن أي من الذي: كما في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص/50)، و: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ {68}﴾، و: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ {22}﴾.

4- زيادة "مَا" التي لغير العاقل: عثرنا عليها في ستة مواضع في الجزء المبحوث من القرآن الكريم، وهي في الآيتين 17، 51 من طه، وفي 17، 51 كذلك من سورة الأنبياء، و60 من الفرقان، و122 من سورة الشعراء، و فيها بنيتان:

الصورة الأولى: ما(خبر)+ مبتدأ مؤخر: ومثاله في الآيات 51 من طه، و51 من الأنبياء، و60 من الفرقان، و122 من الشعراء، ونحلل المثال الآتي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا {60}﴾: وما هي الزيادة المقدّمة؛ لأنها حرف له التصدر والتقدّم، والرحمن هو المبتدأ المؤخر لتقدم الخبر "ما" عليه، واصل البنية بإرجاع الصيغيتين إلى مرتبتهما "الرحمن ما" وكن هذه البنية غير قارّة في العربية وإنما تتبدّل البنية التركيبية فتصبح "ما الرحمن"، وهي للسؤال؛ أي ما هو الرحمن؟

الصورة الثانية: ما+ اسم إشارة: ووقع هذا الشكل في الآيتين الكريمتين 17 من طه، و17 من الأنبياء، ونفكك لسانيا ونحويا مثال الآية الجليلة: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه/17): التحويل بزيادة أداة الاستفهام عن الماهية أو الشيء لغير العاقل "ما" المضافة إلى اسم الإشارة "تلك".

5- زيادة "هل" التي للتصديق: ونشهد التحويل بزيادة هل على بنى التركيب الاسمية في ربع مريم كاملا في خمسة مواضع وهي كالاتي: 36 و203 من سورة الشعراء، و28 و40 من سورة الروم، و3 من فاطر، وفيها نمطان:

الصورة الأولى: هل+ ضمير + خبر: ومثاله في الآية الجليلة: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ {36}﴾، وهذا النمط التحويلي نبصره بزيادة حرف الاستفهام "هل" على ما أصله مبتدأ وخبر وجاء مواليا لضمير "أنتم" الذي هو في حكم المبتدأ، ومجتمعون خبره، والزيادة صائغة للسؤال الذي مرامه طلب أو التماس الاجتماع منهم فهو "استفهام بمعنى إلام وفيه استبطاء لهم في الاجتماع حتّا على عدم الاستبطاء والمبادرة إليه"⁽¹⁾.

الصورة الثانية: هل+شبه جملة جار ومجرور: ومثاله في الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مَن شَيْءٍ

(1) المظهري، تفسير المظهري، ج1، ص2844.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ {40}»، دخلت هل على من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وهي مزيدة ومناطق تحويل الجملة، ويتضمن التركيب تحويلًا ثانيًا مؤولًا ومفهوماً من الشكل التركيبي وهو أعراب من شركائكم في محل المبتدأ، وكذلك قال سيبويه: "إنك إذا قلت هل من رجل فالكلام بمنزلة اسم مرفوع مبتدأ"⁽¹⁾. فالأمر صنو لما مثل به سيبويه.

6- زيادة "متى" التي تروم الاستفهام عن الوقت أو الزمن، وتخرج في البنية العميقة إلى السؤال عن كيف أو التحقق: ونجدها في ثلاث آيات وهي في الآية: 71 من سورة النمل، و28 من السجدة، و29 من سبأ.

وجاءت في صورة واحدة هي: متى + اسم إشارة "هذا" وبدل من "هذا": ونحلل المثال الآتي، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سبأ/29): ويكون أصل البنية الشكلي أن نعاود إرجاع العنصرين إلى رتبتهما؛ أي: هذا الوعد متى؛ لأن متى استفهام لها إجبارية التصدر على الجملة، فهذا تحويل بالتقديم، والعنصر المزيد "متى" للسؤال عن الزمان، فتوجه الدلالة إلى الاستفهام غير الحقيقي؛ أي نحو الاستبطاء"⁽²⁾ عن تحقق هذا الوعد.

7- زيادة "أنى" للسؤال عن المكان، أو الزمان: ونشهد وقوعها ثلاث مرات في الآيتين 8 و20 من مريم، و52 من سبأ. وفيها صورتان:

الصورة الأولى: أتى + فعل مضارع ناسخ "يكون": وهو في الآيتين الجليلتين: 8 و20 من سورة مريم، ونحلل الآية: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا {20}﴾، فأصل الجملة قبل التحويل بالزيادة على نحو الإخبار "يكون لي غلام"، ثم حول المعنى لاقتضاء السؤال عن المكان؛ أي مكان المسؤول عنه والمتعجب منه، إذ يخرج إلى التعجب وإنكار كون الغلام لمريم، أي أن تلده وأنى ظرف مكان، أغلب إفادته العموم وللسامرائي تحليل ينبنى على المقارنة بينها وبين أين نحي عرضه؛ لـ"إذ" يقول: "ويبدو

(1) سيبويه، الكتاب، 275/2.

(2) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج4، ص229.

أنها أكثر عموماً من أين لمكان المدة فيها؛ فإن إطلاق الألف قد يدل على سعة المكان فيها⁽¹⁾، "وأنى بمعنى كيف أو من أين"⁽²⁾، فالبنية التركيبية فيها تحويلان بزيادة يكون على ما أصله مبتدأ وخبر، وزيادة ثانية لتوجيه الاستفهام بـ"أنى".

الصورة الثانية: أنى + شبه جملة مقدم للصدارة متعلق بخبر محذوف تقديره في البنية العميقة حاصل أو كائن أو متحقق + مبتدأ مؤخر: ومثاله في الآية: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ {52}﴾: المزيد على بنية التركيب هي "أنى" التي للاستفهام، ومعنى ذلك كيف يكون لهم ذلك؟! أي لا يتحقق لهم، وكان أصل البنية العميقة لهم التناوش من مكان بعيد وهو عكس منطق البنية التحويلية بعد الزيادة و"أنى" اسم استفهام في محلّ نصب على الظرفية- وفيه معنى كيف- متعلق بخبر مقدّم للمبتدأ التناوش (لهم) متعلق بحال من التناوش، والعامل فيها الاستقرار⁽³⁾ وإعراب الآية الكريمة "أنى" اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب على الحال (أنى) اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية (يكون) مضارع ناقص (لي) متعلقان بالخبر المقدم المحذوف (غلام) اسم يكون والجملة مقول القول⁽⁴⁾.

الصورة الثالثة: زيادة "أين" للسؤال عن المكان: ونجدها في الآيات 92 من الشعراء وفي الآيتين 62، 74 من سورة القصص.

(1) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، ج4، ص81.

(2) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص257.

(3) محمود صافي (ت1376هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، ج22، ص243.

(4) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص237.

8- زيادة "أي" المعربة التي للسؤال عن الذات: قد تكون على "أوجه خمسة"⁽¹⁾ وتكون اسما للاستفهام وتعرب حسب موقعها من الجملة، كقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ (التوبة: 124)، وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات/50)، وقد تخفّف ياءها كما في قول الفرزدق:

تَنْظَرْتُ نَصْرًا وَالْمَسَاكِينَ أَيُّهُمَا *** عَلِيٍّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرَهُ.⁽²⁾

ووقعت مرتين في الآية: 73 من مريم، و38 من النمل ولها نمطان:
الصورة الأولى: أي + مضاف إليه + خبر: وهي في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا {73}﴾، أي: اسم استفهام منفصل وهو مبتدأ مرفوع مضاف والفرقين مضاف إليه وأي هو بنية لبناء علاقة الإسناد الاسمية مع الخبر "خير"، وهو اسم للاستفهام في حد ذاته، ويمكن الإشارة إلى البنية النبرية التساؤلية التي تحقق التحويل التركيبي في القراءة، فلجهة التساؤل ينبغي أن تستورد في نطق هذه الآية: وتجويدها، لكي تحقق غرض وظيفة الاستفهام التّعيني هذا.

الصورة الثانية: أي + ضمير + فعل مضارع: وهو في الآية الكريمة: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ {39}﴾: أي اسم استفهام، معربة أي حسب موقعها في الجملة فنقول: قطفت أية زهرة وأي مجرم أخاف وأي مهجة تملك وبأي آلاء ربكما تكذبان، وأي للسؤال عن المعين المقصود هي مبتدأ مرفوع هنا وكم ضمير الجمع

(1) تكون شرطاً وتعرب تبعاً للاسم الذي تضاف إليه وقد تزداد ما بعدها وهذا هو الغالب كقوله تعالى: "أيًا ما تدعو فله الأسماء الحسنى"، أو اسم شرط جازم منصوب على أنه مفعول به مقدّم للفعل تدعون أو اسماً موصولاً كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (مريم/67)، والتقدير: أي في البنية العميقة أو الأصل التوليدي للتركيب التحويلي لنزعهنّ الذي هو أشدّ أو تكون دالة على معنى الكمال فتقع صفة للنكرة نحو زيد رجل أي رجل، وتقع حالاً للمعرفة نحو مررت بعبد الله أي رجل، أو تكون وصلة إلى نداء المعرف ب (ال) نحو ي أيها الرجل، وأي: مبنية على الضمّ لأنها نكرة مقصودة، وها زائدة للتبنيهِ، الرّجل: صفة ل (أي) ورفعها واجب عند جمهور النّحاة.

ينظر: نصر الدين فارس وعبد الجليل زكرياء، المنصف في النحو واللغة الإعراب، ص42-43-44.

(2) نصر الدين فارس وعبد الجليل زكرياء، المنصف في النحو واللغة الإعراب، ص42.

المخاطب في محل جر مضاف إليه، ويأتي جملة فعلية مضارعية في محل رفع خبر لأي، وما نشهده في زيادة هذا الاسم أنه ملتحم بالعناصر الأخرى، فهو عنصر من عناصر الإسناد التركيبي أي المسند إليه، وهو المبتدأ، وهو في الوقت ذاته البنية المزينة على التركيب التوليدي، ويحسن بنا التنويه أن اللسانيات النصية لو وضعت تحليلها على هذه الآية: لاستدرت البنية العميقة لسرد قصة ملكة اليمن والمدائن، أي أن التوجيه الدلالي لاستعمال أي ولم يقدم الفعل الإتيان بالعرش إجابة العفريت من الجن بـ"أنا آتيك به".

قال الله تعالى: ﴿قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل/39)، فقدم الضمير المبتدأ أي الفاعل في عنى وهذا عندنا دلالة آكدة على تناسق الإحالات والقرائن بين جمل سرد الوقائع والأحداث، منها قصة ملكة اليمن والقصص القرآني برمته، بل يعدو هذا التناسق المنطقي إلى التناسق الجملي والنصي في الدلالات بين كل آي القرآن الكريم، وخرجت غرضية الاستفهام إلى الالتماس؛ إذ هو "دلالة على أنها عزمت على اللّحوق بسليمان، ودلالة على أن أمر ذلك العرش كان مشهوراً، فأحب أن يحصل عنده قبل حضورها، واختلفوا في غرض سليمان عليه السلام من إحضار ذلك العرش على وجوه: أحدها: أن المراد أن يكون ذلك دلالة لبلقيس على قدرة الله تعالى وعلى نبوة سليمان عليه السلام، حتى تنضم هذه الدلالة إلى سائر الدلائل التي سلفت، وثانيها: أراد أن يؤتي بذلك العرش فيغير وينكر، ثم يعرض عليها حتى أنها هل تعرفه أو تنكره، والمقصود اختبار عقلها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ (النمل/41) كالدلالة على ذلك، وثالثها: قال قتادة: أراد أن يأخذه قبل إسلامها، لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها ورابعها: أن العرش سرير المملكة، فأراد أن يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها إليه⁽¹⁾، ومحاورتها معه.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص556.

ثانيا- صور الجملة الاسمية المحولة بالزيادة التي لغرض التوكيد وتوجيهها الدلالي:

تلاونت صور التحويل بالزيادة لغرض التوكيد في الجملة الاسمية؛ وذلك له دلالاته الموجّه إليها، فكلّ صورة تحمل ثقلا دلاليا، وقيمة معنوية تختلف عن القيم الدلالية للصور الأخرى، وتتنبّض كل هذه التشكيلات ببلاغة قرآنية مختلفة عن البلاغة الشعرية في نظرنا، وقد أحصينا التحويلات بالزيادة في هذا الشقّ "293" مرة، فرعناها قسمين:

القسم الأوّل: صور التحويل في الجملة الاسمية المحضة:

1- القصر والحصر، وهي "41" زيادةً، نوردها تباعا على النحو الآتي:

1-1- التحويل بزيادة مؤكّد واحد:

الصورة: الزيادة بـ "إنّما": وردت على هذه الصورة الآيات 19 من مريم، و 103 من طه، و 108 من الأنبياء، و 49 من الحج، و 117 من "المؤمنون"، و 62 و 54 من النور، و 153 من الشعراء.

ونعرض مثاله في قوله جلّ وعلا: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (الشعراء/153): التحويل لغرض التوكيد نهض على زيادة "إنّما" الكافة والمكفوفة التي تفيد القصر على الضمير "أنت"؛ فأصل البنية: أنت من المسحّرين، والجملة كلّها جملة في محلّ نصب جملة مقول القول؛ فقولهم مؤكّد لصفة "مسحّر" للموصوف المقصور عليه .

1-2- التحويل بزيادة مؤكّدين:

الصورة الأولى: القصر بأداتين هما "إنّ" التي للنفي و"إلاّ" التي للاستثناء: وردت على هذه الصورة الآيات الآتية: 104 من طه، و 37، 38، 25، 83 من المؤمنون، و 44، 44 من الفرقان، و 68 من النمل، و 109، 127، 137، 145، 154، 180 من الشعراء، و 23 من فاطر.

ومثاله في قوله تعالى وعزَّ: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ (فاطر/23): وهي "أكد من "ما" يدلّ على ذلك اقترانها بـ"إلا"⁽¹⁾؛ أي: "ما أنت إلا رسول منذر وليس لك من الهدى شيء"⁽²⁾؛ فبهما تتعقد وظيفة التأكيد، وتمنح "إلا" قوّة لـ "إنّ"؛ لأنّ في القصر قوّة، فالتحويل تحقّق بزيادة "إنّ" النافية، وإلا القاصرة، فالمعنى ما أنت إلا نذير؛ أي أنت نذير تأكيداً، ومثاله قول تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ (إبراهيم/10)، وقيل "إن مخففة مهمله بمعنى "ما"، وأنت ضمير منفصل، ضمير المخاطب مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وإلا أداة حصر لا عمل لها، ونذير: خبر أنت مرفوع وعلامته الضمّة المنونة، وهو من صيغ المبالغة (فعل بمعنى فاعل)"⁽³⁾، وهنا يكون التحويل بزيادة ثلاثة مؤكّدات أي أن الصيغة الصرفية فعليل التي تفيد دلالة "فاعل" هي إضافة تأكيدية على مفهوم التركيب القرآني كله "إن أنت إلا نذير".

- الصورة الثانية: القصر بأداتين هما "ما" التي للنفي و"إلا" التي للاستثناء (الحصر): وردت على هذه الصورة الآيات الآتية: 24، 33 من "المؤمنون"، و36 من القصص، و75 من النمل، و54 من النور.

ونقف على مثال لها في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون/24): هنا الزيادة كانت بـ "ما" التي تتماشى مع "إلا" لتكوين دلالة التأكيد بالقصر فحصرت صفة البشرية في اسم الإشارة "هذا"، والمشار إليه هو نوح عليه الصلاة والسلام، والأصل التوليدي: هذا بشر "مثلكم": مبتدأ وخبر وصفة أو نعت، المعنى "ليس نوح إلا بشر مثلكم"⁽⁴⁾.

(1) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج4، ص171.

(2) الجاوي، مراح ألبيد لكشف معنى القرآن مجيد، ج2، ص279.

(3) بهجت عبد الواحد الشبخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعراباً وتفسيراً بإيجاز، مكتبة دنديس، المملكة

الأردنية الهاشمية، ط1، 2001، مج8، ص284.

(4) المرجع نفسه، مج6، ص528.

الصورة الثالثة: القصر بأداتين هما "لا" النافية و"إلا": ووردت على هذه الصورة الآيات الآتية: 98 من طه، و 116 من "المؤمنون"، و 87 من الأنبياء، ومثاله المعروف في قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون/116).

الصورة الرابعة: القصر بأداتين هما: "هل" التي للنفي و"إلا": ووردت على هذه الصورة الآية: 3 من سورة الأنبياء، وهي في قوله تعالى: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ (الأنبياء/3).

الصورة الخامسة: القصر بأداتين هما: لفظ العموم "كل" ⁽¹⁾ و"إلا": وكانت الآية: 88 من القصص، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص/88).

2- للإنكار والطلب: وهي "252" زيادةً.

2-1- التحويل بزيادة مؤكّد واحد: توافدت فيه خمس صور: وهذه أمثلة على ذلك:

القسم الثاني: صور التحويل في الجملة الاسمية غير المحضة:

الصورة الأولى: للتحويل المحليّ بزيادة "إنّ" لغرض التوكيد:

1- زيادة "إنّ" المتصلة ببياء المتكلم: "فرغ منها المفتوحة المشدّدة (أنّ) وهي حرف توكيد تنصب الاسم وترفع الخبر" ⁽²⁾.

مثال أول: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم/4)، أصل الجملة الاسمية مبتدأ وخبر قبل التحويل، فلمّا تدخل النواسخ لا يتغير البناء من اسمي إلى فعلي، إنّما تحمل دلالة الفعل ويصبح المبتدأ في البنية التحويلية اسم إنّ مثلاً والخبر خبرها، وتتغير الحركات الإعرابية؛ لأنّ الناسخ تعمل شكلياً

⁽¹⁾ اسم يفيد الاستغراق والإحاطة بالأفراد، وكل تضاف إلى النكرات والمعارف، فأما المعارف فمثالها الآية الكريمة:

﴿وَكَلَّمَهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم/95)، وأما النكرات فمثاله الآية الكريمة: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون

53/)، ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج4، ص118.

⁽²⁾ نصر الدين فارس، عبد الجليل زكرياء، المنصف في النحو واللغة والإعراب، ص38.

ونحويا في تغيير الجملة التوليدية التي أصلها مبتدأ وخبر، وهذا مثال إنِّي وهن العظم مَنِّي التحويل بزيادة الفعل قال: وزيادة إنَّ التي للنصب والتوكيد أي توكيد الصفة أو إسنادية الخبر للمبتدأ، فأصل البنية التركيبية في المنحى التوليدي "العظم واهن"، فأضيفت مَنِّي الجار والمجرور المتعلقان بالفعل وهن الذي أصله اسم فاعل له وظيفة الخبر الذي منطقه التأخر على مبتدئه في منطلق البناء الاسمي، فلما زيدت إنَّ اتّصلت بالضمير الياء أي ضمير المتكلم وهو سيدنا زكرياء الذي جأر بالدعاء إلى الله وهو المتحدث في مساق السرد في الآية الجليلة، فالياء ضمير مبني على السكون في محل نصب اسم إنَّ، الذي هو أصله أنا عظمي واهن بالإخبار، دون تقايس الدلالة والبلاغة التي تتطلب التقديم أو التأخير، أي قبل أي عملية تحويلية، وواهن عظمي جملة محولة في المنطق العميق، لأنها في محل رفع خبر لأننا لكن جاءت مزيدة بمتعلق "مَنِّي" للتوضيح وإلحاق تأثير الوصف بالفعل، "وهن" للمتحدّث ومحولة من الاسمية إلى الفعلية.

- مثال ثان: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (مريم/5): الواو للربط والعطف والاستئناف وهنا كانت البنية التوليدية مبتدأ وخبرا وهي "أنا خائف" فأضيفت الناسخة إنَّ إلى الضمير المنفصل الذي تحول إلى ضمير الياء الذي له وظيفة اسم إن المنصوب وهو مبني على السكون، اللهم إذا وصل الكلام وظهرت الحركة الفتحة لتسهيل الإسراع بالنطق، أي "إنِّي وهن العظم مَنِّي" وخائف التي هي خبر لـ"أنا" فتحوّلت بعمليتين أنها أصبحت فعلا ماضيا موصولا بتاء الفاعل، والفاعل ضمير مستتر مقدر إجبارا هو أنا، مرتد إلى معنى المبتدأ وهو المتحدث دائما وهو سيدنا زكرياء لربّه، والتحويل الثاني لها بزيادة المتعلق وهو المفعول به لا فضلا المتمم للمعنى؛ أي العنصر الذي توجّب به الفعل خفت وهو الموالِي والمزيد الثاني المتعلق بالفعل وهو الظرف من ورائي، وخفت الموالِي أصلها خائف الموالِي فالجملة مستبدلة من خبر إلى جملة فعلية هي فعل وفاعل ومفعول به وظرف مفعول فيه، ويخرج هذا التحويل في مبتغاه الدلالي ومرامه البلاغي إلى التوكيد، والجميل في الإلصاق الشكلي الذي يمتح بالبلاغة الناطقة

في العربية في بناءات التحويلات هو أنّ التصق بالياء، فأداة النسخ أنّ التحم بها المتحدث الذي كان مبتدأ في أصل التوليد للجملة ولم يتغير بعد التحويل، فهو تحويل بالزيادة ولكنه محلي أو فرعي وليس جذريا أو أصليا؛ وهذه الطاقة تمنحها منطقيّة البناء الصوتي والنحوي للحروف والأدوات والضمائر، فهذا الاقتران له دلالة بعد التحويل غير الدلالة لو كان لم يحول.

2- الزيادة بـ: "إنّ":

الصورة الأولى: زيادة "إنّ" الملحومة بنون الجمع المتحدث المشدّدة "تا" والتقدير "إنّا" والجمع لتعظيم الله عزّ وجلّ:

ومثاله في قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم/7): هنا التحويل كان في هذه البنية التركيبية بياء النداء والمنادى زكرياء، وزيادة الناسخة على الجملة التي أصلها مبتدأ وخبر، والأصل "نحن مبشرونك"، وزيادة المتعلق بـغلام وجملة الوصف التي هي محولة بأنها مبتدأ وخبر اسمه يحيى، وزيادة النفي بأداة لم والجملة المحولة عن البنية الفعلية وهي نجعل سميا، وأضيفت لها له ومن قبل، والجملة لم نجعل هي في محل وصف مجرور لـ"بغلام"، والغرض التوكيد لوقوع الفعل بالتبشير، ووصف المبشّر بالمبشّر به بأنه اسمه يحيى ولم نجعل له سميا، التّون المتصلة بـ "إنّا" في محل نصب اسم إنّ ونبشرك جملة فعلية محوّلة من بنية أصلها خبر، وجاءت فعلية مضارعية لحياة الزمن وأنها حالية أي المضارع ما أفاد الحاضر إلى المستقبل، وهي أي الجملة نبشرك فعل مضارع مرفوع لتجرده من عوامل الجزم والنصب والفاعل نحن إجبارا، والكاف ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به وهي في محل رفع خبر إنّ فالتحويل محلي وليس جذريا.

الصورة الثانية: **إنّ+ضمير(اسم إنّ)+فعل(خبر إنّ):**

أ- **فعل ماض:** في مريم: 4، 18، وفي طه: 7، 10، 14، 45، 46، 48، 68، 73، 85، 97، 100، 119، 134، وفي الأنبياء: 29، 14، 46، 83، 90، 104، والشعراء: 86، وفي النمل: 7، 12، 23، 29، 43، وفي القصص: 29، 64، 53، 33، 32.

ومثاله في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم/4): فنفكك البنية المحولة بالزيادة فنقول: **إنّ الناسخة "إن"** اتصلت بضمير "الياء، ي" وهي "أنا"، وهو معمولها الأول أي اسمها ومعمولها الثاني هو الجملة الفعلية الماضوية "اشتعل الرأس شيبا"، ولفعل الماضي دلالة الزمن بمعنى الانقضاء وتحقق الفعل في الوقت الماضي حقيقة؛ أي بمعنى "اشتعل" حدث حقيقة أو تجوّزا أو مجازا⁽¹⁾، إلا أن تكون قرينة صارفة⁽²⁾ معنى تحقق الفعل.

ب- **فعل مضارع: وكلمة مضارع تتأتى من المضارعة⁽³⁾:** في طه: 7، 14، 45، 66، وفي الأنبياء: 95، 110، وفي الحج: 6، وفي المؤمنون: 51، 60، وفي الشعراء: 50،

(1) لابن تيمية رسالة رسالة في الحقيقة والمجاز في اللغة العربية والقرآن الكريم، فصل اختلاف الأصوليين في اشتغال اللغة على الأسماء المجازية، وينظر ابن تيمية، كتابه "الإيمان"، وقد عثرنا عليها غير محققة وإنما هي نص فقط، فاستمكننا أن نعرضها أو نمثل بها لانعدام المعلومات للوثوق بها، حتّى نجدها على الشكل المنهجي الأصح فنعرضها إذّاك ولا ضير في الأمر، ومما ذكره في كتابه "الإيمان": "أنه قال إن سائر الإثمة لم يوجد لفظ المجاز في أحد منهم إلا في كلام أحمد بن حنبل؛ فإنه قال في كتاب الردّ على الجهمية في قوله (إنّا ونحن) ونحو ذلك في القرآنك هذا من مجاز اللغة، يقول الرجل: إنّا سنعطيك إنّا سنفعل، فذكر أنّ هذا مجاز في اللغة، وبهذا احتجّ على مذهبه من أصحابه فقال: إن في القرآن مجازا، كالقاضي أبي يعلى، وابن عقيل، وأبي الخطاب وغيرهم، وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز، كأبي الحسن الجزري، وأبي عبد الله بن حامد، وأبي الفضل التميمي بن أبي الحسن التميمي، وكذلك منع أن يكون في القرآن مجاز محمد بن خوير منداد، وغيره من المالكية، ومنع منه داود بن علي، وابنه أبو بكر، ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفاً".

ينظر: ابن تيمية، الإيمان، تحقيق: ماهر عبد الغني، دار الكتاب الحديث، القاهرة-مصر، د ط، 2004، ص50.
(2) أن يكون على وجه الحكاية، مثل: ليدخل فيه نحو "خرجت في قولك اليوم: يقول زيد بعد غد خرجت أمس، فخرجت ماضٍ وإن لم يدلّ هنا على زمان قبل زمان تلفّظك به؛ لأنك حاكٍ، وزيد يتلفّظ به لا على وجه الحكاية، فيدلّ على زمان قبل زمان تلفّظ به" ينظر: شرح الرضي على الكافية، ج4، ص11.
(3) نقول المضارع يشابه الاسم بأحد الحروف "تأيت" أو "أنيت" والمضارعة مشتقة من الضرع، كأنّ كلا الشبيهين ارتضعا من ضرع واحد؛ فهما أخوان رضاعاً". ينظر: شرح الرضي على الكافية، ج4، ص15.

57، 52، 256، 225، وفي النمل: 10، 23، 30، 39، وفي القصص: 20، 27، 39، 37، 34). ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَالٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه/7): وهنا "إِنَّ" الناسخة اتّصلت بضمير المفرد الغائب "ه، أي هو"، وهو معمولها الأول، ومعمولها الثاني هو الجملة الفعلية المضارعية "يعلم السرّ وأخفى"، وأصل البنية هو عالم السرّ أو بالسرّ، ثم تحوّلت إته عالم السرّ وأخفى، وبعدها، إته يعلم السرّ وأخفى، ولل فعل المضارع دلالاته الزمنية المختلفة عن دلالة الفعل الماضي.

الصورة الثالثة: **إِنَّ** + شبه جملة (اسم **إِنَّ**) + ضمير (خبر **إِنَّ**): وهي في طه: 79، 97 في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفُهُ﴾: دخول الناسخة المزيدة "إِنَّ" على بنية محولة بالتقديم وهي "لك"، مع تحويل لبنية المحذوف المتعلق بـ"لك"، وموعدا اسم **إِنَّ** مؤخر لأخذ "لك" الصّدارة عليه، فالمقدّر بعد الحذف في بنية العمق هو خبر لـ"إِنَّ"، والبنية السطحية في مبدأ اللغة لهذا التركيب التحويلي هو: موجود أو كائن موعد لك غير مخلفه أو مخلوفه؛ لأنّ المعنى لن تتأخّر عنه، وتكون الجملة المنفية لن تخلفه: جملة الصفة للموعد.

الصورة الرابعة: **إِنَّ** + ضمير (اسم **إِنَّ**) + اسم (خبر **إِنَّ**): والآيات التي وردت على هذه الصورة هي في طه: 68، والشعراء: 216، والنمل: 56، والقصص: 7، 30، 53. ومثاله قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء/216): وهناك صورة بسيطة لهذه الزيادة التوكيدية؛ إذ "إِنَّ" انسبكت بها الياء للمفرد المتكلم "إني" وأصل بنيتها أنّني بفكّ الإدغام على النون المشدّدة، والضمير هو اسم **إِنَّ** منصوب، وبريء خبر لها. أي بنية **إِنَّ** + ضمير (ي) + اسم (بريء).

الصورة الخامسة: **إِنَّ** + اسم **إِنَّ** + خبر **إِنَّ**: والآيات التي وردت على هذه الصّورة في سورة مريم: 14، طه: 15، 47، 90، وفي الأنبياء: 105، 30، 101، وفي الحج: 14، 14، 16، 18، 18، 23، 7، 6، 1، 73، 66، 65، 63، 62، 61، 62، 54، 54، 47، 46، 39، 39، 38، وفي النور: 5، 10، 11، 19، 21، 23، 25، 33، 41،

43، 45، 30، 53، وفي الفرقان: 30، 44، 65، 66، وفي المؤمنون: 107، 109، 111، 115، 117، 52، 57، 57، 59، 65، 27، 16، وفي الشعراء: 12، 191، 16، وفي النمل: 4، 34، 40، 76، وفي القصص: 31، 56، 75، 75، 76، 77، 78، 4، 13، 8، 15، 16، 18، 20، 25، 26، ومثال عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (مريم/14): وهنا نشهد صيغة توكيدية بسيطة لبنية التركيب التحويلية وهي صورة إنّ واسمها وخبرها صريحين عرضا بعدها، لكن ملموح شيء من التوكيد في بنية الصيغة "آتية"، أي التي على صيغة اسم الفاعل التي تتمحور وراءها بنية عميقة تقدّر من دلالة اسم الفاعل إذا ما قورنت بوظيفتها المستقبلية، فكأنه قال عزّ وجلّ آتية لا محالة ولا ريب في إتيانها.

الصورة السادسة: إنّ+شبه جملة+اسم إنّ: في الشعراء: 178 و 143 في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

3- الزيادة ب: "كان":

الصورة الأولى: التحويل المحلي بزيادة "كان" الموشوجة بتاء التانيث الساكنة:

قال تعالى في سورة مريم: ﴿ قَالَ رَبِّ انِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا {8} ﴾: التحويل بالزيادة جاء على الجملة التي أصلها مبتدأ وخبر ودخلت عليها الناسخة كان المتصلة بتاء التانيث "كانت" فالأصل في البنية التوليدية لها "امرأة عاقرة"؛ فدخلت كان فأصبحت كانت امرأتي أي أضيفت الياء التي لها هي للإضافة مع اسم كان فامرأتي اسم كان مرفوع وعلامته الضمة المقدرة على التاء أو ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجرّ المناسبة، وعاقرا خبرها منصوب، والتحويل محلي وليس جذريا.

الصورة الثانية: زيادة "كان" أي التحويل على ما أصله مبتدأ وخبر واسم كان محول بالحذف: فالتحويل الأول زيادة الأداة الناسخة "كان"، والتحويل الثاني أنّ اسم كان المرفوع محول بالحذف ومقدر على ما سبق من الآيات وهو "هو" أي عن المتحدث عنه سابقا

وهو يحيي. في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم/13): وكان تقياً وتقيّاً خبر كان ظاهر وأصل الجملة التوليدية قبل ترسيخها بالنسخ هو تقيّ؛ أي مبتدأ وخبر.

الصورة الثالثة: الزيادة بـ "يكن" التي هي شكلاً للمضارع، و عمقا للماضي، بقرينة النفي "لم" قبلها، واسمها محوّل بالحذف أيضا مقدرّ فالزيادة بأداة الجزم التي لغرض النفي "لم": كما في قوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم/14): هنا الناسخة هي "يكن" أي الصيغة للمضارع، لأن القرينة الصارفة لزمن المضارع هي "لم" التي تقلب دلالة الفعل المضارع إلى الماضوية، والمعنى "ما كان" والمعمول الأول محوّل بالإضمار فهو "الضمير" هو "إجبارا يعود على "يحي"؛ إذ الحديث عن يحي، والمعمول الثاني هو "جبارا وعصيا" وهما خبر يكن، فكن زيدت فغيّرت الجملة من الإثبات إلى النفي لدخول أداة النفي لم يكن فالفعل منفيّ، والمعنى العميق لم يجعله الله عزّ وجلّ لا جبارا ولا عصيّا، لا في ماضي ولا في حاضر.

والزيادة بـ"يكن" الناسخة التي هي إضافة شكلية وتركيبية ونحوية ودلالية والتحويل الثاني بتقدير الاسم وهو "هو" أي المتحدث عنه منطقيا بالعطف دائما وهو "يحي"، وأصل البنية التركيبية التوليدية "هو جبارٌ عَصِيٌّ"، وجبارا خبر يكن أي في المعنى ما كان جبارا عصيا؛ ولم يكن نفي التجبر والعصيان عن يحيا، ولو قال الله تعالى: ما كان لأخذ المعنى حيّز الزمن الضيق منطقيا للماضي، لكن الله عبّر عليه بمجموع لم+ يكن التي زنتها للمضارع، ومعناها للماضي وللمضارع المقترح الذي يحتمل الزمن المستقبلي أيضا؛ لأنّ يحي نبيّ، ومعجزة وآية من الله، وأمر الله نافذ في الماضي والحاضر والمستقبل.

4- الزيادة بـ "لكنّ":

الصورة: لكنّ + ضمير(اسم لكنّ)+ فعل ماض مبني للمفعول (للمجهول): وردت على هذه الصورة الآيات: في طه:87، وفي النمل: 21، 42، 73، وفي القصص:31، 57، 56، 82، 82، وفيه مثال مميّز نحب الإشارة إليه وهو التحويل بزيادة "ويكأنّ"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُكَاَنُّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا

لَحَسَفَ بِنَا وَيُكَانُّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» (القصص/82): ويكأنّ هي المزيدة على بنية الجملة التوليدية أي الأصل من دونها، ولها عمل الناسخة "أن" من حيث الشكل وحركات الإعراب فالله جاء منصوباً متأثراً بها ويبسط تحويل خبر "ويكأنّ" محول بأنه جملة فعلية مضارعية مثبتة والأصل فيها ويكأنّ الله باسط؛ أي اسم، والبنية المرجوع إليها أولاً هي من دون "ويكأنّ" وهي الله باسط الرزق، لأنّ السياق هو الذي تطلب "ويكأنّ" دون غيره، من النواسخ الأخرى التي في معناها ووظيفتها فاجتبيت لتحويل الجملة، ومعنى يبسط الرزق أي يوسع الرزق، و يقدر أي يضيق، و"وي" اسم فعل بمعنى أعجب أي أنا، والكاف بمعنى اللام⁽¹⁾، ومعناه "ألم تر أنه"⁽²⁾، و"وي: اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب، والفاعل ضمير محوّل بالاستتار الإجمالي تقديره "أنا"، وكأنّ حرف تشبيه ونصب، والله لفظ الجلالة منصوب لأنه اسم "كأنّ"⁽³⁾.

5- الزيادة بألفاظ التوكيد:

الصورة الأولى: زيادة "كلّ": وأحصيناها 35 مرة وهي في الآيات الآتية: في مريم: 49، 95، وفي طه: 153، وفي الأنبياء: 33، 35، 85، 93، 96، وفي الحج: 6، 17، 27، 38، وفي المؤمنون: 53، 91، وفي النور: 11، 41، 45، 64، وفي الفرقان: 51، في النمل: 87، 91، وفي الشعراء: 225، وفي القصص: 48، وفي العنكبوت: 20، 57، وفي الروم: 26، 32، 50، 58) وفي لقمان: 10، 29، 31، 32، وفي السجدة: 7، وفي فاطر: 1، ومثالها في الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم/49).

- جميع، و أجمع: لم تذكر عقب جملة اسمية.

(1) ينظر: تفسير الجلالين، 395.

(2) ينظر: التجبي، مختصر تفسير الطبري، ص 395.

(3) ينظر: محمد بن محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 788.

2-2- التحويل بزيادة مؤكدين:

الصورة الأولى: **إِنَّ + ضمير (اسم إِنَّ) + لام التوكيد (اللام المزحلقة) + خبر إِنَّ: أحصيت 60 ورودا، وهي في الآيات الآتية: في طه: 54، 71، 128، وفي الأنبياء: 59، 106، وفي الحج: 4، 6، 65، 67، 74، 59، 60، 53، 39، وفي المؤمنون: 15، 18، 21، 30، 34، 73، 74، 82، 90، 95، وفي النور: 8، 44، وفي الشعراء: 8، 9، 27، 34، 49، 54، 55، 56، 61، 91، 103، 104، 121، 122، 139، 158، 159، 191، 196، 212، وفي النمل: 6، 49، 52، 73، 74، 77، 86، وفي القصص: 76، 85، وفي العنكبوت: 5، 6، 12.**

ونضرب له مثالا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت/6): فالتوكيد محصور من "إِنَّ" ولام التوكيد وهذا الشكل له دلالاته التي تحمل في طوبيتها درجة هذا التوكيد ومن ثم تصرف وعيا بدرجة إنكار السامع أو المتلقي أو احتمال اليقين أو التقبل أو الإنكار، فمن هذا فالتوكيد بآلية واحدة له درجته المختلفة عن الجملة المؤكدة باليتين⁽¹⁾.

الصورة الثانية: **إِنَّ + شبه جملة + اللام المزحلقة + اسم إِنَّ: ومثالها نجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء/189).**

الصورة الثالثة: **إِنَّ + ضمير (اسم إِنَّ) + قد التي للتحقيق + فعل ماض مبني للمفعول (للمجهول/ هو وحرف التحقيق قد في محل رفع خبر إِنَّ): ونجدها في طه: 48، 85. والمثال الشارح لهذه الصورة هو قوله جلّ عن الشبيه والمثيل: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (48/).**

(1) قد التفت المبرّد (ت285هـ) إلى هذا المعنى العميق عندما أشار في ردّه اتهام الكنديّ الفيلسوف للعربية بالحشو؛ إذ يقول العرب (عبد الله قائم) و(إِنَّ عبد الله قائم) و(إِنَّ عبد الله لقائم) - إلى أنّ المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ؛ فقولهم (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه، وقولهم (إِنَّ عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم (إِنَّ عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر لقيامه. ينظر: محي الدين محسّب، علم الدلالة عند العرب؛ فخر الدين الرزاي نموذجاً، ص209.

الصورة الرابعة: **إِنَّ + شبه جملة (اسم إن) + لام التوكيد + خبر إن**: ورد في الآيات الكريمة الآتيات: في سورة طه: 54، وفي الأنبياء: 106، وفي المؤمنون: 21، 30، وفي النور: 44، وفي الشعراء: 8، 27، 34، 49، 67، 103، 121، 139، 140، 158، 174، وفي النمل: 86.

وما نمثل به هو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالتَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النمل/86): **إِنَّ** المزيدة حوّلت البنية بزيادتها على الجملة التوليدية وتشاركت في تحقيق التوكيد مع اللام المزحلقة المتصلة باسم **إِنَّ** المؤخر "آيات" وتقدير البنية: آيات موجودة لقوم يؤمنون، أو كائنة أو موجودة آيات لقوم يؤمنون، فالمؤكّد جهازان هما "إِنَّ واللام، لكن نلتمح أن التقديم والتأخير عملية لها دلالة التوكيد أيضا، فتأخير اسم **إِنَّ** بعد شبه الجملة "في ذلك" إنّما لا يخلو من تأكيد تحقق وجود الآيات لقوم يؤمنون من جهة وتحقيق تأكيد الموجود فيه الآيات وهو "في ذلك" المقدم للصدارة لوظيفة الإشعاع بدرجة الاهتمام والتأكيد والعناية.

2-3- التحويل بزيادة ثلاثة مؤكّدات:

الصورة الأولى: **أَنَّ + ضمير (اسم إن) + اللام المزحلقة + صيغة مبالغة "فَعَال"**: وهو في الآية العظيمة 82 من طه، وهي قوله علا شأنه: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾، وهذا الأسلوب متوارد غير نادر في القرآن الكريم والأسلوب مؤكّد بثلاث أدوات وهي **إِنَّ** ولام التوكيد وصيغة "فَعَال" أي التي للمبالغة.

الصورة الثانية: أسلوب القسم: حرف القسم "تا" + مقسم به + "إن" التي للنفي + فعل ماضٍ + لام التوكيد + شبه جملة (خبر كان):

أ- حرف القسم "تا"⁽¹⁾ + مقسم به + "إن" التي للنفي + فعل ماضٍ + لام التوكيد + شبه جملة (خبر كان): وهي في 97 من الشعراء، في قوله تقدّس وتنزه: ﴿تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، هذه صيغة تأكيدية جائية من البنية التركيبية التحويلية التي اتخذتها الآية الكريمة؛ فالقسم "تالله" له دلالاته التوكيدية، وهناك بنية مؤكدة مقصورة بأداتي القصر المضبوطتين وهما "إن" النافية، و"إلا".

ب- حرف القسم "تا" + لام التوكيد + فعل ماضٍ + نون التوكيد الثقيلة: ومثاله في الآية الجليلة: ﴿وَتَاللّٰهِ لَاكِيدَنَّ اَصْنَامَكُمْ بَعْدَ اَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (الأنبياء/57): وتالله توكيد واضح؛ لأنّ القسم هو تأكيد شيء نظرا لقيمة المقسم به وعلوّ كعبه، ثم زيدت لام التوكيد "ل"، ثم زيدت نون التوكيد الثقيلة على آخر الفعل المضارع "لأكيدن".

ج- حرف القسم الفاء + المقسم به + لام التوكيد + الفعل المضارع + نون التوكيد الثقيلة: مثاله في الآية الكريمة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهٗمُ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهٗمُ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهٖمُ اَشَدُّ عَلٰى الرَّحْمٰنِ عِثِيًّا﴾ (مريم/68-69): والبنية التوليدية نزع من كلّ شيعة؛ فالتوكيد منأتٍ من لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة.

الصورة الثالثة: أسلوب الشرط: وردت الصورة في الآيات: 74 من طه، و34، و53 من المؤمنون.

أ- إن + ضمير (اسم إن) + إذا + لام التوكيد + خبر إن: وهو في الآية الكريمة 34 من المؤمنون، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ اَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ اِنَّكُمْ اِذَا لَخَاسِرُونَ﴾: وهذا

(1) والتاء في القسم تكاد تختص بلفظ الله تعالى، ولم ترد في القرآن الكريم إلا معه، كقول الله تعالى في المتن مع آية (57) من الأنبياء، وقوله تعالى: ﴿تَاللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ لَتُرْدِينَ﴾ (الصافات/56)، وفيها معنى التعجب والتفخيم وهما من متعلقات التوكيد، وجاء في الكشاف في قوله تعالى: "وتالله لأكيدن أصنامكم" (الأنبياء/57) فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء؟ قلت: إنّ الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وإنّ التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده، وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره، فيبدو أن القسم بها أكد من الواو، لاختصاصها باسم الله سبحانه". ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، مج4، ص139.

الأسلوب شرطي إن الزيادة هنا لغرض الشرط بأدواته التي حوّلت البنية التوليدية إلى بنية تحويلية حاوية لمعنى الشرط؛ وجاءت صيغة الشرط في الجملة مكونة من طرفين: بنية جملة الشرط فعلية، وبنية جملة الشرط اسمية مؤكدة والاسمية تحتل الثبوت مع تأكدها بـ"إن"، والضمير المتصل "كم" المنتاط به هذا الشرط، و"إذا" وهي كلها في محل جملة جواب الشرط المبدوء بأداة الشرط الجازم "إن".

ب- إن + ضمير (اسم إن) + إذا + فعل ماضٍ + همزة الاستفهام الاستنكاري (أ) + إن + ضمير (اسم إن) + اللام المزحلقة + خبر: وردت في الآية الجليلة 35 من المؤمنون، وهو قوله عزّ من قائل: ﴿أَبْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

ج- إن + ضمير + ضمير منفصل (ضمير الشأن أو العماد "هو" أو "أنت") + الألف واللام التعريفية + اسم إن: وهو في طه: 68، وفي القصص: 16، وفي الشعراء: 220، وفي العنكبوت: 26، وفي الأحزاب: 98.

ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (طه/68)﴾، وأيضا قوله تعالى وعزّ: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (الشعراء/220): فالبنية مؤكدة بزيادة ثلاث آليات مختلفة هي "إن" الناسخة المؤكدة، والضمير "هو" لتوكيد ثبوت الصفتين "السمع الدائم الأبدي المختلف عن أي سمع لا يليق بالله عزّ وجلّ، والألف واللام (أل) التعريفية المسبوكة مع "السمع" و"العليم" وتقدير البنية العميقة "الله سميع عليم" أو "هو سميع عليم" من دون أدوات الزيادة التي توجت بها الجملة في الآية الكريمة فدخل إنّ ودخول هو ودخول الألف واللام له درجته في الدلالة التوكيدية لمعنيين هما أنه موجود وهو الوحيد الموجود وهو الوحيد - أيضا، الموصوف بالصفتين بحالتيهما الصرفيتين وقد يكون مؤكدا بأربع توكيدات إذا أضفنا الصيغة "فعل" للمبالغة بمعنى "فاعل سامع"، وكذلك الصفة "العليم" الفعل بمعنى فاعل".

خلاصة الفصل: نستخلص من هذا الفصل أن الجملة الاسمية تتعرض لتحويلات بالزيادة لبلوغ الاستفهام والنفي والتوكيد وقد تستعمل أدوات النفي للتوكيد أو الاستفهام للتوكيد؛ أي تتبادل الأدوات أدوارها في تحقيق وظائف دلالية مختلفة، وتتوّعت هذه العناصر المزيدة ففي النفي أحدثت الأدوات (ما، لا، لم، إن، لن، غير) التحويل بالزيادة التي مفادها النفي، وفي الاستفهام كانت الأدوات (الهمزة، كيف، هل، أنى، متى، أيان، من، ما، أي) هي المحدثة للتحويل، وأما في غرض التوكيد فاستعملت (أدوات أو مؤكّدات لتوكيد أحادي للجملة كـ"إنّما" التي للقصر، وألفاظ العموم كل، وجميع وأجمع، واستعملت التّواسخ المختلفة وهي: أنّ، وإنّ، وكان، ولكنّ، وإن كانت بمؤكّدين فاستعملت ما، وإلّا، وإنّ، وإلّا، ولا، وإلّا، وهل، وإلّا، وأسلوب القسم بـ"تالله" و"وربك"، وإنّ مع قد والفعل الماضي المحقّق بها، واستعملت "إنّ" مع اللام المزحلقة وصيغة المبالغة أي بثلاثة مؤكّدات لتحقيق أقوى حدّ من الدلالة، وأوفر مبلغ من المعنى) كلّ هذه الأدوات دخلت لعملة التحويل التركيبي من البنية التوليدية إلى التحويلية.

الفصل الثاني:

صور التحويل بالترتيب

ودلالة الغرض

أولاً: التحويل بتقديم المسند "الخبر" على المسند إليه "المبتدأ" وجوبا (إلزاما أو إجبارا) وجوازا (اختيارا):

أ- إجبارا: وتتحقق عملية التحويل الإجمالي للخبر إن كان له أحيّة الصدارة، وكان "الخبر محصورا في المبتدأ بـ"إنما" مثلا كقولنا: إنما رسول محمد، وإذا اتّصل بالمبتدأ شيء يعود على الخبر كقول الشاعر:

أهابك إجلالا وما بك قدرة *** عليّ ولكن ملء عيني حبيبها

فلم عين مقدّم وجوبا⁽¹⁾

ب- اختيارا: حينما يكون المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة مثل: في الحجرة الولد، والأصل الولد في الحجرة؛ أو شبه الجملة متعلق بمحذوف مقدر في بنية تقديرية هي "موجود" أو مستقر، أو يستقر على حسب احتياجه للسياق والموائمة مع الفعلية أو الاسمية، فشبه الجملة كان بصيغة الظرف المكاني، أو مثل: فوق الشجرة العصفور، فشبه الجملة هو الظرف المكاني، أو في الساعة الثالثة الاجتماع، فشبه الجملة كان ظرفا زمانيا. وقد أحصياناها في ربع مريم كآلاتي:

ورد 56 مرة في سورة مريم في الآيات: 46 و 71. طه في الآيات: 6 و 18 و 88. الأنبياء في الآيات: 1 و 18 و 19 و 43 و 91 و 100. الحج في الآيات: 3 و 4 و 5 و 8 و 9 و 11 و 21 و 36 و 64. النور في الآيات: 42 و 56. الفرقان في الآيات: 2 و 16. الشعراء في الآية 14. القصص في الآية 88. الروم في الآيات: 4 و 18 و 22 و 23 و 26 و 27. لقمان في الآيات: 6 و 14 و 15 و 23 و 26 و 32. الأحزاب في الآية 23. سبأ في الآيات: 1 و 4 و 5 و 8 و 29 و 30 و 37 و 41 و 43 و 46 و 52. فاطر في الآيات: 7 و 10 و 23 و 27 و 28 و 32 و 36. ولم يرد مطلقا في السور الكريمة الأخرى؛ أي في المؤمنون والنمل والعنكبوت والسجدة.

(1) علي أبو المكارم، الجملة الاسمية، ص 56-57.

1- صور التحويل بالتقديم: الخبر محوّل بتحويلين:

الصورة الأولى: التقديم + الحذف: محوّل بالحذف من البنية الظاهرة؛ أي مقدر متعلق بشبه جملة جار ومجرور مقدمين على المبتدأ:

جاء الآيات التي على هذه الشاكلة كآتي: في طه في الآيات: 8 و 48 و 88. الأنبياء في الآيات: 18 و 19 و 43 و 100. الحج في الآيات: 3 و 4 و 5 و 8 و 29 و 30 و 37 و 41 و 26 و 27. لقمان في الآيات: 6 و 14 و 15 و 23 و 26 و 32. الأحزاب في الآيات: 23 و 52. فاطر في الآيات: 7 و 10 و 27 و 28 و 32 و 36.

ومن أمثلة هذا التحويل نورد:

1- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (لقمان/23): هذه صورة أخراة من صور تحويل الخبر بالتقديم وهي هنا "إلينا" أي شبه جملة جار ومجرور للغاية ولغرض تقديم الغاية في هذا السياق عن المبتدأ "مرجعهم"؛ لأنّ الحكمة في المآلات هنا والمصائر التي هي لله وعبر الله عز وجل بإلحاق نون الجمع لتعظيم نفسه لأنه في مساق الحكمة للمعاد للذي كفر وفي سياق إحقاق العقاب الذي هو حق من الله الحق للندارة والبشارة لمن هم مؤمن.

2- قول الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾

(طه/6): الخبر أو المسند قدّم إجبار في التركيب التحويلي لأنه شبه جملة "له"، والجملة الثانية المعطوفة على الجملة الأولى بالواو، أي وله ما في الأرض، وله ما بينهما، وله ما تحت الثرى، أو "له" متعلق بخبر مقدّم (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر⁽¹⁾، أو "له" متعلقان بخبر مقدم⁽²⁾.

(1) عبد الرحيم الصافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم، ج16، ص347.

(2) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص254.

وقال علماء النحو: "إن الأصل في المبتدأ المعرفة وقد يكون نكرة إذا إفادت بأن تقدّم عليها الخبر الظرف أو الجار والمجرور"⁽¹⁾، كمثالنا هذا (له ما السماوات)، ولو عدنا لتحويل هذه الجمل إلى البنية العميقة لأخذنا بتشكيل كل التحويلات التي وقعت على الجملة من تقدير الفعل استقرّ فيها وتقديم ما أصله التقديم وهو المسند إليه أو المبتدأ، وتغيير (ما) الاسم الموصول بـ(الذي)، فتصبح البناءات التي جاءت عليها الجمل القرآنية كالآتي: الذي استقر في السماوات له والذي استقر في الأرض له والذي استقر بينهما له والذي استقر أو استوى تحت الثرى له، وهذا نمط أول يتغاير بأنواع شبه الجملة التي هي في بنيتها العميقة خبر وموضعه التقدم للأغراض البلاغية والأبعاد الدلالية الموجه هذا التحويل بالتقديم في نظام الجملة الاسمية.

3- قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ (الحج/3): الواو استئنافية، ومن الناس جار ومجرور متعلق بخبر محول بالتقديم، ومحول بالحذف فهو مقدر موجود أو كائن.

الصورة الثانية: التقديم + الزيادة (الاستفهام "متى"): التقديم إجباري؛ لأن الأدوات لها "الصدارة بنفسها"⁽²⁾، فيستوجب تحويل رتبة الخبر على البنية التوليدية الأصلية؛ الخبر - في هذه الحالة - هو اسم استفهام عن الزمن (متى). ونقف على نموذجين له في 29 و 52 من سبأ:

1- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (29/): وقد أعرب بعضهم متى على هذا النحو "متى) اسم استفهام مبني في محلّ نصب ظرف زمان متعلّق بخبر مقدّم للمبتدأ هذا (الوعد) بدل من ذا- أو عطف بيان"⁽³⁾، و"متى) اسم استفهام خبر مقدم «هذا» مبتدأ مؤخر «الوعد» بدل من اسم الإشارة"⁽⁴⁾.

(1) نافع الجوهرى الخفاجي، المختصر في النحو، ص 40.

(2) علي أبو المكارم، الجملة الاسمية، ص 56.

(3) عبد الرحيم الصافي، الجدول في إعراب القرآن، ج 17، ص 30.

(4) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج 3، ص 365.

2- وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (52/): أي "التناوش لهم".

الصورة الثالثة: التقديم + الزيادة (الاستفهام "الهمزة"): والخبر - في هذه الصورة- مقترن بـ"همزة الاستفهام"، وهو صيغة صرفية (اسم الفاعل) يعمل عمل الفعل.

كما في قوله تعالى: ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (مریم/46) هو صورة ثانية من صور تحويل الخبر بالتقديم على وجهة نظر لمن قال بالتقديم، أراغب: الهمزة للإنكار والتعجب بلفظ استفهام، وراغب: وهو مرفوع بالضمة الظاهرة في آخره، و"أنت" ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ مؤخر، "فالبنية التركيبية الاسمية التوليدية في هذه الآية هي (أنت راغب عن آلهتي)"⁽¹⁾؛ إذ هي متكونة من مسند إليه+مسند، فتحوّلت البنية بدخول همزة الاستفهام لتبلغ غرض الاستفهام، ثم أجري تحويل آخر هو التحويل بتقديم المسند (الخبر) وهو الوصف (راغب)، فالأصل التوليدي له ترغب أي الفعل المضارع.

وكقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ (الروم/24)؛ الأصل التوليدي للبنية هو: إراءتكم البرق من آياته؛ لأنّ الخبر "جاء بنية تركيبية جارا ومجرورا (من آياته) متقدّما عليها لأمن اللبس"⁽²⁾؛ إذن شهدنا تحويلين مع تحوّل الخبر بالاستبدال بالجملة الفعلية المضارعية المثبتة التي هي من الفعل الرباعي المتعدي يريكم وأصلها المصدر والتحويل الثاني هو تقدّم الخبر على المبتدأ بالاختيار.

(1) رابح بومعزة، البنية العميقة لصور التحويل بالترتيب والزيادة - الربع الثاني من القرآن الكريم أنموذجا، مقال منشور في مجلة كلية الآداب واللغات-جامعة محمد خيضر ببسكرة-الجزائر، دورية علمية محكمة، العدد السادس عشر، 2014، ص24.

(2) المرجع نفسه، ص30.

ثانياً: التحويل بتأخير المسند إليه "المبتدأ" على المسند "الخبر" إجباراً واختياراً:

إن الحديث عن تأخير المبتدأ هو عينه الحديث عن تقديم الخبر، فكلاهما يتغيران بالتحويل في آن واحد؛ لأنهما موصولان ببعضهما البعض والأغراض الدلالية والمعنوية التي تخرج إليها البنية التركيبية التحويلية لجملة المبتدأ المؤخر والخبر المقدم هي مشاركة وتتعد من عملية تحريك موضع المبتدأ وهو الابتداء وزحزحته إلى الموضع الذي كان للخبر والعكس في اللحظة ذاتها يقع على الخبر فتتجه الدلالات - بالإجبار أو الاختيار - صوب تأكيد الخبر على المبتدأ وترسيخ معنى نسبة المبتدأ النكرة للخبر الذي هو شبه جملة وقصر الخبر على مبتدئه، وتحول وجه دلالة الجملة إلى البنية الاستفهامية بوجود أداة الاستفهام عن المكان أو الكيفية أو الكيفية أو غيرها والتي هي بنية لا يمكنها إلا أن تقدم؛ إذ لا يمكن أن نقول في منطق الحديث بالعربية حالك كيف؟ أو اللقاء أين حتى ولو قبلت مبدئياً صوتياً، لكنها في البنية العميقة للكلام لا تؤولي الشكل النموذجي للكلام.

1- إجباراً:

تتحقق عملية التحويل الإجباري لتأخير المسند إليه "المبتدأ":

- إن كان للخبر شرعية وإجبارية تصدّر الجملة؛ كالأسماء التي لها الصدارة مثل: أسماء الاستفهام (كيف)، (أين)، (متى)، (أنى وقد تكون بمعنى كيف)، مثل: كيف السبيل إلى وصالك دُلني؟. أين اللقاء؟

- إذا كان المبتدأ نكرة، ولا مسوغ له إلا تقديم الخبر، وكان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً، ونعمل تقديمه لغرض أن الخبر أو ما يتعلق به مؤكد على المبتدأ المؤخر والخبر مهتم به أكثر من المبتدأ، فالحبر جار ومجرور والمبتدأ نكرة، كأن أقول: لله خلق، فخلق نكرة وأنا قدّمت "الله"؛ لأن المبتدأ لاحق به على وجه الإجبار وليس خلق الكون لغير الله في هذه الجملة، ونعقب ممثلين بنماذج ثنائية: فقولنا في العجلة ندامةً، وفي التائي سلامةً، ومع

العسر يسرّ، وبعد الضيق فرحٌ، وفيه انبغى هذا التأخير "دلالة التخصيص؛ أي تخصيص المسند بالمسند إليه"⁽¹⁾، كقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون/6).

- إن كان في المبتدأ ضمير يعود على الخبر كما نقول: للشهيد أجره، والله فضله.
- إذا كان الخبر مقصوراً على المبتدأ، بـ"ما"، وبـ"إنما"؛ كما نقول: إنما عالمٌ عليّ، وما الهادي إلا الخالق.

2- اختياراً:

- حينما يكون هناك تشديد وإعطاء أولية لمعنى الخبر، كقولنا: ممنوع الدخول إلى الصفّ في وقت الاستراحة، وهنا نكشف الستار عن دلالة التخصيص كما في قوله عزّ وعلا: "واقترب الوعد الحقّ فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا" (الأنبياء/97)، فتأخّر "المبتدأ" أبصار" لقصد التخصيص"⁽²⁾، ونورد-هنا- قول صاحب المثل السائر في هذا الأمر؛ إذ يقول: "ومن غامض هذا الباب قوله "واقترب" فإنه غمضاً قال ذلك، ولم يقل: فإذا هي أبصار الذين كفروا شاخصة لأمرين:

▪ تخصيص الأبصار بالشخوص دون غيرها، إذ يجوز أن يضع في قوله: "فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة" موضع "شاخصة" غيره؛ فيقول: حائرة أو مطموسة، فلما قدّم الضمير اختصّ الشخوص بهم دون غيرهم، دلّ عليه بتقديم الضمير أولاً، ثم بصاحبه ثانياً"⁽³⁾، وقال صاحب الطراز: "ومن رائق ذلك وبديعه قوله (واقترب) فإنما أحرّ ولم يقل العكس للدلالة على أنهم مختصون بالشخوص دون غيرهم من سائر أهل المحشر.

(1) فاصل صالح السامرائي، معاني النحو، مج1، ص137.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: نصر الله بن الأثير، المثل السائر، مطبعة نهضة مصر، مصر، ط1، 1960، ج2، ص42.

▪ فلأنه إذا قدّم الخبر أفاد أن الأبصار مختصة بالشخص من سائر صفاتها من كونها مزورة أو غير ذلك من صفات العذاب⁽¹⁾، فالإعراب هو " (الواو) عاطفة (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إذا) فجائية لتأكيد ربط الجواب (هي) ضمير الشأن مبتدأ مرفوع (شاخصة) خبر مقدّم مرفوع (أبصار)⁽²⁾، أو " وإذا الفجائية وقد تقدم بحثها وهي مبتدأ وشاخصة خبر وأبصار الذين كفروا فاعل شاخصة"⁽³⁾.

- إذا أتى قبل المبتدأ والخبر حرف استفهام أو نفي أو كان الخبر وصفا مشتقاً، كقولنا أسعيد أنت؟.

ووقعت هذه التحويلات في ثمانين وأربع (84) عمليةً لتحويل المبتدأ بالتأخير عن الخبر، (43) منها في التحويل الاختياري و(41) في التحويل الإجمالي.

فأمّا مواضع تحويله بالاختيار؛ فهي كآتي: في مريم: 46، 64، وفي طه: 6، 8، 59، وفي الأنبياء: 18، 19، 59، 56، وفي الحج: 3، 8، 11، وفي الفرقان: 2، 16، وفي النمل: 91، وفي الشعراء: 155، وفي القصص: 55، 70، 88، وفي العنكبوت: 8، 10، 47، وفي الروم: 7، 18، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 46، وفي لقمان: 6، 14، 15، 20، 23، 26، وفي السجدة: 19، وفي سبأ: 1، 12، 30، 37، وفي فاطر: 18.

وأمّا مواضع التحويل الإجمالي فهي في الآيات الآتية: في مريم: 19، 71، 93، وفي طه: 12، 14، 68، وفي النور: 50، 54، 54، وفي الفرقان: 41، 60، وفي النمل: 71، وفي الشعراء: 14، 23، 155، وفي القصص: 62، 74، 84، وفي العنكبوت: 18، 40، 47، 50، وفي الروم: 20، 21، 24، 44، 46، وفي لقمان: 6، 32، وفي السجدة: 28، وفي الأحزاب: 23، وفي سبأ: 29، 52، وفي فاطر: 7، 10، 23، 27، 28، 32، 39، 39.

(1) يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، مطبعة المقتطف، مصر، د ط، 1914، ج 2، ص 69.

(2) الصافي، الجدول في إعراب القرآن، ج 17، ص 69.

(3) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج 6، ص 363.

ملحوظة: لم يكن التحويل بتأخير المبتدأ في سورة "المؤمنون" مطلقاً.

3- صور توارده محوّلًا بالتقديم:

3-1- التحويل الإجمالي:

الصورة الأولى: الخبر أداة من أدوات التصدر كأدوات الاستفهام: وذلك أن تتصدر الجملة بـ"متى"؛ مثلاً: فيعني أن المبتدأ حوّل بتأخير رتبته بالإجبار عن موضعها الأول، وكان هذا النوع في 71 من النمل، و60 من الفرقان، و23 من الشعراء، و28 من السجدة، و29 و52 من سبأ.

وأمودجه في قول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (29/سبأ).

الصورة الثانية: سبق المبتدأ المؤخر والخبر المقدم حرف استفهام أو نفي، أو كان الخبر وصفاً:

كما في قول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (46/مريم): فهنا نشهد إجبارية تأخير المبتدأ؛ فالخبر وصف، وهو اسم فاعل، وقد مرّ معنا شرحه.

أو الخبر اسم إشارة مسبق بحرف استفهام والمبتدأ وصف مثل الآية 15 أو 41 من الفرقان، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (15/).

الصورة الثالثة: الخبر مقصور على المبتدأ بـ"إنما" أو بالبنية التحويلية المحولة بزيادة أداتي القصر "ما وإلا" مثلاً، و زيادة "إنما": وهو في الآيات: التور: 54، 54، وفي مريم: 19، 71، والعنكبوت: 18، 50، وفي فاطر 23.

ومثاله في قول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (مريم/18): فالتأخير حاصل للمبتدأ، والتقديم حاصل للخبر، لتوجه دلالة تأكيد قصر الخبر على المبتدأ، وهو الوحي المنزل "أنا" على الرّسولية، والرّسالة أوسمة الرسول للمتكلم وهو الوحي من الله تعالى أو المرسل إلى مريم عليها السلام "أنا"، وأصل البنية رسول ربك أنا، فحوّلت البنية بزيادة إنما

التي للقصر وهي كافة ومكفوفة ومرت معنا آنفاً، وانقلبت موضعة المبتدأ من التقدّم إلى التأخير فأضحى التركيب التحويلي إنما أنا رسول، حيث الاهتمام الذي يخرج إليه توجيهنا الدلالي ليس بأي أحد؛ لأن الله قادر على إرسال الرسل التي يبغى وبشاء، ومع ذلك السياق يتطلب أن يؤكد شرعية المتأتى إليها أولاً فإذا تحققت منه سهل أن نتأكد من رسالته، الرسالة أو المرسولية لها وللعالمين فتأخر الضمير "أنا"، وتقدّم "رسول ربك"، ثم أعقب بالفعل الذي يستتبعه تعليم المتكلم مع مريم بالرسالة؛ أي لكي أهب لك غلاماً زكية لأن قصر الرسالة على المبعوث على مريم لهو دلالة ومؤشر واضحان على قدرة وهب مريم الغلام الزكي، وهذه منطقية اقتضتها البنية التحويلية للآية الكريمة؛ لأن الضمير هو معرفة والضمير أعرف المعارف.

والتركيز في دلالة تأخر المبتدأ لهو الأهم هنا، وهذا يتوافق مع قولها في سياق الآية القبلية، قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (مريم/19)؛ إذ الحديث وقع على الضمير بفعل الكينونة "كنت" أنت، ثم خبر كان وهو "تقياً"، فردّ قائلاً: إنما أنا لتأكيد الضمير المقدم "أنا"، وتعريفه ثم بدل تقياً رسول ربك، لأن المعنى: إن كنت شيئاً تقياً، ومصداق ما ذهبنا إليه: أنه جاء "هذا التذكير بصيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه قصد لتهييج خشيته. وكذلك اجتلاب فعل الكون الدال على كون التقوى مستقرة فيه. وهذا أبلغ وعظ وتذكير وحث على العمل بتقواه، والقصر في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ (مريم/19) الذي استعدت به⁽¹⁾ قصر إضافي، أي لست بشراً، رداً على قولها: (إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) المقترضى اعتقادها أنه بشر⁽²⁾، "أي فقال لها الملك مجيباً ونزيلاً لها حصل عندها لها من الخوف على نفسها: لست ممّا تظنّين، ولكّني رسول ربّك"⁽³⁾.

(1) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج4، ص9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص22.

(3) أحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، أعدّه: أنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط2، 2005، ص501.

وقيل: "وقيل: كان تقي رجل من أعدل الناس في ذلك الزمان فقالت: إن كنت في الصلاح مثل النقي فإني أعوذ بالرحمن منك"⁽¹⁾، وقيل: "أظهر لها من جسده ما عرفت به أنه ملك؛ فيكون ذلك هو العلم، والذي يظهر أنها كانت تعرف صفة الملك بالأمارات، حين كان يأتيها بالرزق في المحراب"⁽²⁾، وقد أعربت: "أنا: ضمير منفصل، ضمير المتكلم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، رسول: خبر "أنا" مرفوع وعلامته الضمة، وهو مضاف، ربك: مضاف إليه مجرور بالإضافة"⁽³⁾.

الصورة الرابعة: إذا اشتمل المبتدأ المحوّل بالتأخير على ضمير يعود على الخبر:

ورد على هذا الصورة الآيات: فاطر 39، العنكبوت 40، الروم: 20، 21، 24، 44، 46. كما في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا رَبَّهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (39).

الصورة الخامسة: الخبر شبه جملة "جار ومجرور" أو "ظرف"، والمبتدأ نكرة ولا مسوغ له إلا تقديم الخبر: جاء على هذه الشاكلة في: النور 50، الشعراء 155، القصص 84، لقمان 32، الأحزاب 23، فاطر: 7، 10، 27، 32، 39.

3-2- التحويل الاختياري:

الصورة الأولى: الخبر شبه جملة جار ومجرور أو ظرف والمبتدأ معرفة: جاء على هذه الشاكلة في: في مريم: 46، 64، وفي طه: 6، 8، 59، وفي الأنبياء: 18، 19، 59، 56، وفي الحج: 3، 8، 11، وفي الفرقان: 2، 16، وفي النمل: 91، وفي الشعراء 155، وفي القصص: 55، 70، 88، وفي العنكبوت: 8، 10، 47، وفي الروم: 7، 18، 22، 23،

(1) النيسابوري (القرن الخامس)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج 6، ص 210 .

(2) أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت 880 هـ)، تفسير اللباب لابن عادل، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ج 1، ص 3488.

(3) بهجت عبد الواحد الشبخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعرابا وتفسيراً بإيجاز، مج 6، ص 139.

24، 25، 26، 27، 46، وفي لقمان: 6، 14، 15، 20، 23، 26، وفي السجدة: 19،
وفي سبأ: 1، 12، 30، 37، وفي فاطر: 18.

وأنموذجه في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (لقمان/23):؛ إلينا: إلى حرف جرّ و"نا" ضمير
متصل مبني على السكون في محلّ جرّ اسم مجرور، "وشبه الجملة في محلّ رفع خبر
مقدم"⁽¹⁾، "ومبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة لا محل لها"⁽²⁾، أو "إلينا خبر مقدم ومرجعهم
مبتدأ مؤخر"⁽³⁾.

وإلينا متعلق بمحذوف خبر محوّل، تقديره هو إلينا، أو مستقرّ إلينا، فدلالة تأخير
المبتدأ أوقع في هذه الآية والبنية التركيبية التحويلية، لأن السياق يستدعي المرجوع إليه لا
ما هو المرجوع، لأنه يطمئن السامع بعدم الحزن على ما كفر فيبادر بـ "إلينا" حتّى لا يدع
مجالاً للحزن والتفكير فيمن يرجع إليه، وأنه غير قادر عليه لو كان غير الله عزّ وجلّ،
وما أكّد هذا هو أنه جعل البنية في مضمار الشرط؛ فالجملة: «إلينا مرجعهم» في محلّ
جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء"⁽⁴⁾، حتّى يؤكّد حقيقة الرجوع إلى الله والمُرجع الكافر غير
المحزون عليه راجع إلى الله وتتضمن الآية حتّى غير الكافر، إنما بيّن مصير الكافر
الذي لا يحزن عليه.

(1) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 824.

(2) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج 3، ص 30.

(3) محي الدين الدرويش، أعراب القرآن، ج 7، ص 553.

(4) الصافي، الجدول، ج 11، ص 137.

خلاصة الفصل:

إن التحويل بتقديم الخبر ناهض على نوعين إجباري واختياري، وقد أحصينا ثلاث صور لتقديم هذا المسند(الخبر) على بنية تركيبية تحويلية ولهذه التقديمات دلالات على بناء الجملة الاسمية فمنها تسهيل الكلام وتيسير البناء الجملي، ودلالة التقدم مرتبطة بأهمية وعناية وألوية منطقية للمقدم وله أغراض كثيرة تخرج إلى شرعية وجود المقدم الخبر على المبتدأ.

إن تأخير المبتدأ وتقديم الخبر هو عمل واحد في وظيفتين تؤدّيان دلالتين مختلفتين فتأخير الخبر هذا يستدعي اهتماما به وألوية مغايرة لألوية التقديم في حدّ ذاته وقد تكون هي ذاتها أولية التقديم للخبر، وهو اختياري وإجباري كما رأينا في كلّ أنواع التحويل لاسيما بتأخير المبتدأ في البنية التحويلية الاسمية.

الفصل الثالث:

صور التحويل بال حذف

ودلالة الغرض

أولاً: التحويل بحذف المبتدأ (المسند إليه) وتوجيهه الدلالي:

1- التحليل التحويلي على أساس دلالة الربط بين البنيتين السطحية والعميقة لحذف المسند إليه "المبتدأ" إجباراً واختياراً:

الأصل أن تذكر الكلمة؛ أي بنيتها التوليدية الأولى، في منطوق اللغة العربية إذا حدث التباس في الفهم عند عدم ذكرها، ولكن إذا دلّ عليها دال مكن حذفها: فأنت تجيب من يسألك: من في السيارة: بقولك: أخي في السيّارة، ومصدّقه ما قاله سيّوبه في عملية الحذف أو الاستغناء بعنصر نحويّ، والتّعوض عليه بعنصر آخر في قوله: "علم أنهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطاً"⁽¹⁾، فهذا دليل واضح على أن سيّوبه ذكر أحقية الحذف التداولي لبعض العناصر التي تعود على نطقها في البنية السطحية للكلام، وإن كانت أصلاً في الإسناد؛ أي لا يتم الإسناد الفعلي أو الاسمي إلاّ بها، أو تحذف أيضاً الخبر فتقول: في السيارة، تحذف المبتدأ أخي، ومما سبق يتبدّى أنه يجوز حذف المبتدأ والخبر إذا كانت قرينة دالة على ذلك في الكلام وفي تركيب الجملة الظاهر.

وجوباً أو إلزاماً: "يحذف المبتدأ في الجملة إذا كان الخبر مصدراً نائباً عن الفعل كما في جملة صبر جميل إذ البنية العميقة لها حالي صبر جميل، وكما هو في الآية الكريمة: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/18)، وكما في قولنا ثبات في الشدة وبنية الكلام أمرى ثبات في الشدة فخير الجملة مصدر نائب فاعل، ويحذف إذا كان الخبر مشعر بالقسم مثل جملة: في ذمّتي لأفئّن بواجب الأحباء، إذ البنية العميقة قسم أو يمين في ذمّتي لأفئّن بواجب الأحباء؛ إذ "المبتدأ نصّ في اليمين؛

(1) سيّوبه، الكتاب، ج1، ص24-25.

والمقصود بذلك أن يغلب استعماله في ذك ولا يستعمل في غيره إلا بقريئة⁽¹⁾ لفظية أو معنوية أو سياقية أو غير ذلك.

إذا كان الخبر مخصوصا لنعم أو بئس والمبتدأ هو ضمير مفصول مقدر مثل جملتي: نعم الخلق الوفاء وبئس الخلق الذم، وأصل الجملتين هو نعم الخلق الوفاء، وهو بئس الخلق الذم، أي في أسلوب المدح والذم؛ إي إذا أخبر عن المبتدأ بمخصوص نعم أو بئس، مثل ذلك: نعم الفاتح صلاح الدين. نعم: فعل ماض مبني على الفتح. الفاتح: فاعل مرفوع علامته الضمة والتقدير نعم الفاتح هو أي "صلاح الدين" هو الضمير المحذوف في محل رفع مبتدأ. صلاح: خير مرفوع وهو مضاف. الدين: مضاف إليه مجرور. ومثل ذلك أيضا: نعم التاجر الأمين، بئس التاجر الغاش، نعم الولد المطيع، بئس الولد العاق، نعمت الفتاة المهدية، بئست العادات السيئة.

إمّا الجواز أو الاختيار: كما أنف الحديث معنا أنّ حذف المبتدأ بجواز إذا دل عليه دليل، ويبين أجلى في سياق الجواب عند السؤال: فإذا سألنا متى اللقاء؟ فالجواب هو في الساعة الثامنة صباحا، فالمحذوف -عندئذ- هو المبتدأ، وهو لفظ اللقاء⁽²⁾ والتقدير اللقاء في الساعة الثامنة صباحا.

2- صور التحويل بحذف المبتدأ:

تعاور التحويل بحذف المبتدأ من البنى التركيبية السطحية للآيات الكريمة 18 مرة في كامل الرّبع الكريم، وذلك على هذا النحو: سورة مريم في الآيتين: 9، 21، طه في الآيات: 5، 8، 53، 76، 88، 112، الأنبياء في الآيتين: 5، 26، في التّور في الآيتين: 1، 58، القصص في الآية: 8، الشعراء في الآية 209، النمل في الآية: 2، لقمان في الآية: 4، فاطر في الآية: 28. أمّا في السور الجليلات: (المؤمنون

(1) محمد عبد العزيز النجار، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل، ج1، ص 205.

(2) سالم فياض، النحو العصري، ص95.

والعنكبوت والروم وسبأ والسجدة والحج والأحزاب والفرقان) فلم يكن فيها هذا النوع من التحويل.

الصورة الأولى: المبتدأ مقدر بالضمائر "هو، هي، هم":

1- المبتدأ ضمير "هو": ورد في الآيات 5، 8، 112 من طه، و8، 60 من القصص، و5 من الحج. وذلك إذا كان جواباً للاستفهام⁽¹⁾. كما في قوله: ﴿قُلْ أَفَأَنْبِيئِكُمْ بِشَرِّ مَن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الحج/72). وتقدير المبتدأ المحوّل بالحذف (هو)، وهذا التحويل الاختياري للمبتدأ.

وقول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه/5)؛ فـ "الرحمن" هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو" ضمير مفعول، وبنية الآية الكريمة المقدرّة "هو الرحمن" بالإخبار أو مبتدأ، وعلى العرش متعلقان بـ"استوى"، وجملة "استوى" خبر ثان للضمير "هو" المقدرّة، أو خبر الرحمن⁽²⁾. و"هو" مرفوع على المدح بتقدير: "هو الرحمن"؛ أي خبر مبتدأ محذوف، تقديره "هو" في البنية العميقة للجملة الآية الفاضلة.

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه/8): الله: لفظ جلالة خبر مبتدأ محذوف تقديره "هو" مرفوع للتعظيم بالضمّة الظاهرة في آخره؛ فهو عنصر نحوي مقدر في نظام الجملة وهو ضمير يحيل على الله عز وجلّ، وذهب آخرون إلى أنّ "الله مبتدأ، وجملة لا إله إلا هو الاسمية خبر"⁽³⁾، وهذا جائز أيضاً. فكل إعراب مخرّج من الإعرابين السابقين له دلالاته مع دلالات سياق الآيات الأخرى، فحينما تبدأ الجملة بلفظ الجلالة الله ثمّ تستكمل بعنصر الخبر لا إله إلا هو، فالمعنى ابتدائي وحين يحذف المبتدأ ويقدر بـ"هو"؛ فالدلالة تختلف وتتباين.

(1) علي أبو المكارم، الجملة الاسمية، ص59.

(2) ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، الجزء16، ص659.

(3) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، ص129.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه/53)، فإعراب الذي: هو اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة أو نعت لـ"ربي" الواردة في الآية الكريمة السابقة، إذ في محل رفع خبر مبتدأ محذوف يقدر بـ"هو" ضمير الغائب، وتقدير الجملة العميقة هو الذي⁽¹⁾، أو الذي خبر لمبتدأ محذوف؛ أي هو وجملة جعل صلة الموصول⁽²⁾.

وبما أننا أوردنا موضعين لخبرين محذوفين، فيجدر بنا أن نوضح شيئاً، أن الضمير في اللغة العربية سمي بهذا الاسم لأنه يضمّر غالباً، وهو -على حسب قول السامرائي-: "فعليل بمعنى اسم المفعول، من أضمرت الشيء في نفسي، إذا أخفيته وسترته؛ فهو مضمّر كالحكيم، فهو محكم، والنحاة يقولون إنما سمي بذلك لكثرة استناره، فإطلاقه على البارز توسع، أو عدم صراحته كالأسماء المظهرة"⁽³⁾، ولهذا فجميمة هي مواضع الحذف التي يكون فيها ضمائر منفصلة للغائب مذكورة ومؤنثة وهناك دلالة قوية في أن المحذوف ضمير مع الاشتراك في دلالة الكلام الظاهر في البنية الظاهرة للآيات الكريمات، ما تقدم في اصطلاح البصريين أما في اصطلاح الكوفيين فيسمونه كناية أو مكنياً⁽⁴⁾.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه/112). نشير هنا إلى أن هناك حذفاً لمبتدأ من البنية السطحية للآية وهو الضمير "هو" لجملة "فلا يخاف ظلماً ولا هضماً"، فتقدير البنية في الآية الكريمة، "فهو لا يخاف ظلماً ولا هضماً"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل، ص105.

(2) ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ص687.

(3) فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، مج1، ص39.

(4) المرجع نفسه، ص39.

(5) ينظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، الجزء16، ص792.

والتمسنا إعراباً آخر هو: الفاء: واقعة في جواب الشرط، وما بعدها جملة فعلية طلبية مقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط، لا: نافية لا عمل لها: يخاف: فعل مضارع مرفوع بالضممة الظاهرة في آخره والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره "هو" أو جملة "فلا يخاف ظلماً ولا هضماً": في محل رفع خبر للمبتدأ المحذوف والخبر "هو" (1)، فهذا تركيب محول من تركيب توليدي أصله ذكر المبتدأ والخبر.

2- المبتدأ ضمير "هي": في 76 من طه، في 5 من الأنبياء، و1، 58 من النور، و209 من الشعراء، و2 من النمل.

كما في قوله تعالى: ﴿جَنَاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾/76، يحسن بنا أن نعرض لكلمة "عَدْنٍ" لغويا فمعناها الاستقرار والإقامة، جنات هي بدل من "الدرجات العلى" مرفوعة مثلها بالضممة، أو هي خبر المبتدأ المحذوف المقدر "هي" جنات عدن فقد نخرج أنّ الضمير المحذوف يوشج بين المبدل منه "الدرجات العلى" وبين المبدل "جنات" فيعقد المعنى أكثر ولو كان محذوفا مقدرا بوصفه مبتداء، فالعنصر المحول بالحذف في الآية الضمير هي الذي يوصل ما انتهى به في الآية السابقة "الدرجات العلى" وما ابتدئ به في الآية اللاحقة "جنات عدن".

وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾/5. يرجح أن أضغاث أحلام هي "خبر مبتدأ محذوف بمعنى: ما يقوله محمد أضغاث أحلام" (2)، أو قول محمد أضغاث أحلام؛ فالبنية المقدرّة التي تتمثل في المبتدأ هي جملة فعلية ما يقوله محمد ويمكن توسعة المعنى بوحدات إسنادية تخدم سياق الآية، أو قدر بضمير منفصل هو ضمير الشأن؛ فتقدير الكلام، قالوا: "هو أضغاث أحلام؛ ف"أضغاث أحلام" خبر لمبتدأ محذوف، والجملة في محل نصب مقول القول" (3).

(1) ينظر: بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل في كتاب الله المرثل، ص159.

(2) بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل في كتاب الله المرثل، ص186.

(3) محي الدين درويش، إعراب القرآن، ج17، ص7.

3- المبتدأ ضمير "هم": ورد في 26 من الأنبياء، و4 من لقمان.

كما في قوله تعالى وجلّ: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾/4: فتقدير البنية العميقة للجملة أن الذي هو في تقدير رفع خبر لمبتدأ محول بالحذف هو "هم"، أو يعرب اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة لما تقدم في الآية السابقة أي للمحسنين. والفصل بين التقديرين ما يستوصل مع كل إعراب بالمعنى الذي يراد على الإخبار بالابتداء للجملة "هم الذين"، وتقدير المسند إليه وهذا له توجيهه الدلالي، والذي هو التعريف بمن هم المحسنون وتأكيد هذه الصفات التي ينعنون بها.

أما الثاني باستكمال البنية بجعل الذين صفة مجرورة للمحسنين وهذا له غرضه المستهدف وتوجيهه الدلالي الذي يروم ما يتصف بها المحسنون وما يلتحق بهم من نعوت لا تلتحق بغيرهم؛ فهذا الحذف كان غرضه توسعا في المعنى على الصورتين والتحويل قضي باتساع التأويل القرآني واندماج كل من المعنيين في سياق واحد كل يعرض لمعنى هو لا يتناقض مع المعنى اللاحق بأي وجه من الأوجه بل يعضده.

الصورة الثانية: المبتدأ محوّل بالحذف مقدر بـ"الأمر": ورد في الآيتين 9، 21 من مريم.

كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم/9)، الكاف: هو خبر لمسند إليه مبتدأ محذوف بنيته العميقة وتقدير الكلام "الأمر" فهو مبتدأ وخبره؛ إذ "كَذَلِكَ" متعلقان بخبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك والجملة مقول القول⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم/21)، وتقدير عملية حذف المبتدأ هنا أنّ الكاف في ذلك نؤولها باسم بمعنى (مثل) فتحور الكلمة مثل ذلك والمبتدأ المقدر وجوبا هو الأمر فتصير الجملة كلّها

(1) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص237.

الأمر مثل ذلك؛ "أي الأمر كما قيل لك"⁽¹⁾، و"قيل هو في موضع نصب أي أفعل مثل ما طلبت وهو كناية عن مطلوبه"⁽²⁾ أو مرومه.

الصورة الثالثة: المبتدأ محول بالحذف مقدر بـ"خلق" ورد في الآية 28 من سورة فاطر.

المبتدأ يكون اسماً معرباً مشتقاً مثل "خلق" أو صنف من الخلق، وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾: والمبتدأ المسند إليه مقدر بتحويله بالحذف وتحويله بالتأخير وهو خلق ومختلف صفة للمبتدأ، أو "صنف مختلف ألوانه؛ فحذف الموصوف وحلت الصفة محلّه"⁽³⁾، أو مختلف "صفة لمبتدأ محذوف"⁽⁴⁾، ومكانه في التركيب التحويلي للآية الكريمة، والقرينة في تقدير المبتدأ خلق أن الله عز وجل في مستهل هذه الآية، كان يتحدث عن إعجاز الكون بالخلق والمخلوقات، التي برأها وصورها من إنسان وحيوان ونبات، عمر به الكون، وأثب به الوجود؛ فلام ذلك ذكر المقدر خلق أو صنف من الخلق على حسب ما يقارب معنى الآية ويوجه الدلالة إلى إصابة الهدف الكامل؛ لذلك جاءت العناصر التحويلية في مباني اللغة العربية واللغات الأخرى؛ لأن المعاني عديدة، وغير منتهية في تركيب واحد وهناك أشياء تتضمن ولا تقال.

الصورة الرابعة: المبتدأ محول بالحذف مقدر باسم الإشارة "هذا": وردت على هذه الصورة في الآية الكريمة 88 من سورة طه، قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾، فالجملة "وإله موسى" معطوفة على جملة مقول القول "هذا إلهكم"؛ والواو عاطفة وهنا تقدر المبتدأ المحذوف بعد الواو؛ لأن بنية الجملة الاسمية بعد العطف "وهذا إله موسى، ودلالة الحذف هي أن إلهكم هو ذاته إله موسى،

(1) النحاس، معاني القرآن الكريم، ج4، ص320.

(2) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص867.

(3) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل، مج9، ص403.

(4) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص82.

فالواو ناطقة بأن المبتدأ الأول الظاهر هو اسم الإشارة المبني هو نفسه، وفيه معنى أن الله هذا الإله الذي يشمل - بالألوهية- موسى وحتى بني إسرائيل المبعوث إليهم موسى، وتقديرنا: أن حينما كان المبتدأ الأول للإشارة، وبما أن الله واحد لا شريك له ولا يتعدد على الأنبياء والرسل وأقوامهم، وهو إله الكون جميعاً، لم يشأ الله إعادة "هذا" (1).

أو المبتدأ يكون "هذه" كما في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور/1): المسند إليه محذوف مقدر في مستهل ومفتتح الآية الكريمة الأولى من سورة النور وتقدير الآية هذه سورة أنزلناها أو السورة التي نقصها عليك سورة أنزلناها وفرضناها أو سورة النور سورة: "أوحيناها وأعطيناها الرسول صلى الله عليه وسلم"... فالمبتدأ محول بالحذف في البنية التركيبية التحويلية للآية، أو "سورة" خبر مبتدأ محذوف. وأنزلناها صفة. أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف؛ أي : فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها. وقرئ بالنصب على: زيدا ضربته، ولا محل لأنزلناها، لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه، أو على: دونك سورة أو اتل سورة، وأنزلناها: صفة (2) لسورة، وجملة أنزلناها "إنها على خبر الإبتداء، التقدير هذه سورة؛ لأن الإبتداء بالنكرة قبيح" (3). فبنيتها التوليدية "هذه سورة" وأنزلناها صفة كما أسلفنا.

فلنحاول توضيح انتقال عملية التحويل من الجملة التوليدية إلى الجملة التحويلية بهذه الصورة: كان "أصل هذه الجملة توليدية؛ إذ كانت بهذه الشاكلة في المنطق التوليدي: هذه سورة = اسم معرفة + اسم نكرة = م (أي مبتدأ) + خ (أي خبر)، فهي جملة توليدية اسمية، ثم أضيف إليها نعت للخبر فصارت: هذه سورة أنزلناها = اسم معرفة + اسم نكرة +

(1) ينظر: بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل، ص 105.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 208.

(3) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (ت 543هـ)، أحكام القرآن، ج5،

صفة = م + خ + صفة، فتحوّلت الجملة الثانية بحذف المبتدأ لوجود قرينة دالة عليه فصارت أخيراً:

هذه سورة أنزلناها = اسم معرفة محذوف، وهو المبتدأ المسقط من البناء + اسم نكرة + صفة = م محذوف + خ + صفة، فهي جملة اسمية تحويلية محولة بالحذف؛ حيث حذف منها المبتدأ، وترمز الجملة إلى المعنى الكامن في ذهن المتكلم⁽¹⁾، أو المتحدث الذي يتلو هذه الآية.

خلاصة:

نلاحظ - من خلال تطرّقنا إلى حذف المبتدأ وهو عنصر أساس في عملية الإسناد الأصلي للجملة الاسمية - أن إخفاء عنصر المبتدأ هو غرض معنوي ولغوي في آن معا؛ "بحيث لا حظنا التأثير العميق لدوائر المعاني في المحيطة بالكلمات في بناء الجملة"⁽²⁾، والمبتدأ إن حذف بالإجبار أو الاختيار فهذا شكل من أشكال إصابة المعنى؛ فالمعنى "مشتق من عنيت بالكلام كذا؛ أي قصدت وعمدت فتكون الدلالة الأولى للمعنى هي القصد"⁽³⁾، وليس القصد إلاّ تحركّ العقل لتحقيق شيء أو إخفاء شيء في اللغة وانتباه لتفسير شيء، والمعنى في الجملة الاسمية في العربية يتحقق بالتركيب الظاهر والباطن أي سواء ظهرت بعض العناصر النحوية، كالمبتدأ أو لم تظهر؛ إذ العوامل في البنية اللغوية التركيبية إمّا عوامل لفظية "ما يظهر في النطق والكتابة ومنها عوامل معنوية يدرك بالعقل لا بالحس"⁽⁴⁾؛ وهذا عين دليل الحذف من البنية الظاهرة أو السطحية للكلام، وما نعدّه - ضمن علم أصول النحو - في العلة العقلية النظرية أو نحّل الحذف

⁽¹⁾ ينظر: عبد الوهاب زكريا/أحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي؛ دراسة تحليلية في القرآن الكريم، ص152.

⁽²⁾ غالب المطلبي، في علم اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د-ط، 1986، ص81.

⁽³⁾ جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، بإشراف أحمد مشاري العدوان، 145، 1987، ص108.

⁽⁴⁾ عباس حسن، النحو الوافي، ص441.

المختلفة في البناءات التحويلية القرآنية انطلاقاً منها؛ إذ هي "علة التي تصدر عن العقل معتمدة على استقراء عام داخلي للصناعة النحوية"⁽¹⁾، وهذا مرتبط في التحليل الدلالي للتراكيب التحويلية بـ"استقراء كلمات العرب وتتبع تراكيبيها"⁽²⁾، حتى يسهل علينا فهم المنطق اللغوي للحذف، ولذلك جاء في ربع مريم حذف المبتدأ مستقراً على صور مختلفة كالتّي أوردناها في هذا المبحث.

ثانياً: التحويل بحذف الخبر (المسند)، وتوجيهه الدلالي:

1- حذف "الخبر" إجباراً و اختياراً: نشير إلى أن سيبويه أشار إلى أغلب قواعد "Reduction Rules" حذف المسند والمسند إليه في الجملة الاسمية، كما أشار إلى حذف المضاف وحروف الجر وغيرها، وأورد عبده الراجحي بعض أقوال سيبويه في الحذوف المختلفة في معرض حديثه عن قواعد الحذف عند التحويليين، أي عند تشومسكي ومن تابعه في نهجه النحوي؛ إذ قال: "يقول: "هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمرًا ويكون المبني عليه مظهرًا، وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص؛ فقلت: عبد الله ورّبي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو: هذا عبد الله، أو سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت، فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد ورّبي، أو مسست جسداً أو شممت ريحاً فقلت: زيد، أو المسك، أو ذقت طعاماً فقلت: العسل"⁽³⁾.

يذكر المسند للأغراض التي تثبت في ذكر المسند إليه وذلك:

- لكون ذكره هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، نحو العلم خير من المال.
- لضعف التحويل على دلالة القرينة، نحو حالي مستقيم ورزقي ميسور؛ إذ لو حذف ميسور لا يدل عليه المذكور.

(1) المالقي (706هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، ص76.

(2) ينظر: سميح عاطف الزين، الإعراب في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ط1، 1985، ص72.

(3) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص151.

▪ لضعف تنبئه السامع نحو قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم/24) فلو حذف ثابت ربما لا ينتبه السامع لضعف فهمه.

▪ كالدرد على المخاطب نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (يس/79)، جوابا لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس/78).

▪ وكالإفادة أنه فعل، فتفيد التجدد والحدوث، ومفيدا بأحد الأزمنة الثلاثة بطرق الاختصار.

▪ وكالإفادة أنه اسم فيفيد الثبوت مطلقا، نحو قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء/142)، فإن (يخادعون) تفيد التجدد مرة بعد مرة مفيدا بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدل عليه كذكر "الآن، أو الغد"، وهو قوله: (وهو خادعهم) تفيد الثبوت مطلقا من غير نظر على زمان، ويحذف المسند لأغراض كثيرة وجميمة:

▪ "إذا دلت عليه قرينة وتعلق بتركه غرض مما في مرّ في حذف المسند إليه والقرينة "إِذَا" مذكورة كقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (لقمان/25) وبنية الكلام العميقة (ليقولن خلقهن الله) هنا الخبر جملة فعلية وليس اسمية. أو مقدرة كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ (النور/37) أي يسبحه، كأنه قيل من يسبحه" (1).

- ومنها الاحتراز عن الغيب نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبة/3)؛ أي ورسوله بريء منهم أيضا؛ فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثا لعدم الحاجة إليه.

- ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام لقول الشاعر:

نحنُ - بما عندنا - وأنت بما *** عندك راضٍ والرأي مختلف

(1) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبدیع، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د ط، د ت، ص 148.

أي نحن بما عندنا راضون؛ فحذف لضيق المقام، كما ذكرها عبده الراجحيّ شاهدا من شواهد سيبويه على اجتناب التكرار؛ فقال ولا نزال نذكر شاهد سيبويه في حذف الخبر للتكرار" (1)، وأورد البيت الفائت الذكر.

وتعزيزا لقول ابن مالك نقدّم المثالين الشعريين الآتيين، وهما قولنا:

قلبي - بما شغفت أنفاسه - عشيقٌ *** وقلبكم، كلنا - في العشق - أصحابُ

فإن تكن سمة في القرب تجمعنا *** فإننا - في صفات الحبّ - أحباب (2)

- ومنها اتباع ما جاء في استعمالاتهم "الواردة عن العرب" ومجاراته (3)، نحو (لولا أنتم لكنا مؤمنين)؛ أي لولا أنتم موجودون، فالخبر الذي في الجملة الاسمية بعد لولا يكون محذوفا دائما مقدرا بكلمة كائن أو مستقر، أو كما في قولهم في المثل العربي "رمية من غير رام" وبنية المثل العميقة هذه رمية من غير رام، يعني أنه يقع بعد لولا مثل لولا إهمال لأفّح.

- وإذا كان المبتدأ عاملا فيما بعده مثل إطعام مسكينا حسنة.

- إذا أخبر عنه بنعت "صفة" مقطوع وتقطع الصفة عندما لا يتبع الموصوف أو المنعوت في إعرابه، وتقطع الصفة لتؤدي معنى أقوى من معنى الصفة، وهو المدح أو الذمّ أو الترحّم وشاكلة ذلك: اقتد بالخليفة العادل بدل أن تكون العادل صفة مجرورة للخليفة قطعت عن الوصف، وصارت خبرا لمبتدأ محذوف وجوبا أو إلزاما تقديره "هو" العادل، من أجل إظهار المدح وهو أقوى من الصفة.

(1) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، ص151.

(2) البيتان الشعريان من إنتاج الطالب الباحث، وقد ارتجلهما تدليلا على حذف الخبر اختيارا وتكثيفا لمعناه وللأمثلة العملية لعملية التحويل بحذفه على شرح ألفية ابن مالك للمكودي، وهما من بحر البسيط المقطوع المخبون، وقد كتبا يوم السبت 16 - صفر - 1437هـ الموافق لـ 28-11-2015 ببسكرة في الساعة الواحدة وتسع دقائق بعد الزوال.

(3) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبدیع، ص148.

يختار حذف الخبر أيضا إذا دل عليه دليل في الجملة، فحين نسأل من بطل حطّين؟ فيكون الجواب هو "صلاح الدين" المحذوف - وقتئذ - هو الخبر، وهو لفظ بطل حطّين وتقدير البنية العميقة في الإجابة صلاح الدين بطل حطّين.

أما حذف الخبر أو المسند في الجملة الاسمية - كما يقول المكودي شارح الألفية - ففيه استعمالان بعد "لولا" غالب، وغير غالب، مثل جملة "لولا العلم لما تقدمت الإنسانية"، وأصل الكلام "لولا العلم موجود أو كائن"، وهكذا مع سياقات "مستقر" أو "قار" وسوى ذلك، كما نقول: "لولا الورد في البستان لما طاب النسيم"، وتقدير الكلام: "لولا الورد قار في البستان"، وكما يقول الشارح للألفية - في حذف ما يعلم جائز - أيضا منطلقا من البيت الشعري للألفية:

وفي جواب كيف زيد قل: دنف *** فزيد استغني عنه إن عرف

فتقدير الخبر محذوف والكلام على صيغة "زيد دنف".⁽¹⁾

- إذا كان المبتدأ صريحا في القسم كجملة: يمين الله لأنصرتك، فالخبر مقدر بقسمي.
- إذا قرن المبتدأ بواو تدل على المصاحبة، كما في جملة كل إنسان ونيته في الخير.
- إذا أغنت الحال المبتدأ الذي هو مصدر مضاف إلى معموله عن الخبر، كما في جملة شربي الماء باردا.
- إذا أغنت الحال المبتدأ الذي هو اسم تفضيل مضاف إلى مصدر صريح، كما في قولنا: أكثر أكلي الفاكهة ناضجة.
- إذا أغنت الحال عن الخبر وجاء المبتدأ اسم تفضيل مضاف إلى مصدر مؤول، كما في قولنا أحسن ما يؤكل الطعام طازجا.

(1) إبراهيم قلاتي، شرح المكودي على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، د ط، 2007، ص 61.

انطلاقاً من أن الخبر تبنى عليه صورة المعنى، وتكتمل به الدلالة، فإنه "محل الفائدة وبه تتم الجملة فلا بدّ منه، لكنه قد يحذف من الكلام"⁽¹⁾، وهذا اعتماداً على قول سيبويه في حذف الخبر من بنية القول: "هذا باب من الابتداء يضمّر فيه ما يبني على الابتداء وذلك قولك: لولا عبد الله لكان كذا وكذا، أما لكان كذا وكذا فحديث معلق بحديث لولا، وأما عبد الله فإنه من حديث لولا، وارتفع بالابتداء، وكأن المبني عليه في الإضمار كان في مكان كذا وكذا، فكأنه قال لولا عبد الله كان بذلك المكان..."⁽²⁾.

وقد أشار سيبويه في هذا النص للبنية العميقة التي تحوي الخبر المحذوف مع أهميته، ولو في خانة الحذف، وأشار إلى اتساق الجملة الاسمية بربط عنصرها المسند والمسند إليه، وقد ركز في فكرة البناء، كأنه يمس بالحديث البنوية الشكلية للجملة في اللغة العربية، ويفضي هذا البناء بالمعنى الذي هو ثمرة اللغة وجني الدلالة.

ويقول ابن مالك في ألفيته عن حذف الخبر وجوباً:

وبعد لولا غالباً حذفُ الخبر *** حتمٌ وفي نصّ يمين ذا استقر.

ونستوضح من قول ابن مالك "غالباً أن لـ" لولا" الامتناعية استعمالين غالباً وغير غالب، وأنه لا يجب الحذف بعد استعمال الغالب، والاستعمال الغالب فيها أن يعلق الامتناع على نفس^(*) المبتدأ نحو: لولا زيد لأكرمته، ففي مثل هذا يجب الحذف الخبر لسد الجواب مسدّه، وغير غالب أن يعلق الامتناع على صفة في المبتدأ نحو: لولا زيد باك لضحكت فالامتناع في هذه الصورة معلق على بكاء زيد لا على زيد.

ففي مثل هذا لا يجب حذف الخبر بل يجوز إذا دلّ عليه دليل، فغالباً حال من لولا، وحذف الخبر حتم جملة من مبتدأ وخبر، وبعد: متعلقٌ بحذف أو بحتم، والتقدير:

(1) معصومة عبد الصاحب محمد حسن، الجمل الفرعية في اللغة العربية؛ بين تحليل سيبويه، ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، ص 68.

(2) ينظر: سيبويه، الكتاب، 2/129. نقلاً عن معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية، ص 68.

(*) الأصح المبتدأ نفسه فالمؤكّد أولاً تمّ المؤكّد فنقول ارتكزت على الغصن نفسه، وقطفت الوردة ذاتها.

وحذف الخبر متحتم بعد لولا في غالب أمرها، وهو تعليق الامتناع على نفس (*) المبتدأ الثاني⁽¹⁾، بعد مبتدأ هو نص في القسم، وإليه أشار بقوله:
وبعد واو عيّنت مفهوم مع *** كمثل (كلّ صانع وما صنع)
وقبل حال لا يكون خبراً *** عن الذي خبره قد أضمر
كضرب العبد مسيئاً وأتم *** تبيني الحقّ منوطاً بالحكم⁽²⁾
فإن البنية التي جاءت عليها جملة بيت الألفية دقيقة؛ إذ بيّنت وجوبية حذف الخبر بكلمة غالب.

ليس بنا حرج أو ضير أن نعرض لحذف العماد الثاني من أعمدة الجملة الاسمية وهو المسند إليه (المبتدأ).

2- صور التحويل بحذف الخبر (المسند) (التحويل الإجمالي):

الصورة الأولى: الخبر محوّل بالحذف في البنية العميقة مقدّر بـ (كائن أو موجود أو مستقرّ على التذكير أو التأنيث أو الإفراد أو الجمع على حسب المبتدأ المتحقّق في البنية الظاهرة)، ويكون بعد "لولا"، والمقصود بـ "لولا" الامتناعية، التي هي حرف امتناع لوجود، ومثلها: "لوما" التي تفيد الامتناع أيضاً، وأما "لولا" التحضيضية، فلا يليها المبتدأ. هذا حديث شريف يخاطب به النبي - صلى الله عليه وسلم - السيدة عائشة - رضي الله عنها - والحديث، رواه البخاري في كتاب العلم: "لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة"، وله في كتاب الحج، وكتاب التمني روايات أخرى. البخاري: 6 / 407، و8 / 170، ومسلم: 2 / 269، والترمذي: 3 / 614، والنسائي: 5 / 214.

(*) الأمر نفسه، وإشارة استنباق المؤكّد على المؤكّد؛ فنقول على المبتدأ نفسه، وهو تعليق الامتناع على المبتدأ نفسه.
(1) إبراهيم فلاتي، شرح المكودي على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، د ط، 2007، ص 61.

(2) ينظر: إبراهيم فلاتي، شرح المكودي على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، ص 61-62.

موطن الشاهد: "قومك حديثو"، وجه الاستشهاد: مجيء: "قومك" مبتدأ بعد "لولا" ومجيء الخبر... كونا مقيدا بالحدائثة، وحكم ذكر الخبر في هذه الحالة الوجوب⁽¹⁾، والتوجيه الدلالي لهذا الحذف القار في بنية التركيب التحويلية هو لزوم حذف الخبر لعلّة " قيام العلم به وطول الكلام بجواب لولا"⁽²⁾.

وردت على هذه الصورة الآيات الآتية: في 129، و133، و134 من طه، و40 من الحج، و10 و14 و16 و20 و21 من النور، و7 و42 و77 من الفرقان، و10 و47 من القصص، و53 من العنكبوت، و31 سبأ.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج/40).

فحذف خبر لولا إجبارا، ومنطق الجملة في بنيتها العميقة "لولا دفع الله" موجود وإكمال الآية، وهذا في عرف العربية اللغوية بدهية، ومن منطق بناء قواعد التقدير في العربية حذف خبر "لولا" الوجوبي؛ إذ لولا حرف شرط امتناع لوجود امتناع وقوع جواب الشرط لوقوع الشرط مبني على السكون لا محل له من الإعراب، ولأن قاعدة الإسناد الجملي منطقته الذي لا يستقيم بغير هو المبتدأ والخبر، ولكن الخبر هو كون عام وليس خاصا فموجود أو كائن له صورة العموم، فلو قلنا مثلا: لولا كريم عانقتي ما عانقته، فلا ينعقد لولا كريم ما عانقتي ما عانقته، ويذهب في التفسير "ولولا دفع الله الناس بدل بعض من بعض" بعض "لهدمت" بالتشديد للتكثير وبالتخفيف⁽³⁾ أيضا.

(1) الأنصاري (761 هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، ص223.

(2) العكبري(538هـ-616هـ)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، ج1، ص41.

(3) القرآن الكريم، تفسير جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلى (791-864هـ)، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(894-911هـ) مذيلا بكتاب أبواب النقول في أسباب النزول، ص337.

وللإشارة فإنّ لولا تختص في استعمالها بالجملة الاسمية خلافا للكسائي⁽¹⁾، فإنّه قال: إذا قلت "لولا زيد لأكرمك"، يكون التقدير: لولا حضر زيد لأكرمك، فيكون زيد مرفوعا على أنّه فاعل لفعل مضمر، فتكون جملة فعلية عنده المحذوفة الخبر لقيام قرينة دالة عليه⁽²⁾.

ودليل يوميّ إليه في (الحج/40) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (طه/129): فالخبر-هنا- محذوف إجبار من بنية السطح المحوّل بعد "لولا"، فالواو للاستئناف، "ولولا حرف شرط غير جازم، كلمة مبتدأ مرفوع وعلامته الضمة وخبره محذوف وجوبا"⁽³⁾، أو "لولا" حرف امتناع لوجود، و"كلمة" مبتدأ خبره محذوف تقديره موجود، وجملة "سبقت" نعت لـ "كلمة"⁽⁴⁾، ونقدّه في بنية التركيب العميقة للجملة/الآية الكريمة بكائنة أو مستقرة أو حاصلة أو ما يضارعها في المعنى، وهي متداولة مع الجملة التي تكمل سياق الجملة السابقة، فالفعل سبقت موشوج بالخبر المحذوف في صورة الوجوب، ودلالة الحذف هي قاعدية؛ أي أنّ الخبر يحذف بالإجبار من الجملة التحويلية، ويقدر بكلمات ثابتات في بنية العمق وهذه صورة من صور التحويل بحذف الخبر من الجملة الاسمية.

(1) يحيى الدين الكافيحي (788-879هـ)، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط3، 1996، ص335.

(2) الكسائيّ وهو أبو الحسن عليّ بن حمزة الأسدي الكوفي النحوي، المعروف بالكسائيّ، لم يزل إمام الناس في القراءة والعربية إلى أن توفى بخراسان بقربة من قرى الريّ: أرنبويه سنة تسع وثمانين ومائة. ينظر: أحمد بن أبي عمر المعروف بالأندرابي، قراءات القراء المعروفين بروايات الزّواة المشهورين، تحقيق وتقديم: أحمد ناصيف الجنابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1986، ص191-120.

(3) بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، مج7 ص174.

(4) أحمد بن محمد الخراط، المجتبى من مشكل تأويل القرآن الكريم، ج1، ص370.

ونجد ضرباً آخر من إعراب هذه الآية الكريمة في أن " (الواو) استئنافية، ولولا حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر؛ إذ إنّ جملة (سبقت من ربك) الفعلية صفة لكلمة، ومن ربك متعلقان بـ (سبقت)"⁽¹⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (سبأ/31): الضمير (أنتم) مسبوق بـ(لولا)، فالخبر لا يجاز ذكره والتصريح به عند النحاة، فتقدير بنية الخبر المحذوف حاصل أو كائن أو مستقرّ كما رأينا فيما سبق من السور؛ فالسياق يدل عليه كما يقول النحاة، ويقول تشومسكي والتحوليون؛ إذ يستخدمون كلمة " (الضمائم) في تراكيب الجمل الاسمية والفعلية، إذ كانت هذه الرّؤيا ضمن نظرية النحو التحويلي " Theory of Transformational Grammar" ويعني بالضميمة الأجزاء المترابطة صرفياً ونحوياً، ارتباطاً وثيقاً داخل الجملة"⁽²⁾، وكل هذا يحلّل ضمن ما يعرف بتحليل تركيب الضمائم "Phrase Structure Analysis"، فتقدير الخبر بعد لولا وإن كان في مساحة المخفي لا الظاهر، إلا أن ارتباطه في النحو العربي بالمبتدأ الظاهر بعد لولا، هو تشارك السطحي بالعميق، وهذه من دلالات تماسك اللغة العربية بين بنيتها الظاهرة والباطنة، ونلمح إلى فكرة يتحوّف بها، هو أن أبا العلاء يذكر الخبر الذي يحذف دائماً في الكلام بعد لولا الامتناعية؛ إذ يقول رابح بومعزة: إنّه في البيت الذي سنورده هو الجملة الفعلية المضارعية "يمسكه"، يقول أبو العلاء المعري:

يذيب الرّعب منه كلّ عضب *** فلولا الغمدُ "يمسكه" لسالا (3)

و" قد ورد ذكره بعدها شذوذاً كقوله:

لولا أبوك ولولا قبله عمر *** ألقّت إليك معدّ بالمقاليد

(1) ينظر: محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج16، ص742.

(2) ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص213.

(3) ينظر: رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، مفهومه-أنواعه-صوره، ص129.

إذ عمر مبتدأ وقبله خبر أو قبله شبه جملة ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر بمعنى كائن أو موجود أو مستقر⁽¹⁾.

الصورة الثانية: الخبر محوّل بالحذف مقدر وهو متعلق ببنية ("شبه جملة" جار ومجرور أو ظرف زمان أو مكان)، وتقديره في البنية العميقة للتركيب التحويلي (كائن أو موجود أو مستقر): و"الخبر في الجملة الظرفية فمختلف؛ ذلك أنه لا يكون إلا "ظرفا" أو "جارا ومجرورا" بيد أن الظروف جميعها ليست صالحة لوقوعها خبرا في الجملة الظرفية"⁽²⁾.

كما وقد تعاور على الربع المدروس وحتى في القرآن الكريم، وقد استعمل في الآيات الآتية: في 15، 33، 47 من مريم، و 47، 56 من طه، و 10 من الأنبياء، و 33 من الحج، و 28، 80، 84 من المؤمنون، و 15، 61، 62، 63، 64، 93 و 54 من القصص، و 8، 15 من سبأ، و 10، 27 من فاطر.

ومثال هذه الصورة كما في قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم/15)، وبنية الجملة العميقة هي: وسلام كائن أو موجود أو ملقى عليه، وتأتي الجملة الظرفية يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا؛ إذ إن "سلام" مبتدأ حكمه الرفع والمقدر في بنية الجملة العميقة، هو العنصر كائن أو موجود أو مستقر على تقدير النحاة في البنية المنطقية، لتحقق الإسناد الاسمي بين المبتدأ والخبر، ولو نروم صوغا آخر للمعنى لصرفنا المسند الخبر إلى جملة فعلية ماضوية، أو مضارعية بما يخدم سياق الآية الكريمة، فنقول مثلا: وسلام كتبناه أو مكتوب عليه أو غير ذلك هذا، إذا ذهبنا إلى هذا

(1) ينظر: محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل (قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (698هـ - 797هـ)) على ألفية الإمام ابن مالك (الحجة الثابت: أبي عبد الله محمد جمال الدين (600هـ - 672هـ))، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، نشر وتوزيع دار التراث، القاهرة، مصر، دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة الشرعية والوحيدة والمتعاقد عليها: الطبعة العشرون، 1980، ج1، ص248.

(2) ينظر: علي أبو المكارم، التراكيب الإسنادية، الجمل: "الظرفية-الوصفية-الشرطية"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص19.

النوع من التقدير، أمّا إذا جعلنا أن عليه شبه جملة "جار ومجرور" (على)، والضمير المفرد المحيل إليه الغائب، وهو يحي النبي الكريم المتحدث عنه، فنجعلها في محل رفع خبر لـ"سلام". ويمكن أن نقدر "منا" بعد "سلام" كما يذهب المفسران الجلالان؛ "وسلام" "منا" عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً" أي في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها فهو آمن فيها"⁽¹⁾؛ إذ منا تبين اتجاه السلام لطمئنة قلب يحي وقلب محمد صلى الله عليه وسلم وقلب القارئ لهذه الآية، فتبيين مصدر السلام بتقدير منا له دلالة الكبرى، فمادام الله وهب لسيدنا زكرياء يحي فهو الكفيل بسلامته، وكان المبتدأ نكرة لأنّ المعنى متّجه إلى الدعاء أي وسلام عليه أي ندعو له بالسلام.

وكقوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم/33)، والبنية العميقة لعنى الخبر "المسند" في هذه الجملة "من الله" على تفسير الجالين؛ "والسلام" من الله "عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً"⁽²⁾، فهنا إحالة الخبر المقدر من شبه الجملة من الله لفظ الجلالة الاسم المجرور وحرف الجر هو تبيان المصدر؛ أي مصدر ورود السّلام أيضاً ولكن في سياق آخر مغاير للسياق الأول لهذه الآية المشابهة لآية الحديث عن يحي، إذ يتحدث ويحاجج سيدنا عيسى عليه وعلى كل الأنبياء والمرسلين السلام قومه، ويبين أن السلام من الله لتوكله المطلق على الله، وكأنّي بالله هنا ينطق سيدنا عيسى ومن الله تأكيد آخر لأنه نطق بمعجزتين؛ فالأولى أن ليس له أب والثانية نطق في هذه السن المبكرة، وهنا تحويل في عنصر شبه الجملة لتركيب الخبر من الله مع المبتدأ السلام.

وكما في قوله تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه/56)، فبعد فعل قال يأتي مقول أقول علمها مبتدأ "مسند إليه"، والتقدير العميق "كائن" أو "مستقر" أو مصوغ في الاستعمال منا ب مخفيّ أو أي خبر يخدم السياق

(1) القرآن الكريم، تفسير الجالين، مذيلاً بكتاب أبواب النقول في أسباب النزول، ص306.

(2) المرجع نفسه، ص307.

القرآني، فالجملة محولة بهذا المعنى؛ فخيرها "مسندها" مقدر في بنية غائصة أو عميقة، أما إذا حملناها على أن "عند ربي"، أي شبه الجملة "ظرف مكان"، والمضاف إليه مقدره بحكم الرفع بأنها خبر، وفي الخبر أوجه أخرى؛ مثلا "في كتاب"، وصيغة الجملة "علمها في كتاب عند ربي لا يضل ربي ولا ينسى"، أو هي خبر ثان بعد خبر "عند ربي"، أو أن يكون الخبر المسنن في كتاب، وعند حال، والعامل فيها الظرف الذي بعدها على قول الأخفش⁽¹⁾.

الصورة الثالثة: الخبر محوّل بالحذف مقدر من سياق الكلام، ومستوجه من القرائن الظاهرة الملتحقة بالبنية السطحية: وورد على هذه الشاكلة في الآيات: 15 من الفرقان، و59، 79 من النمل، و33 من سبأ.

كأن يكون معروفا لأنه مقدر بعد عطف كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ (النمل/15). البنية العميقة للكلام هي: قل أذلك خير مما سبق من ذكر صفات النار والوعيد أم جنّة الخلد، وهو المبتدأ والخبر المحذوف دلت عليه قرينة ماضية وهي خير، فضبط الكلام مقدرًا أم جنّة الخلد مبتدأ مضاف ومضاف إليه مجرور الخلد وخبرها خير والمعنى (أخير)، وأحسن وأكثر صلاحا وفوزا، ويكون "خير خيرا للمبتدأ (ذلك)، ومعناه (أحسن وأفضل)"⁽²⁾.

وما قدر في سورة الشعراء؛ إذ ليس فيها حذف للمسند "الخبر" في تراكيب الجمل الاسمية، ما عدا ما قدر في جملة الآية الكريمة: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (الحج/30)، ف "ذلك" عدت التخريجات بوصفها بنية محولة بمقدرات

⁽¹⁾العكبري، التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر، د ط، 2001، الجزء الثاني، نقلا عن المكتبة الإسلامية، 21:22.
http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=328&idto=338&bk_no=69&ID=23.

⁽²⁾ ينظر: بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل في كتاب الله المنزل، مج8، ص105 .

لمحذوفات ذكر بعض العلماء احتمالاتها الأميل لحذف الخبر في: "أنها مبتدأ خبره محذوف؛ أي ذلك الأمر الذي ذكرته"⁽¹⁾.

وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (النمل/79)؛ الخبر المحول بالحذف من البنية التركيبية الظاهرة هو متعلق بشبه الجملة ظرف المكان "على الحق المبين" بنيته العميقة سائر على الحق المبين أو تسير على الفعلية، ودلالة الحذف تمنحنا، فهما أنه في كل حالاته على الحق المبين من دون تحديد حالة أو شكل من أشكال الحق، و"إِنَّكَ" إن واسمها "عَلَىٰ الْحَقِّ" متعلقان بمحذوف خبر إن "المُبِين" صفة الحق والجملة الاسمية تعليلية لا محل لها"⁽²⁾.

أو قد يكون الخبر المحول بالحذف هو (هو)؛ أي ضمير الشأن أو العماد؛ كما هو في الآية الكريمة 41 من العنكبوت؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت/41): الخبر "هو" على تأويل ضمير الشأن أو العماد.

خلاصة الفصل:

نخلص إلى أن البنى التركيبية التحويلية متفرعة من البنى التركيبية التوليدية في قضية حذف المسند(الخبر) من الجملة الاسمية، فالأصل أن يذكر لكنه يخفى من البنية السطحية لدلالات متعددة وأغراض عديدة، بصور مختلفة إجبارية أو اختيارية، وشاهدنا ثلاث صور للتحويل الإجباري للخبر، ونلمع إلى أن الإعراب زادنا فهما كبيرا للقرآن الكريم وأضأ لنا حدود التحويلات فالإعراب وظيفة وإجراءً عملية مهمة في فهم القرآن الكريم؛ "وهكذا فالقرآن الكريم الذي عُرف عنه بأنه معرب، وهل أدلّ على ذلك من قول الرسول

(1) أيمن الشوا، الجامع لإعراب جمل القرآن، اختاره من أوثق كتب الأعراب، وقدم له السادة كريم راجح، عبد الرزاق الحلبي، مصطفى سعيد الخن، أسامة الرفاعي، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، دار الفيحاء، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2000، ص330.

(2) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص416.

الكريم مخاطباً المسلمين: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبَه"، فطلبه هذا دليل قاطع بأن القرآن معرب، وإعرابا لقرآن ضرورة يقتضيها المعنى مثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر/28)⁽¹⁾ وغيرها، والإعراب يكشف عن مخبوء المقدرات من حذف الخبر في البنية وتأويل هذا الخبر انطلاقاً من قرائن البنية والسياق والمقام.

يمكن للغة العربية أن تستفيد من النظرية التحويلية في عكس آلية عمل القواعد التحويلية في تلمس المنطق النحوي لعملية الحذف أو الإسقاط التي تقع على الخبر فتغير بنية التركيب التوليدي الاسمي وتوجه دلالاته باختلاف وجوده في الجملة، وبهذا ينبغي أن يصبح نحو العربية بمفهومه الواسع الذي يعنى قواعد اللغة مجالاً لاختبار مصداقية هذه النظرية وشرعية كشفها عن أسرار اللغة والنصوص عند الإنسان وطرق تحليلها التعليل لصورتها العامة⁽²⁾، وعرض فرضية عملها على القرآن الكريم بوصفه نصّاً مؤهلاً لوجود كل أنواع التحويل في الجملة الاسمية والفعلية على حدّ السواء.

(1) مزيد إسماعيل نعيم- روفائيل أنيس مرجان، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مقال منشور بمجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1) 2006، Tishreen University

Journal for Studies and Scientific Research- Arts and Humanities Series Vol. (28) No (1) 2006 ص 121.

(2) نوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة وتعليق وتقديم: محمّد فتيح، ص 35.

الفصل الرابع:

صور التحويل بالاستبدال

ودلالة الغرض

أولاً: التوجيه الدلالي للتحويل باستبدال الخبر /المسند جملة اسمية أو فعلية:

اختلفت صور تحويل الخبر بالاستبدال؛ حيث ورد محوّلًا إلى جملة اسمية وإلى جملة فعلية 183 مرة، وانقسمت الجملة الفعلية إلى ماضوية أو مضارعية منفية أو مثبتة، وحتى جملة طلبية تتكون من فعل أمر أو نهي، وقد جاء جملة فعلية محوّلًا أيضًا ما لم يسمّ فاعله وورد جملة فعلية مبنية للفاعل أو للمعلوم كما هو شائع، وقد دمجتنا هذا النوع من التحويل بتحويل الخبر لاسم إن أو كان، لأنّ اسم إن وخبرها واسم كان وخبرها وأخواتهما الأصل فيها مبتدأ وخبر، وقد أحصيناه وصنّفنا صورته على هذا النحو:

1- الخبر جملة فعلية:

- الصورة الأولى:

أ- الخبر جملة فعلية مضارعية مثبتة مبنية للفاعل (للمعلوم): 11، 11، 28، 28، 33، 35، 36، 37، 37، 44، 48، 57 من الرّوم، و4، 27، 29، 29، 29، 29 من لقمان، و4، 4، 51 من الأحزاب، و32 من سبأ، و10، 10، 13، 37 من فاطر. ومثاله قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (مريم/60): "فأولئك" مبتدأ هو اسم إشارة مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، "يدخلون" جاء الخبر جملة فعلية مضارعية بسيطة متكونة من فعل "يدخل" و"الواو" الفاعل والمفعول به "الجنة" وهي في محل رفع خبر لأولئك، وتقدير الجملة: فأولئك داخلون الجنة. ولكن في الفعل دلالة الحركة والحيوية ودلالات أخرى ليس في اسم الفاعل ربطا بالسياق العام للآية ووصلا مع الآية السابقة واللاحقة.

وكما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر/10)، وهنا نجد تحويلا بالاستبدال للخبر من الجملة الاسمية والعمل الصالح أي المبتدأ الموصوف بالصالح، والخبر أضحى جملة فعلية مضارعية؛ أي الخبر هو يرفعه وأصله والعمل الصالح رافعه فيرفعه يرفع فعل وفاعل مضمّر اختيارا؛ لأنه للغائب يحيل على الضمير "هو"؛ أي كلم الطيب والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به للفعل يرفعه، وجاء بصيغة المضارعية؛ لأن دلالة الفعل تختلف عن

دلالة الاسم ودلالة زمن المضارع تتسم بالحركة الآتية، وحدث الفعل في زمن المتحدث إلى ما بعد المستقبل تماما كزمن البريزنت كونتيسنيوس (المضارع المستمر في الإنجليزية)، فأفاد تحول الخبر بالاستبدال من صيغة اسمية أي عنصر مرفوع إلى فعل وتأسس لجملة فعلية، أفاد تحقق الفعل دائما؛ لأن الكلم الطيب موجود في كل زمان ومكان والعمل الصالح موجود في كل زمان ومكان، ودائمان الحصول فالفعل الرفع دائم أيضا وموائم لهذه الاستمرارية، و"العمل مبتدأ، ويجوز رفعه على العطف، والصالح: صفة، وجملة يرفعه: خبر العمل وفاعل يرفعه: ضمير مستتر يعود على العمل، أي عمل الصالح يرفع الكلم، وقيل: "الفاعل: ضمير الله، فتعود على العمل"⁽¹⁾. وقيل: الرفع هو الله تعالى والمرفوع العمل، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، والعمل فاعلا لفعل محذوف جوازا هو من جنس الفعل الموجود بعده، ويكون الفعل الموجود بعده مفسرا له"⁽²⁾.

ب- الخبر جملة فعلية مضارعية مثبتة مبنية للمفعول (للمجهول): 3، 4، 6، 12، 21، 23، 27، 33، 39، 40، 43 من الأنبياء، 15، 19، 25 من الروم، و 29 من السجدة.

ومثال قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء/23): "هم" مبتدأ، و"يسألون" جملة فعلية مضارعية بسيطة حلت محل الخبر أي في محل رفع خبر للمبتدأ الضمير "هم".

أيضا قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان/3): التحويل بالاستبدال حدث في جملة "وهم يخلقون"، و"هم" ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، ويخلقون جملة فعلية مبنية لما لم يسم فاعلها مكونة من فعل ونائب فاعل في محل رفع خبر "هم"، وأصل البنية قبل التحويل وهم مخلوقون أي واقع عليهم فعل الخلق من الله عز وجل، أي اسم مفعول، ومن أبعاد التحويل الدلالية أن الزمن حينما اشترك في الفعل قدح دلالة التجدد فهم متجددون ومستمرون لكي ينبج المعنى دائما، ونعرف أنهم متساوون في

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج22، ص269.

(2) بهجت صالح عبد الواحد، الإعراب المفصل في كتاب الله المنزل، مج9، ص384.

اتخاذ الآلهة قديمهم وحديثهم فالصيغة الفعلية وامت حدث اتخاذ واختلاق المؤله الذي لا يخلق، وما بين جمالية استعمال الفعل أي جملة يخلقون أنه للمجهول والله هو الخالق فلو قال الله تعالى وهم يخلقهم الله لما كان المعنى بالقوة التي وقع عليهم الفعل دون معرفة منهم وجهلهم بالله الخالق، من جهة ومن جهة أخراة فالفعل المبني للمجهول مبعث معنى الاستحغار وأنهم بما أنهم بعيدون عن الله واتخذوا آلهات مزيفة فحاق بهم الفعل بصيغة المبني للمجهول.

ج- الخبر جملة فعلية أمر + نهي: في الآيات: 2، 4، 33 من النور، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور/4): فجملة فاجلدوهم ثمانين جلدة هي الجملة الفعلية المحولة، ومعناها "فاجلدوا كل واحد منهما"⁽¹⁾، وهي في محل رفع خبر للمبتدأ "الذين" و "الفاء زائدة وأمر وفاعله والجملة خبر"⁽²⁾.

- الصورة الثانية:

أ- الخبر جملة فعلية مضارعية منفية: وهو في الآيات: 39، 60 من مريم، و19، 19، 24، 100 من الأنبياء، 3، 3، 19 من النور، و59، 62 من المؤمنون، و17 من الفرقان، و18، 24، 50، 61، 73 من النمل، و66 من القصص، و17، 63 من العنكبوت، و54، 15 من السجدة، و53 الأحزاب.

ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب/53): "الواو" عاطفة، "الله" لفظ جلاله مبتدأ مرفوع، "لا" نافية لا محل لها من الإعراب، "يستحيي" من الاستحياء، أي لا يمتنع من الحق ولا يتركه، وهذا أدبٌ أدبٌ به الله الثقلاء كلهم، جملة فعلية متكونة من فعل يستحيي المنفي عن الله والفاعل الضمير المستتر في بنية

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص432.

(2) دعاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص343.

الإضمار التي للغائب المفرد المحيل على الله ومن الحق، والمراد بالحق الإخراج، والبنية المحولة التركيبية للخبر جاء مكونة من لا والفعل.

ب- الخبر جملة فعلية ماضوية مثبتة: 62 من الأنبياء، و78 من الحج، و45 من النور، و87 من النمل، و23، 47 من العنكبوت، و58 من الأحزاب، و32 من سبأ، و11 من فاطر.

ونظيره في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر/11): إذا نظرنا إلى أن الله لفظ الجلالة مبتدأ "فخلقكم" أصلها أنها خبر لله حولت باستبدالها إلى جملة فعلية مشتقة من الفعل خلق أي أصلها والله خالقكم، و"من تراب" متعلقان بخلقكم⁽¹⁾، ثم اجتلب هذا التحويل لمكافئة المعنى وتوازي الدلالة التي يحملها الفعل المضارع الموشج بقيرنته في سياق الكلام؛ فالفعل تحقق، أي خلقكم فدلالة الماضي المطلق أي إطلاق وأبدية فعل الخلق المنتهي لله وحده فقط تتمثل في زمن الماضي.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب/58): "الذين" اسم موصول مبتدأ، والجملة المتكونة من "الفاء" الرابطة و"قد" والفعل والفاعل "احتملوا" والمفعول به "بهتاناً" والمفعول به الثاني المعطوف "عليه إثماً" والموصوف "مبيناً" كلها بنية تركيبية محولة بالاستبدال وأصلها في منطق البنية العميقة خبر للمبتدأ "الذين"، نلمح إن نقطة أثارها سيبويه في كتابه هو أن جملة الخبر تكون خبرية غالباً، وقد تأتي طلبية، وذلك في صورتها الأمر والنهي، قال سيبويه: "وقد تكون في الأمر والنهي أن يبني الفعل على الاسم وذلك قولك: عبد الله اضربه، ابتدأت عبد الله فرفعته بالابتداء، ونبهت المخاطب له لتعرفه باسمه؛ ثم بنيت الفعل عليه كما فعلت ذلك في الخبر، ومثل ذلك: أما زيد فاقتله، فإذا قلت زيد فاضربه لم يستقم أن تحمله على الابتداء، ألا ترى أنك لو قلت: زيد فمنطلق لم يستقم..."⁽²⁾. أي أنه

(1) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج22، ص272.

(2) سيبويه، الكتاب، ج1/ص138.

تحدث عن منطق تحويل الجملة الاسمية بالاستبدال في عنصرها الخبر، وما هي مقبولية البنية التركيبية التي تمنحنا توجيهها دلاليا مقبولا في اللغة العربية إذا جاءت فعلية للأمر أو النهي، و"هكذا نجد سيوييه في تحليله للتركيب يلتقي مع تشومسكي في بحث مسألة القواعدية (Grammaticalness) والمقبولية كما أسلفنا، (Acceptability)، فقله: "لم يستقم" في تحليله للتركيب "زيد فمنطلق"، إنما تعني: غير صحيح نحويا (Ungrammatical)، وأما عبارة "يحسن ويستقيم" عند سيوييه فتعني أن التركيب صحيح نحويا ومقبول بلاغيا ودلاليا، وتضارع أو تكافئ عند تشومسكي، مصطلح (Grammatical)، و (Acceptable)".⁽¹⁾

للإيفاض والشرح الوافر في مصطلح المقبولية والاستحسان يعاد إلى كتب علماء اللسانيات النصية أو علم اللغة النصية وأهم هذه الكتب النص والخطاب والإجراء لدوبوجراند ودريسلار ترجمة تمام حسان، وعلم اللغة النصي ولفغانغ هاينيه، وعلم النص لفان ديك وغيرهم، ولنا رسالة ماجستير في علم اللسانيات النصية استقصينا فيها المعايير السبعة التي تؤسس النص، ومنها المقبولية أو الاستحسان.

ونجد في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوهُمُ أَنْحُنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (سبأ/32): الخبر هنا تحول في بنيته إلى جملة فعلية؛ فهو مستبدل بالجملة الفعلية، فأصله على نظام الجملة الاسمية: أنحن صادوكم، لكنه استبدل وتعلق به فضلاته أي الجملة الفعلية وما تدره عملية الإسناد من عناصر تالية كالمفعول به الذي جاء شبه جملة صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم، والتفسير "أتى بالمسند إليه قبل المسند الفعلي في سياق الاستفهام الإنكاري الذي هو في قوة النفي ليفيد تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي على طريقة: ما أنا قلت هذا، والمعنى: ما صددناكم ولكن صدكم شيء آخر وهو المعطوف بـ "بَلْ" التي للإبطال بقوله: بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ، أي ثبت لكم الإجمام من قبل وإجرامكم هو الذي صدكم إذ لم تكونوا على مقاربة الإيمان فنصدكم عن ولكنكم صددتهم وأعرضتم بإجرامكم ولم تقبلوا دعوة الإيمان"⁽²⁾.

(1) ينظر: معصومة عبد الصاحب، الجمل الفرعية في اللغة العربية، ص 57.

(2) الطاهر بن عاشور، التحرير والتتوير، ج 22، ص 70.

- الصورة الثالثة: الخبر جملة محوِّلة مؤوِّلة بالمصدر الصريح: وفيها بنية الخبر محوِّلة بأنها مستبدلة بجملة فعلية، ومحوِّلة، أيضا، بأنها مستبدلة بالمصدر المؤول بالصريح، أي من (أَنْ التّي للنصب والاستقبال والفعل المضارع ومعموله أو الفاعل والمفعول به إن تعدّى الفعل إليه)، ووردت على هذه الصورة الآيات الآتيات: 59 من طه، 10 من مريم، 20، 21، 24، 25، 46 من الروم.

ونفث شارحين للمثال الآتي: قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (مريم/10): جاء الخبر محوِّلا بالاستبدال في شكل أن النَّاصِبة، ولا التي للنفي والفعل المضارع والفاعل المستتر المقدر بالإجبار أنت وتقدير البنية التوليدية لها آيتك عدم تكليم الناس وهو استبدال بالمصدر المؤول بالصريح أيضا.

- الصورة الرابعة: الخبر مقدّم مع الحرف (أ) للاستفهام والخبر، محوّل مشتق؛ أي أنه (اسم فاعل) يعمل عمل الفعل وهو قد سدّ مسدّ الخبر: وهو في الآية 46 من مريم، في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: نستطيع عدّ هذه البنية التركيبية مضارعية محوِّلة باستبدال المسند (الوصف) "راغب"؛ إذ إن بنيته العميقة فعل مضارع هو "ترغب" وهو وصف سدّ مسدّ الخبر، ولكن الصيغة الاسمية التي جاءت الجملة بمقتضاها لها دلالة معنوية تختلف عن أنها جاءت فعلا وهذا في منطق الأفعال في اللغة العربية وفي المنطق الواقعي فالفعل مرتبط بزمن وحدث والاسم ما دلّ على حدث دون زمن إلا المشتقات.

- الصّورة الخامسة:

أ- خبر (إنّ) أو (كان) محوّل جملة فعلية ماضوية أو مضارعية أو منسوخة مثبتة:
- خبر (إنّ): ورد في الآيات: 40، 41، 44، 45، 47، 51، 54، 56، 61، 67، 83، 96 من مريم، و100 من طه، و2، 3، 4، 6، 12، 21، 23، 27، 33، 39، 40، 43، 110 من الأنبياء، و20 من السجدة، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ (الأنبياء/110): الأصل هو عالم الجهر من القول، وعالم ما تكتُمون، فأجريت عمليتا تحويل على الجملة؛ فالعملية الأولى تحويل بزيادة "إنّ"، فأصبحت يلتحق

بها اسمها، وهو الضمير الهاء، ويلحمن بها خبرها، وهو الجملة الفعلية المحولة بالاستبدال، وتقدير الخبر إنه عالم.

- خبر (كان): في الآية 20 من السجدة؛ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي آمَنُوا وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: والجملة الذين فسقوا؛ فهي جملة محولة من المبتدأ الذي جاء استبداله من الاسم الموصول والصلة وهما "الذين والجملة فسقوا والفعل لازم وليس متعديا، فالوظيفة التي تؤديها هي وظيفة المسند إليه أو المبتدأ فهي محولة بالاستبدال عنه وأصل البنية وأما الفاسقون، ثم فمأواهم مبتدأ والنار خبر وكل من المبتدأ والخبر جملة اسمية في محل رفع خبر للجملة الموصولة المحولة من المبتدأ فتقدير الكلام: للبنية العميقة لمنطق الآية الكريمة، والبناء اللغوي والتركيبي هي: "وأما الفاسقون فمأواهم النار" أو " فالنار مأواهم" على سبيل التقديم والتأخير لضبط المعنى البلاغي.

ب- خبر (إن) أو (كان) محول بأنه جملة فعلية ماضوية أو منسوحة منفية: مثاله في الآية 90 من الأنبياء وهو قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

2- الخبر جملة اسمية: وله صورتان:

- الصورة الأولى: وهو كونه ضميرا (مبتدأ) وخبره: وورد 26 مرة في الربع المبحوث؛ على العرض الآتي: 36، 101 من الأنبياء، 6، 50 من النور، 7، 10، 102 من المؤمنون، 3، 4، 5 من النمل، 60 من القصص، 23، 52 من العنكبوت، 16، 38، 39، 20 من الروم، و5، 8، 12 من لقمان، و6 من الأحزاب، و12، 15، 28، 31، 39 من فاطر.

وعندنا مثالان موقوف عليهما بالشرح هما في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (النمل/3): الذين اسم موصول في محل جر صفة أو نعت المؤمنين، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف مقدر من سياق الآية، ومن منطق التركيب وتقديره في البنية العميقة: هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون

الزكاة، وهم مبتدأ بالآخرة متعلقان بجملة "هم يوقنون" و"هم" الثانية مبتدأ ثان و"يوقنون" جملة فعلية محولة من أصل الخبر المفرد الذي تقديره قبل إجراء عملية التحويل "موقنون" وتقدير الكلام في أصله: وهم بالآخرة هم موقنون.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت/23): الجملة الأولى الموصولة الناهضة من اسم الموصول "الذين" والصلة "كفروا بآيات الله ولقائه" كلها في محل رفع مبتدأ/مسند إليه "أولئك" مبتدأ ثان للمبتدأ "والذين كفروا بآيات الله ولقائه"، و"يسؤوا" جملة فعلية أصلها "يأسئون" محولة بالاستبدال، وهي في محل رفع خبر "أولئك"، والجملة "أولئك" والجملة الفعلية الماضية البسيطة في محل رفع خبر المبتدأ الأول الذي جاء جملة الموصول، وصلته بعد الواو العاطفة أو المستأنفة "الذين كفروا بآيات الله ولقائه".

- الصورة الثانية: الخبر محوّل بالاستبدال باسم الموصول: المتعلّق بمبتدأ محوّل بال حذف في البنية المقدّرة وهو(ضمير العماد أو الشأن هو): وتكون البنية التوليدية المحولة على هذا النحو في الآية المعروضة لاحقاً (الله + هو الخالق).

كما في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة/4): صيغة التحويل بالاستبدال جاء وفق الصورة المكونة من اسم الموصول "الذي" والفعل الماضي "خلق" والفاعل المستتر اختياراً يعود على المتقدم الذكر، وهو لفظ الجلالة "الله" والمفعول به والمعطوف عليه المنصوبين "السموات والأرض"؛ إذ نجعل كل ذلك وفق المعطى التحويلي وحدة إسنادية ماضوية بسيطة واقعة عليها عملية التحويل بالاستبدال، جاءت لتعمل عمل المسند "الخبر" بعد "المبتدأ" "الله"؛ بنيتها العميقة هي "الله الخالق السماوات والأرض".

ومن المستحبّ أن نذكر رأي رابح بومعزة في صورة اسم الموصول وصلته اللذين يشكلان معا وحدة إسنادية، لها دلالة توجه إليه للبنية التركيبية التحويلية اللغوية في القرآن الكريم، وفي النصوص الأخرى؛ إذ يقول: -بعد عرضه لصورة خامسة من صور التحويل بالاستبدال في الشكل الأول من صور التحويل وهو "أ"، أو وحدة الإسنادية المؤدية وظيفة

المبتدأ المتتالية بالتحليل الوظيفي، وهي في الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر/9) - إذ يقول: "والذي جعلنا نطمئن إلى أن اسم الموصول مع ما يطلق عليه صلة الموصول يكونان معا وحدة إسنادية متماسكة ذات وظيفة معينة، هو أن اسم الموصول في عرف النحاة محتاج إلى صلته؛ لأنه مبهم في أصل وضعه، فتأتي هذه الصلة لتعين مدلوله، وتفصل مجمله، وتجعله واضح المعنى، أي أن المعنى المتوصل إليه "المتبوءون الدار والإيمان" كان بالوحدة الإسنادية المؤلفة بين اسم الموصول وصلته الذي يرى سيوبه أنهما بمنزلة اسم واحد حيث يتسنى لهما معا تكوين وحدة إسنادية أو ركن إسنادي بتعبير ميشال زكريا⁽¹⁾، ونسحب هذه القاعدة على العنصر المسند في الجملة الاسمية وهو الخبر.

ونضرب مثالا بالجملة المحللة سالفًا وهي جملة الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾؛ إذ اسم الموصول "الذي" وصلته الفعل والفاعل والمفعول "خلق السماوات والأرض وما بينهما أي وخلق ما بينهما هما معا يشكلان الوحدة الإسنادية التي تؤدي وظيفة الخبر المسند فهي جملة موصولية بمنزلة اسم واحد، وهذا منطوق العربية في تشكيل الكلام النحوي وفي بناء الجملة، فاللبنات: الأسماء، والصيغ، منها ما هي لمنطق الإشارة كأسماء الإشارة، ومنها لمنطق أسماء الموصول، ومنها لمنطق نوع ثالث ورابع، وهكذا وكل موجود في منطوق العربية لما هو ميسر له في النظام؛ فالأسماء الموصولة مبهمة لتحتاج وينعقد المعنى بعنصرين، ولهما علاقة صوتية ونطقية وشكلية تستدر المعنى وتتضح بدلالة خاصة لبنية التركيب ثم هذا الأمل يكون منبهة؛ لأن ينوه بضرورة منطوق التحويل بالاستبدال في العربية وفي لغة القرآن الكريم للإحاطة البلاغية بالمعاني، وإصابة المرامات والمآلات الدلالية، بما يضمنه محرك التحويل بين منطوقها وعبريتها.

نستخلص من هذا المبحث أن الخبر يحول إلى جملة فعلية ماضوية أو مضارعية وله خمس صور، كما يحول -أيضا- إلى جملة اسمية وله فيها صورتان، ويصيب غرضه أن الخبر يخبر به عن المبتدأ وقد يحتاج المبتدأ أن نصف حالة فعلية حوله تمت

(1) راجع بومعزة: نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، ص 92.

أو مازالت قائمة، أو نحتاج إلى أن نخبر عن وضعية قارة حوله فنحول الخبر إلى جملة اسمية هي -في حد ذاتها- مبتدأ وخبر يتحدثان عن المبتدأ الأول.

ثانياً: التحويل بالاستبدال بالجملة الموصولة:

إننا حينما نقول: "الجُمْلُ الموصولة" يعني الجمل التي تحتوي على أسماء موصولة مختلفة، "والموصلات كلها" (*) - سواء كانت حرفية أم اسمية- تحتاج إلى صلة بعدها لتوضيح معناها، ولكن الفرق بينهما أن صلة الموصول الحرفي لا تحتاج إلى عائد؛ أي ضمير يربطها بالموصول، وقد يكون مقدراً في البنية العميقة للتركيب نحو قوله تعالى: ﴿أَيْهَمُ أَشَدُّ﴾ (مريم/69)، أو في قوله: ﴿يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (المؤمنون/23)⁽¹⁾، أمّا صلة الموصول الاسمي فلا بدّ أن تكون مشتملة على عائد، أي ضمير لائق بالموصول، بمعنى: أن يكون مطابقاً له في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، مثل: جاء الذي أكرمه، والتي أكرمتها واللذان أكرمتهما واللّتان أكرمتهما والذين أكرمتهم واللّاتي أكرمتهنّ، وإنّما يجب مطابقة الضمير العائد للموصول إن الموصول مختصّ كما في الأمثلة الموردة؛ لأن لفظه مطابق تماماً لمعناه⁽²⁾ ودلالته، و"جملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب"⁽³⁾؛ أي لا تحوّل أو تووّل بمفرد يعني كلّها بكلمة مفردة ولا نقصد المفرد في العدد.

(*) الموصولات أو الأسماء الموصولة هي: "الذي (للمفرد المذكر) والتي (للمفردة المؤنثة) واللذان (للمثنى المذكر) واللّتان (للمثنى المؤنث) واللذين والأولى (للمجمع المذكر) واللّاتي واللّاتي (للمجمع المؤنث) ومن للعاقل بمعنى (الذي أو اللّذين أو اللّذين) وما لغير العاقل وذا في ماذا وذو على لغة طيّ و (أي) و (ألد) التعريف. ينظر: شوقي المعري، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار الحارث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص62.

(1) حسام البيهناوي، أنظمة الرّبط في اللغة العربية-دراسة في التراكيب السّطحية بين النّحاة والنّظرية التوليدية التحويلية، ص13.

(2) ينظر: عبد العزيز محمد فاخر، توضيح النحو- شرح ابن عقيل وربطه بالأساليب الحديثة والتّطبيق - مقرّر الصّفّ

الثّالث الثّانوي علمي وأدبي حسب المنهج المقرّر، مطبعة السّعادة، مصر، طبعة جديدة ومنقّحة، مج1، ص160.

(3) شوقي المعري، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص62.

فلو عرّفنا الموصول لقلنا: "أنّه ما لا بدّ له في تمامه اسما من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه وتسمّى هذه الجملة صلة، ويسمّيها سيبيويه حشو، وذلك قولك الذي أبوه منطلق زيد، وجاءني من عهده عمرو واسم الفاعل في الضارب في معنى الفعل وهو مع المرفوع به جملة واقعة صلة للّام ويرجع الذكر منه إليه كما يرجع إلى الذي"⁽¹⁾.

والجملة التي تأتي بعد الأسماء الموصولة؛ أي جمل صلة الموصول، هي من الجمل التي يقع فيها التّحويل في العربية؛ وذلك أن اسم الموصول يؤوّل ويقدر على صيغة الجملة المجرورة أو المرفوعة أو المنصوبة، وجملة صلة الموصول أي التي تأتي بعد اسم الموصول من بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ أي تأتي الثانية بعد الجملة الابتدائية؛ وذلك لأنها الأصل في منطق العربية هي الجملة الابتدائية وهي المبتدأ بها الكلام وكل الجمل، وهي الواقعة صلة، ثم جملة الصلة جملة خبرية؛ لأنّ الموصول موضوع معلوم عند المخاطب، بأنّه محكوم عليه بحكم حاصل له.

فلذا كانت الموصولات معارف، بخلاف التّكرة الموصوفة، فإنّ تخصيصها ليس بحسب الوضع، وليس بلازم في الاستعمال؛ فقولك "لقيتُ من ضربته" إذا كان "من" موصولا معناه: لقيت الإنسان المعلوم بكونه مضروبا لك، فيكون في قوّة المعرف بلام العهد، وإن جعلته موصوفا فمعناه: لقيت إنسانا مضروبا لك، فهو وإن تخصّص بكونه مضروبا لك، ليس بحسب الوضع بل بواسطة الوصف، فظهر بما قلنا ضعف بتجويز الكسائيّ [أبو الحسن علي بن حمزة (ت 182هـ) إمام الكوفيين في النّحو واللغة، وأحد القراء السبعة] والمازني [أبو عثمان بكر بن محمد إمام البصريين في العربية والرواية (ت 249هـ)] وقوعها جملة إنشائية"⁽²⁾، وآثرنا أن نمّح هذا التقديم حتّى إذا بيّنا مواضع

(1) ابن يعيش (643هـ)، شرح المفصل، ج3، ص150.

(2) محي الدين الكافحي، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، ص156-157.

ورود الآي في صيغ الجملة الموصولة بتقدير الأسماء الموصولة، وحلّناها تحويليا بدا الأمر جليا إن شاء الله.

ونظرا لأن اسم الموصول هو النواة الأساس في ارتكازنا الدلالي والبنوي للتركيب، فإننا سنصنف الصور التحويلية به انطلاقا منه هو وصلته؛ بل و"أنه جزء من الصلة لا ينفصل عنها، ويرى تعزيز ذلك عند سيبويه فيقول: "إن (اسم الموصول) "الذي" وصلته بمنزلة اسم واحد - أي بنوية وشكلية ووظيفية- فإذا قلت هو الذي فعل كأنك قلت هو الفاعل"(1).

واليك أمثلة عن صورة الاستبدال بالجملة الموصولة، ووظيفا هي (الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة المفعول به):

- مثال 1: قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر/9)، "قبنيتها العميقة" هي المتبوءون الدار والإيمان".(2)

- مثال 2: قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم/80): "ما" اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل يقول، وهو بمعنى "الذي" أو هو محول بالاستبدال من البنية التوليدية (مفعولا به ثانيا) للفعل نرث؛ أي ونرثه قوله، وفسرها بعض المفسرين على هذا النحو: "أي في الآخرة - لا مال له ولا ولد، كقوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ﴾ (الحاقة/28-29)، وفي هذا كلة تذكرة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن لا يظنوا أن الله لما أمهل المنافقين قد عفا عنهم"(3)،

- مثال 3: "المقدر المحول بالاستبدال هو: مالا وولدا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِأُوتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مريم/77)، وكذلك ذهب آخر إلى أن في "ما" وجهين إعرابين هما: "أحدهما

(1) ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو العربي، ص92.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص92.

(3) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص149.

هو بدل من الهاء وهي بدل الاشتمال؛ أي "نرث قوله"، والثاني هو مفعول به؛ "أي نرث منه قوله".⁽¹⁾

- مثال 4: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم/87): من اسم موصول في محل نصب على الاستثناء بـ "إلا" اتخذ فعل ماضي مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر اختياراً تقديره "هو" يعود على اسم الموصول المستثنى، وهي جملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

ومعنى اسم الموصول (ما) هو (الذي) وهذا منتظم في قاعدة اللغة، ومع أنهما لهما معنى واحد فالاستعمال القرآني يأخذ بتوسّع وظيفة "ما" التي تساوي "الذي"، إلا أن السياق القرآني يحدّد استعمال ما في أوقات دون استعمال "الذي" مع الفرق اللغويّ، والاستعماليّ بينهما، وهو أن "ما" لغير العاقل و"الذي" عادة تكون للعاقل.

ويقرّر سيبويه - في كتابه - هذه المسألة بقوله: "في باب الأسماء التي يجازى بها وتكون في منزلة الذي وتلك الأسماء ما ومن وأيّهم فإذا جعلتها بمنزلة الذي قلت ما تقول أقول: فيصير "تقول" صلةً لما حتى تكمل اسماً فكأنك قلت الذي تقول أقول وكذلك من يأتي آتية وأيها تشاء أعطيك وقال الفرزدق:

وَمَنْ يَمِيلُ أَمَالَ السَّيْفِ ذُرْوَتَهُ *** حَيْثُ التَّقَى مِنْ حِفَافِي رَأْسِهِ الشَّعْرُ

وتقول آتي من يأتي آتية وأقول ما تقول وأعطيك أيها تشاء، هذا وجه الكلام وأحسنه، وذلك أنه قبيح أن تؤخر الجزاء إذا جزم ما بعده، فلما قبح ذلك حملوه على الذي ولو جزموه هاهنا لحسن أن تقول: آتية إن تأتيتي، فإذا قلت آتي من آتاني فأنت بالخيار إن شئت كانت آتاني صلةً وإن شئت كانت بمنزلتها في إن⁽²⁾.

(1) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص828.

(2) سيبويه، الكتاب، 3/69-70.

- مثال 5: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم/93): مَنْ اسم موصول في محل جرّ مضاف إليه، ومعناه في البنية العميقة كلّ الذي وفي حرف جرّ تفيد استغراق المكان (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) اسم مجرور بـ "في" و"الواو" للعطف. الأرض: معطوف على مجرور مجرور، وهي جملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

- مثال 6: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ (طه/3): أي للذي يخشى الله عزّ وجلّ، وبتحويلها أيضا تئيض إلى الخاشي؛ أي: (إِلَّا الخاشي الله).

- مثال 7: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه/4): أي تنزيلا من الذي خلق الأرض والسَّمَاوَاتِ العلى، وبنيتها العميقة: تنزيلا من خالق السَّمَاوَاتِ والأرض.

مثال 8: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (طه/6): ومعنى الآية تنطلق من "دلالة هذه الجملة على سعة علمه تعالى كما دلت الجملة المعطوف عليها على عظيم سلطانه وقدرته"⁽¹⁾، وهنا نقدّر العنصر المحوّل بالحذف وهو جملة الصلة (استقرّ)؛ أي له ما استقرّ في السَّمَاوَاتِ وله ما استقرّ في الأرض وله ما استقرّ بينهما، وله ما استقرّ تحت الثرى، (ما) هنا هي للخلق العموم وهي في أصل استعمالها لغير العاقل، وتشمل العاقل في السماوات والأرض فعلى الأرض يعيش البشر وهم عقلاء، و" قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ مبتدأ وخبر أو تكون ما مرفوعة بالظرف، وقال بعض الغلاة: ما فاعل استوى وهو بعيد، ثم هو غير نافع له في التأويل إذ يبقى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش﴾ كلاما تاما ومنه هرب وفي الآية تأويلات أخر لا يدفعها الإعراب"⁽²⁾، و" ما" اسم موصول مبتدأ "في السَّمَاوَاتِ" متعلقان بصلة محذوفة "وَمَا فِي الْأَرْضِ" معطوف على ما في السماوات "وَمَا بَيْنَهُمَا" معطوف على ما قبله "وَمَا

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص97.

(2) العكبري، التبيان في إعراب القرآن الكريم، ج2، ص885.

تَحَتَّ" الظرف متعلق بمحذوف صلة ما⁽¹⁾؛ فتقدير البنية العميقة لتركيب الآية الكريمة هو (له المستقرّ في السماوات والمستقرّ في الأرض والمستقرّ بينهما، والمستقرّ تحت الثرى).

- مثال 8: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه/13):

- مثال 9: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (طه/18): أي من وصفكم إياه به؛ أي تصفون جملة فعلية محولة إلى المصدر وأصل ممّا هو (من ما على الفصل).

- مثال 9: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء/22): تحليلها التحويلي ووصفها النحوي هو وصف الآية 18، إلا إنها (عن الذي) وليست (من الذي)، والبنية أصلها التوليدي (فسبحان ربّ العرش عن موصوفهم)

- مثال 10: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء/23): لا يسأل عن الذي يفعله، ووفق البنية العميقة تصبح الجملة "لا يسأل عن فعله، أو عن مفعوله، والفعل هنا ورد بصيغة المبني لما لم يسمّ فاعله.

- مثال 11: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/24): أي هذا ذكر الذي معي، وهذا ذكر الذي قبلي.

ملحوظة: يتوارد اسما الموصول (من، ما) بشكل دائم في القرآن الكريم، لأنّ التعبير بهما متّسع، ولا يرام بهما معنى العاقل وغير العاقل والمفرد فقط، وإنما قد يكون الموصول لفظه مفردا ومذكرا ومعناه مثني أو مجموعا أو غيرهما؛ وذلك إذا قصد بهما غير المفرد المذكّر، فيجوز - حينئذٍ - مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى وهذا بما تطلبه سياق الكلام والمقام على السواء، فنقول: أعجبنى من قام ومن قامت ومن قاما ومن قامتا ومن

(1) دغاس، إعراب القرآن الكريم، ج2، ص254.

قاموا ومن قمن على حسب ما يعنى بهما"⁽¹⁾، وهذا مرئي في استعمالات القرآن الكريم؛ إذ التعبير بمن وما على العوالم الظاهرة والغيبية والإنس والجنس والعوالم كلها مفردة ومجموعة، وقد تستعمل (ما) للعاقل كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (النساء/3)؛ أي: ما وقع عليهن اختياركم من ذوات الدين، والمال، والجمال، والحسب، والنسب، وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن، فاخترن على نظركم، ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [تتكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يمينك]⁽²⁾، أو "أنكحوا ما حلّ لكم منهنّ، ودعوا ما حرّم عليكم منهنّ وأكثر ما تكون ما للعاقل إذا اقترن العاقل بغير العاقل في حكم واحد كقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة/1)؛ فإنّ ما فيهما ممّن يعقل و ما لا يعقل في حكم واحد هو التّسبيح"، ومصداق ذلك قوله جلّ وعلا: ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء/44)"⁽³⁾.

(1) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب "منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، ص 153.

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المئان، ج1، ص163، وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، وابن ماجه والبيهقي في "سننه" عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تتكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك، وأخرج مسلم والترمذي والنسائي والبيهقي، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: إن المرأة تتكح على دينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك، وأخرج أحمد والبخاري وأبو يعلى، وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تتكح المرأة على إحدى خصال: لجمالها ومالها ودينها فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك.": ينظر: السيوطي (ت 911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مج2، ج2، ص566. وينظر: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق: أحمد فواز زمزلي وخالد السبع العلمي، والأحاديث منبذة بأحكام حسين أسد عليها، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1407هـ.

(3) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس النحوية، ج1، ص133.

1- صور التحويل بالاستبدال بالجملة الموصولة:

تعددت هذه الأنماط لتعدد الوظائف اللغوية والمعاني الدلالية، ونوجه ذلك بأن المعاني كثيرة وتغزر طرائق التعبير عنها، بل وتتنوع بذلك طرائق تلقيها، وفي مفهومنا أن هذا التعدد وظيفي بل وإعجازي في القرآن الكريم؛ لأن هذه التحويلات لها توجيهاتها الدلالية المرتبطة بتفسير السورة وبنيتها وأصلها وسبب نزولها ومعناها ومقاصدها ومنشودها، وكل ما يحوط السورة من مفاهيم وأهداف.

- الصورة الأولى: البنية التركيبية المحولة التي توول إلى البنية التوليدية "الفاعل": ورد هذا التحويل بصور مختلفة لها دلالاتها الشكلية واللغوية والمعنوية، وجاء ثمانى عشرة مرة (18) في الآيات الآتية: طه في 16، الأنبياء في 41، و 15 و 25 ومرتين في 28 من الحج، وفي 71 من سورة المؤمنون، وفي الآيات 21 و 33 و 41 من النور، و 43 و 74 و 87 من النمل، وفي الآية 207 من الشعراء، و 75 و 80 و 82 من القصص، والآية الرابعة من العنكبوت، وتعددت أنماط استعماله كالاتي:

1- فاعل: ومثاله: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (طه/16): واسم الموصول هو وصلته الفعل "يؤمن بها" في تحويل إلى فاعل "يصدتك عنها"، والبنية العميقة له هو: فلا يصدتك عنها غير المؤمن بها، مادامت ملتحمة بها لا النافية لصفة الإيمان، ومتبع هواه، أي ولا يصدتك عنها متبع هواه، فأعرابها: "مَنْ: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل"⁽¹⁾؛ أي اتخذ وظيفته، لا حرف نفي، يؤمن: فعل مضارع مرفوع لتجرده من عوامل الجزم والتّصّب، وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة في آخره، والفاعل ضمير مستتر اختياري؛ لأنه للمفرد المذكر الغائب، ويؤمن جملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب أي لا تحول إلى مفرد، وهي وحدة إسنادية تابعة

(1) محمد محمود القاضي، إعراب القرآن الكريم، ص 623.

فلا تتفصل وحدها بمعناها، فأصل البنية التركيبية التوليدية هي: فلا يصدّنك عنها غير المؤمن بها، ومتّبِعُ هواه فتردى.

1-1- فاعل معطوف على فاعل آخر: ونظيره في الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون/71): وتقدير البنية العميقة للوحدة الإسنادية المحولة المؤدية وظيفية الفاعل هنا هي: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض والذي فيهن هذا في البدء، ثم نغترق المعنى أكثر بالتماع التحويل الخفيّ لجملة صلة الموصول المحذوفة المقدرة بالمستقر فيهنّ، فتصبح البنية العميقة "ولفسد المستقرّ فيهنّ"، أو لفسد من استقرّ أو يستقرّ فيهنّ.

1-2- فاعل مؤخر بعد جار ومجرور متعلقين بعنصر نحوي آخر: مثاله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الشعراء/206): و(ما) هي الفاعل إذ أعربها بعضهم "(ما) فاعل(جاء)"⁽¹⁾، أي الذي كانوا يوعّدونه، ثم نقلها إلى مُوَاعِدُوهُ، وهذا فاعل في نظام رتبه الأساس غير التحويلية، والبنية التوليدية لتركيب الآية الكريمة قبل التحويل هي: ما أغنى عنهم(المتّعون به)، في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ (الشعراء/207): فشبه الجملة "عنهم" جاء بعدها الاسم الموصول "ما" الذي له وظيفة فاعل أغنى، والبنية العميقة له ما أغنى عنهم مُمْتَعُهُمْ، ويكون إعرابها: "جملة (ما أغنى) مفعول ثان لـ (أرأيت) المتقدمة، (ما) اسم استفهام مفعول به مقدم لـ (أغنى)، (ما) الثانية مصدرية، والمصدر فاعل(أغنى)⁽²⁾؛ أي أن مجموع (ما وكانوا ويمتّعون) كله في تأويل

(1) أحمد بن محمّد الخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، ج1، ص375.

(2) المرجع نفسه، ص175.

الفاعل للفعل: ما أغنى، أو"ما، استفهام، فى موضع نصب بـ "أغنى"، ويجوز أن يكون حرف نفي، و"ما" الثانية: فى موضع رفع بـ "أغنى" ⁽¹⁾؛ له وظيفة الفاعل.

- الصورة الثانية: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "الخبر أو المبتدأ": عددنا وروده خمسة عشرة (15) مرة، وكان فى الآيات الآتية: 109 من الأنبياء، و3 من الحج، وملموح فى الآيتين 8 و11 من الحج أيضاً، و78 من المؤمنون، و16 من الفرقان، وجاء خبراً لاسم الاستفهام للسؤال عن المكان أو التحقق "أين" فى الآية 92 من الشعراء، وفى 40 و47 من العنكبوت، و26 من الروم، و6 و26 من لقمان، و12 من سبأ، و39 من فاطر.

وكان خبراً لمبتدأ محول بالحذف من البنية الظاهرة السطحية متعلق بشبه جملة "من الناس" فى قول الله تعالى جده وتبارك اسمه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ (الحج/3). نحب أن نشير إلى نقطة خفيفة بالذكر هو أننا قلنا: الخبر أو المبتدأ ذلك أن من التحويين من يجعل شبه الجملة "من الناس" فى محل رفع مبتدأ، أو هو مبتدأ مؤخر بعد بنية الجار والمجرور المتعلقة بخبر محذوف مقدر فى سياق الكلام بكائن أو موجود وتقدير الآية بعد التحويل: وموجود أو كائن - من الناس - المجادل فى الله بغير علم، ومتبّع كل شيطان مرید.

- أن يكون مسبوقة بشبه جملة، وخبره المؤخر محذوف، والاسم الموصول وجملته المحذوفة محوّلان يؤديان وظيفة المبتدأ المؤخر:

ونظيره فى الآية: ﴿لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (الأنبياء/19): وأصل الآية له "الذي استقرّ فى السماوات وله الذي استقرّ فى الأرض والذين عنده لا يستكبرون"؛ أي له المستقرّ فى السماوات والمستقرّ فى الأرض، ثم نعيد إرجاعها إلى البنية العميقة لقاعدة المبتدأ والخبر فنقول: بأن أصلها

(1) إبراهيم الإيباري، الموسوعة القرآنية، ج1، ص1636.

التوليدي هو المستقرّ في السماوات والمستقرّ في الأرض له، لأنّ الوحدات الإسنادية، أو أشباه الجمل لها الصدارة في الكلام؛ ولأنّ القرينة الفعل (يستكبرون) والفعل (يستسحرون)؛ أي من الأفعال (الأمثلة) الخمسة، وبعد التحويل الثاني تصبح البنية العميقة، وتقدير الآية الكريمة هو "خاضع المستقرّ في السماوات والأرض" أو عابد أو ما جرى مجراها في المعنى والسياق، وتقدّم استظهار البنية العميقة لتركيب الآية الكريمة له ما في السماوات في سورة طه.

- الصورة الثالثة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "اسم إن": عددناه تسع مرّات مع ترجيح بعض الحالات، وتعدّد تخريجها، وهو في الآيات الآتية: 98 من سورة، و62 من الحج، و11 من المؤمنون، و64 من النور، و85 من القصص، و27 و30 من لقمان، و5 من الأحزاب، و31 من فاطر.

ومثاله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (فاطر/31).

- الصورة الرابعة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "اسم مجرور": ورد سبعا وثمانين (87) مرة، وهو البنية الطاغية في التحويل بالاستبدال بالجملة الموصولة في (ربع مريم)، وكان في الآيات الآتية: من طه: 13، و15 و43 و72 و8، ومن الأنبياء: 18 و22 و23 و41 و67 و108، ومن الحج: 2، و10، و34، و37، و47، و68، و69، ومن "المؤمنون": 6. وجاء في بنية تحويلية لاسم مجرور معطوف على اسم مجرور آخر، في "المؤمنون" في الآيات: 21، 26، 33، 36، 51، 53، 84، 91، 92، 96 "مرتين"، وجاء الاسم الموصول هو "التي" على غير العادة؛ إذ الأسماء الموصولة الغالبة هي من وما والذي والذين و"التي" قليل، ثم في الآية 100، وفي النور: 14، 24، 26، 43، 62، أما في الفرقان؛ فهو في الآيات: 11، 19، 23، 49، 60، وفي النمل في الآيتين: 22، 47، وهو اسم مجرور معطوف على اسم مجرور، و83،

85، 93 في الشعراء، 11، 17، 23، 25، 37، 39، 43، 50، 112، 118، 132،
146، 169، 215، 216 من سبأ.

وأنماطه هي:

- النمط الأول: اقتران اسم موصول بحرف الجر الباء: كما في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ
أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ (مريم/70): فالوحدة الإسنادية المتكونة من الذين
والضمير (هم) أولى بها صليا كلها في تأويل جرّ اسم مجرور لحرف الجر "ب"، والجملة
كلها في تأويل نصب المفعوليّة على نزع الخافض، والجار بها متعلّق بـ "أولى"، "صليًّا"
تميّز، وبنيته العميقة "الأولى صليا بها" والبنية العميقة للوحدة الإسنادية المؤدية وظيفة
الاسم المجرور هي "ثمّ لنحن أعلم بالأولى بها صليا".

- النمط الثاني: اقتران اسم الموصول "مَنْ" باللام: ومثاله الآية الكريمة: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ لَمَن
يَخْشَى﴾ (طه/3): أي للذي يخشى الله عزّ وجلّ، وتحويلها - أيضا - تنييض إلى إلا تذكّرة
للخاشي الله، أو لخاشي الله.

- النمط الثالث: اقتران اسم الموصول "مَنْ" بمنّ الجارّة: وذلك شبيهه في الآية
الكريمة: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه/4): أي تنزيلا من الذي خلق
الأرض والسّموات العلى، أي تنزيلا من خالق الأرض و السّموات العلى.

- النمط الرابع: اقتران اسم الموصول "مَا" باللام: مثله في الآية الكريمة: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه/13): والبنية العميقة لها هي: "وأنا اخترتك فاستمع للموحى"؛ أي
للموحى إليك.

- النمط الخامس: اقتران اسم الموصول ما بـ"مَنْ" المدغمة فيه: مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ
نَقَذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء/18):
أي من وصفكم إياه به؛ أي تصفون جملة فعلية محولة إلى المصدر، وأصل ممّا من التّي
للجرّ وما الموصولية؛ ولتستبين البنية العميقة؛ فهي على هذه الشاكلة في قوله تعالى: "بل

نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل من وصفكم أو من موصوفكم".

- النمط السادس: اقتران اسم الموصول ما بـ"عن" المدغمة فيه، مثل قوله في الآية الجلية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء/22): تحليلها التحويلي ووصفها النحوي هو وصف الآية 18، إلا إنها عن الذي وليست من الذي، أي بنيتها العميقة "فسبحان الله رب العرش عن وصفكم".

ونظيره - أيضا - الآية الكريمة: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء/23):

لا يسأل عن الذي يفعله، أي لا يسأل عن مفعوله أو فعله.

- الصورة الخامسة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مفعول به": ونجدها في القصص: 17، 24، 28، 37، 41، 56، 77، والعنكبوت: 13، 28 مرتين، 34، 62، 66، وفي الروم: 32، 35، 36، 37، 44، أما في لقمان ففي: 17، 29، والسجدة في: 5، 14، 16، 22، 25، الأحزاب: 9، 21، 38، 55، 71، في سبأ: 9، وفاطر: 45.

- الصورة السادسة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "بدل": نعتقد أنه جاء مرة واحدة، ويمكن أن يطابق تحويله إلى بنية البدل بنية الوصف لكن نسمة - هنا - بدلا للتمثيل وهو في الآية الأولى من سورة سبأ وهي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (سبأ/1).

- الصورة السابعة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مستثنى"، أي بعد أداة الاستثناء "إلا": وورد تسع مرّات 9، وهو في 87 من مريم، و109 من طه، و27 من المؤمنون، و57 من الفرقان، و11 و81 من النمل، وقد يكون مفعولا به في تأويل تحويله والنمل 87، والشعراء 89، والأحزاب 52، ونمّثل له بالآيات الكريمات المعروضات:

مثال 1: قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم/87): من اسم موصول في محلّ نصب على الاستثناء بـ"إلا" اتّخذ فعل ماضٍ مبني على الفتح؛ والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره هو يعود على اسم الموصول المستثنى، وهي جملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

مثال 2: قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم/93): مَنْ اسم موصول في محلّ جرّ مضاف إليه، ومعناه في البنية العميقة كلّ الذي، وفي حرف جرّ تفيد استغراق المكان، السّمّوات والأرض اسم مجرور بفي والواو للعطف، الأرض معطوف على مجرور، وهي جملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

مثال 3: قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَةً لِّمَنْ يَخْشَى﴾ (طه/3): أي للذي يخشى الله عزّ وجلّ، وبتحويلها - أيضا - تصبح؛ أي تتحول إلى الخاشي، إلا الخاشي الله طبعاً.
- الصورة الثامنة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مضاف": وردت هذه البنية ثلاث مرات فقط في الآيتين 65 و 93 من مريم، وفي 24 من الأنبياء.

نمثل لها بقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم/65): فالوحدة الإسنادية الموصولية "وما بينهما" في تقديرنا لبنيتها العميقة حكم الجرّ للإضافة، فالتقدير: ربّ السّمّوات والأرض والذي بينهما فاسم الموصول والظرف أي صلة اسم الموصول كلّ في تأويل مفرد، فهو مجرور، وبنيته العميقة: هي ربّ السّمّوات والأرض أو وربّ الأرض وربّ المستقرّ بينهما، فالمستقرّ اسم مجرور بعد عملية التحويل.

- الصورة التاسعة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مبتدأ في موضعه التوليدي أو مبتدأ مؤخر": نبدأ بحالة المبتدأ المؤخر؛ لأنه قليل وهو في الآية 64 من مريم. قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، فالوحدة الإسنادية "له ما بين أيدينا" والجملة المعطوفة عليها "وما خلفنا"

في تأويل بنية حالية من ربك؛ أي هما وصفان مجروران لشبه الجملة الجار والمجرور "ربك" لأنه مجرور، وذلك لأن الجملتين موصوليتان، أما بنية ما الموصولية وما بعدها؛ أي "ما بين أيدينا وما خلفنا"، فهي محولة باستبدال ما أصله مبتدأ مؤخر بعد شبه الجملة "له"، وإعرابه - أيضا-: له جار ومجرور متعلقان بخبر محوّل بالتقديم، ما اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ محوّل بالتأخير، بين ظرف مكان منصوب على الظرفية، وعلامته الفتحة، يتعلّق بمحذوف "صلة الموصول" تقديره "استقر"، وبين مضاف، وأيدي مضاف إليه وعلامته الكسرة المقدّرة على الياء منع من ظهورها الثقل وهو مضاف، و"نا" ضمير متصل مبني في محلّ جرّ بالإضافة.

ثم ننتي بحالة "المبتدأ في موضعه التوليدي": جاء في الآيات 30، 31، 32، 60 من الحج، و7، 60، 102، 103 من المؤمنون، و 40 مرتين، 89، 36 من النور، و59، 62، 68، 71، 75 من الفرقان، و90 (تأويل الجائي)، 92 من النمل، وجاء مبتدأ معطوف على مبتدأ أول في 35 من القصص وفي 60، 61 جاء بعد التحويل بزيادة همزة الاستفهام، وجاء مبتدأ محولا بزيادة "أما" التي للحصر في 67 من القصص، وجاء- أيضا- في 84 من القصص، وفي الآيات: 5، 6، 10، 86 من العنكبوت، و92 من الروم، و في 12، 22، 23 من لقمان، و18، 19 في السجدة، وفي الآية 19 جاء محولا مؤولا بعد أمّا، ثم في الأحزاب في الآيتين: 5، 36، ثم في فاطر 8، 10، 18.

- الصورة العاشرة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليديّة "مفعول به": غرر ورود هذا العنصر المتصل بالجملة الفعلية وكثر تحويله في البنية التركيبية التحويلية بتأويله في الجملة الموصولية؛ وذلك بمجيئه سنا وثمانين جيئة (86) متواردا بأشكال مختلفة، وصوره:

أ- الجملة الماضويّة: نجد قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ (مريم/75): الوحدة الإسنادية المتكونة من ما الموصولية التي هي في

محل نصب مفعول به مع صلة الموصول الجملة الفعلية "يوعدون" الجملة الموصولة، ومما يلحظ في تنوع التخريجات النحوية أن الموصول من وصلته الفعل كان، يكون في تحويله أيضا إلى بنية المبتدأ لأنه مبدوء به الكلام، والجملة التي تأتي بعد قل وما كان مساوقا لمعناها جملة مقول القول هي في محل نصب مفعول به، والبنى التركيبية المعطوفة على الجملة الأولى المحولة تتم بالقانون ذاته، فالبنية العميقة لجملة "فسيعلمون" هي: فسيعلمون أشرّ مكانا أو المكان وأضعفَ جندا أو أضعف الجند.

وكما في الآية الكريمة: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء/75): أي تخريج بنيتها العميقة بعد عملية التحويل هو: "قال أفرايتم معبودكم؛ أي الوحدة الإسنادية تؤدي وظيفة المفعوليّة بعد التّحويل بالاستبدال.

أو يرد في تأويل بنية عميقة وظيفتها مفعول به معطوف على مفعول به ظاهر أو ضمير متحقق في البنية السطحية الجليّة، كما هو الحال في قوله: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء/119): وتقدير البنية العميقة للآية بعد التحويل باستبدال جملتها هو: فأنجيناه والموجودين معه في الفلك المشحون، لأن من معه تركيب شبه جملي يتكون من جار ومجرور متعلق بعنصر "كائنون" أو "موجودون"، والمحل المفعولية فينصب بعد الفعل "أنجينا" وما يأتي بعد الفعل في تأويل جملة محولة بالاستبدال تقديرها مفعول به ثان.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مريم/77): التحويل باستبدال المفعول به يجعل الوحدة الإسنادية "الذي كفر" محولة إلى "الكافر" اسم الفاعل، وكفر فعل ماضٍ مبني على الفتح، فهو جملة الصلة لاسم الموصول "الذي"؛ فهنا احتاج - قسرا - المفعول به في البنية العميقة إلى تكوّنه مع شيئين متلاحمين، لا ينفصمان منطقا ولا لغة، وهما الاسم الموصول "الذي" وصلته "الفعل كفر" حتى يحور إلى

اسم مفرد له وظيفة المفعولية، ويمكن أن نقول الوحدة الإسنادية المؤدية - بالتحويل - وظيفة المفعول به.

ب- الجملة المضارعية:

- الصورة الأولى: يكون مفعولا به؛ أي هو في البنية السطحية جملة موصولة متكوّنة من الموصول وصلته، أو مفعولا ثانيا للفعل، فالفعل نصب لمفعولين، كما هو الحال في سورة المؤمنون الآية 93: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيّني مَا يُوعَدُونَ﴾؛ أي موعودهم، وهو مؤدٍ وظيفة المفعول به الثاني، والأول "الياء" من الفعل أي "أنا".

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَرِكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم /48): وتقدير الكلام هنا أن ما بعد الفعل في تأويل وأعتزلكم والذين تدعون من دون الله وتقدير ما أنه في محل نصب مفعول به للفعل السابق، لأنها موصولة وجملة (تعبدون) جملة صلة الموصول ليس لها محلّ من الإعراب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم/49): فحكم الجملة المؤولة من "ما" والجملة الفعلية يعبدون أي صلة الموصول في صيغة تحويلية كما في الآية التي سبقت.

- الصورة الثانية: يأتي مفعولا به محولا من الجملة الموصولة لقصدية التوكيد: كما جاء في ﴿يَدْعُوا لِمَنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ (الحج/13).

- الصورة الثالثة: وجاء - مرّة - مؤولا بمفعول به، وفي التحويل المعتمق الثنائي يحمل قيمة المفعول به المقدر نصبه بنزع الخافض: كما هو في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ (مريم/70): فالوحدة الإسنادية المتكوّنة من الذين والضمير هم أولى بها صليا كلها في تأويل جرّ اسم المجرور لحرف الجر "ب"، والجملة كلها في تأويل نصب المفعولية على نزع الخافض، والجار بها متعلّق بـ "أولى"، "صليّا" تمييز، وبنيته العميقة "الأولى صليا بها".

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (مريم/76): فمفعولا الفعل "يزيد" هما ما يؤول من الجملة الموصولية المتكونة من "الذين" اسم الموصول، وصلته التي جاءت وحدة إسنادية ماضوية "اهتدوا" وهدى، فحكم الجملة الموصولية النصب على أساس أنها مفعول أول لـ"يزيد".

وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (مريم/79): "ما" اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل "سنكتب"، وهو بمعنى "الذي".

- الصورة الرابعة: يؤدي وظيفة المفعول به محولا إلى جملة موصولية؛ إذ عثرنا عليه في الآيات 48، 49، 70، 75، 76، 77، 79، 80، وفي طه في الآيات: 69، 110، أما في الأنبياء فورد في الآيات: 9، 16، 28، 66، 84، وفي الحج: 5، 12، 13، 64، 65، 70، 71، 76، وفي المؤمنون: 93، 94، وفي النور: 15، 21، 29، 31، 38، 43، 45، 46، وفي الفرقان: 17، 42، 43، 55، وفي الأحزاب: 23، 37، 50، 51، وفي سبأ: 2، 13، 21، 36، في فاطر: 1، 22 وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾.

- الصورة الخامسة: يرد بدلا من مفعول به محولا إلى جملة موصولية، وورد في الآية 80 من سورة مريم: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: "ما" اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل يقول وهو بمعنى الذي، أو هو محول بالاستبدال من البنية التوليدية "بدل الاشتمال" أي ونرثه قوله، وفسرها بعض المفسرين على هذا النحو: "أي في الآخرة - لا مال له ولا ولد-، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ (الحاقة/28، 29)، وفي هذا كله تذكرة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، بأن لا يظنوا أن الله لما أمهل المنافقين قد عفا عنهم⁽¹⁾، وكذلك: "المقدر المحول بالاستبدال هو: مالا وولدا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِأُوتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مريم/77)، وقوله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص149.

رُسُلًا مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴿ (آل عمران/183)؛ أي قولكم: "حتى يأتينا بقرآن تأكله النار"؛ ففعل القول في هذا وأمثاله ناصب لمفرد لوقعه في جملة مقولة، وإيثار التعبير عن المعنى الذي وقع التحريم له.

فلفظ الظهار بالموصول وصلته هذه إيجاز وتنزيه للكلام عن التصريح به. فالمعنى ثم يرمون أن يرجعوا للاستمتاع لأزواجهم بعد أن حرموا على أنفسهم⁽¹⁾، وكذلك ذهب آخر إلى أن في ما وجهين إعرابين هما: "أحدهما هو بدل من الهاء وهي بدل الاشتمال أي نرث قوله، والثاني هو مفعول به، أي نرث منه قوله"⁽²⁾، والأغلب أنه مفعول به كما قال محي الدين الدرويش وفي إعرابه⁽³⁾.

- الصورة السادسة: ورد وظيفة "وصف أو نعت" فهو "تابع" من التوابع: وجاء خمس مرات 5 في الآية: 55 من النور، وفي 25 من النمل، وفي 40 من الروم، و4 من السجدة، و1 من سبأ، أو بدلا أيضا من مفعول به.

- الصورة السابعة: جاء وظيفته في البنية العميقة للتركيب مضافا إليه محولا للبنية (الجملة الموصولة): وأحصيناها تسعة عشرة مرة 19، في 81 من المؤمنون، و45، 54، 55 من النور، و63 مرتين في النمل 64، في الآية 88 جاء معطوفا على مضاف إليه، و6، 24، 28 من الشعراء، و25، 26، 79، 48 في القصص، و58 من الأحزاب و45، 54 من سبأ، و37 من فاطر.

2- التصنيف على أساس اسم الموصول:

تنوع ورود هذا لبنى التحويلية للجملة الموصولة بين اسم الموصول "ما" وصلته و"من" و"الذي" و"الذين".

(1) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص16.

(2) العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج2، ص828.

(3) محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، الجزء16، ص644.

- (ما): أحصينا مجيء 194 بنية تركيبية محولة باسم موصول (ما) بمعنى الذي، وهو الأغلب والأشيع، وأمثله اجتنبناها كلها من سورة "مريم":

مثال 1: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم/48): وتقدير الكلام هنا أن ما بعد الفعل في تأويل وأعتزلكم والذين تدعون من دون الله وتقدير ما أنه في محل نصب مفعول به للفعل السابق؛ لأنها موصولة وجملة تعبدون جملة صلة الموصول ليس لها محل من الإعراب.

مثال 2: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم/49): فحكم الجملة المؤولة من ما والجملة الفعلية يعبدون أي صلة الموصول في صيغة تحويلية كما في الآية التي سبقت.

مثال 3: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم/64): الوحدة الإسنادية "له ما بين أيدينا" والجملة المعطوفة عليها "وما خلفنا" في تأويل بنية حالية من ربك أي هما خبران متعلقان بمبتدأ محول مقدر بالحذف في البنية العميقة للتركيب.

مثال 4: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم/65): فالوحدة الإسنادية الموصولة "وما بينهما" في تقديرنا لبنيتها العميقة حكم الجرّ للإضافة، فالتقدير ربّ السماوات والأرض والذي بينهما، فاسم الموصول والظرف أي صلة اسم الموصول كله في تأويل مفرد فهو مجرور.

- (مَنْ) التي هي بمعنى (الذي) أيضا؛ فوردت في الرّبع الثالث من القرآن الكريم 128 مرة، ومن أمثله:

مثال 1: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ (طه/3): أي للذي يخشى الله عزّ وجلّ، ويتحوّلها أيضا تصبح الخاشي، إلا الخاشي الله.

مثال 2: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (طه/4): أي تنزيلاً من الذي خلق الأرض والسَّمَاوَاتِ العلى.

مثال 3: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (طه/18): أي من وصفكم إياه به أي تصفون جملة فعلية محولة إلى المصدر وأصل مما من ما مدغمتان، ومعنى (ما) (الذي).

مثال 4: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (طه/19): وأصل الآية له "الذي استقر في السماوات وله الذي استقر في الأرض، والذين عنده لا يستكبرون؛ لأن القرينة الفعل يستكبرون والفعل يستسحرون؛ أي من الأفعال (الأمثلة) الخمسة.

مثال 5: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (طه/22): تحليلها التحويلي ووصفها النحوي هو وصف الآية 18، إلا إنها عن الذي وليست من الذي، وهي (عن)+(ما) ملحومتين مدغمتين.

مثال 6: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (طه/23): لا يسأل عن الذي يفعله، إذ تصوير "لا يسأل عن مفعوله أو عن فعله، من حكم أو قول، وهو حسيب كل شيء،" وهم يُسألون" فيه ثلاثة أوجه: أحدها: لا يسأل الخلق الخالق عن قضائه في خلقه، وهو يسأل الخلق عن عملهم قاله ابن جريج، والثاني: لا يسأل عن فعله؛ لأن كل فعله صواب وهو لا يريد عليه الثواب، وهم يسألون عن أفعالهم، لأنه قد يجوز أن تكون في غير صواب، وقد لا يريدون بها الثواب إن كانت صواباً فلا تكون عبادة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ السَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ (الأحزاب/8)، أما الثالث: لا يُحاسب على أفعاله وهم يُحسبون على أفعالهم، قاله ابن بحر، ويحتمل رابعاً: لا يؤخذ على أفعاله وهم يؤخذون على أفعالهم⁽¹⁾، وكل هذا يتساق مع المعنى المحوّل.

(1) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج3، ص442.

مثال 7: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (طه/24): أي هذا ذكر الذي معي وهذا ذكر الذي قبلي.

مثال 8: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (طه/47): أي من الذي تعدونه من السنين أو من الأوقات أو أصلها النبوي التوليدي "من معدودكم".

مثال 9: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (طه/89): الاسم الموصول "من" وصلته "جاء بالحسنة" في تأويل بنية تركيبية عميقة هي و(الجائي بالحسنة)؛ أي بتأويلها مفردة وهي بنية المبتدأ الذي يصنع مع "فله خير منها" معنى الشرط، فهو شبيهه ما أورده رابع بخصوص الآية الفاضلة: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة/130)، فهي "فاعل في المعنى" مؤكدة محولة بالاستبدال.

مثال 10: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ (طه/25): أي للذين حوله والقرينة للجمع هو الفعل "تستمعون" قال رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ.

- (الذي): وصلته 10 مرّات، وأمثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر/9)، "فبنيتها العميقة" هي المتبوتون الدار والإيمان⁽¹⁾، وقوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مريم/77)، قوله "أفرايت": الهمزة للاستفهام، والفاء مستأنفة، جملة القسم وجوابه مقول القول، وجملة "لأوتين" جواب القسم، (مالاً): مفعول ثان، و(الذي): اسم موصول في محل نصب مفعول به للفعل المقدّم باستفهام أفرايت، وكفر: فعل ماضي مبني على الفتح فهو جملة الصلة لاسم الموصول (الذي).

(1) ينظر: رابح بومعزة، نظرية النحو العربي، ص 92.

- (الذِينَ): ورد ستّ (6) مرّات وأمثلته قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ (مريم/70): فالوحدة الإسنادية المتكونة من الذين والضمير هم أولى بها صلياً كلها في تأويل جرّ لحرف الجرّ "ب" والجملة كلها في تأويل نصب المفعولية على نزع الخافض، والجار بها متعلّق بـ"أولى"، "صلياً" تمييز، والبنية العميقة لها ثم نحن أعلم بالأولى بها صلياً وقوله عز وجل: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (مريم/76): فمفعولاً الفعل (يزيد) هما ما يؤول من الجملة الموصولية المتكونة من الذين اسم الموصول وصلته التي جاءت وحدة إسنادية ماضوية "اهتدوا"، وهدى، فحكم الجملة الموصولية النصب على أساس أنّها مفعول أول ليزيد.

خلاصة الفصل:

إنّ "الاستبدال باب من أبواب التكافؤ من حيث جمعه كلّ العناصر التي يمكن أن يستبدل بعضها ببعض في سياق معيّن"⁽¹⁾، وهو بالجملة الموصولية ظاهر جليّ؛ لأن اختيار ذكر الاسم الموصول له دلالاته وغرضه، والبنية العميقة قاضية بتوجيه وظائف التراكيب لماذا تبنى على هذا النسق مع أنه يحتوي متشابهات من مثله، كما نستخلص من مبحث التحويل بالاستبدال في الجملة الموصولية أنه جاء في ربع مريم في ثماني وظائف تحويلية، لها دلالاتها المختلفة حسب سياقات السّورة، وهي وظيفة الفاعل والخبر والمبتدأ وهي عناصر ثلاثة تتّصل بعمدتي الإسناد في الجملة الفعلية والاسمية، كما جاء مؤديا وظيفة اسم إن والاسم المجرور والمستثنى والمضاف والمفعول به، وما لحظ- أيضا- أنه توارد بمختلف الأسماء الموصولة، وهي: (من وما وكثر ورودهما والذي)، واتّصلت بالأسماء الموصولة ما؛ أدغمت فيها مثل "عما".

إنّ الأولى في هذا المبحث صور الفاعل والخبر والمبتدأ؛ لأن هذه العناصر الثلاثة هي مكونات الإسناد الفعلي والاسمي، أمّا العناصر الأخرى فهي إضافات على البنيتين الأساسين للجملة الاسمية وهما المبتدأ والخبر، أو البنيتين الأساسين للجملة الفعلية وهما الفعل والفاعل.

تقسيم الكلم العربي في اللغة العربية إلى اسم وفعل وحرف له دلالاته ووظيفته فالاسم الموصول بنية لها وظيفة استعمالية وسياقية تحويلية وتوليدية معينة بل يمكن أن تكون مؤشرا حقيقيا على صورة من صور الإعجاز القرآني فالاسم الموصول "ما" لا يخفى على أحد أنها من ألفاظ العموم عند العربية والأصول فقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال/60). ففعل "أعدّوا" هو أمر عام موجب على الأمة والدولة بذل أقصى المستطاع في إعداد القوّة للدفاع عن الملة والحوزة، وقد جاء

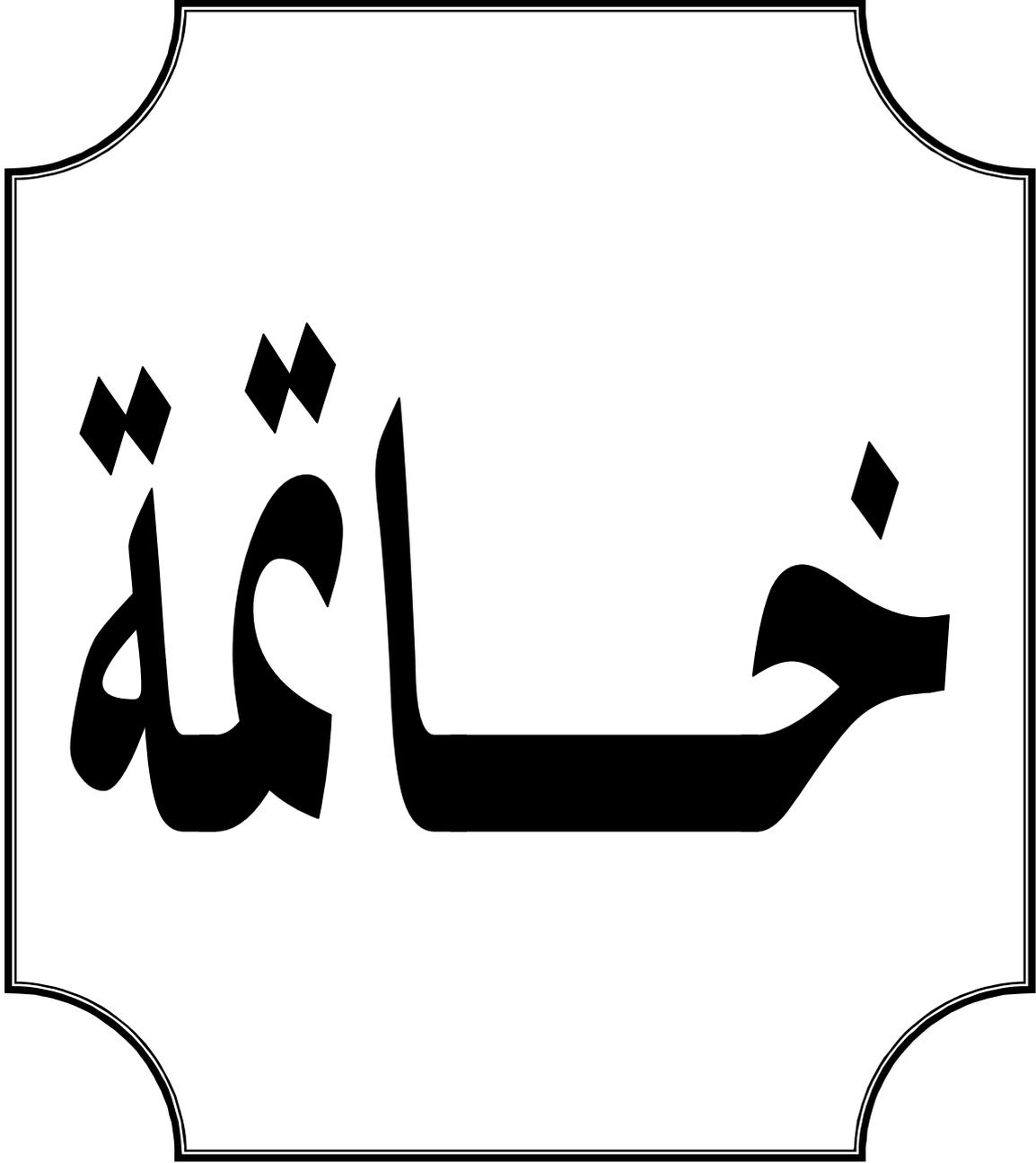
(1) رايح بومعزة، تيسير تعليمية النحو، ص74.

اللفظ منكرًا "من قوّة" ليشمل كلّ قوة وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان، وفي عصرنا تعمّ بعموم اللفظين "ما" استطعتم "من قوّة" القوى البحرية والبرية والجوية"⁽¹⁾، هذا ما أورد الرفاعي في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم و على كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة، وليس في اسم موصل واحد وإنما في الأسماء الموصولة الأخرى التي لها دلالاتها في حد ذاتها ثم مع سياقها التحويلي أي بعد التحاقها بصلتها وتشكل البنى التحويلية، ومن هذا فاختيار لغة العرب لينزل بها القرآن الكريم هذا النصّ العاجّ بالتحويلات، على تعدّد لغات البشر واختلاف أسنتهم يشير إلى فضيلة بيانية جامعة امتاز بها اللسان العربي على كلّ لسان"⁽²⁾، وخصيصة ملائمة لهيكل الإنسان كله العربي والعجمي في سعد الصوت واللفظ والتركيب والمعنى والدلالة.

(1) ينظر: نعيم الحمصي، فكرة أعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص: ز.

(2) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الإعلام، عمّان، الأردن، ط1، 2005، ص13.

خلاصة الباب الثاني: تطرق الباب الثاني-بخلاف الباب الأوّل- إلى الإجراءات التحويلية التي لحقت الجمل الاسمية القرآنية في الربع الثالث؛ من حيث التحويل بالزيادة والحذف والتقديم والتأخير والاستبدال، وهي القواعد التحويلية ذاتها التي طبّقناها فيما سبق، وتنوعت صور هذه التحويلات، وتميّزت في دلالاتها، وما استلمحناه هو أن التحويل حين يقع على الجملة الفعلية تنشأ دلالات مختلفة عن وقوعه على الجملة الاسمية ولو كانت قاعدة تحويل واحدة كالحذف أو الزيادة أو التقديم والتأخير أو الاستبدال بأنواعها المتعددة والمختلفة في القرآن الكريم، وخلصنا-أيضا-إلى أن هذه التحويلات ليست إلا مظهرا من مظاهر إعجاز لغة القرآن الكريم؛ لأنها تضم وتشمل كل الاحتمالات، وتصيب مختلف الدلالات.



خاتمة:

النتائج المتوصل إليها في البحث هي: من المقاربة النظرية التي لم نفض فيها بشكل موسّع؛ ذلك أنّ الدراسة تنهض على استخراج النماذج التطبيقية التي تحتوي عمليات تحويلية للبنى التركيبية التوليدية، وتأخذ صورها المتعدّدة، في آيات القرآن الكريم، في الربع المبحوث، وبعد إعطائها الإعراب المحدد لها، والتنبه إلى أغلب الوجوه الإعرابية التي تكون عليها هذه البنى، يتمّ استنتاج دلالة هذه العمليات التحويلية والفوائد المجتناة من تحقق هذه العمليات التحويلية الأربع "الزيادة، الحذف، الرتبة (التقديم والتأخير)، الاستبدال، وإن خاتمة البحث هي مجمل الاستخلاصات التي أوردناها في خواتيم كل المباحث والمطالب المضمنة في الفصول المنشأة في هذا البحث، كي لا يبقى القارئ في طُمة من أمره ولا في عذر؛ إذ يستقصي عن مستغلاقات البحث، وحاصل نتائج البحث هو:

خلصنا من الفصل الأول بكشف لصور التحويل بالزيادة في البنية التركيبية الفعلية المحولة، فهي:

- 1- تخرج لثلاثة معانٍ النفي والاستفهام والتوكيد، وتمس البنية الفعلية البسيطة والمركّبة في العربية على حدّ السواء.
- 2- تتعدّد حروف الزيادة أو عناصرها في التوكيد والنفي والاستفهام، وكانت في التوكيد: إمّا بمؤكّد واحد كزيادة لام التوكيد على الفعل، أو قد التي هي لتحقيق الفعل مع الماضي وللتكثير مع الفعل المضارع، وإمّا بمؤكّدين فتحول البنية بزيادة أداتين للتّقصير (القصر) كأداة النفي ما وأداة الاستثناء "إلا"، أو إنّ التي للنفي وإلا، أو قد يؤكّد باللام ونون التوكيد الثقيلة.

وفي النفي: كانت عناصر التحويل في الربع المدروس هي "لا" و"ما" "لم" و"ليس" و"ألا" و"ألا"، وكلاًّ وإن ولن وهل التي بمعنى لا.

وفي الاستفهام بعناصره التي حوّلت بها البنى التركيبية الفعلية في الربّ المبحوث وهي حرفا الاستفهام الهمزة وهل و لمَ وماذا ومن وما وكيف وأين وأيان وبمَ وأنى وأيِّ وأمَ وكم ولم يكن التحويل باسم الاستفهام "متى".

3- ما يوجز جداه في مذاهب الزيادة لإعراضها المختلفة أنها تجيء مركبة متداخلة وليس بسيطة مفردة مباشرة، فقد رأينا أن البنية المزيدة قد تكون بنية في حدّ ذاتها كما هو الحال: أولو، أولم، أوليس، وغير ذلك والمعنى يبدو شجرة مثقلة بالمعاني وليس فيها معنى واحد أو اثنين فقط بل قد يتعدّى إلى معانٍ أربعة أو أكثر من ذلك أو أقلّ، فالغرض من التحويل بالزيادة أوسع إثناءً، وأغزر منحا للمعاني والدلالات وسوى ذلك.

4- وتتداخل الفوائد التي تقفناها من أنواع الزيادة الثلاثة التي عرضناها أي بأدوات الاستفهام والنفي والتوكيد، إذ يخرج الاستفهام إلى التعجب الحافل بأغراض يفيدها التعجب في حدّ ذاته، أو الاستفهام الاستنكاري الذي يغيّر البنية التركيبية إلى بنية تحويلية تخدم سياق الآيات الكريمة بعد التحويل.

5- ونستجني ممّا سبق من عرض عناصر التحويل بالزيادة على الجملة الاسمية أن التحويل فيها يتأتّى بزيادة نواسخ تنسخ أو تغيّر شكل البنية التركيبية التوليدية الاسمية إلى شكل البنية التركيبية التحويلية الاسمية؛ فالبنية أصلها في منطق التركيب عنصران مبتدأ وخبر، ولما تحوّل بزيادة "كان" وأخواتها، وأنّ وإنّ وأخواتها، وأفعال القلوب والشكّ وأفعال التحويل والتصيير التي تنصب مفعولين أو ثلاثة كأعلم وأرى وأنبأ، وهذا لأغراض التوكيد وغيره من المعاني البلاغية التي تتداول في الكلام وفي القرآن الكريم تبعا لسياقاتها اللغوية، ومقاماتها التي تتراتب معها، تنتظم فيها الجمل على نحو يخدمها، وتتعدّد فيها دلالات مباينة تمام التباين لجمل مزيدة بعناصر الزيادة الأخرى، وهذا التحويل متفرّع فرعين: المحليّ وهو

الذي لا تتغير فيه البنية الاسمية ولو أضيف إليها أفعال غيرت دلالتها كلياً، إلا أنّ الجمل تبقى اسمية ولا تبرح اسميتها بعد التحويل عكس التحويل الثاني وهو الجذري الذي تنتقل البنية فيه إلى بنية فعلية بعد أن كانت اسمية محضة.

6- فيما يخص الفصل الثاني فتعاور على البنية التركيبية المحولة بتقديم المفعول به على الفاعل ثماني صور، وهي قد يكون ورود المفعول به ضميراً متصلاً بالفعل على تنوع إحالاته كان أكثر من مجيئه اسماً ظاهراً في ربع مريم، وهذا له دلالاته التي يتقصد إليها ومعناه المتجه إليه، في حين وجدنا المفعول به اسماً للتوكيد في فكلاً أخذنا بذنبه، و"إنما يخشى الله من عباده العلماء"، و"إذا مسّ الناسَ ضرّاً"، و"لن ينال الله لحومها ولا دماؤها"، جاء المفعول به اسماً موصولاً في "لا ينفع الذين كفروا إيمانهم"، وكذلك "لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم".

7- أمّا تقديم الفاعل عن الفعل فيندر تماماً؛ ذلك لأننا مع الرأي البصري الذي يقول بأنه إذا تقدّم الفاعل عن فعله فالبنية التركيبية أو الجملة اسمية.

8- اللغة العربية لا تحتوي على بنية سطحية فقط وإنما تحيل كل البنى السطحية أي الظاهرة على سطح التركيب إلى بنية موشوجة بها هي البنية العميقة التي تكون في معناها ودلالاتها المركزية، وإنما البنيتين تختلفان في توجيه دلالي معيّن، لأن القاعدة النحوية هي واحدة، وإنما تغايراتها هي التي تتطابق مع العمليات التحويلية التي تمتح بدلالات مختلفة بين البنيتين السطحية والعميقة، وقد يكون للبنية السطحية بنى عميقة متعددة حسب عدد التحويلات التي تمظهرت بها البنية السطحية.

9- هناك علاقة بين البنية السطحية والبنية العميقة؛ ومثال ذلك في الآية الكريمة من قوله جلّ من قائل: ﴿لِيُعَلِّمَ مَا يَخْفَىٰ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ (النور/31)، فبنية الجملة التوليدية أن يكون هناك فاعل للفعل يخفين، لكن الفعل صيغ بصيغة مختلفة

عن الفعل المبني للفاعل وإنما مبني للمفعول، فتطلب تحويلاً لاجتلاب ما نسميه "نائب الفاعل"، والتحويل الثاني هو حذف المفعول به المقدر بعد الفعل "يخفين" وهو الضمير "ه"؛ أي ما يخفيه من زينتهن، والتحويل الثالث أن بنية الآية الكريمة محول بالاستبدال بالجملة الموصولة؛ إذ نائب الفاعل هو البنية التركيبية "ما+ الفعل" يخفيه"، والأصل أن يكون نائب الفاعل صريحا أو مفردا وليس مركبا تركيبيا مكونا من اسم الموصول "ما" والجملة الفعلية المترتبة من الفعل المضارع يخفي والفاعل وهو "النون"؛ أي نون النسوة، والمفعول به المقدر في البنية الخافية للآية وهو "ه"؛ فتكون هذه بنية تركيبية تحويلية فيها أربع عمليات تحويل وهو الاستبدال والحذف، والتحويل الثالث هو التحويل الحاصل في منطوق اللغة العربية وهو من الفاعل إلى اسم ينوب عن الفاعل وهو نائب الفاعل؛ فتكون الآية في أصلها التوليدي هو ليعلم الناس المخفي من زينتهن، من جهة، ومن جهة تكون البنية التوليدي هي "ليعلم المخفي من زينتهن، أو ليعلم مخفيهن من زينتهن، والعملية الرابعة هي التحويل بالزيادة "من زينتهن".

10- لكل بنية تركيبية مقصد تبليغي، زيادة على المعنى الذي يحمله التركيب التوليدي المنبني أساسا على القاعدة النحوية المجردة، فمثلا التركيب اللغوي المثبت العادي المجرد دون توكيد مختلف عن التركيب المؤكد بعامل توكيدي واحد والتركيب المحتوي على عاملين توكيديين اثنين، والتركيب الذي يتضمن ثلاثة عوامل توكيدية ليس هو التركيب عينه الذي يحتوي على أربعة مؤكّدات وهذا حسب المعنى الذي تؤدّيه هذه البنى التركيبية التوكيدية المختلفة من جهة، وحسب يقين السامع أو القارئ أو الموجه إليه التركيب القرآني الكريم في حد ذاته؛ أي الحوار بين موسى وفرعون مثلا أو بين فرعون وقومه، أو غير ذلك.

11- تلتزم العلاقة بين البنى التوليدية والتحويلية بوساطة المنطق اللغوي الذي يتأتى من القاعدة النحوية، و ينبغي التعقل في فهم هذه العلاقة ويجب إعمال العقل والفهم في إحالة البنية التحويلية إلى البنية التوليدية بمراعاة القاعدة النحوية التي تضيء لنا مواقع التغيرات التحويلية أي موضع الحذف، والزيادة والترتيب والاستبدال، وهذا دلالة تدني مفهوم البلاغة اللغوية للقرآن الكريم التي نستدل عليها بكلمة العقل مع كل جملة تدل على لغة القرآن الكريم أو تدبره، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/2)، وقوله في الأنبياء: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء/10)، وقوله تنزهه وعلا: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (27) قرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عَوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر/27-28)، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل/103)، و في حديث الله عز وجل عن الآيات والترتيب والدقة في بناء القرآن الكريم في قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل/101)، وهذه الآيات التي استظهرناها في هذا السياق أمثلة وليست على سبيل الحصر؛ لأن الكثير من الآيات التي لها دلالات العلم والعقل والتذكر وهي مناط الملية العقلية في تدبر دقة القرآن الكريم وإحكام آياته إحصاء تامًا كاملا لا نقص فيه.

12- تكتنز كل جمل الربع المدروس؛ أي ربع مريم (من مريم إلى فاطر) بكل أنواع التحويل أي تحتوي كلها على تحويلات مختلفة وقد تداخل البنية التركيبية للآية الواحدة تحويلات عديدة أو يكون فيها على الأقل تحويل أو تحويلان وهذا له توجيهه الدلالي أيضا في نظام بناء لغة القرآن الكريم، وذلك كالتحويلات التي حدثت في بنية التركيب القرآنية الآتية: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ

يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿الفرقان/3﴾، ففي الجملة الحالية التي جاءت بعد واو الحال "وهم يُخْلَقُونَ" تحويلان؛ فالأول التحويل باستبدال الخبر بالجملة الفعلية المضارعية التي هي مبنية لما لم يسمَّ فاعله، والتحويل الثاني الانتقال من صيغة المبني للفاعل إلى المبني إلى المفعول، وتقدير البنية العميقة للآية الجلية "وهم مَخْلُوقُونَ"، وقد يكون فيها تحويل ثالث وهو تأخير المبتدأ وتقديم الخبر فتقدير الكلام ومخلوقون هم، فذلك لتأكيد الخبر وتحقيقه؛ فهم هنا مؤكد بوصفه مقدّمًا على المبتدأ.

13- الربع المدروس ربع مريم مكتظّ بالتحويلات على وجه الآيات مع أن التحويلات تتغاير إن كانت الآية حمّالة وجوه إعرابية فقد يكون لها وجه أو أكثر فتوجّه دلاليًا هذه التحويلات، وهذا مؤشرٌ منطقيٌّ أننا لو استكشفنا الآيات القرآنية في الربع المدروس على وجوه القراءات المختلفة لتكثرت التحويلات وازداد تعدّدها واختلافها، ونحن نقترح في خاتمة هذا البحث أن نستكمّله ببحوث مشابهة مدقّقة ومركّزة وهي مرمّتها "التوجيهات الدلالية للتحويلات في القراءات القرآنية، أو التوجيهات الدلالية للتحويلات المختلفة بين تعدّد الوجوه الإعرابية من جهة والحمل على القراءات القرآنية المتواترة.

14- نرى بحثًا آخر في هذا المضمار وهو التوجيهات الدلالية للتحويلات في القرآن الكريم عند علماء التفسير، وإعراب القرآن الكريم.

15- ونحتمل -أيضا- بحثًا تطبيقيًا إعجازيًا هو معاينة الظواهر الطبيعية والكونية العلمية التي تحققت في آيات القرآن الكريم التي حملت صورًا من التحويلات المختلفة ولقاء هذه التحويلات نقلت البنية التركيبية التحويلية المعنى الذي اكتنزت به البنى القرآنية الكريمة، طفحت الدلالات المتعلقة بهذه النتائج العلمية على البنية السطحية.

16- رغم أن المقاربة اللسانية التي أنشأناها لبعض المصطلحات التوليدية التحويلية للسانين التوليديين التحويلين، ومن اقتفى أثرهم، مقارنة جاءت ليست على كل المصطلحات، إنما في بعض المصطلحات التي تدنو من مفهوم التحويل في العربية إلا أننا نعتقد أن هذه المفاهيم اللسانية نجد لها إحدائياتها في منطق اللغة العربية وعبقريتها، أو في المنظور القواعدي للغة العربية والمنظور التركيبي، أي على صورتها البنوية اللغوية؛ صورة القواعد وصورة الكلام وهما ثنائيتان موجودتان في المفهوم السوسيري البنوي اللساني وموجودتان في النظرية اللسانية التحويلية التوليدية في طرفيها الكفاءة والأداء.

17- بعد الدراسة التطبيقية الفعلية لاستخراج القواعد التحويلية في ربع مريم تبين لنا أن التحويلات تفاوتت في كل الآيات وتتنوعت فقد يكون هناك تحويل يتطلب تحويلاً آخر، بل قيمة الأول تتحقق من خلال الثاني، على الرغم من اختلاف التحويلين مثلاً بالحذف والاستبدال أو بالزيادة والترتيب أو غيرها من التحويلات، وسواء كان هذا التحويل محلياً أو جذرياً.

18- تحدّد أطر بلاغة الجملة بعد التحويل مع تكافؤ دلالي لها قبل التحويل؛ فالتحويل بالترتيب مثلاً أو التأخير يستبقي العنصر المقدم أو المؤخر في بنية التركيب لكنه يتغيّر موضعه فالمبتدأ إن تقدّم عليه الخبر سيبقى في الجملة وإنما هذه الموضعة الجديدة تكتسب معاني أخرى؛ إذن فالجملة المحولة أو المنقرعة عن الجملة التوليدية أو الجملة اللب كما أسميناها، تحمل العناصر ذاتها وإنما بصورة تركيبية لها دلالاتها الموجهة إليه المختلفة عن الأولى.

19- إن ما عرضناه من نتائج فعلية لهي المستخلصات التي استخلصناها من بابي هذا البحث، ونأمل أن يكون هذا البحث أضاء ولو قليلاً مفهومنا لنوعي البنية اللغوية وفي القرآن الكريم وهما "البنية التركيبية التوليدية" و"البنية التركيبية

التحويلية"، وأن لكل بنية توليدية احتمالات لتغييرها على بنية تحويلية قد تحتل تحويلاً أو أكثر شريطة أن تتصاقب مع نظيرتها الأولى، ويمكن أن نستعير كلمة التوليد بأبعاده اللسانية فنقول: إن القرآن الكريم والرابع المدروس له جملة تولدت من القواعد المتاحة في العربية، وله بنية لجملة تتولت بالتحويل.

20- نلمح أن البنية المكتوبة للقرآن الكريم أو الخطية لها تحويلات قد تزيد بقراءتها وتجويدها وهذا ما ندعو الدارسين للغة العربية والقرآن الكريم للاهتمام به وندعوه "التحويل ما فوق نطقي أو صوتي" كما تحدّث علم الصوت واللسانيات عن الظواهر ما فوق لغوية ونقصد النبر والهمز والتطرب والتغيم واللحن والإمالة والترتيل والتجويد والتحقيق والحدرد؛ أي "الإسراع في القراءة مع مراعاة الأحكام"⁽¹⁾ وغير ذلك؛ فلتلك الظواهر أبعاد دلالية تعزى إلى سلة التحويلات الموجودة التي قصدنا دراستنا في بحثنا هذا وليس بعيداً أن يكون التحويل المدروس في التركيب المكتوب والمخطوط هو ذاته يتحقق في بنية الصوت أي إذا نطقنا تراكيب الآيات القرآنية الكريمة، وهنا نقول بأن اللسان قد ينطق الكلام مباشرة محوّلاً أي يحتوي على الحذف أو الترتيب أو الزيادة أو الاستبدال أو كل هذه التحويلات مجتمعة وفي ذهن الإنسان الجملة النواة لهذه الجملة المحولة والقواعد التي تركيبها، ومثل ذلك ما هو حاصل في القرآن الكريم، وما تحقق لنا من خلال قراءتنا لمجمل الربع الكريم المبحوث، والمسموع من طريق القراء، والمجودين والمرتلين.

ما نوّده أن يكون البحث أشار إلى بعض أسرار التركيب القرآني الكريم ووضّح الظواهر التحويلية التي قال بها علماء اللغة والدلالة واللسانيات القدماء والمحدثين، وما يكون توشيعاً لهذه الدراسة أن نلفت النظر أن الصور اللغوية التي

(1) السيّد إسماعيل علي سليمان، مقال علم التجويد في القرآن الكريم، مجموعة من العلماء، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، مج1، 2003، ص361.

جاءت بها آيات الربع الكريم المدروس صور تدعو إلى الالتفات أن القرآن الكريم ليس يعوزه الاكتمال في معناه ودلالاته، وليس قائماً على الاختيار الصدفي لنظام تركيبى دون نظام تركيبى آخر، وأن هذه التحويلات التي مسّت بنى التراكيب الفعلية والاسمية إن هي إلاّ مدروسة دقيقة بحيث تتطابق دلالاتها مع الحقائق التي تومئ إليها هذه التركيبات، فيزيدنا تحفراً أن ننعّم النظر في ويتعمق الدارسون لتأكيد استقلاليتها عن اللغة البشرية، وتمايزه عن أي نص راق له مجموعة من التحويلات التي لها توجيهاتها الدالية.

هناك الكثير من المصطلحات التي وردت في التّظير اللّسانيّ التّحويليّ عثرنا لها على إحدائيات في النّحو العربيّ مثل مصطلح الإسقاط من البنية الظاهرة أو السطحية، فقد ذكرت على لسان سيبويه في الكتاب، ودلّت عنده على مترادفات هي الحذف أو الاختصار أو الاختزال، وهذا أوردناه في المبحث المخصّص بالتحويل بالحذف.

ما تبين لنا من استعراض بعض المصطلحات التحويلية التوليدية مثل النحو العالميّ أو الكليّ أو القواعد التحويلية هو أن كلّ اللغات تحتوي على عمليات التحويل، لأنه منطوق وآلية يحكمان نظام التركيب اللغوي المكتوب والمنطوق، وذلك لتحقيق الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي أي الثنائية التي قال بها عالما اللسانيات فردينارد دوسوسير ونعوم تشومسكي؛ فالأول ذكرهما في ثنائية اللغة والكلام أو المحور الاستبدالي والمحور النظمي، والثاني أورد الكفاءة والأداء.

استكشفتنا من خلال دراستنا هذه أن القواعد التحويلية مرشحة للمزيد فقد عرضنا مصطلح "التحويل بالتعويض أو التعويض"، أو التحويل التبادلي" و"التحويل بالإحالة" وكلها -في مفهومنا- قواعد تحويلية على البنى التركيبية التوليدية فالتحويل التبادلي يقع في البنية اللغوية التي تكون محوّلة بالحذف و التحويل

بالعوض أو بما يعوض العنصر المحذوف كالنون في يومئذٍ وهو تتوين العوض على جملة كاملة كما في قوله ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يتفرقون، ويستلحق بتحويل آخر وهو تحويل الإحالة أن النون هي المحيلة للمحذوف في بنية الظرف الحامل لدلالة الجملة أو البنية المحذوفة، وهذا أطلقنا عليه مصطلح "التحويل التبادلي" وهو مجموع التحويل بالحذف والعوض والإحالة؛ أي (التحويل التبادلي هو: التحويل بالحذف+التحويل بالعوض أو بالتعويض أو بالتعويض+التحويل بالإحالة).

هذا ما توصلنا إليه من دراستنا هذه ونحسب أننا لم نأل جهداً في التعمق الجدّي والموضوعي الذي يلائم الدراسة العلمية التي تنتدب الصفاء الذهني وعدم الميل لتحقيق التجارب العلمية للوصول إلى النتائج الحقيقية التي لا مرأى فيها ولا تزيّد ولا مخاتنة أو لا مخاتلة حتّى نقيس أجهزتنا العقلية والمنطقية في الكشف عن حقائق الكون والحياة واللغة.

لقد استحصلنا - من فصل التحويل بالزيادة- في الجملة الفعلية أو الجملة التي يكون المسند فيها فعلاً ما يلي:

21- تخرج لثلاثة معانٍ النفي والاستفهام والتوكيد، وتمس البنية الفعلية البسيطة والمركبة في العربية على حدّ السواء.

22- تتعدّد حروف الزيادة أو عناصرها في التوكيد والنفي والاستفهام، وكانت في التوكيد: إمّا بمؤكّد واحد كزيادة لام التوكيد على الفعل، أو قد التي هي لتحقيق الفعل مع الماضي وللتكثير مع الفعل المضارع، وإمّا بمؤكّدين فتحول البنية بزيادة أداتين للتقصير (القصر) كأداة النفي ما وأداة الاستثناء "إلا"، أو إنّ التي للنفي وإلا، أو قد يؤكّد باللام ونون التوكيد الثقيلة.

وفي النفي: كانت عناصر التحويل في الربع المدروس هي "لا" و"ما" "لم" و"ليس" و"ألا" و "ألا"، و"كلاً" وإنّ ولن وهل التي بمعنى لا.

وفي الاستفهام بعناصره التي حوّلت بها البنى التركيبية الفعلية في الربع المبحوث وهي حرفا الاستفهام الهمزة وهل و لمَ وماذا ومن وما وكيف وأين وأيان وبمَ وأنى وأيَّ وأم وكم ولم يكن التحويل باسم الاستفهام "متى".

23- ما يوجز جداه في مذاهب الزيادة لإعراضها المختلفة أنها تجيء مركبة متداخلة وليس بسيطة مفردة مباشرة، فقد رأينا أن البنية المزيدة قد تكون بنية في حدّ ذاتها كما هو الحال: ألو، أولم، أليس، وغير ذلك والمعنى يبدو شجرة منقطة بالمعاني وليس فيها معنى واحد أو اثنين فقط بل قد يتعدى إلى معانٍ أربعة أو أكثر من ذلك أو أقلّ، فالغرض من التحويل بالزيادة أوسع إثناءً، وأغزر منحا للمعاني والدلالات وسوى ذلك.

24- وتتداخل الفوائد التي تفتنناها من أنواع الزيادة الثلاثة التي عرضناها أي بأدوات الاستفهام والنفي والتوكيد، إذ يخرج الاستفهام إلى التعجب الحافل بأغراض يفيدها التعجب في حدّ ذاته، أو الاستفهام الاستكاري الذي يغيّر البنية التركيبية إلى بنية تحويلية تخدم سياق الآيات الكريمة بعد التحويل.

25- ونستجني ممّا سبق من عرض عناصر التحويل بالزيادة على الجملة الاسمية أن التحويل فيها يتأتى بزيادة نواسخ تنسخ أو تغيّر شكل البنية التركيبية التوليدية الاسمية إلى شكل البنية التركيبية التحويلية الاسمية؛ فالبنية أصلها في منطق التركيب عنصران مبتدأ وخبر، ولما تحوّل بزيادة "كان" وأخواتها، وأنّ وإنّ وأخواتها، وأفعال القلوب والشكّ وأفعال التحوّل والتصيير التي تنصب مفعولين أو ثلاثة كأعلم وأرى وأنبأ، وهذا لأغراض التوكيد وغيره من المعاني البلاغية التي تتداول في الكلام وفي القرآن الكريم تبعاً لسياقاتها اللغوية، ومقاماتها التي تتراتب معها، تنتظم فيها الجمل على نحو يخدمها، وتتعدّد فيها دلالات مباينة تمام التباين لجمل مزيدة بعناصر الزيادة الأخرى، وهذا التحويل متفرّع فرعين: المحليّ وهو الذي لا تتغيّر فيه البنية الاسمية ولو أضيف إليها أفعال غيرت دلالتها كلياً، إلاّ أنّ الجمل تبقى اسمية ولا تبرح اسميتها بعد التحويل عكس التحويل الثاني وهو الجذري الذي تنتقل البنية فيه إلى بنية فعلية بعد أن كانت اسمية محضة.

استنتجنا من الفصل الثاني من الباب الأول أنّ التقديم والتأخير لهما بلاغة خاصة في القرآن الكريم حسب أولويات المقصود والأغراض الكامنة وراء هذه العملية التحويلية، فأشرنا إلى قرينة الرتبة في العربية، وتحدثنا عن المفهوم الاستبدالي المتحقق من التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، وتناولنا اختلاف العلماء في شرعية تقدّم الفاعل على فعله فوجدنا أن البصريين لا يجيزونه؛ لأنه يتداخل مع الجملة الاسمية أما الكوفيون فيقبلون تقدمه ويبقى فاعلا نحوا ودلالة، وكل في ذلك له حججه.

والمستتب-أيضا- من الفصل الثاني من الباب الأول أن استعمال التحويلات الاختيارية بتقديم المفعول به عن فاعله أكثر من الاستعمالات الإيجابية، فذلك يوحي إلينا بأن القاعدة اللغوية النحوية الأصلية في العربية هي الأولية، وهي الإطار الاختياري ثم تتفرع منها قواعد أخرى إجبارية وهذا حسب الحاجة.

ورود المفعول به ضميرا متصلا بالفعل على تنوع إحالاته كان أكثر من مجيئه اسما ظاهرا في ربع مريم، وهذا له دلالاته التي يتقصد إليها ومعناه المتجه إليه، في حين وجدنا المفعول به اسما للتوكيد في فكلا أخذنا بذنبه، و"إنما يخشى الله من عباده العلماء"، و"إذا مسَّ الناسَ ضرًّا"، و"لن ينال الله لحومها ولا دماؤها"، جاء المفعول به اسما موصولا في "لا ينفع الذين كفروا إيمانهم"، وكذلك "لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم".

الأمثلة التي بسطناها وعرضناها في مضمار النمطين الواردين في خصوص التحويل التركيبي لبنية الجملة الفعلية المحولة بالحذف أي الفعل والفاعل المقدران في إطار غير منظور، تقول اللسانيات التحويلية إنهما في البنية العميقة وليست السطحية، وباقي الآيات في ربع مريم إما أن تكون قد حدث فيها تحويل

من النمط الأول أو من النمط الثاني، وأما الجمل التي بناؤها لما لم بسم فاعله فقلية في الربع كاملاً؛ ذلك نفسره بأنها فرع والأصل الأفعال المبنية للمعلوم والدلالة الموجهة لهذا التوارد القليل إن هي إلا قاضية بأن التطلب السردي والقصصي في القرآن الكريم لاسيما في قصص الأنبياء والإخبار بأحداث الخلق والأحداث التاريخية التي للعبر والعظات فهي تحتاج الجملة النقدرة المبنية للمعلوم.

إنّ التقدير الذي نستكنه ونقرره في مساحات البنى العميقة غير الظاهرة في البنى التركيبية التحويلية الفعلية قد يكون متصلاً بجمل الآيات السابقة وهذا تتاسق نصي في نظرنا إذا الإحالات النصية ليست ظاهرة فحسب، وإنما باطنة فيمكن أن نشير إلى دراسة لسانية تحويلية نصية في القرآن الكريم وليس يضيرنا ذلك من منطلق التداخل المعنوي والحقيقي بين آياته منطقياً وتاريخياً وبلاغياً ولغوياً ونحوياً.

أمّا في الفصل الرابع من الباب الأوّل فورد التحويل بالاستبدال بالمصدر المؤول بالصريح في ربيع "مريم" في اثنتي عشرة صورة، لكنّ الذي أوليناه أهميّة هو أن يكون عنصر إسناد فقط، أي مبتدأ أو خبر أو فعل أو فاعل، وقد ورد في صور أخرى هي: اسم مجرور، مفعول به، مستثنى، اسم ناسخ كان، مضاف، تمييز، مفعول لأجله، بدل، اسم عسى.

والمؤلى أهميّة بالذکر هو صورة الفاعل بوصفه المسند إليه في الجملة الفعلية، والمبتدأ والخبر بوصفهما المسند والمسند إليه في الجملة الاسمية، أمّا الصور الأخرى فهي فضلات أو متعلقات بالجملتين الاسمية والفعلية وهي إضافة على البنى التركيب التحويلي(البنية السطحية) الذي له أصله التوليدي(البنية العميقة).

أمّا الباب الثاني، وهو صور التحويل في الجملة التي يكون المسند فيها اسما، أو الجملة الاسمية، فكانت استخلاصاته كالاتي :

أن الجملة الاسمية تتعرض لتحويلات بالزيادة لبلوغ الاستفهام والنفي والتوكيد وقد تستعمل أدوات النفي للتوكيد أو الاستفهام للتوكيد؛ أي تتبادل الأدوات أدوارها في تحقيق وظائف دلالية مختلفة، وتتوّعت هذه العناصر المزيدة ففي النفي أحدثت الأدوات (ما، لا، لم، إن، لن، غير) التحويل بالزيادة التي مفادها النفي، وفي الاستفهام كانت الأدوات (الهمزة، كيف، هل، أنى، متى، أيّان، من، ما، أيّ) هي المحدثّة للتحويل، وأمّا في غرض التوكيد فاستعملت (أدوات أو مؤكّدات لتوكيد أحادي للجملة كـ "إنّما" التي للقصر، وألفاظ العموم كل، وجميع وأجمع، واستعملت النّواسخ المختلفة وهي: أن، وإنّ، وكان، ولكنّ، وإن كانت بمؤكّدين فاستعملت ما، وإلاّ، وإنّ، وإلاّ، ولا، وإلاّ، وهل، وإلاّ، وأسلوب القسم بـ "تالله" و"وربك"، وإنّ مع قد والفعل الماضي المحقّق بها، واستعملت "إنّ" مع اللام المزحلقة وصيغة المبالغة أي بثلاثة مؤكّدات لتحقيق أقوى حدّ من الدلالة، وأوفر مبلغ من المعنى) كلّ هذه الأدوات دخلت لعملة التحويل التركيبي من البنية التوليدية إلى التحويلية.

التحويل بتقديم الخبر ناهض على نوعين إجباري واختياري، وقد أحصينا ثلاث صور لتقديم هذا المسند (الخبر) على بنية تركيبية تحويلية ولهذه التقديمات دلالات على بناء الجملة الاسمية فمنها تسهيل الكلام وتيسير البناء الجملي، ودلالة التقدم مرتبطة بأهمية وعناية وألوية منطقية للمقدم وله أغراض كثيرة تخرج إلى شرعية وجود المقدم الخبر على المبتدأ.

إن تأخير المبتدأ وتقديم الخبر هو عمل واحد في وظيفتين تؤدّيان دلالتين مختلفتين فتأخير الخبر هذا يستدعي اهتماما به وألوية مغايرة لألوية التقديم في حدّ ذاتها—

وقد تكون هي ذاتها أولية التقديم للخبر، وهو اختياري وإجباري كما رأينا في كل أنواع التحويل لاسيما بتأخير المبتدأ في البنية التحويلية الاسمية.

وضح لنا في الفصل الثالث بأنّ البنى التركيبية التحويلية متفرعة من البنى التركيبية التوليدية في قضية حذف المسند(الخبر) من الجملة الاسمية، فالأصل أن يذكر لكنه يخفى من البنية السطحية لدلالات متعددة وأغراض عديدة، بصور مختلفة إجبارية أو اختيارية، وشاهدنا ثلاث صور للتحويل الإجباري للخبر، ونلمع إلى أن الإعراب زادنا فهما كبيرا للقرآن الكريم وأضاء لنا حدود التحويلات.

يمكن للغة العربية أن تستفيد من النظرية التحويلية في عكس آلية عمل القواعد التحويلية في تلمس المنطق النحوي لعملية الحذف أو الإسقاط التي تقع على الخبر فتغير بنية التركيب التوليدي الاسمي وتوجه دلالاته باختلاف وجوده في الجملة، وعرض فرضية عملها على القرآن الكريم بوصفه نصًا مؤهلاً لوجود كل أنواع التحويل في الجملة الاسمية والفعلية على حدّ السواء.

في الفصل الرابع تبين لنا إنّ "الاستبدال باب من أبواب التكافؤ، وهو بالجملة الموصولية ظاهر جليّ؛ لأن اختيار ذكر الاسم الموصول له دلالاته وغرضه، والبنية العميقة قاضية بتوجيهه وظائف التراكيب لماذا تبنى على هذا النسق مع أنه يحتوي متشابهات من مثله، كما نستخلص من مبحث التحويل بالاستبدال في الجملة الموصولية أنه جاء في ربع مريم في ثماني وظائف تحويلية، لها دلالاتها المختلفة حسب سياقات السورة، وهي وظيفة الفاعل والخبر والمبتدأ وهي عناصر ثلاثة تتصل بعمدتي الإسناد في الجملة الفعلية والاسمية، كما جاء مؤديا وظيفة اسم إن والاسم المجرور والمستثنى والمضاف والمفعول به، وما لحظ-أيضا- أنه توارد بمختلف الأسماء الموصولة، وهي: (من وما وكثر ورودهما والذي)، واتّصلت بالأسماء الموصولة ما؛ أدغمت فيها مثل "عما".

إنّ الأولى في دراسة صور الفاعل والخبر والمبتدأ؛ لأن هذه العناصر الثلاثة هي مكونات الإسناد الفعلي والاسمي، أمّا العناصر الأخرى فهي إضافات إلى البنيتين الأساسين للجملة الاسمية وهما المبتدأ والخبر، أو البنيتين الأساسين للجملة الفعلية وهما الفعل والفاعل.

إنّ الكلم العربي مقسّم ثلاثة أقسام وهي: اسم وفعل وحرف له دلالاته ووظيفته فالاسم الموصول بنية لها وظائف متنوعة، بل يمكن أن تكون مؤشرا حقيقيا على صورة من صور الإعجاز القرآني، هذا ما أورد الرافعي في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم و على كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة، وليس في اسم موصل واحد وإنما في الأسماء الموصولة الأخرى التي لها دلالاتها في حد ذاتها ثم مع سياقها التحويلي أي بعد التحاقها بصلتها وتشكل البنى التحويلية.

فإن نكن أصبنا الصواب فذلك مرجونا ومنشودنا، وإن نكن أخطأنا فما نطمئن إليه أننا حاولنا وعلى الله قصد السبيل، و ما توفيقنا إلا بالله.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الإمامين الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد المحلى (791-864هـ))، و(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(894-911هـ))، مذيلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، مكتبة العلم الحديث، الحلبوني- دمشق- سوريا، 2001.
 2. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، مذيلاً بأسباب النزول للسيوطي، دار القدس للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1986.
 3. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، بالرسم العثماني وبهامشه تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، مذيلاً بأسباب النزول للسيوطي، دار القدس للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، د ط، 2011.
- التفاسير:**
4. أحمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، أعدّه: أنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، ط2، 2005.
 5. الأخفش الأوسط (أبي الحسن سعيد بن مسعد (ت215هـ))، معاني القرآن للأخفش، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ج2، 1411هـ - 1990 م.
 6. الألوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نسخة محققة، د ط، ج9، 1415هـ.
 7. البغوي (أبو محمد بن حسين مسعود (510هـ))، معالم التنزيل "تفسير البغوي"، حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله بن النمر عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط4، ج5، 1997.

8. البيضاويّ (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي)، تفسير البيضاويّ، دار الفكر، بيروت- لبنان، د ط ج4، د ت.
9. الثعلبيّ (أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوريّ) (القرن الخامس))، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربيّ بيروت- لبنان، ج7، 1422هـ.
10. الثوريّ (أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفيّ) (ت161هـ))، تفسير الثوريّ، تحقيق امتياز عليّ عرشيّ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1983.
11. أبو حيان الأندلسيّ (محمد بن يوسف الغرناطيّ) (ت745هـ))، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمد عوض، شارك في تحقيقه: زكريا عبد المجيد النوفيّ، أحمد النجوليّ الجمل، قرضه: عبد الحيّ القرماذيّ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، ج1، 1993.
12. السّديّ (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت1376هـ))، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحيّ، مؤسسة الرسالة، ط1، ج1، 2000.
13. السّمعانيّ (أبو المظفر منصور بن محمّد بن عبد الجبار (ت426هـ-489))، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عبّاس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، د ط، ج2، 1997.
14. السّمين الحلبيّ (شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد ابن إبراهيم (ت756هـ))، الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق- سوريا، الباب36، ج1.
15. السيوطيّ (عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ))، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر مصر، د ط، مج2، ج2-15، 2003.
16. السيوطيّ (عبد الرحمن بن كمال جلال الدين (ت911هـ))، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة السعوديّة، ج1.

17. الشعراوي (محمد متولي)، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة، إدارة الكتب والمكتبات، مصر، د.ط، مج15، من 99 سورة الكهف إلى 09 سورة الأنبياء، 1991.
18. الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت1393هـ))، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، ج5، 1995.
19. الطاهر بن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (ت1393هـ))، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ط1، ج17، 22، 2000.
20. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت310هـ))، جامع البيان في تأويل القرآن، "تفسير الطبري"، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، ج19-20، 2000.
21. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت310هـ))، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: مكتب التحقيق بدار هجر، دار هجر، ط1، مج12، ج17.
22. عبد الحميد بن باديس، مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير (تفسير ابن باديس)، جمع وترتيب وإعداد ومراجعة وتعليق: محمد الصالح رمضان وتوفيق محمد شاهين، دار الكتاب الجزائري الجزائر، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة- مصر، د.ط، 1964.
23. غلام الثعلب (أبو عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف (ت261هـ-345هـ))، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، حققه وقدم له: محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، د.ط، ج1، 2002.
24. القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت671هـ))، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، ج13، 2003.

25. القماش (عبد الرحمن بن محمد)، الحاوي في تفسير القرآن الكريم، (جَنَّةُ الْمُشْتَقِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ)، الإصدار الأول، ج599، 2009.
26. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ))، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط1، مج1، 1419 هـ.
27. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري)، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيّد عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3.
28. ابن المثنى (أبي عبيدة معمر (ت210هـ))، مجاز القرآن، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ج2، دت.
29. المظهري (محمد ثناء الله العثماني (القرن13))، تفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي تونسي، مكتبة الرّاشدية، باكستان، دار إحياء التّراث العربي، بيروت- لبنان، ج1، 2004.
30. الولاء البلخي (أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي)، التفسير، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، ج1، 2003.
31. وهبة بن مصطفى الزّحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق- سوريا، ط2، ج20، 1418هـ.
- الكتب العربية:**
32. إبراهيم إبراهيم بركات، النحو العربي، دار النشر للجامعات، القاهرة- مصر، ط1، 2007.
33. إبراهيم الأبياري (القرن 15)، الموسوعة القرآنيّة، مؤسّسة سجل العرب، دط، ج1، 1405هـ.
34. إبراهيم قلّاتي، شرح المكوديّ على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، دط، 2007.
35. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، القاهرة، مصر، ط2، 1992.

36. ابن الأثير (أبو الفتح نصر الله ضياء الدين بن أبي الكرم) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مطبعة نهضة مصر، مصر، ط1، ج2، 1960.
37. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط2، 2010.
38. أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، الرباط- المغرب، 1990.
39. أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، تحقيق محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت- لبنان، د ط، 2009.
40. أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبدیع، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د ط، د ت.
41. أحمد بن محمد الخراط، المجتبی من مشكل إعراب القرآن ، د ط، ج1، د ت.
42. أحمد مختار عمر، تقديم ومراجعة" في أصول اللغة"، الجزء الرابع:القرارات التي صدرت في الدورات من الثامنة والأربعين إلى الثامنة والسّتين، مجمع اللغة العربية، مصر، ط1، 2003.
43. الأخفش (أبو سعيد بن مسعدة الأوسط(ت215ه))، معاني القرآن، ج3.
44. الإسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن)، شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، طبعة جديدة مصحّحة ومذيّلة بتعليقات مفيدة، ط2، ج2-4، 1996.
45. أشرف السّعيد السّيد خضر، التقديم والتأخير في بناء الجملة عند سيبويه في ضوء الدّراسات اللغوية الحديثة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
46. الأشموني (علي بن عيسى أبو الحسن نور الدّين الشافعي(838 ت900ه))، شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك (منهج السّالك إلى ألفيّة ابن مالك)، حقّقه وشرح شواهد: محمد محي الدّين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، مصر، ط2، طبعة منقّحة ومزيدة، ج2، د ت.

47. أحمد الملاح، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2009.
48. أمين علي السيّد، في علم النحو، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، ج2، 1994.
49. الأنباري (عبد الرحمن بن عبد الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد أبو بركات)، أسرار العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، ج1، 1995.
50. الأندرابي (أحمد بن أبي عمر) (ت 470هـ)) ، قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين، تحقيق وتقديم: أحمد ناصيف الجنابي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1986.
51. أيمن الشوّاء، الجامع لإعراب جمل القرآن، اختاره من أوثق كتب الأعراب ، قدم له، كريم راجح ومصطفى سعيد الخن وعبد الرزاق الحلبي وأسامة عبد الكريم الرفاعي، مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا، دار الفيحاء، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
52. البغوي(أبو حسين محمد بن مسعود) (ت 510هـ)) ، تفسير معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، الباب21، ج5-6، 1997.
53. أبو بكر علي عبد العليم، دروس في الإعراب للطلاب والمتعلمين في مختلف المراحل التعليمية، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 2002.
54. بهجت عبد الواحد صالح، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، مج7، د ت.
55. التّجيبّي(أبو يحيى محمد بن صمّاح (ت419هـ))، القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري، مذيلاً بأسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحديّ النّيسابوريّ، مكتبة المنصورة، القاهرة- مصر، 2009.
56. تّمّام حسان، الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1981.

57. تَمَّام حسان، البيان في روائع القرآن؛ دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ج1، ط2، 1420هـ-2000.
58. توفيق الزبيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، دار العربية للكتاب، تونس، 1984.
59. تيمية(تقي الدين)، الإيمان، تحقيق: ماهر عبد الغني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2004.
60. تيمية(تقي الدين)، رسالة في الحقيقة والمجاز، فصل في اختلاف الأصوليين في اشتغال اللغة على الأسماء، مكتبة المشكاة الإسلامية، د ط، ج20، د ت.
61. ثامر إبراهيم المصاورة، مقصودات نحوية وصرفية، طبعة جديدة ومنقحة، ج1، 2006-2007.
62. الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر(255هـ))، البيان والتبيين، دار إحياء التراث العربي، دار الفكر للجميع، بيروت- لبنان، ج1، 1968.
63. الجاوي (محمد بن عمر نوي البننتي إقليما، التتاري بلدا)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د-ط، ج2، 1417هـ.
64. الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمد النّحوي(ت471هـ أو 474هـ))، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمّد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة، مصر، دار المدني بجدّة، المملكة العربية السّعودية، مكتبة الخانجي للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1992.
65. الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي(ت471 أو 474هـ))، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط5، 2004.
66. جمال الدين عبد الله الأنصاري (761 هـ))، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، ج1، د ت.

67. جمال بن الشيخ، المرجع في قواعد الإملاء، ملحق جداول تصريف الأفعال، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، عين مليلة، أم البواقي، الجزائر، د ط، 2001.
68. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، بإشراف أحمد مشاري العدوان، 1987.
69. الجنّي (أبو الفتح عثمان (321 أو 322-392هـ))، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، دار الكتب المصرية-القسم الأدبي، مصر، د ط، ج1، 1952.
70. الحاج صالح (الحاج عبد الرحمن)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د ط، 2007.
71. حسام البهنساوي، أنظمة الربط في اللغة العربية-دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2003.
72. حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية "دراسات تطبيقية"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ط1، 2004.
73. حسن نور الدين، الدليل إلى قواعد اللغة العربية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
74. الخطاب (أبو عبد الله محمد بن محمد الرّعينب المالكي (ت945هـ))، متممة متن الأجروميّة في علم العربية، اعتنى بها علي بن عبد الله السّلم، دار الصّميعي للنّشر والتّوزيع، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 2013.
75. أبو حفص (عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت 880 هـ))، تفسير اللباب لابن عادل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د ط، ج1، د ت.
76. حفني ناصف و محمد دياب و مصطفى طمّوم و محمد صالح، الدّروس النّحويّة، دار العقيدة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، د-ط، 2007.
77. حنفي بن ناصر ومختار لزعر، اللسانيات؛ منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2010.

78. خليل أحمد عميرة، في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1987.
79. الخواص (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبّاد بن شعيب القنائي (ت858هـ))، الكافي في علمي العروض والقوافي، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2006.
80. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، ط2، طبعة منقحة، 2000-2006.
81. أبو داود (هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني) (275 هـ))، سنن المصطفى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، دت.
82. الدّحاح أبو فارس، شرح ألفيّة ابن مالك، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السّعوديّة، د ط، 1424هـ.
83. الدرامي (عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد)، سنن الدارمي، تحقيق: أحمد فواز زمرلي وخالد السبع العلمي، والأحاديث مذيّلة بأحكام حسين أسد عليها، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ.
84. رابح بوحوش، التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري-تطبيقات على النظرية التوليدية التحويلية لـ(تشومسكي)، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط1، 2006.
85. رابح بومعزة، البنية العميقة لصور التحويل بالترتيب والزيادة، الربع الثاني من القرآن الكريم نموذجاً، جامعة الملك عبد العزيز، جدّة، المملكة العربية السعودية، ط1، 2014.
86. رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، مفهومه أنواعه صورته؛ البنية العميقة للصيغ والتركيب المحولة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، عمان، ط1، 2008.
87. رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي، مفهومه-أنواعه-صورته، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، جرمانا، ط1، 2008.

88. رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي؛ مفهومه-أنواعه صورته؛ البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمّان الأردن. ودار "عالم الكتب الحديث" إربد الأردن، ط1، 2007.
89. رابح بومعزة، الجملة الوظيفية في القرآن الكريم؛ صورها-بنيتها العميقة-توجيهها الدلالي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن-جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، ط1، 2009.
90. رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، جرمانا، سوريا، د ط، 2008.
91. رابح بومعزة، تيسير تعليمية النحو رؤية في أساليب تطوير العملية التعليمية من منظور النظرية اللغوية، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
92. رابح بومعزة، نظرية النحو العربي ورؤيتها لتحليل البنى اللغوية، عالم الكتب الحديث، Modern Book's World، إربد الأردن، ط1، 2011.
93. الرّازي (محمد بن عمر المعروف بفخر الدين)، مفاتيح الغيب، نسخة محققة، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الجزء24.
94. الرديني(محمد علي عبد الكريم)، مباحث لغوية) الحركة الجسمية في القرآن الكريم المحاولات النقدية للمعجمات القديمة الحديثة علم اللغة وعلم الكينات)، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2009.
95. رشيد بوزيان، الموازنة بين نحو سيبويه ونحو تشومسكي، (دراسة في مكونات التباين والترادف والتكامل)، د ط، ج1، د ت.
96. رشيدة العلوي كمال، النحو التوليدي، بعض الأسس النظرية والمنهجية، منشورات ضفاف والاختلاف-الرباط، المغرب، ط1، 2014.
97. رشيدة عبد الحميد اللقاني، حروف الجر الزائدة، دار المعرفة الرسائل الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1990.

98. رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي التحويلي دراسة وصفية وتاريخية منحني تطبيقي في تركيب الجملة في السبع الطوال الجاهلية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2009.
99. رفعت كاظم السوداني، المنهج التوليدي والتحويلي؛ دراسة وصفية وتاريخية؛ منحني تطبيقي في تراكيب الجملة في السبع الطوال الجاهليات، دار دجلة ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2009.
100. الزجاجي (أبو محمد القاسم عبد الرحمن بن إسحاق)، كتاب الجمل، حققه وقدم له علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، دار الأمل، إربد- الأردن، ط2، 1405هـ-1985.
101. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت794هـ))، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربي عيسى البابي الحلبي وشركاه، ثم صورته دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، ج1، 1957.
102. الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، مج3، 1957.
103. الزمخشري (جار الله بن القاسم محمود بن عمر (467-538هـ))، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق و تعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في تحقيقه فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، دار العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ج4، 1998هـ.
104. الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط1، ج1، 1993.
105. ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي (316هـ))، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط3، ج1، 1996.
106. سليمان فياض، النحو العصري؛ دليل مبسط لقواعد اللغة العربية مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر، ط1، 1995.

107. سميح عاطف الزّين، الإعراب في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
108. سيبويه (أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ))، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار النشر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1.
109. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (180هـ))، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، ج1، 1977-1980.
110. سيد سليمان عليان، في النحو المقارن بين العربية والعبرية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2002.
111. سيّد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط32، ج4، 2003.
112. شرف الدين علي الراجحين، الابتداء بالنكرة في القرآن الكريم، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 1991.
113. شعبان صلاح، تصريف الأفعال في اللغة العربية، د.ط، د.ت.
114. شعبان عوض محمد العبيدي، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة فاز يونس، بنغازي- ليبيا، ط1، 1999.
115. شوقي المعري، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار الحارث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
116. الشيخليّ (بهجت عبد الواحد) ، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعرابا وتفسيرا بإيجاز، مكتبة دنديس، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، مج6، 2001.
117. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2003.
118. صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانيّة، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2004.
119. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط24، 2000.
120. صبري إبراهيم السيّد، لغة القرآن الكريم في سورة النور-دراسة في التركيب النحوي، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، مصر، د-ط، 1994.

121. طاهر سليمان حمّودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغويّ، الدار الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، د ط، 1998.
122. الطلحي (ردة الله بن ردة بن ضيف الله)، دلالة السياق، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي الجامعي، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، مكتبة فهد الوطنية أثناء النشر، ط1، 1423هـ.
123. عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، د ت.
124. عبد الحليم بن عيسى، البنية التركيبية للتركيب اللساني، منشورات دار الأديب، وهران - الجزائر، د ط، 2006.
125. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د ط، 2007.
126. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (1316-1396هـ)، حاشية الأجروميّة، ط1، 1988.
127. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السّدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسّسة الرّسالة، ط1، ج1، 2000.
128. عبد الرحمن طه، المنطق والنحو الصوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
129. عبد الرحمن محمد بن محمد القمّاش، الحاوي في تفسير القرآن الكريم (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق)، الإمارات العربية المتحدة، الإصدار الأول، ج556، 2009.
130. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات؛ عربي فرنسي، فرنسي عربي، مع مقدّمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، 1984.
131. عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر، د ط، 2006.

132. عبد العزيز محمد فاخر، توضيح النحو شرح ابن عقيل وربطه بالأساليب الحديثة والتطبيق مقرّر الصّفّ الثالث الثانوي علمي وأدبي حسب المنهج المقرّر، مطبعة السعادة، مصر، طبعة جديدة ومنقحة، مج1.
133. عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت.
134. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية؛ نماذج تركيبية ودلالية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، فرنسا، ط1، 1986.
135. عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
136. عبد الكريم مقيدش، مذكرة في أحكام التجويد؛ برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، تقديم كريم راجح، مكتبة اقرأ، قسنطينة- الجزائر، ط1، 2008.
137. عبد اللطيف بن محمد الخطيب، متن ألفية ابن مالك، ضبط وتعليق، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2006.
138. عبد النعيم محمد حسين، قواعد اللغة الفارسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1970.
139. عبده الرّاجحي، التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 2000.
140. عبده الرّاجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د ط، 1979.
141. عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الإعلام، عمّان، الأردن، ط1، 2005.
142. ابن العربي (القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ))، أحكام القرآن، ج5.
143. عزام محمد ذيب إشريده، دور الرتبة المنزلة والمواقع في الظاهرة النحوية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ط1، 2004.

144. عزيز خليل محمود، المفصل في النحو والإعراب، إعداد بأسلوب سهل متطور مع الشواهد الإعرابية، ج3، الحروف والظروف والأدوات، دار نوميديا للنشر والإشهار، عين مليلة، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، د ط، 1987.
145. ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد النحوي الحضرمي الإشبيلي (597-669هـ))، ضرائر الشعر، تحقيق السيّد إبراهيم محمّد، دار الأندلس للطباعة والنشر ط1، 1980.
146. ابن عقيل (بهاء الدين بن عبد الله العقيلي المصري الهمداني (698-768هـ))، شرح ابن عقيل على ألفية أبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك (600-672هـ)) ومعه كتاب "منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 20، الطبعة الشرعية والوحيدة والمتعاقد عليها، 1970، دار التراث للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، مصر، ج1.
147. العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (538هـ - 616هـ))، التبيان في إعراب القرآن، دار الفكر، د ط، ج 2، 2001.
148. العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (538هـ - 616هـ))، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية، لاهور باكستان، د ط، ج1، د ت.
149. العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت616هـ))، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: محمد علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، - مصر، ج2.
150. علي أبو المكارم، التراكيب الإسنادية، الجمل: "الظرفية-الوصفية-الشرطية"، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
151. علي أبو المكارم، الحذف والتقدير في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007.
152. علي بن نايف الشحود، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ج1.

153. علي رضا، المختار في قواعد النحو والإعراب، كتاب وضع للمتقنين كافة، مكتبة دار الشروق، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
154. غازي يموت، بحور الشعر العربي، عروض الخليل، دار الفكر اللبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1992.
155. غالب المطلبي، في علم اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د ط، 1986.
156. فاضل الصالح السامرائي، معاني الأبنية العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط2، 2008.
157. فاضل الصالح السامرائي، معاني النحو، المجلد الأول، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007.
158. الفراء (أبو زكرياء يحيى بن زياد (ت207هـ))، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ج2، د ت.
159. الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
160. فردينان دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ط، 1986.
161. فوزي زكي، نظمي فاروق الدجوي، يوسف عبد الواحد، Modern English Grammar with Objective Tests لجميع دارسي ودارسات اللغة الإنجليزية، مطابع الدجوي، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
162. أبو القاسم الشَّابِّي، الديوان، قدّم له وشرحه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون-دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2005.
163. قاسم حميدان دعّاس (القرن15)، إعراب القرآن الكريم، دار المنير و دار الفارابي، دمشق-سورية، د ط، ج2، 1425هـ.

164. الكافيحي (محي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود، الرومي الحنفي(788-879هـ)) ، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق فخر الدين قباوة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق-سوريا، ط3، 1996.
165. ابن كمال الباشا(شمس الدين أحمد بن سليمان)، أسرار النحو، تحقيق أحمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2002.
166. مازن المبارك، الجملة بين النحو والمعاني، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 1410-1989.
167. مازن موفق صديق الخيرو، الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني(الالتفات نموذجاً)، مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا، ط1، 2010.
168. المالقي(أحمد بن عبد النور (706هـ))، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق سوريا، ط3، 2002.
169. المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد(ت 205هـ))، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ج3، 1963.
170. المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة-مصر، ج1، 1968.
171. محمد أبو موسى، كتابه دلالات التركيب دراسة بلاغية، القاهرة، مصر، د ط، 1979.
172. محمد أحمد خضير، الأدوات النحوية ودلالاتها في القرآن الكريم، مكتبة الإنجلو المصرية، مطبعة محمد عبد الكريم، القاهرة، مصر، د ط، 2001.
173. محمد الأوزاعي، اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010.
174. محمد العبد، المفارقة القرآنية؛ دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2006.

175. محمد بشار بن عبد الرزاق تاجي، تعلم الإعراب في أصغر كتاب، مدخل إلى الإعراب، أساسياته أصوله، مبادئه، وبذيله الإملاء-المعجمات-الموضع المتميز، وزارة الإعلام، دمشق-سوريا، ط4، 2005.
176. محمد حسين علي الصّغير، تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، موسوعة الدراسات القرآنية، د ط، د ت.
177. محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، د ت.
178. محمد ذنون يونس، مشكلة زيادة المبنى ودلالاتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم، جامعة الموصل، العراق، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها. كمال جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن.
179. محمد سيّد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النشر الفجالة، القاهرة، مصر، د-ط، ج1، د ت.
180. محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكري، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، القسم الأول، ج1، 1972.
181. محمد عبد العزيز النّجار، التّوضيح والتّكميل لشرح ابن عقيل، مكتبة ابن تيمية وتوزيعها، القاهرة-مصر، ط1، ج1، 2003.
182. محمد عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبّود، منهج البحث الأدبي واللغوي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، ط1، 2010.
183. محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر، دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفق قرارات مجمع اللغة العربية، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، د ط، 1996.
184. محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر، دراسة في القواعد والمعاني والإعراب تجمع بين الأصالة والمعاصرة-وفق مقرّرات اللغة العربية-، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، د ط، 1996.

185. محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 1989.
186. محمد محمد أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي؛ دراسة نقدية تحليلية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2002.
187. محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، دار التضامن، القاهرة، مصر، ط2، 1987.
188. محمد محمود القاضي، إشراف كمال محمد بشر، عبد الغفار حامد هلال، إعراب القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010.
189. محمد محي الدين عبد الحميد إبراهيم، شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك، والمسمّى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، مصر، ط2، ج2، 1949.
190. محمد محيي الدين عبد الحميد إبراهيم، شرح ابن عقيل؛ قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (698- 797 هـ) على ألفية الإمام: أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك (600- 672هـ) ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، نشر وتوزيع دار التراث، القاهرة، مصر، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة الشرعية والوحيدة والمتعاقد عليها: ط20، ج1، 1980.
191. محمد يوسف السّعال، هندسة النحو العربي، مطبعة المعريّ، حلب الحميدية، سوريا، ط1، 1971.
192. محمود بن عبد الرحيم صافي (ت1376هـ)، الجدول في إعراب القرآن وصرف وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق-سوريا، بيروت- لبنان، مؤسسة الإيمان، بيروت لبنان، طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد، مج8، ج16.
193. محمود بن عبد الرحيم صافي (ت1376هـ)، الجدول في إعراب القرآن، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، دمشق، سوريا، ط4، ج17، 1418هـ.
194. محمود سليمان ياقوت، أصول النحو العربي، دار عباد الرحمن، ط1، 2010.

195. محمود سليمان ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2009.
196. محمود عبد السلام شرف الدين، الإعراب والتركيب بين الشكل والبنية، دراسة تفسيرية، دار مرجان للطباعة، القاهرة- مصر، ط1، 1984.
197. محمود محمود حسني مغالسة، النحو الشافي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط3، 1997.
198. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، الجزء 16.
199. محي الدين بن أحمد مصطفى درويش (1908-1982م)، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، ط7، طبعة منقحة ومصححة ومفهرسة، تنضيد جديد، ج16، 1999.
200. محي الدين محسب، علم الدلالة عند العرب، فخر الدين الرازي نموذجاً، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008.
201. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، راجعه: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية - بيروت، ط28، ج1، 1414 هـ - 1993 م.
202. مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
203. مصطفى غلفان، بمشاركة أحمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث World Modern Book، إربد الأردن، ط1، 2010.
204. معصومة عبد الصاحب محمد حسن، الجمل الفرعية في اللغة العربية؛ بين تحليل سيبويه، ونظرية تشومسكي التوليدية التحويلية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، د ط، 2008.

205. ابن منظور، (جمال الدين محمد بن مكرم، (ت711هـ))، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، مادة-حذف-.
206. موسى بن مصطفى العبيدان، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين، دار الأوتل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، دمشق سورية، ط1، 2002.
207. ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، بيروت- لبنان، ط2، 1986.
208. ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
209. ميشال زكرياء، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط11، 1993.
210. نافع الجوهرى الخفاجي، المختصر في النحو(الزهور النديّة في الدروس النحويّة)، تحقيق ومراجعة: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الآداب(علي حسن)، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
211. النّحاس(أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المراديّ النّحوي (ت 338 هـ))، معاني القرآن الكريم، تحقيق محمد علي الصّابوني، جامعة أم القرى، مكّة المكرمة، ط1، ج5، 1409هـ.
212. النّحاس(أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المراديّ النّحوي (ت 338 هـ))، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة مصر، ط2، ج3، 1985.
213. نصر الدّين فارس و عبد الجليل زكرياء، المنصف في النّحو واللغة والإعراب، دار المعارف، حمص، سوريا، ط2، 1990.
214. نعيم الحمصي، فكرة أعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1980.

215. ابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، شركة أبنا شريف الأنصاري، صيدة، بيروت- لبنان، ج2، 1991.
216. يحي بن حمزة العلوي، الطراز، مطبعة المقتطف، مصر، د ط، ج2، 1914.
217. ابن يعيش (ابن علي النحوي (643هـ))، شرح المفصل، صحح وعلق: عليه حواشٍ نفيسة بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، طبع إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده آغا الدمشقي ونشرها، مصر، د ط، ج3-6، د ت.
- المجلات والدوريات:**
218. بلقاسم دفة، النحو العربي بين التقليد والمناهج اللسانية الحديثة، مجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد الخامس، مارس 2006.
219. رابح بومعزة، البنية العميقة لصور التحويل بالترتيب والزيادة -الربع الثاني من القرآن الكريم أنموذجا، مقال منشور في مجلة كلية الآداب واللغات-جامعة محمد خيضر ببسكرة-الجزائر، دورية علمية محكمة، العدد السادس عشر، 2014.
220. عاطف فضل، ظاهرة حذف المفعول به؛ دراسة وصفية إحصائية تحليلية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد9، العدد الأول، ديسمبر 2013.
221. عبد القادر الفاسي الفهري و محمد غاليم و أحمد عقال و خالد الأشهب و عائشة الناصري و عبد الفتاح حمداني؛ مجلة أبحاث لسانية، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط التابع لجامعة الملك محمد الخامس، المجلد1، العدد الأول، مارس 1996.
222. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات المقارنة واللغات في المغرب، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم51، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.

223. عبد الوهاب زكريا وأحمد مجدي مت صالح، ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي؛ دراسة تحليلية في القرآن الكريم، مجلة التجديد، إصدار الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مج11، العدد الثاني والعشرون، 2007.
224. محمد مغناجي، مقال "جهود عبد القادر الفاسي الفهريّ في مقارنة المصطلحات اللسانية التحويلية، وتطوير المفاهيم اللسانية في المغرب والدول العربي"، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي من 3-4-5 ديسمبر 2012، الجزء2، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات، بجامعة مولود معمري بتيزي وزو، الجزائر.
225. مزيد إسماعيل نعيم روفائيل أنيس مرجان، أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي، مقال منشور بمجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1) 2006، Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research Arts and Humanities Series Vol. (28) No (1) 2006.
- الكتب المترجمة:**
226. هاري فان درهالست، نورفال سميث، الفونولوجيا التوليدية الحديثة، ترجمة: مبارك حنون وأحمد العلوي، منشورات "دراسات سيميائية أدبية لسانية، دراسات سال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.
227. نعوم تشومسكي Noam Chomsky، اللسانيات التوليدية؛ من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة وتقديم: محمد الرّحالي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
228. نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة: عدنان حسين، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2009.
229. نعوم تشومسكي، البنى النحوية (Syntactic Structures)، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، دار عيون بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1987.

230. نعوم تشومسكيّ، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة وتعليق وتقديم: محمد فتّيح، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط1، 1993.
231. لويس جان كالفي "Louis-Jean Calvet"، علم الاجتماع اللغوي "La sociolinguistique"، ترجمة: محمد يحياتن، دار القصة للنشر، الجزائر، د ط، 2006.
232. ستيفن بنكر "Steven pinker": الغريزة اللغوية "The Language Instinct"؛ كيف يبذل العقل اللّغة، تعريب: حمزة بن قبالن المزيني، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربيّة السّعودية، الطبعة العربية، 2000.
233. جون ليونز، تشومسكيّ، ترجمة: محمد زياد كبة، منشورات النادي الأدبي الرياض المملكة العربية السعودية، د ط، 1987.
234. جون ليونز، نظرية تشومسكيّ اللغوية، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2011.
235. د. جاكيندوف، ن. تشومسكيّ، ف. فنذر، دلالة اللّغة وتصميمها، ترجمة: محمد غاليم ومحمد الرّحاليّ وعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د ط، د ت.
236. تون. إ. فان دايك، علم النص؛ مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيريّ، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
237. أندري مارتنّي (Andre Martinet)، مبادئ في اللّسانيات العامة "Elément de linguistique général"، ترجمة: سعديّ زبير، دار الآفاق، د ط، د ت.
238. بريجيتيه بارتشت، مناهج علم اللّغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكيّ، ترجمة: سعيد حسن البحيريّ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1؛ طبعة منقحة ومزيدة، 2004.
- الرسائل والأطروحات:

239. رابح بومعزة، تصنيف لصور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية وتيسير تعلمها في المرحلة الثانوية من خلال القرآن الكريم والمنهاج الوزاري، رسالة مخطوطة لنيل

- شهادة الدكتوراه، إشراف الزبير سعديّ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004-2005.
240. غيّات محمد بابو، الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، العام الدراسي: 2008-2009.
241. محمد الطاهر الحمصيّ، الجملة بين النحو والمعاني، إشراف الدكتور مازن المبارك، رسالة مقدّمة لنيل الدكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمشق، سوريا، 1410هـ-1989.

الكتب الأجنبية:

242. André Martinet, Elément de linguistique général, Armand colin, Paris, France, Quatrième édition, Deuxième tirage, 1998.
243. Edward Sapir, Linguistique, Traduit de l'anglais par Jean-Elie Boltanski et Nicole Soulé-Susbielle, Présentation de Jean-Elie boltanski, Collection Folio/Essais; Les Edition de Minuit, 1968.
244. Julia ,S. Falk, linguistics and language, second edition, john Wiley et dongs, u.s.a ; 1978.
245. Langacker Ronald, Fundamentals of linguistic analysis –New York: Harcourt brace Jovanovich, 1972.
246. Noam Chomsky, Aspects Of Theory Of Syntax, The Mit Press Massachusetts Institute Of Technology Cambridge, Massachusetts, 1965.

المواقع الإلكترونية:

- http://www.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=328&idto=338&bk_no=69&ID=23.
- منتديات أقلام نت، مقالة التحويل عند هاريس وتشومسكي، الأحد ديسمبر 05-2010 في الساعة 6 و 27 دقيقة:.. شوهد الموقع يوم الإثنين 14 رمضان 1432هـ الموافق لـ 14-08-2011، في الساعة الثانية عشرة وثمان وخمسين دقيقة، واثنين وثلاثين ثانية ليلا.

- [Http//morjan.30loum.com/t1229-topic](http://morjan.30loum.com/t1229-topic)

بلقاسم أيوبي، اللغة العربية والبحث العلمي الجامعي في الوطن العربي، أستاذ اللسانيات التطبيقية وعضو هيئة التدريس بمعهد اللغة العربية للناطقين بغيرها، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بالمملكة السعودية، والنص من محاضرة ألقاها بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر 2013. منقول من موقع العرفان للاستشارات التربوية والتطوير المهني: الصفحة الرئيسية، تاريخ الدخول للموقع 2015-01-13 في الساعة الرابعة وثلاث عشرة دقيقة مساءً:

- <http://www.al-erfan.com/index.php/1/146>.

فهرس الموضوعات

أول	مقدمة.....
14	مهاد الدراسة.....
20	1- القواعد التحويلية الإلبارية.....
20	2- القواعد التحويلية الإلتيارية.....
20	3- العلاقات الاللية التركيبة داخل اللملة.....
23	4- مفهوم التحويل.....
37	4-1- استرداد تاريخي لتطور مفهوم التحويل.....
37	4-1-1- عند زغيلغ هاريس.....
38	4-1-2- عند تشومسكي.....
43	- أقسام التحويل عند تشومسكي.....
40	4-1-3- مفهوم التوجيه الاللي (التعليل الاللي كما يقول سيويه):.....
48	5- مفهوم البناء:.....
49	5-1- البنى التركيبة التوليدية والتحويلية.....
56	6- الوحدة الاللية.....
57	6-1- البنية العميقة للتراكيب النحوية التحويلية.....
61	6-2- البنية السطحية للتراكيب النحوية التحويلية.....
66	7- اللسانيات القرآنية (علم اللسان القرآني).....
71	8- قابلية اللغة العربية للنظرية اللسانية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها.....
74	9- بسط تاريخي حول النظرية التحويلية التوليدية.....
89	9-1- التحويل في اللغة الإنلجيزية.....
91	9-2- التحويل في اللغة العربية.....
94	اللاة.....

الباب الأول: التوجيه الدلالي للتحويل في صور التراكيب التي يكون المسند فيها
فعلا

الفصل الأول: صورة التحويل بالزيادة ودلالة الغرض

- 111 مفهوم الزيادة:
- 113 أولاً: صور التحويل بالزيادة التي لغرض النفي بأنواعه
- 113 1- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "لا":
- 113 2- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "لم":
- 114 3- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "ما":
- 115 4- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "لن":
- 115 5- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "ليس":
- 115 6- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "إن" التي بمعنى لا أو ليس:
- 116 7- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "هل" التي بمعنى "لا":
- 117 8- تصنيفات التحويل بزيادة أداة النفي "ألا" و "ألا"، وكلاً:
- 118 ثانياً: الزيادة التي لغرض التوكيد: (الإنكار-الطلب) و(الحصر-القصر).
- 118 1- الزيادة التي لغرض التوكيد(الإنكار-الطلب)
- 118 أ- بمؤكّد واحد:
- 118 الصورة الأولى: البنية: قد+ فعل ماض أو مضارع:
- 120 الصورة الثانية: البنية: السّين(س)+ فعل مضارع:
- 120 الصورة الثالثة: البنية: لا الناهية+ فعل مضارع + نون التوكيد الثقيلة:
- 121 ب- بمؤكّدين:
- 121 الصورة الأولى: البنية: اللّام(ل)+ قد+ فعل ماض أو مضارع:
- 121 الصورة الثانية: البنية: اللّام(ل)+ فعل + نون التوكيد:
- 122 الصورة الثالثة: البنية: إمّا+ فعل مضارع + نون التوكيد الثقيلة:
- 122 الصورة الرابعة: البنية: "هل" التي للاستفهام الإنكاري +فعل مضارع أو ماض+نون التوكيد الثقيلة أو المباشرة:

- 123 الصورة الخامسة: البنية: "إذا" + اللام (ل) + فعل ماضي 123
- ج- التوكيد بألفاظ التوكيد: 123
- 2- الزيادة التي لغرض الحصر والقصر: 124
- 1-2- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"إنما" مع الفعل 124
- 2-2- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ "ما" التي للنفي والفعل و"إلا" ، أو "ما" مع "الفاء": 126
- 2-3- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"لا" والفعل المضارع مع "إلا" 127
- 2-4- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ "إنّ التي للنفي" والفعل مع "إلا" التي للقصر 128
- 2-5- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"لم" والفعل المضارع مع "إلا": 129
- 2-6- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بـ"من التي للشرط الجازم" والفعل الماضي مع "الفاء +إن": 129
- 2-7- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بحرف استفهام(هل) + فعل مضارع أو ماضٍ +إلا 129
- 2-8- التحويل بالزيادة لغرض التوكيد بفعل ماضٍ له دلالة الحرف الذي له وظيفة النفي (أبى)+إلا: 130
- ثالثاً: صور التحويل بالزيادة التي لغرض الاستفهام بأنواعه 131
- 1- تصنيفات التحويل بزيادة حرف الاستفهام "هل" 139
- 2- تصنيفات التحويل بزيادة حرف الاستفهام "الهمزة" 139
- 3- تصنيفات التحويل بزيادة أداة "حرف" الاستفهام "لم" 146
- 4- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "كم" 146
- 5- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "ما" 147
- 6- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "من" 147
- 7- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "كيف" 148
- 8- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أم" 149
- 9- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "ماذا" 150
- 10- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "بم" 151

- 11- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أين" 151
- 12- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أنى" 152
- 13- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أينَ" 152
- 14- تصنيفات التحويل بزيادة أداة الاستفهام "أى" 152
- رابعاً: صور التحويل بزيادة النواسخ: 153
- أ- التوجيه الدلالي لصور التحويل في الجملة الاسمية المحضة المجردة 154
- ب- التوجيه الدلالي لصور التحويل في الجملة الاسمية غير المحضة: 155
- 1- التحويل بزيادة النواسخ 155
- أ- التحويل بزيادة "كان وأخواتها" 156
- ب- التحويل بزيادة "إن" وأخواتها: 160
- 2- الجمل الاسمية المحضة المجردة التي دخل عليها فعل من أفعال المقاربة أو الشروع 162
- أ- أفعال المقاربة 162
- ب- الجمل الاسمية المحضة المجردة التي دخل عليها فعل من الأفعال التي تنصب مفعولين؛ أصلهما مبتدأ وخبر 163
- خلاصة الفصل: 169

الفصل الثاني: صور التحويل بالترتيب ودلالة الغرض

- مفهوم الترتيب (قرينة الرتبة): 172
- أولاً: التقديم والتأخير في النحو والبلاغة ودلالاتهما. 172
- 1- التقديم على نية التأخير (التحويل المحلي): 172
- 2- التقديم لا على نية التأخير (التحويل الجذري): 173
- ثانياً: التحويل بالاستبدال والغرض البلاغي: 179
- ثالثاً: التحويل في الجملة الفعلية 180
- 1- التحويل بتقديم الفاعل (المسند إليه) عن الفعل (المسند) بين الكوفيين والبصريين ... 183
- 2- التوجيه الدلالي لتحويل البنى التركيبية المحولة بتقديم المفعول به على الفاعل 192

- 198 أولًا: تصنيف النماذج إلى صور:
 199 أ-التحويل الإجباري:
 203 ب- التحويل الاختياري:
 204 ثانيًا- صور التحويل بتقديم المفعول به على الفاعل وتوجيهها الدلالي
 204 الصورة الأولى الغالبة: المفعول به المحول بالتقديم على الفاعل ظاهر
 211 الصورة الثانية: المفعول به المحول بالتقديم جاء ضمير للمفرد الغائب "هـ":
 217: الصورة الثالثة: المفعول به المحول بالتقديم جاء ضميرًا للجمع المذكر المخاطبين "كم":
 218: الصورة الرابعة: المفعول به المحول بالحذف جاء ضمير المفرد المخاطب "الكاف/ك":
 221 الصورة الخامسة: المفعول به ضمير للمفرد المؤنث الغائب "ها":
 الصورة السادسة: المفعول به المحول بتقديمه على الفاعل ضمير "تا" الدالة على
 222 الجمع المتحدث
 223 الصورة السابعة: المفعول به المقدم اسم موصول مع صلته
 224 الصورة الثامنة: جاء اسما ظاهر بالإجبار
 228 خلاصة الفصل

الفصل الثالث: صور التحويل بالحذف ودلالة الغرض

- 230 أولًا: مفهوم الحذف النحوي في ضوء التحويلية، وتوجيهه الدلالي:
 232 ثانيًا: التحويل الدلالي للتحويل بحذف الفعل:
 235 - صور التحويل بحذف الفعل:
 236 القسم الأول: الحذف في بنية العطف:
 القسم الثاني: وورد الفعل مقدراً محذوفاً من البنية الظاهرة والقرائن السابقة أو اللاحقة
 241 هي التي تدلّ عليه
 249 ثالثًا: إضمار الفاعل (المسند إليه) ونائب الفاعل والدلالة التحويلية
 250 - إضمار الفاعل في المفهوم التحويلي لتشومسكي
 254 1- صور تحويل الفاعل بالإضمار (الحذف)

- 255 أ- التحويل الإجباري
- 255 1- الفاعل المحوّل بإضماره من البنية السطحية:
- 2- تحويل الفاعل بالإضمار "الحذف" حين يكون ضميرا مفردا مذكرا للمخاطب
"أنت": 257
- 225 3- تحويل الفاعل بالإضمار حين يكون ضميرا مفردا مذكرا للمتكلم تقديره (أنا):
- 261 ب- التحويل الإجباري: للأفعال المبنية للفاعل (للمعلوم):
- ج- التحويل الاختياري: الفاعل المحوّل بإضماره من البنية السطحية يكون ضميرا
مستترا (اختيارا) في قاعدة العربية في التخاطب. 263
- 265 1- ضمير المفرد المذكر الغائب وتقديره (هو):
- 2- ضمير المفرد المؤنث الغائب وتقديره (هي): 268
- 271 2- التحويل بحذف المفعول به والدلالة التحويلية:
- أولا- ماهية المفعول به: 272
- ثانيا- صور التحويل بحذف المفعول به في ريع مريم: 277
- الصورة الأولى: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
ضميرا للجمع المذكر الغائب "هم": 278
- الصورة الثانية: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
ضميرا للمفرد المذكر الغائب "ه": 279
- الصورة الثالثة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
ضميرا للمفرد المتكلم (الياء/ي) 280
- الصورة الرابعة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
مقدّرا بلفظ الجلالة (الله): 281
- الصورة الخامسة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
ضميرا للمفرد المتكلم (الياء/ي) 281
- الصورة السادسة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة هو مقدّر
من السياق أو بقرائن الكلام 281

- الصورة السابعة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
 ضميرا للمفرد الغائب المؤنث (ها/هـ): 284
- الصورة الثامنة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
 ضميرا للجمع المخاطب المذكر (كم): 284
- الصورة التاسعة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
 ضميرا للمثنى الغائب (هما): 284
- الصورة العاشرة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة وقد جاء
 ضميرا للمخاطب المفرد (الكاف/ك): 284
- الصورة الحادية عشرة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة قد
 يكون شبه جملة، ظرف مكان (فيه): 285
- الصورة الثانية عشرة: المفعول به محوّل بالحذف في التركيب التحويلي للجملة قد
 يكون شبه جملة (لنا) (لنا): 285
- 4- التحويل بحذف الجملة الفعلية والدلالة التحويلية: 286**
- أ- منطوق تحويل الجملة الفعلية العربية بالحذف: 286
- ب- التوجيه الدلالي صور الجملة الفعلية المحولة بالحذف: 290
- الصورة الأولى: البنية التركيبية للجملة الفعلية الماضية: 293
- الصورة الثانية: البنية التركيبية للجملة الفعلية المضارعية: 294
- الصورة الثالثة: البنية التركيبية للجملة الفعلية الأمرية (فعل الأمر): 296
- 298..... الخلاصة الفصل**

الفصل الرابع: صور التحويل بالاستبدال ودلالة الغرض

- أولا: التوجيه الدلالي للتحويل بالاستبدال بما لم يسم فاعله "أو نائب الفاعل": 300
- صور نائب الفاعل المحوّل بالاستبدال: 301
- الصورة الأولى: نائب الفاعل ضمير متّصل 301
- أ- متّصل بفعل مضارع: 301

- 301ب- متّصل بفعل ماضٍ
- 302الصورة الثانية: نائب الفاعل اسم ظاهر
- 302الصورة الثالثة: نائب الفاعل ضمير مستتر:
- 3011- التحويل بالاستتار الاختياري
- 3032- التحويل بالاستتار الإجباري:
- 303الصورة الرابعة: نائب الفاعل شبه جملة أو وحدة إسنادية.
- الصورة الخامسة: نائب الفاعل محوّل بالاستبدال بالمصدر المؤوّل بالصريح(نيابة
- 304المصدر المؤوّل
- 305الصورة السادسة: نائب الفاعل محوّل بالاستبدال بالجملة الموصولة
- 306الصورة السابعة: نائب الفاعل محوّل بالاستبدال بالجملة الفعلية:
- 307.....ثانيا: التوجيه الدلالي للتحويل بالاستبدال بالمصدر المؤوّل بالصريح:
- 3091- الاسم المجرور
- 3102- المفعول به
- 3123- اسم "كان":
- 3124- عسى
- 3125- الخبر
- 3146- المضاف إليه
- 3157- البدل
- 3158- الفاعل:
- 3169- التمييز
- 31610- المستثنى
- 31711- المبتدأ
- 31712- المفعول لأجله:
- 319.....خلاصة الفصل:
- 320.....خلاصة الباب

الباب الثاني: التوجيه الدلالي للتحويل في صورة التراكيب التي يكون المسند

فيها اسما أو جملة محولة في ربع مريم

الفصل الأول: صور التحويل بالزيادة ودلالة الغرض

- 323 - عن اصر الإسناد: 323
- أولاً- صور الجملة الاسمية المحولة بالزيادة التي لغرض النفي وتوجيهها الدلالي: 325
- 1- صور الجملة الاسمية المحضة المحولة بالزيادة لغرض النفي: 327
- 1-1- صور الجملة الاسمية المحولة بزيادة "ما" النافية، وتوجيهها الدلالي: 327
- الصورة الأولى: التحويل بزيادة "ما" النافية على الضمائر المختلفة: 330
- الصورة الثانية: التحويل بزيادة "ما" النافية على أسماء الإشارة المختلفة: 335
- الصورة الثالثة: التحويل بزيادة ما النافية على شبه جملة "جار ومجرور" 336
- الصورة الرابعة: التحويل بزيادة "ما" النافية على المصادر والجموع: 338
- 2- صور الجملة الاسمية غير المحضة المحولة بالزيادة لغرض النفي 339
- 1-2- صور الجملة الاسمية المحولة بزيادة "ما" النافية على الفعل الماضي الناقص فعل النسخ كان"، وتوجيهها الدلالي 339
- 1-1-2- زيادة "ما"، أو "فما" على كان+ اسم كان وخبرها 339
- 2-1-2- زيادة "ما" على الفعل "كان" 340
- 2-3-1-2- زيادة "ما" على الفعل "كان" + جملة فعلية مضارعية 340
- 2-2- زيادة "لا" النافية على الجملة الإسمية 341
- أ- دخول "لا" على الجملة الاسمية المحضة المحولة - محلها- بالزيادة لغرض النفي 341
- الصورة الأولى: زيادة "لا" النافية على "اسم نكرة" 343
- 1- زيادة "لا" النافية للجنس على اسم نكرة+ "إلا" التي للحصر، وغرضها توكيد المحصور المنفي بـ"لا": 344
- 2- زيادة "لا" النافية للجنس على اسم نكرة+ شبه جملة جار ومجرور، متعلقان بخبرها أو شبه جملة ظرف مكان أو زمان: 344

- ب- دخول "لا" على الجملة الاسمية غير المحضة المحولة - محليا- بالزيادة لغرض
 النفسي: 346
- الصورة الأولى: زيادة "لا" على فعل ماض ناقص 346
- 2-3- زيادة "لم" النافية: 349
- 2-4- زيادة "إن" التي بمعنى "ليس" أو "ما": 350
- 2-5- زيادة الناسخة النافية "ليس": 354
- 2-6- زيادة "لن" النافية 354
- 2-7- زيادة "دون" أو "من دون": 355
- 2-8- زيادة "غير" بمعنى "دون" 355
- ثانيا- صور الجملة الاسمية المحولة بالزيادة التي لغرض الاستفهام وتوجيهها الدلالي: 356
- 1- زيادة "حرف" همزة الاستفهام: 358
- الصورة الأولى: الهمزة+ اسم موصول+ جملة فعلية مضارعية أو ماضوية، أو جملة
 منسوخة بفعل ماضي ناقص: 358
- الصورة الثانية: همزة استفهام + مبتدأ+ خبر: 359
- الصورة الثالثة: همزة استفهام+ حرف الفاء أو الواو+حرف نفي "لم"+فعل كان للماضي
 أو يكون للمضارع مع المفرد أو الجمع، ومع الفعل الناسخ "ليس" ومعموليه 360
- الصورة الرابعة: زيادة همزة استفهام + إنّ الناسخة المؤكدة+ ضمير "اسم" إن + لام
 توكيد+ جملة فعلية مضارعية 360
- الصورة الخامسة: همزة استفهام +اسم إشارة في محل رفع مبتدأ+خبر قد يكون اسما
 موصولا مثل الذي أو مفعولا به مقدما للخبر "الجملة الفعلية" لكان "كانوا، مثل "إياكم .. 362
- الصورة السادسة: الهمزة+ ضمير+ جملة فعلية ماضوية: 364
- الصورة السابعة: الهمزة + حرف جرّ واسم مجرور+ مبتدأ مؤخر 364
- الصورة الثامنة: الهمزة+ واو+ لو+ كان وجملتها 364
- الصورة التاسعة: الهمزة+أداة الاستفهام "ماذا"+ كنتم 362
- الصورة العاشرة: الهمزة + إنّ التوكيدية وجملتها 365
- 2- صور الجملة الاسمية المحولة بزيادة "كيف" للاستفهام عن الحال، وتوجيهها .. 365.

- 3- زيادة "مَنْ": 366
- 4- زيادة "مَا" التي لغير العاقل 366
- 5- زيادة "هَلْ" التي للتصديق: 367
- 6- زيادة "متى" التي تروم الاستفهام عن الوقت أو الزمن 368
- 7- زيادة "أنى" للسؤال عن المكان، أو الزمان: 368
- 8- زيادة "أى" المعربة التي للسؤال عن الذات 370
- ثانيا- صور الجملة الاسمية المحولة بالزيادة التي لغرض التوكيد وتوجيهها الدلالي: 372
- القسم الأول: صور التحويل في الجملة الاسمية المحضة: 372
- 1- القصر والحصر 371
- 1-1- التحويل بزيادة مؤكّد واحد: 372
- 2-1- التحويل بزيادة مؤكّدين: 372
- 2- للإنكار والطلب 374
- 2-1- التحويل بزيادة مؤكّد واحد 374
- القسم الثاني: صور التحويل في الجملة الاسمية غير المحضة: 374
- الصورة الأولى: للتحويل المحليّ بزيادة "إنّ" لغرض التوكيد: 374
- 1- زيادة "إنّ" المتصلة بياء المتكلم 374
- 2- الزيادة بـ: "إنّ" 376
- 3- الزيادة بـ: "كان" 379
- 4- الزيادة بـ "لكنّ" 380
- 5- الزيادة بألفاظ التوكيد 381
- 2-2- التحويل بزيادة مؤكّدين 382
- 3-2- التحويل بزيادة ثلاثة مؤكّدات 383
- 386 خلاصة الفصل

الفصل الثاني: صور التحويل بالترتيب ودلالة الغرض

- أولاً: التحويل بتقديم المسند "الخبر" على المسند إليه "المبتدأ" وجوبا (إلزاما أو إجبارا)
 388: (اختيارا)
 389 1- صور التحويل بالتقديم:
 389 الصورة الأولى: التقديم + الحذف
 390 الصورة الثانية: التقديم + الزيادة (الاستفهام "متى"):
 391 الصورة الثالثة: التقديم + الزيادة (الاستفهام "الهمزة"):
 392 ثانيا: التحويل بتأخير المسند إليه "المبتدأ" على المسند "الخبر" إجبارا واختيارا.....
 392 1- إجبارا:
 393 2- اختيارا:
 395 3- صور توارده محوًلا بالتقديم:
 395 1-3- التحويل الإجمالي:
 395 الصورة الأولى: الخبر أداة من أدوات التصدر كأدوات الاستفهام
 الصورة الثانية: سبق المبتدأ المؤخر والخبر المقدم حرف استفهام أو نفي، أو كان
 الخبر وصفا: 395
 الصورة الثالثة: الخبر مقصور على المبتدأ بـ"إنما" أو بالبنية التحويلية المحوَّلة
 بزيادة أداتي القصر "ما وإلا" مثلا، و زيادة "إنما": 395
 الصورة الرابعة: إذا اشتمل المبتدأ المحوًل بالتأخير على ضمير يعود على الخبر: 397
 الصورة الخامسة: الخبر شبه جملة "جار ومجرور" أو "ظرف"، والمبتدأ نكرة ولا
 مسوَّغ له إلا تقديم الخبر 397
 397 2-3- التحويل الاختياري:
 397 الصورة الأولى: الخبر شبه جملة جار ومجرور أو ظرف والمبتدأ معرفة
 399 خلاصة الفصل:

الفصل الثالث: صور التحويل بالحذف ودلالة الغرض

- أولاً: التحويل بحذف المبتدأ (المسند إليه) وتوجيهه الدلالي: 401
- 1- التحليل التحويلي على أساس دلالة الربط بين البنيتين السطحية والعميقة لحذف المسند إليه "المبتدأ" إجباراً واختياراً: 401
- 2- صور التحويل بحذف المبتدأ: 402
- الصورة الأولى: المبتدأ مقدرّ بالضمائر "هو، هي، هم": 403
- 1- المبتدأ ضمير "هو" 403
- 2- المبتدأ ضمير "هي" 405
- 3- المبتدأ ضمير "هم": 406
- الصورة الثانية: المبتدأ محوّل بالحذف مقدرّ بـ "الأمر": 406
- الصورة الثالثة: المبتدأ محوّل بالحذف مقدرّ بـ "خلق" 407
- الصورة الرابعة: المبتدأ محوّل بالحذف مقدرّ باسم الإشارة "هذا" 407
- 3- التحويل بحذف الخبر (المسند)، وتوجيهه الدلالي: 410
- 1- حذف "الخبر" إجباراً و اختياراً: 410
- 2- صور التحوّل بحذف الخبر (المسند) (التحوّل الإجماري): 415
- الصورة الأولى: الخبر محوّل بالحذف في البنية العميقة 415
- الصورة الثانية: الخبر محوّل بالحذف مقدرّ وهو متعلّق بينية 419
- الصورة الثالثة: الخبر محوّل بالحذف مقدرّ من سياق الكلام 421
- خلاصة الفصل: 422

الفصل الرابع: صور التحويل بالاستبدال دلالة الغرض

- أولاً: التوجيه الدلالي للتحويل باستبدال الخبر /المسند جملة اسمية أو فعلية: 425
- 1- الخبر جملة فعلية: 425
- الصورة الأولى: 425
- أ- الخبر جملة فعلية مضارعية مثبتة مبنية للفاعل (للمعلوم): 425
- ب- الخبر جملة فعلية مضارعية مثبتة مبنية للمفعول (للمجهول): 426
- ج- الخبر جملة فعلية أمر + نهي 427

- 427..... الصورة الثانية: 427
- أ- الخبر جملة فعلية مضارعية منفية 427
- ب- الخبر جملة فعلية ماضوية مثبتة..... 428
- الصورة الثالثة: الخبر جملة محوِّلة مؤوِّلة بالمصدر الصريح..... 430
- الصورة الرابعة: الخبر مقدّم مع الحرف (أ) للاستفهام والخبر، محوّل مشتق 430
- الصوِّرة الخامسة: 430
- أ- خبر (إنّ) أو (كان) محوّل جملة فعلية ماضوية أو مضارعية أو منسوخة مثبتة: 430
- خبر (إنّ): 430
- خبر (كان): 431
- ب- خبر (إن) أو (كان) محوّل بأنه جملة فعلية ماضوية أو منسوخة منفية 431
- 2- الخبر جملة اسمية: 431
- الصورة الأولى: وهو كونه ضميراً (مبتدأ) وخبره 431
- الصورة الثانية: الخبر محوّل بالاستبدال باسم الموصول: 432
- ثانياً: التحويل بالاستبدال بالجملة الموصولة: 434
- 2- صور التحويل بالاستبدال بالجملة الموصولة: 442
- الصورة الأولى: البنية التركيبية المحولة التي تؤوّل إلى البنية التوليدية "الفاعل": 442
- الصورة الثانية: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "الخبر أو المبتدأ": 443
- الصورة الثالثة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "اسم إن": 444
- الصورة الرابعة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "اسم مجرور": 444
- الصورة الخامسة: البنية التركيبية المحوِّلة إلى البنية التوليدية "مفعول به".... 446
- الصورة السادسة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "بدل"..... 446
- الصورة السابعة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مستثنى 446
- الصورة الثامنة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مضاف 447
- الصورة التاسعة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مبتدأ في موضعه
التوليدي أو مبتدأ مؤخر 447
- الصورة العاشرة: البنية التركيبية المحولة إلى البنية التوليدية "مفعول به"..... 448

448	أ- الجملة الماضوية:
450	ب- الجملة المضارعية:
452	2- التصنيف على أساس اسم الموصول:
457	خلاصة الفصل:
456	خلاصة الباب:
461	الخاتمة
478	قائمة المصادر والمراجع.
505	الفهرس